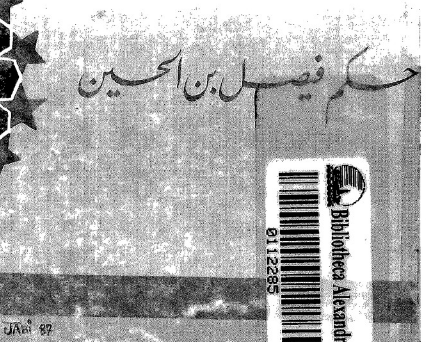
الدكتور علي سلطان

تاريخ سورية

١٩١٨ ـ ١٩٢٠

حكم فيصل بن الحسين





دمشق — اوتوستراد المزة
هاتف ٢٤٤١٢٦ — ٢٤٣٩٥١
تلكس ٤١٢٠٥٠
ص. ب: ١٦٠٣٥
العنوان البرقي
طلاسدار
TLASDAR

ريع الدار مخصص
لصالح مدارس ابناء الشهداء في القطر العربي السوري

تاريخ سورية

١٩١٨ ـ ١٩٢٠

حكم فيصل بن الحسين

الطبعة الأولى
١٩٨٧

الدكتور علي سلطان

تاريخ سورية

١٩١٨ - ١٩٢٠

حكم فيصل بن الحسين

المقدمة

لم يكن لدولة سورية الحالية وجود سياسي قبل عام ١٩٢٠ ، وإنما كانت عند الفتح العربي الاسلامي لبلاد الشام ، تؤلف ولاية في خضم دولة عربية اسلامية كبرى ، تتراوح عاصمتها بين المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة . إلا أن الأمر اختلف بعد الحرب العالمية الأولى ، ونشأ في « سورية الطبيعية » — لبنان ، سورية الحالية ، فلسطين وشرقي الأردن — أربع دول من هذه الأجزاء ، رغم أنها لم تكن تشكل ولاية واحدة في العهد العثماني .

وبعد انتصار الحلفاء على الألمان والأتراك ، حددت في جزء منها (سورية) ، منطقة سميت « المنطقة المحتلة الشرقية » تضم المدن الأربع ، دمشق ، حمص ، حماه ، وحلب . وعين الأمير فيصل بن الحسين قائد الجيش العربي ، لادارتها تحت أشراف الجنرال اللنبي ، قائد قوات الحلفاء (الانكليز والفرنسيين) في سورية . ودامت ادارته لها ، من الأول من أكتوبر

/ تشرين الأول / ١٩١٨ حتى ٢٤ جوييه / تموز / ١٩٢٠، وهذه الفترة التي لا تزيد عن إثنين وعشرين شهراً، هي فترة حكم «فيصل في سورية» موضوع هذا الكتاب.

وإن ما قيل عن ثورة الحسين من كلام متناقض، وعلاقة ذلك بالوحدة العربية، ووجود أحزاب عربية في سورية تنادي بالوحدة العربية، وأحزاب سورية تنادي بالوحدة السورية، منفصلة عن الأقطار العربية انفصالاً عقائدياً، كل هذا جعلني أهتم بنشوء دولة سورية الحديثة، وما رافق ذلك النشوء من مؤثرات سياسية، كان لها الدور الأول في كيان سورية الحالية. وكان فيصل هو المسؤول العربي عنها في فترة نشوئها. ومن هنا أتى اهتمامي ببحث هذا الموضوع الذي هو «تاريخ سورية من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠ في عهد فيصل بن الحسين» والدور الذي لعبه في خلق دولة سورية.

وتعتبر دراسة سياسة (فيصل في سورية) مهمة بنظري للأسباب التالية:

١ ـ حدث من خلال حكم فيصل «تحول من مفهوم الدولة العربية الواحدة في المشرق العربي إلى دولة سورية» ولذا تركز بحثي من خلال هذه الفترة التاريخية القصيرة، على كيفية نشؤ «دولة سورية» وكيفية حدوث هذا التحول من «العربي إلى السوري» عند فيصل، وعند القوميين العرب، تحت تأثير الظروف السياسية الدولية، الانكليزية

والفرنسية ، تلك السياسة التي مازالت آثارها باقية حتى الآن ، تظهر في الحدود الوهمية الفاصلة بين الدول العربية .

٢ ــ لعب فيصل الدور الأكبر في هذا التحول ، لكنه دور الوسيط لا دور المبادر . فلقد ظل طيلة عهده في سورية ، يتبع خطة واحدة ، وهي أنه كان يقتنع بما يسمع ويرى من الساسة الانكليز والفرنسيين ، ثم يحاول بدوره أن يقنع الوطنيين بذلك الذي اقتنع به هو ، ذلك أنه لم يكن مستقلاً في سياسته وتفكيره ، ولم يستقر على هدف ثابت يطالب به ، فكان سرعان ما يتحول بالأهداف ــ القومية العليا نحو الأهداف الجزئية الصغرى ، لأن الحصول على شيء ما ولو كان صغيراً في رأيه ، خير من ضياع كل شيء . ونتيجة لهذا التحول ، كان يبحث عن إيجاد دولة سورية الموحدة ، بدلاً من الدولة العربية الواحدة ، لأنه وجد تحقيق الأخيرة صعباً . ثم تحول من الوحدة السورية ، إلى سورية المجزأة لنفس السبب . وكان تحوله هذا رد فعل للسياسة الانكليزية أو الفرنسية ، ولم يكن تجاوباً مع الفكر القومي السائد في سورية آنذاك . بل بذل جهداً كبيراً حتى حوله إلى هدف سوري بدلاً من عربي . ولذا فإن دراستي ستتركز على سياسة فيصل ، أكثر مما تتركز على دراسة الحكومة العربية ، وسيكون فيصل هو المحور الأساسي لهذه الرسالة .

٣ ــ كانت الدولة العربية في سورية التي رأسها فيصل، أول محاولة لخلق دولة عربية مستقلة في آسيا، بعد خروجها من حكم الدولة العثمانية، وهو الحكم الذي دام أربعمائة سنة.

٤ ــ كانت الأسباب الدولية التي خلقت هذه الدولة، هي نفسها الأسباب التي مزقت البلاد العربية الآسيوية، وخلقت منها دولاً منفصلة بعضها عن بعض، بعد أن بقيت موحدة مدة أربعمائة سنة على الأقل، تحت الحكم العثماني، ولهذا فقد كانت هذه الفترة، أخطر فترة مرت على البلاد العربية الآسيوية حتى الآن.

٥ ــ كانت هذه الدولة قبلة انظار القوميين العرب، الذين ناضلوا ضد الأتراك لاستقلال البلاد العربية ووحدتها، على الرغم من أنها لم تحقق أمانيهم الواسعة، إلا أنها كانت محط آمالهم في إقامة دولة عربية واسعة موحدة، تعيد إلى العرب مجدهم بعد غياب طويل عن المسرح السياسي.

تمهيد

عاش العرب أربعمائة سنة تحت حكم الأتراك العثمانيين، بنوع من الرضا أو الخضوع أو التمرد، لكن لم يحدث مرة واحدة أن انفصل العرب أو بعضهم عن هذه الدولة، لا راغبين ولا كارهين، حتى أتى القرن العشرون، وحمل إلى العرب والترك رياح القومية القادمة من أوروبا. فانتشرت في لبنان وسورية في القرن التاسع عشر، وتبناها الأتراك في القرن العشرين، وقاموا بانقلابهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨. وهنا بدأ صراع بين القوميين، بعد تراجع العنصر المشترك الذي كان يجمعهما وهو الاسلام، الذي لم يعتمده القوميون الأتراك (تركيا الفتاة أو جمعية الاتحاد والترقي) مثلما كان يفعل السلاطين العثمانيون من قبل. وكان العرب يطالبون بحكم لا مركزي ضمن الدولة العثمانية، بينما كان القوميون الأتراك متشددين في المركزية. وأتت الحرب العالمية الأولى، وتحالف الأتراك مع الألمان، ضد الانكليز والفرنسيين (الحلفاء)، ونفذ جمال باشا التركي، حاكم سورية، سلسلة من الاجراءات ضد الحركة العربية في سورية، كان أدهاها إعدامه لفئة من قادة القوميين العرب. وبالمقابل، اتفق القوميون العرب والشريف حسين بن علي، على القيام بثورة ضد الأتراك، فتحالف الحسين مع الانكليز (١٩١٥ — ١٩١٦)، بما عرف بمراسلات (الحسين — مكماهون)، وأصبحت الحجاز والأردن وفلسطين مسرحاً للقتال بين الترك والألمان من جهة، وبين العرب والانكليز

من جهـة أخـرى ، وخـلال هذه الحرب ، عقـدت بريطانيـا اتفاقيـة سايكس ـ بيكو ١٩١٦ ، مع فرنسا ، لتقسيم واستعمار بلاد العرب ، وكذلك وعدت اليهود باقامة دولة لهم في فلسطين (وعد بلفور ١٩١٧) ، وكل ذلك على حساب العرب ، وهو يناقض ويخون العهود التي أعطوها للحسين ، باقامة دولة عربية مستقلة كبيرة في القسم الآسيوي .

دامت الحرب على أرض العرب من ١٩١٦ ، وهو تاريخ إعـلان الشريف حسين لثورته العربية ، ضد الأتراك حتى ١٩١٨ ، وهو تاريخ دخول القوات الانكليزية والعربية إلى دمشق . وكان فيصل بن الحسين يقود الجيش العربي ، الذي خرج من الحجاز لتحرير سورية ، وإقامـة الدولـة العربيـة المنشودة . وبدخوله إلى دمشق يبدأ تاريخ هذا الكتاب ، ليعالج تاريخاً خطيراً على مستقبل العرب والوحدة العربية ، ماتزال آثاره تعمل حية حتى الآن ، وكأنها ولدت البارحة ، مع أنها حدثت ما بين ١٩١٨ و ١٩٢٠ .

وللتعرف على تاريخ سورية في الفترة السابقة ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ وهي فترة الحكم التركي (القومي) والأخير للبلاد العربية ، يمكن قراءة كتابنا : تاريخ سورية من ١٩٠٨ إلى ١٩١٨ (آخر الحكم التركي) ، وفيه تاريخ العشر السنوات الأخيرة لعلاقات العرب بالترك .

المصطلحات

تسهيلاً للعودة لبعض المصادر، اختصرنا اسمها الطويل، ورمزنا لها بمقابلها كما يلي:

١ ــ وثائق وزارة الخارجية الفرنسية

.Documents francais, archive des Affaires Ethangers-Paris

وترد على هذا الشكل .D.F.Aff. Etr

٢ ــ وثائق وزارة الحربية الفرنسية

Ministére de la Guerre, Etat major de l'armée

وترد على هذا الشكل .D. F. G

٣ ــ وثائق وزارة الخارجية البريطانية

Great Britain, Foreign Office

وترد على هذا الشكل F.O

٤ ــ وثائق على سياسة بريطانيا الخارجية

Documents on British foreign policy (1919-1939) (Edit: Woodward and Butler)

وترد على هذا الشكل Documeuts

الفصل الأول

أوليات الحكم الفيصلي
في سورية

ماذا كان يحدث في دمشق خلال الأيام القليلة، التي سبقت دخول الجيش العربي والانكليزي، في الأول من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨، وهي الأيام الأخيرة فيها؟ وماذا أعدت جمعية «العربية الفتاة» لاستلام السلطة، وإقامة الحكم العربي فيها، وتحقيق حلم العرب، في بناء دولتهم الكبيرة في دمشق، التي كانت بنظرهم عاصمة المجد العربي أيام الأمويين؟ وماذا كان يعد لها فيصل، قائد الجيش العربي المحبوب، ابن الحسين، قائد الثورة العربية؟ وماذا كان يعد لها الانكليز، وجيشهم على أبوابها بقيادة اللنبي؟ وماذا كان يعد لها الفرنسيون، واسطولهم ليس ببعيد عن سواحل سورية؟

ان الذي حدث في الأيام الثلاثة قبل احتلال دمشق، لم يكن في الحسبان، ولا يجيب على أي من التساؤلات السابقة، وكان مفاجأة لجميع الأطراف، لأن الذي تسلم الحكم بعد الأتراك، رجل ليس من رجال الثورة العربية، ولا من جمعية الفتاة، ولا من أنصار الانكليز، وهو محمد سعيد الجزائري[1] حفيد الأمير عبد القادر الجزائري. أما كيف تم له ذلك! فإن الروايات تختلف عليه.

حكومة سعيد الجزائري

يقول سعيد الجزائري في (مذكراته)، بأنه عرض خدماته على جمال باشا الصغير، قائد القوات التركية في سورية، للمحافظة على الأمن خلال انسحاب القوات

(١) انظر ملحق التراجم.

التركية ـــ وكان وثيق الصلة به ـــ الذي تم في الثلاثين من سبتمبر / أيلول / ١٩١٨ ، واتفقا على جمع زعماء الأحياء ليحافظوا على أحيائهم ، لكن ذلك لم يجد نفعاً ، فعاد الجزائري إلى جمال باشا ، وأخذ على عاتقه حماية دمشق بوساطة المغاربة ، حتى يحمي انسحاب الجيش التركي ، فقبل جمال باشا(٢) ،ومن ثم ذهب سعيد الجزائري إلى دار الحكومة ، ورفع العلم العربي(٣) « ذا الألوان الأربعة ، الأبيض والأسود والأخضر والأحمر ، وهو علم الثورة العربية الذي كان قد أتى به ، أخوه عبد القادر من عند الحسين في مكة في أثناء الثورة » على دار الحكومة ، وسط تهاليل الشعب الذي احتشد معبراً عن بهجته بخلاصه من حكم الأتراك(٤). وفي هذه الأثناء، وصل كثير من علية القوم وفي طليعتهم شكري الأيوبي. وتابع الجزائري عمله في حفظ الأمن، وتأسيس الحكومة، فعين مجلساً للشورى من وجهاء دمشق هم : الشيخ طاهر الجزائري ، بديع المؤيد ، عطا الأيوبي ، شاكر الحنبلي ، وفارس الخوري . وأسند رئاسة البلدية إلى عبد القادر الخطيب من شيوخ دمشق ، وعين أخاه عبد القادر قائداً (للفرسان العرب) وهم من المغاربة ، وكانوا بمثابة القوة العسكرية لسعيد . ويذكر الجزائري ، بأنه عين شكري الأيوبي مديراً للسجن في دمشق ، فأطلق هذا سراح المساجين(٥) .

أما يوسف الحكيم ، (الذي عين وزيراً في وزارة الركابي التي تلت حكومة الجزائري) فيقول في مذكراته وفي مقابلة شخصية معه ، إن الوجهاء الدمشقيين اجتمعوا في بهو المجلس البلدي في ساحة المرجة بدمشق ، وقرروا إقامة حكومة تحول دون الفوضى ، ريثما تصل جيوش الحلفاء واجتمعت كلمتهم على انتخاب الجزائري رئيساً

---

(٢) مذكرات الجزائري ، ص ٩٧ .

(٣) اختلفت الآراء في من صمم العلم العربي ، فالانكليز يدعون انه من تصميم (سايكس) ، وجعفر العسكري يقول انه من تصميم الحسين ، لكن محي الدين الخطيب (في أوراقه) ذكر بانه من تصميم (جمعية الفتاة) ، وترمز الوانه : الابيض للامويين ، والأسود للعباسيين ، والأخضر للفاطميين وأضاف الحسين اليه اللون الأحمر العنابي ، شعاراً للاسرة الهاشمية وكلام الخطيب هو الصحيح كما نرى .
مجلة العربي ، الكويت ، عدد ١٥١ سنة ١٩٧١ ، ص ٥٥ .

(٤) مذكرات الجزائري ، ص ٩٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٠٢ ، انظر ملحق التراجم .

للحكومة، فأقسم يمين الولاء والإخلاص لجلالة الحسين في ٢٧ سبتمبر / أيلول /، وبعدها رفع العلم[٦]. وتزيل هذه الرواية الكثير مما أعطاه الجزائري لنفسه، عن مبادرته الشخصية والفورية لاستلام الحكم، وتعطي لحكمه معنى آخر، إذ تأسس بإرادة مجموعة من وجهاء ومفكري دمشق، وليس بارادته وحده. وكان تأسيسها باسم الحسين، وهذا يدل إن صحت الرواية، على ارتباط بعض هؤلاء الوجهاء بالثورة العربية أو بجمعية الفتاة. وتختلف رواية الحكيم في تحديد تاريخ الاجتماع، ومن ثم رفع العلم في ٢٧ سبتمبر / أيلول / بينما يتفق الجزائري وقدري ولورنس على أنه في ٣٠ منه.

ويؤكد الدكتور أحمد قدري الرأي السابق للحكيم، بأن الوجهاء هم الذين عينوا الجزائري، لكن قدري يحدد هذه المجموعة، بأنها جمعية العربية الفتاة، ويقول في مذكراته «كنا كلفنا رضا باشا الركابي وشكري الأيوبي، بتشكيل حكومة وطنية في دمشق، دون انتظار دخولنا، بعد أن لم يكن في إمكان القوى التركية المقاومة، إلا أن رضا لم يكن في دمشق، إذ عينته القيادة التركية قائداً عاماً للاستحكامات التي فكروا باقامتها حول المدينة للدفاع عنها، فاطلع بذلك شكري الأيوبي، ورفع العلم العربي بعد ظهر ٣٠ سبتمبر / أيلول / على دار الحكومة. وكان طيب القلب، فوحد مساعيه مع الأمير سعيد الجزائري وأخيه (عبده)، وقبل تقدمهما عليه»[٧].

وتظهر من رواية قدري، أن الجزائري قد استغل طيبة الأيوبي حتى تسلم السلطة منه، إذا اعتبرنا أن لجمعية الفتاة الحق والسلطة في تعيين الحكام. أما إذا اعتبرنا أن السلطة التركية هي صاحبة الحق، فيكون تسلم الجزائري الحكم طبيعياً لا استغلال فيه، أما قصة رفع العلم من قبل الأيوبي، فتنفيه رواية الجزائري والحكيم، والثابت في الروايات الثلاث، أنه كان موجوداً في أثناء الرفع.

---

(٦) يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٨.
ومقابلة خاصة معه في صيف ١٩٦٩ أيضاً.

(٧) قدري، ص ٧٣ أحد الاعضاء المؤسسين لجمعية الفتاة والذي دخل دمشق مع الشريف ناصر قائد (الجيش العربي ولورنس)، انظر ملحق التراجم.

ويؤكد لورنس رواية قدري بأن (لجنة فيصل) (ويقصد بها جمعية الفتاة)، قد هيأت نفسها في دمشق لاستلام السلطة من الأتراك، وأن الشريف ناصراً قد أرسل يتصل بعلي رضا الركابي، رئيس اللجنة أو مساعده شكري الأيوبي، بوجوب تشكيل حكومة مؤقتة بعد الخلاص القريب لكن الركابي كان متغيباً، ووجد الأيوبي مساعدة غير منتظرة من سعيد الجزائري وأخيه عبد القادر، فرفع العلم بمساعدتهما وأعوانهما، ويضيف لورنس أن الأيوبي أبلغه بعد دخوله دمشق، أن الجزائريين بقيا إلى جانب الأتراك حتى رأوهم يفرون، ثم هاجما (لجنة فيصل) المتجمعة سراً بوحشية وقبضا على السلطة(٨). والظاهر أن لورنس هنا يناقض نفسه، فكيف وجد الأيوبي مساعدة من الجزائريين، وكيف تتفق المساعدة بالهجوم الوحشي واغتصاب السلطة!

وتأتي رواية جمال باشا الصغير (المرسيني)، لتنفي ادعاء الجزائري بأنه قد سلمه مقاليد الحكم في دمشق، لأنه في الحقيقة، قد كلف رضا باشا الركابي، وشكري الأيوبي بذلك. فقد جاء في مذكراته «بأنه قبل مغادرته دمشق، كلف رضاالركابي وشكري الأيوبي بالدفاع عنها، لكنه أخطأ بذلك، لأنهما سلماها إلى العصاة بدون مقاومة»(٩) ولم يذكر أنه سلم الحكم إلى سعيد الجزائري، حتى ولا كلفه بالدفاع عنها، ولا بحفظ الأمن فيها. ولذا تبقى رواية اعتماده على الركابي والأيوبي أصح، إن كان في الدفاع عن دمشق أو المسؤولية فيها. فالدفاع يعني المسؤولية في الحرب، كما يعني التفاوض في الاستسلام، حيث كان الركابي هو أعلى سلطة بعد مغادرة الأتراك وجمال باشا لدمشق.

ويؤكد محمد جميل بيهم وهو معاصر لهذه الفترة، أن جمال باشا الصغير لم يكلف سعيد الجزائري باستلام الحكم، لأن سعيداً لم يذكر في رسالته لمحمد جميل بيهم

(٨) T.E. Laurence, Seven pillars of wisdom, London 1949, P. 567.

(٩) جمال باشا الصغير، ص ١٤٢ ووصف جمال باشا رضا الركابي بأنه كان يلعب على الحبلين، فكان يدعي أنه يريد القبض على فيصل لتسليمه للدولة هو ورفاقه، إذا أعطيت له القيادة في الدفاع عن دمشق، وكان أيضاً يتصل بفيصل. ولم يكن فالكنهاين يثق به ولا القائد حسن تحسين رئيس أركان حرب الجيش، ونزولاً عند رغبتهما أجل موضوع تسليمه الدفاع عن دمشق. نفس المصدر، ص ١٣٣.

ذلك. لكنه يذكر أن فيصلاً أرسل له من درعا رسالة مع فائز الغصين، بوجوب استلام الحكم، ورفع الأعلام العربية. إلا أن فائزاً لم يتمكن من إيصال الرسالة له. ويذكر أيضاً أن فيصلاً أرسل قبل خمسة أيام من دخوله دمشق، رسالة إلى جمال باشا، يطلب فيها تسليم دمشق، وعدم إراقة الدماء، لأن المسؤولية تقع على الأتراك(١٠).

ويمكن استخلاص النتيجة التالية من كل هذه الروايات، ان شرعية استلام الحكم كانت للركابي والأيوبي (إن كان من قبل السلطة السابقة أو اللاحقة)، وأن سعيد الجزائري استطاع أن يؤثر على الأيوبي بماله من قوة (المغاربة)، ويتسلم السلطة، وإن الأيوبي رضي واقتنع بذلك للأسباب الآتية:

١ ــ لأن الجزائري طمأنه بأن عمله منسجم مع الثورة العربية، فأصدر أوامره باسم الحسين، وان ذلك لا يناقض تكليف جمعية الفتاة له (الأيوبي)، وأنه (الجزائري) أطلعه على أن فيصلاً قد كان كلفه بذلك، عندما قابله في ٥ أوت / آب / عند عمان، وأن الحسين أعطى أخاه (عبد القادر) العلم العربي لرفعه، عند تأسيس الحكومة العربية.

٢ ــ قدرة الجزائري بما لديه من قوة عسكرية (المغاربة)، وخوف الأيوبي من الفوضى وعدم تمكنه من تهدئة الأمور، لأنه ليس لديه أية قوة في ذلك الظرف العصيب.

٣ ــ إن حكومة الجزائري مؤقتة حتى يدخل فيصل.

٤ ــ ولابد أن الجزائري قد ادعى بتكليف جمال باشا له باستلام الحكم.

٥ ــ ولعل كبر سن الأيوبي وعجزه الجسمي، قد شجعه على التخلي عن مهمة حفظ الأمن في ظرف بالغ الصعوبة، إذ امتلأت دمشق بالأتراك المنسحبين، وما ينجم من فوضى في مثل هذه الظروف، وربما لم يعترض الأيوبي أصلاً على تسلم الجزائري الحكم منه، وفي هذه الحالة يكون الجزائري بغنى عن صرف أي جهد لاقناع الأيوبي بما تم.

---

(١٠) العهد المخضرم، ص ٧٣ ــ ٧٥.

ومهما يكن من أمر، فان سعيد الجزائري اعتمد في إقامة حكمه، على أنه ممثل للشريف حسين قائد الثورة العربية، ولذا كانت أوامره واعلاناته تصدر باسم الحكومة العربية، لكنه كما يبدو لم يكن قد استقر على اسم للحكومة، فمرة سماها «الحكومة العربية الهاشمية» ومرة «الحكومة العربية» فقط، ومرة «الحكومة المؤقتة في دمشق»، ومرة أخرى «الحكومة العربية السورية». وسمى نفسه مرة رئيس الحكومة، ومرة وكيل السلطان[١١]، مما يدل على أنه اقحم نفسه في الثورة العربية.

وكان يعلم أن حكومته مؤقتة ريثما يصل فيصل، لكن نداءاته كانت عربية أكثر منها سورية، فقد جاء في بيانه إلى الشعب «أيها العرب الذين استبشروا بهذا الفجر المؤتلق... ساعدونا وساعدوا العرب يا رجال العرب وشبان العرب وعشاق تمدن العرب»[١٢].

وانطلاقاً من ذلك، اعتبر الجزائري نفسه حاكماً على كل سورية، فأرسل أوامره إلى رؤساء البلديات في بيروت والمدن السورية الأخرى، يعلمهم بتسلمه الحكم باسم الحسين. وطلب من (عمر الداعوق) رئيس بلدية بيروت، أن يعلن الحكومة العربية. كما طلب من (الياس الحويك) بطريرك الموارنة، أن يشكل حكومة في (بعبدا) مركز جبل لبنان. فلم يفعل، وانتظر حتى شكل الداعوق الحكومة في ولاية بيروت. ويبدو أن تردد الحويك في تشكيل الحكومة في جبل لبنان، نابع من رفضه أن يكون تابعاً لحكومة الشريف حسين العربية في دمشق، لأنه كان يأمل المساعدة من فرنسا في حكم لبنان، وليس من الشريف حسين. واكتفى أخيراً بالانتظار حتى تنجلي الأمور، ولذا فقد انتخب «مالك شهاب» حاكماً على الجبل من قبل أعضاء الحكومة فيها أيام الأتراك[١٣].

استمرت حكومة الجزائري حتى الأول من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨، ما

---

(١١) مذكرات الجزائري، ص ١٠٠ ــ ١٠٣.

(١٢) نفس المصدر، ص ١٠١.

(١٣) Zeine, The Struggle, P. 37

بين الساعة العاشرة والظهر. فبرغم وصول القوات الانكليزية بقيادة (الميجر أولدن) في الساعة السادسة صباحاً، ووصول الشريف ناصر في نفس الساعة[14]، استمرت حكومته، لأن الأول تابع ملاحقة الأتراك ــ مهمته الأصلية ــ وأقنع الثاني الذي كان يجهل الموقف السياسي، بأنه يحكم باسم الشريف حسين. ويذكر الجزائري في مذكراته، بأن الشريف ناصراً فوضه أيضاً بالاستمرار بالحكم باسم الشريف حسين[15]. لكن ما ان وصل لورنس الذي دخل مع جيش الشريف ناصر، وسمع بترأس الجزائري للحكم، حتى أسرع إلى دار الحكومة، وكان معه قدري ونوري السعيد. وأخذت الأمور تتطور لغير صالح الجزائري، إذ كان يعتقد لورنس، وكذلك قدري، أن شكري باشا الأيوبي هو المتولي للحكم فعلاً. وطلب لورنس من الجزائري مغادرة دار الحكومة، وإنهاء حكمه حسب أوامر فيصل، كما يدعي لورنس ــ لأنه

(١٤) اختلفت الروايات فيمن دخل دمشق أولاً، الجيش البريطاني أم العربي؟ يذكر قدري والحكيم ولورنس، أن الجيش العربي دخل أولاً. لكن الجزائري والميجر أولدن والجنرال شوفل، قائد الفرقة الانكليزية التي ينتمي إليها أولدن، ذكر أن الانكليز دخلوا الأول. ناتيلي، ص ٩٢ ــ ٩٣.
وذكر كولوندر في تقرير له، أن قوات الجيش العربي (الشريفي كما يسميه) قد دخلت دمشق في ٣٠ سبتمبر / أيلول / أي مع الانكليز.
D.F.G. 7N-1658, Damas, 9 Nov 1918.
ويذكر صبري البديوي في مقابلة معه سنة ١٩٧٨، أن جميل المدفعي (قائده) أخبره بدخول الشريف ناصر في ٣٠ منه، وعليه أن يشكر نوري السعيد لأنه لم يختره هذه المرة كالعادة للاشتراك في المعركة، وذكر دخول الجيش العربي حسب الترتيب التالي:
١ ــ هيئة الأركان (نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت وحميد.
٢ ــ قائد اللواء تحسين علي.
٣ ــ السرايا (الأرهاط) الأربع، وكان البديوي أحد قادتها.
٤ ــ قائد الرشاش الثقيل، صبحي العمري الذي ذكر لي بمقابلة معه أيضاً، دخول الجيش العربي قبل الانكليز.
٥ ــ قائد الرشاش الخفيف.
٦ ــ المدفعية.
٧ ــ المفرزة الصحية.
٨ ــ مفرزة النقليات.
انظر البديوي، مخطوطة صفحات خفية، ج ٥، ص ٣٨.
(١٥) مذكرات الجزائري، ص ١٠٦ وقدري، ص ٧٤.

كان يعتقد أن الجزائري موالٍ للترك والفرنسيين معاً — كما أن العداء القديم بينه وبين عبد القادر أخي سعيد، قد يكون له أثر في موقف لورنس[١٦]. وأن الفرنسيين ينوون احتلال سورية، ويهمهم أن يجدوا رئيساً موالياً لهم كالجزائري فيها. ولم يذعن سعيد الجزائري، وأخذ أخوه عبد القادر يهدد لورنس ويشتمه. وعندئذٍ هددهما لورنس بإخراجهما بقوة الجيش البريطاني، وآزره أيضاً نوري الشعلان شيخ عشيرة الرولا، وتطوع لاستخدام قواته. وعندها خرج الجزائريان وأتباعهما[١٧]، وبذلك قضي على الحكومة العربية الأولى في دمشق، وسلم الحكم فيها إلى رضا الركابي، الذي ناب عنه شكري الأيوبي.

وكان رأي الانكليز بحكومة سعيد الجزائري «أنه حاول إقامة حكم فطُرِد»[١٨]أما رأي الفرنسيين فكان «ألا يطيعها اللبنانيون، وأننا (الفرنسيين) آتون إليهم»[١٩].

وصل الركابي إلى دمشق في الوقت المناسب، في الأول من أكتوبر / تشرين الأول /، وكان في جهات القنيطرة جنوب دمشق، ينفذ المهمة التي أوكلها له جمال باشا بالدفاع عن دمشق، لكنه لم يفعل، بل استسلم وخيب أمل جمال باشا فيه. وتسلم الحكم بناءً على قرار من جمال باشا الصغير، وجمعية العربية الفتاة، ورضي لورنس. وبذل جهداً كبيراً للمحافظة على الأمن، ومنع حوادث النهب التي قام بها بعض البدو والدروز، ونصب مشنقة أمام دار الحكومة لاعدام كل من يجرؤ على

---

(١٦) كان لورنس وعبد القادر قد اشتركا أثناء الثورة العربية في عملية نسف جسر، إلا أن عبد القادر رفض نسفه لأنه يقطع الطريق على الأتراك المسلمين، حسب رأيه وعاد سراً إلى دمشق، وفشلت العملية. واعتقد لورنس أنه وشا به للترك. مذكرات الجزائري، ص ٨١ — ٨٢.

(١٧) لورنس، ثورة في الصحراء، ص ٤٨٣ وناتيلي، ص ٩٤ — ٩٦ ومذكرات الجزائري، ص ١٠٨.
كان نوري الشعلان معروفاً بولائه للأقوى، وعندما وقف مع لورنس ضد الجزائري كان يعرف مقدار قوة الانكليز وضعف الجزائري.
محي الدين السفرجلاني، فاجعة ميسلون، دمشق ١٩٣٧، ص ٢٨.

(١٨) F.O. 371 /3383/ P. 8 Oct 1918-Clayton.

(١٩) D.F.Aff. Etr. Levant. 2 (4 Oct 1918) P. 19.

الاخلال بالأمن، باسم الأمير فيصل والجيش العربي[٢٠]. والجدير بالذكر، أن دمشق قد شهدت قتالاً في الليلة والنهار، اللذين سبقا دخول دمشق، وخاصة عندما تلاشت سلطة الأتراك وحلت الفوضى والقتل والنهب والسلب، وكانت فتاكة في مواقع كثيرة، واضطر نوري السعيد عندما دخل إليها إلى اعطاء الأمر لقواته بالقتال واطلاق الرصاص، كما فعل ذلك الضابط الانكليزي كير وقواته. كما قامت قوات سعيد الجزائري من المغاربة بنفس المحاولات. ونهبت قوات البدو والدورز مخازن السلاح والذخيرة العائدة للجيش التركي، وأخرجهم نوري السعيد بقوة السلاح، وفرض نظام منع التجول في دمشق بعد غروب الشمس لدى دخول القوات العربية، حتى لا تحدث أعمال النهب والتخريب. ويشبه ألدنجتون هذه الأعمال بثورة في دمشق ضد فيصل، كتمها الانكليز بشدة. ولهذا ــ حسب رأي ألدنجتون ــ قرر اللنبي إقامة حكم عربي في دمشق، إرضاءً للشعب الهائج، بينما اكتفى بتعيين حاكم عسكري في القدس، لأنه لم تقع ثورة تجبره على إقامة حكومة فيها[٢١].

---

(٢٠) قدري، ص ٧٥.

يذكر سلطان الأطرش في مذكراته رواية عن أسره لرضا الركابي، الذي كان يدافع عن دمشق، فقال «اتصل بنا فيصل عند وصولنا إلى الكسوة (جنوب دمشق)، للزحف بأقصى سرعة والدخول إلى دمشق قبل الجيش البريطاني. وحدثت معركة بالسلاح الأبيض في الكسوة، وأسر قائد الترك مع كثير من جنوده، وهو علي رضا الركابي، وأتي به إلي فلما عرفته عربياً أعدت له سلاحه وأركبته فرساً، وعاد معنا إلى دمشق حيث دخلنا إليها في ٣٠ سبتمبر / أيلول / من جهة الميدان، ووصلنا إلى المرجة ورفعنا العلم العربي، ودخلت في نفس اليوم بعض سرايا الجيش البريطاني».

مذكرات سلطان الأطرش منشورة في مجلة بيروت المساء عدد ١٠٠ (٣٠ ديسمبر / كانون الأول / ــ ١٥ جانفي / كانون الثاني /) ١٩٧٦ ص ٣٤ ــ ٣٥.

(٢١) الدنجتون، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

ومذكرات نوري السعيد، ص ٦٥ ــ ٦٧.

والجركسي، ص ٢٩.

وكتب كلايتون في تقرير له عن دمشق في ٨ أكتوبر / تشرين الأول /، أنها بعد حوادث الفوضى والنهب، إذ استطاعت الحكومة العربية (الركابي) فرض النظام باستخدام قوات (الشريفيين)، وأن دمشق تعاني من مصاعب غذائية ستجلب لها من حوران، وأنه يجب تثبيت قيمة العملة الورقية التركية حتى يمكن تداولها.

F.O. 371 /3383/ P. 550-554, 556-557.

ونعتقد أن ما وصفه ألدنجتون بالثورة، عن عمليات السلب والنهب، لم يكن هو الثورة التي أجبرت اللنبي على إقامة الحكم العربي في دمشق، وإنما كانت تلك التظاهرة الكبيرة التي قامت بالميدان (حي قديم في دمشق)، بقيادة أحمد مريود والشيخ محمد الأشمر، قبل يوم واحد من دخول دمشق، حيث رفع المتظاهرون العلم العربي، وأطلقوا سراح السجناء بعد انسحاب الأتراك. وكان شكري الأيوبي، أحد هؤلاء السجناء الذي سلمه المدينة، الضابط التركي الميرالاي بهجت (مفتش المنزل) في ٣٠ سبتمبر / أيلول /، وكان آخر تركي يغادر المدينة.

احتلال الحلفاء لسورية الطبيعية

وفي الثالث من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨، دخل الأمير فيصل دمشق راكباً جواداً أبيض، تحف به كوكبة من (١٥٠٠) فارس، وسط تهاليل الجماهير وتكبيرها، التي ملأت الشوراع والساحات، حاملة الأعلام والأزهار، وقد انتشرت السجاجيد على شرفات المنازل، وأطلت من النوافذ آلاف الرؤوس ترش الموكب بالعطور، وبلغت الحماسة الوطنية ذروتها، وشهدت دمشق يوماً رائعاً لم تعرفه منذ زمن طويل [٢١ب]. وكانت دمشق غاية مطامح الوطنيين العرب، وفيصل، وأبيه الحسين، في إنشاء إمبراطورية عربية تعيد إلى العرب أمجادهم القديمة، وتقيم مدنية وحضارة من جديد.

غير أن الحلم الجميل لم يطل في رأس فيصل، إذ كان اللنبي الذي وصل في

(٢١ب)البديوي، مخطوط، ج ٥، ص ٤٠، وصبحي العمري، ص ٢٢٧ ولورنس، ثورة في الصحراء ص ٤٧٨.
كتبت جريدة الحقيقة البيروتية (موالية لفيصل) ترحيباً بدخول فيصل إلى دمشق، فقالت «أيهذا الأمير، بورك اليوم الذي رضي فيه الله عن العرب، فأعاد إليهم الحرية الحقيقية بعد أن ألزمهم كلمة التابعية أحقاباً طويلة. بورك اليوم الذي أذن فيه القدر، برد الملك العربي إلى أهله، من سادات قريش، بعد أن تدنى في مهاوي القرون، ينشدونه فلا يجدونه أمامهم».
عدد: ٩٥٥ ــ ٦ أكتوبر / تشرين الثاني / ١٩١٨.
وجاء في تقرير كلايتون المذكور عن دخول دمشق، بأن العواطف انطلقت وعمت المظاهرات، والأفراح والتجمعات... أما أصدقاء فرنسا فكانوا يأملون غزواً أجنبياً لكن آمالهم خابت...
PP. 586-587.

نفس اليوم إلى دمشق ، قد اتخذ قراره لوضع السياسة البريطانية موضع التنفيذ ، غير عابىء بكل الاحتفالات التي كانت تجري في المدينة فرحاً بالاستقلال الذي لم يكن له وجود في قرار اللنبي ، ولا في سياسة بريطانيا واتفاقها مع فرنسا والصهيونية . والتقى بناءً على طلبه بفيصل ، في نفس اليوم الذي وصلا فيه ، ٣ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨ ، في فندق فكتوريا في وسط دمشق ، وحضر الاجتماع لورنس كمترجم ، وحضره كلايتون ونوري السعيد وكولوندر ، وأبلغه سياسته الواجب تطبيقها في الأرض المحتلة ، واستعداده للاعتراف بإدارة عربية على الأرض المحتلة شرقي نهر الأردن ، من معان إلى دمشق وفيها المدن الأخرى حمص وحماه وحلب ، على أن تكون المنطقة تابعة لقيادته (اللنبي) بصفة القائد العام ، وبصفة فيصل أحد قواد الحلفاء . كما أبلغه اعتراف انكلترا وفرنسا بالعرب كقوة محاربة شاركت في حملة فلسطين ، ولذا فهم يحملون صفة حلفاء ضد العدو المشترك . كما قرر اللنبي تعيين ضابطي ارتباط ، انكليزي وفرنسي ، ليكونا وسيطيه لدى الإدارة العربية ، تحت إشراف كبير ضباطه السياسيين ، وكان هو الجنرال كلايتون . وطلب من فيصل ألا يشغل نفسه شخصياً بالحكومة المدنية ، بل يريح جيشه لمتابعة الزحف(٢٢) .

وهكذا يكون اللنبي قد وضع اتفاقية سايكس — بيكو موضع التنفيذ ، وعين فيصلاً حاكماً على المنطقة المحتلة الشرقية ، وهي الجزء الداخلي من سورية فقط ، ولم يعط فيصلاً أي حق في لبنان أو فلسطين . وجدير بالذكر أن الجنرال اللنبي ، كان قد تلقى رسالة من وزير الخارجية الانكليزية في أواخر سبتمبر / أيلول / قبل دخول دمشق ، بأنه من المرغوب فيه جداً تنفيذ اتفاقية ١٩١٦ ، وأنه يجب أن يعين ضابط ارتباط فرنسي للتعامل بوساطته مع الإدارة العربية ، وهو ما طبقه فعلاً . ويذكر الجنرال شوفل ومن اعتمدوا عليه ، في كتابة لقاء فيصل باللنبي ، أن الأخير أبلغ فيصلاً بكل صراحة ،

(٢٢) F.O. 371 /3383/ 5 Oct 1918, P. 556
رفض الانكليز عرض عزة العابد ، تقديم قصره في دمشق ليكون مقراً للحلفاء .
Ibid 371 /3413/ 3 Oct P. 35.

بتطبيق اتفاقية سايكس ـ بيكو ، فرنسا في الساحل ، الإدارة العربية في الداخل[٢٣] .

كانت غنيمة العرب قليلة لا تقاس بمكاسب بريطانيا وفرنسا في البلاد العربية . واعترض فيصل بشدة عندما علم بتولي الفرنسيين في الساحل ، وعلى وجود ضابط ارتباط فرنسي لديه ، فأجابه اللنبي بإصرار ، أن هذه الأوامر صدرت إليه بصفته القائد العام في فلسطين وسورية ، وعليه (فيصل) أن يطيع أوامره (بصفته قائداً من قواد الحلفاء) ، وعليه أيضاً أن يقبل بالواقع ، إلى حين عقد الصلح ، على أنه واقع اجراءات مؤقتة ، وأن القرار النهائي سيتخذه مؤتمر الصلح فيما بعد . ويبدو أن فيصلاً أذعن للأوامر ، حتى أن الجنرال اللنبي أرسل في برقية له إلى وينجت ، أن حديثه كان مرضياً مع فيصل ، وذكر أيضاً دخول القوات البريطانية والعربية في نفس التاريخ ، وأن الهدوء عاد لدمشق بعد حوادث اضطراب[٢٤] . ولم يحتج فيصل أيضاً على الإدارة البريطانية ، مثل احتجاجه على الإدارة الفرنسية في الساحل ، كما أنه لم يبحث قضية الحكم في فلسطين التي لم يذكرها اللنبي ، لأنها بعرف فيصل واقعة حكماً تحت الإدارة البريطانية ، ولا شأن له فيها حتى يناقشه بقضيتها .

أما لورنس صديق فيصل كما يدعي ، فقد ظهر كوجه خادع من وجوه السياسة البريطانية ، التي تصل إلى أهدافها بمختلف الطرق ، وتبين أنه كان على علم باتفاقية سايكس ـ بيكو ، لكنه لم يعلم فيصلاً بذلك ـ مثله مثل الساسة الانكيز الذين انكروها ـ حتى لا تقف مساعدة العرب للانكليز في الحرب . وعندما أراد الاعتراض على قرار اللنبي بإعطاء الساحل السوري للفرنسيين ـ نظراً لأنه يكرههم ـ وأنه أرسل ـ كما يدعي ـ شكري الأيوبي إلى بيروت ، لإقامة حكم عربي باسم الشريف حسين ،

(٢٣) رسالة من سفير بريطانيا في باريس بتاريخ ٢٦ سبتمبر / أيلول / ١٩١٨ .
D.F.Aff. Etr, Levant. 2, P. 128

(٢٤) Brian Garner, Allenby, London 1965, PP. 189-190.
نقلاً عن سليمان موسى ، الحركة العربية ، ص ٣٢٥ ، وذكر كلايتون أن فيصلاً قبل أن يسميه الحاكم البريطاني كسلطة عليا في سورية ، في كل القضايا العربية ، بما فيها الادارة والجيش في المستقبل .
F.O. 371 /3384/ P. 527, 24 Oct 1918.

غضب اللنبي ووجه السؤال إلى لورنس «ألم تخبره (لفيصل) بأن سورية ستكون تحت وصاية فرنسا»، فنفى لأنه كان يجهل ذلك، عندئذٍ قال اللنبي «ولكنك تعلم علم اليقين بأنه لن يكون لفيصل علاقة بلبنان»، ونفى لورنس معرفته أيضاً، عندها أذن له اللنبي بالسفر إلى لندن، ليقول كلامه أمام وزارة الخارجية البريطانية(٢٥).

ومهما يكن من أمر، فقد انتهى الاجتماع وكان العرب هم الخاسرين، ووضعت اتفاقية سايكس ــ بيكو موضع التنفيذ، وكان قرار اللنبي (المسؤول) هو النافذ.

كان احتلال دمشق فاصلاً في تاريخ المعركة بين الانكليز والعرب من جهة، والترك من جهة أخرى، على أرض سورية، ولهذا تتابع جلاء الأتراك عن المدن الأخرى دون معارك كبيرة. وكانت الحرائق تتصاعد في كل مكان، لأن الترك والألمان كانوا يحرقون مالا يمكن نقله، وكان أشد انفجار وحريق هو انفجار مستودع الذخيرة في القدم في دمشق(٢٦). وتابعت فلول الأتراك انسحابها نحو الشمال من دمشق، أو من رياق عن طريق السكة الحديدية والطرق البرية. وكانت الطائرات الانكليزية تلاحقها. وتعرض الجنود الأتراك والألمان لسلب أسلحتهم أو قتلهم على أيدي العصابات، وخاصة في منطقة سرغايا، كما لاقوا القتل أثناء انسحابهم في منطقة حوران وهم هاربون صوب دمشق، ولقوا السلب في دمر ودوما وغيرها أيضاً. وعانى مصطفى كمال الفوضى والهزيمة في بقايا جيشه، حتى إن الفرقة العسكرية التي يقودها فوزي القاوقجي، لم تكن تشكل إلا كتيبة واحدة، بعد انسحابها من معركة فلسطين إلى درعا(٢٧).

---

(٢٥) ناتيلي، ص ١٠٠ ــ ١٠١ عن (تقرير الجنرال شوفل في الاجتماع).

(٢٦) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٢٦٥، والبديوي، مخطوط ٦، ص ٣٥.

(٢٧) مذكرات القاوقجي، ص ٥٥ والريس، الكتاب الذهبي، ص ٩٦.
عندما مر الجيش العربي في قرى حوران ورأوا جثث النساء والشيوخ والأطفال ممزقة على الجدران، من فعل الأتراك المنسحبين، وخاصة في قرى طفس، انتقم الجنود العرب من الأتراك. ويذكر البديوي أنه عانى كثيراً حتى يحافظ على الأتراك من القتل، حتى أن الجنود العرب هددوه بالقتل لحماية الظالمين، وكانوا يشيرون له ناحية الجثث العربية. ج ٦، ص ٣٤.

وكانت قوات الجيش العربي تلاحق الأتراك نحو الشمال، وخلفها على مسافة ٥ كم كانت تسير القوات الانكليزية. واحتل الجيش العربي حمص في ١٥ أكتوبر / تشرين الأول /، وانسحب مصطفى كمال من حماة في ١٧ منه بعد معركة مع الانكليز والعرب، حيث أراد التشبث بحماة. وشكر لأهالي المدينة عواطفهم، التي أبدوها نحو إخوانهم الأتراك في الدين أثناء انسحابهم، كما فتح مخازن ومستودعات الجيش فيها لأهلها وللبدو، لكن الطائرات الانكليزية ألقت قنابلها وأطلقت رشاشاتها على هذه المستودعات، فقتلت وشردت كثيرين من الناس الذين كانوا يأخذون ما فيها(٢٨). وسقطت المعرة في ١٩ أكتوبر / تشرين الأول /. وتابع مصطفى كمال إلى حلب، وتجمع فيها الضباط الكبار الألمان والأتراك، على رأسهم فون ساندرز القائد العام، ومنهم جمال باشا الصغير إينونو (الذي أصبح رئيس جمهورية تركيا بعد مصطفى كمال، وجواد باشا ورأفت بك. ونزل الجميع في فندق بارون حيث أصبح مقراً للقيادة. وأبلغ المارشال فون ساندرز الحكومة التركية استقالته، فكلفت مصطفى كمال بالقيادة، وغادر ساندرز والضباط الألمان حلب إلى تركيا. وحاول مصطفى كمال إنشاء خط دفاعي جنوب حلب قرب المسلمية، حشد فيه كل ما وصل من القوات التركية المنسحبة. واستفاد مصطفى كمال من الأموال الذهبية، التي أرسلتها الحكومة التركية مع صبحي بك، كي يعطيها جمال باشا الصغير للعشائر السورية، لكن هذا لم يتمكن من استلامها، لأنه كان عائداً من الجبهة، فأعطاها صبحي في حلب إلى مصطفى كمال، حيث أعطى جنده رواتب ثلاثة أشهر، وأشبعهم بدلاً من إعطائها للعشائر(٢٩). ويقول مصطفى كمال، أنه وزع أيضاً المال

---

(٢٨) الريس، الكتاب الذهبي، ص ٩٧.

يذكر نوري السعيد أن الجيش التركي حاول المقاومة في حماه، لكن الأهالي والعشائر منعوه. ويذكر أن أهالي المدن كانوا يستقبلون الجيش العربي استقبالاً رائعاً. مذكرات نوري السعيد ص ٧٠.

بينما يذكر آخرون أن موقف السكان كان محايداً، ومن فرح منهم فلتخلصه من ظلم جمال باشا. الغزي، ص ٦٤٦.

(٢٩) جمال باشا الصغير، كيف جلت، ص ١٤٩.

على الأهالي والبدو في حلب، ووعدهم بالسلاح(٣٠). وتهيأت الفرصة له لترميم جيشه، لأنه لم يلق حرباً في حمص وحماه وحلب من الأهالي، حيث ظلوا محايدين(٣١). إلا أنه قبل دخول الجيش العربي حلب، حدثت فيها الفوضى والاضطراب وهجم «السافلة من الناس والبدو على المستودعات والمستشفيات ودور الحكومة، ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم. لأن هذه المؤسسات لم تكن محروسة، فالجنود الستون الموكلون بذلك ذهبوا للحرب، وكان قائد الدرك قد سرح كل الدرك»(٣٢).

انسحب مصطفى كمال أمام القوات العربية من المسلمية، ودخل البدو من عنزه حلب، وجرى قتال في الشوارع، وهوجم مصطفى كمال نفسه وهو في سيارته، فأخلى حلب واتجه نحو الشمال، حيث أقام خطّه الدفاعي الأخير شمال حلب، عند محطة قطمة. واحتل بدو عنزه السجن فيها،وأطلقوا سراح السجناء. وهرب عدد من الضباط العرب من الجيش العثماني في حلب، وانضموا إلى الجيش العربي، ومنهم علي العسكري وأخوه تحسين. ويقول نوري السعيد قائد القوة النظامية، إن رجال العشائر هم الذين احتلوا حلب، ومن ثم دخل الجيش الانكليزي والعربي النظامي. حدث ذلك في ٢٦ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨(٣٣).

وفي نفس التاريخ هاجمت فرقتان من الانكليز مصطفى كمال في قطمة، فقاتلهم قتالاً شديداً، وكبدهم خسائر فادحة، ويذكّر قبر أحد جنرالاتهم هناك بتلك المعركة، ثم تابع مصطفى كمال انسحابه نحو الشمال إلى خط جديد يبعد ١٠ أميال، ثم عقدت الهدنة في ٣٠ أكتوبر / تشرين الأول /، حيث انسحب الجيش التركي نهائياً

---

(٣٠) مذكرات مصطفى كمال، ص ٧٥ وانظر، الكابتن هـ.س. ارسترونغ، مصطفى كمال (الذئب الأغبر) القاهرة ١٩٥٢.

(٣١) نفس المصدر.

(٣٢) الغزي، ص ٦٤٢ ــ ٦٤٦ ووثائق حلب، ص ١١٢.

(٣٣) مذكرات نوري السعيد، ص ٧٤ ــ ٧٥ و:
D.F.G. 7N-1639 /No 766969/ 11, 30 Oct 1918.

من سورية في ١٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ [٣٤]. وهكذا غادر الأتراك من المكان نفسه الذي دخل فيه السلطان سليم، منذ أكثر من أربعمائة سنة. ويذكر أمين سعيد الذي كان ضابطاً في قيادة الألمان، أنه رأى الأتراك ينسحبون على عربات تجرها الأبقار، وكان جل اعتمادهم عليها «وقد جاءوا عليها في الأصل» [٣٥].

نظم نوري السعيد الإدارة في حلب، وعين علي رضا العسكري حاكماً عسكرياً عليها، والشالجي آمراً عسكرياً لمدينة حلب، وأخرج قوات العشائر منها، حتى لا تنهب كما حدث في دمشق، كما أصدر الشريف ناصر أمراً بتأليف مجلس شورى من حلب، لتعيين الشرطة والدرك والموظفين. كما دخلها الشريف مطر نائب الشريف حسين [٣٦].

وفي شمال سورية أيضاً، قام إبراهيم هنانو (أحد الزعماء الوطنيين المعروفين في سورية)، وحرر المنطقة باسم الشريف حسين من الأتراك، قبل أن يصل إليها الجيش العربي والانكليزي، وشكل حكومة وجيشاً في بلدة «كفر تخاريم» شمال حلب، ورفع العلم العربي، واتصل بالشريف ناصر في المعرة أواخر أكتوبر / تشرين الأول /، ووضع نفسه تحت تصرفه. ففوضه الشريف ناصر بالاستيلاء على انطاكية وتحريرها باسم

---

(٣٤) كان قتال مصطفى كمال والأتراك هذه المرة عنيفاً جداً، لأنهم كما قال مصطفى كمال نفسه أخذوا يدافعون عن الأرض الملية التركية (الأناضول) الواقعة شمال حلب.
مذكرات مصطفى كمال، ص ٧٦ وانظر مصطفى الزين، أتاتورك أمة في رجل، بيروت ١٩٧٢ ص ٧٥ وآرمسترونغ، ص ٩٦ — ٩٦.

(٣٥) أمين سعيد، أسرار الثورة، ص ٢٦٥.
كانت خسارة تركيا بسبب الحرب التي قادها إليها الاتحاديون، تتجاوز في جبهة فلسطين وسورية ٥٥ ألف قتيل، وأكثر من ٧٠ ألف أسير، إضافة إلى المعدات والذخائر والأموال، وهو يسير أمام فقدانها الأقطار العربية، وكان للجيش العربي نصيب عالٍ في إلحاق هذه الخسائر، إذ بلغت في الحجاز والأردن وسورية أكثر من ٤٠ ألفاً بين أسير وجريح وقتيل. وفي حملة دمشق وحدها قتل العرب خمسة آلاف، وأسروا ثمانية آلاف، إضافة إلى الأسلحة والذخيرة...
D.F.G. 7N- 1639, 9 Oct 1918.
وانظر تقرير لورنس في النشرة العربية الصادرة في ٢٢ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨.

(٣٦) مذكرات نوري السعيد، ص ٧٧ والغزي، ص ٦٥٤.

الشريف حسين. فدخلتها قواته بمساعدة صبحي بركات، أحد زعمائها، ورفع أيضاً عليها العلم العربي، وشكل إدارة محلية لحكم المنطقة في قرية الريحانية على الحدود التركية، وهي من قرى انطاكية. وحمى إبراهيم هنانو الأتراك المنسحبين، ومنع الناس من الاعتداء عليهم، ومن تمزيق العلم العثماني، وأقنعهم بقوله «إن هذا العلم قد أظل الاسلام والعروبة ستة قرون، فمن حقه عليكم أن يظل محترماً، وأن الشعب التركي لا يزال يستظل به، وهو أخ للشعب العربي وإن تفرقا». وكان لموقف إبراهيم هناهو أثره الطيب، فقد أصبح الأتراك فيما بعد حلفاءً له ضد الفرنسيين(٣٧).

وفي اللاذقية غادر آخر الموظفين الأتراك في ٩ أكتوبر / تشرين الأول /، وعلى أثر ذلك عقد بعض وجهاء اللاذقية في دار الحكومة، إجتماعاً وألفوا حكومة مؤقتة تابعة للحكومة العربية في دمشق. إلا أنه بتاريخ ٢٢ نوفمبر /تشرين الثاني /، أبلغ الجنرال الانكليزي بولز تعليماته لاعطاء منطقة اللاذقية إلى الفرنسيين وذلك بالاتفاق مع فيصل الذي أرسل في ٢٠/١٠/١٩١٨ رسالة ذات رقم ٢٦ إلى رشيد طليع، حاكم لواء اللاذقية (الذي كان قد غادرها)، يطلب فيه تنفيذ أوامر اللنبي. وفي ٥ نوفمبر / تشرين الثاني / وصل إلى اللاذقية الضابط الفرنسي دولاروس واستلم منصبه حاكماً على اللاذقية (٣٧ب).

واحتل الانكليز المنطقة الشرقية، (عانة) وهي الآن في العراق، ودير الزور،

---

(٣٧) عبد الكريم غرايبه، الثورة العربية الكبرى والعالم العربي (من كتاب دراسات في الثورة العربية الكبرى) عمان، ١٩٦٧، ص ٩٩ و
D.F.G. 7N-1658

(٣٧ب) جبرائيل سعادة، محافظة اللاذقية، دمشق ١٩٦١، ص ٣٣
وانظر: مقالة ل J. De La Roche في مجلة: Asie-Francaise بعنوان Note sur les debus de notre occupation du terretoire Al-ouite, Decemlere 1921, PP. 366-391,
كتاب فيصل لحاكم اللاذقية «لحضرة حاكم لواء اللاذقية السيد رشيد طليع المحترم: إن الأوامر التي يصدرها إليكم صاحب السعادة الجنرال اللنبي، قائد الحملة المصرية العام، يجب أن تنفذوها بالسرعة الممكنة والسلام. التوقيع: قائد الجيوش العربية الشمالية، فيصل.
نفس المصدر.

وأخرجوا الحكام العرب الذين أرسلهم شكري الأيوبي من حلب بعد تعيينه حاكماً عليها بعد عودته من بيروت، وكان ذلك سبباً لثورة وحوادث نذكرها في حينها[٣٨].

أما في لبنان فقد سارت الأمور على نحو آخر، لأن المنطقة الساحلية من سورية، كانت من حصة فرنسا حسب اتفاقية سنة ١٩١٦، وهذا ما طبق على الأحداث التي جرت فيه. كان سعيد الجزائري قد أرسل برقية إلى عمر الداعوق، رئيس بلدية بيروت، لإعلان الحكم العربي باسم الحسين فيها. وقد ذهب الداعوق مع ثلاثة من أعيان بيروت إلى الوالي التركي حقي بك، وأبلغوه الخبر، فوافق بعد تردد ــ بعد علمه باحتلال دمشق ــ وتنازل عن الولاية، وأخبر الموظفين بذلك، وسلم الأمر إلى رئيس البلدية بموجب كتاب رسمي في ١ أكتوبر / تشرين الأول /، عزاه إلى الموقف الخطير في البلاد، واعتبر الموظفين منفصلين عن الإدارة العمثانية. وهكذا تسلم رئيس البلدية الحكم في نفس اليوم ١ أكتوبر / تشرين الأول /، ورفع العلم العربي، وأبلغ حكومة دمشق بذلك[٣٩] ان فاطمة أخت الشهيدين محمد ومحمود المحمصاني، هي التي رفعت العلم ــ. أبلغ نوري السعيد في دمشق برقية الداعوق بتأسيس الحكم العربي فيها، فأمر فيصل إرسال شكري الأيوبي إلى بيروت مع قوة من مائة جندي لتسلم الحكم فيها، ووصلها في ٦ منه، وتسلم السلطة، وأعلن انضمام لبنان إلى الحكومة العربية، وعين حبيب باشا السعد حاكماً مدنياً، حيث أقسم يمين الولاء للملك حسين. وأعاد الأيوبي إلى جبل لبنان جميع امتيازاته. وحدث نفس الأمر في بقية المدن الساحلية، إذ أعلن الأهالي في صيدا إقامة حكم عربي، ووصلها من دمشق مندوب على رأس خمسين رجلاً، وأعلنت الإدارة العربية أيضاً، في طرابلس وصور وبقية

---

(٣٨) F.O. 371 /3386/ P. 145, 156 (21 Dec 1918)
وزين زين، الصراع الدولي، ص ٨٥.

(٣٩) مذكرات سعيد الجزائري، ص ١١٢ ــ ١١٦.
و F.O. 371 /3383/ PP. 544-545.

المدن(٤٠) . واحتج الكابتن كولوندر إلى فيصل لإرساله الجنود إلى بيروت ، كما أبلغ اللنبي وزارة الحرب البريطانية ، بتصرف الحكومة العربية ، قبل أن يحتل الحلفاء بيروت إذ في هذا تعقيد للأمور مع الفرنسيين ، ومخالفة لاتفاقية سايكس ــ بيكو . لكن القوات البريطانية كانت في طريقها لاحتلال لبنان ، قادمة من فلسطين(٤١) .

وكانت الحكومة الفرنسية أشد تمسكاً من الانكليز بتطبيق اتفاقية سايكس ــ بيكو . ولهذا كان ردها حاسماً وسريعاً على تصرف فيصل في لبنان . وكانت اللجنة الإدارية للبنان قد أرسلت وفداً إلى القيادة البحرية الفرنسية في سورية (أرواد) ، تسأل الضباط المسؤولين فيها النصيحة ، عما يجب اتباعه إزاء دعوة حكومة الجزائري ، لإقامة حكم عربي في لبنان تابع لدمشق باسم الحسين . وجاء جواب الحكومة الفرنسية على سؤال قيادتها البحرية في سورية ، في نفس اليوم ٤ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨ « نحن آتون » وطلبت من الأميرال فارني Varnes قائد الأسطول الفرنسي في البحر المتوسط ، أن يدخل إلى بيروت بقوته ، كما طلبت منه أن يجمع كل المعلومات عن الحكومة العربية في دمشق ، ونوعيتها وموقف الأمير سعيد ، وموقف البطرك لمساندة الحركة ، وعن اللجنة الإدارية للبنان وتأليف الحكومة في بيروت . ثم وصلت قوات الأميرال فارني إلى أرواد في ٥ أكتوبر / تشرين الأول /(٤٢) .

وصلت القوات الانكيزية والأسطول الفرنسي إلى بيروت ما بين ٩ ــ ١٠ أكتوبر / تشرين الأول / ، وكانت القوات الفرنسية تتألف من مائة رجل ، ترافق الجنرال

---

(٤٠) يذكر كل من لورنس والجزائري أنه أرسل الأيوبي إلى بيروت ، ويذكر قدري أن فيصلاً أرسله ، ويذكر نوري السعيد أنه شخصياً تلقى برقية من بيروت فأخبر فيصلاً ثم أمر نوري بإرساله مع المائة رجل .
مذكرات نوري السعيد ، ص ٦٧ ، قدري ص ٧٧ ، مذكرات الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ٤٧ ، مذكرات الجزائري ، ص ١١٠ وانظر عن رفع العلم العربي على المدن الساحلية اللبنانية :
D.F.G. 7N-1639, 9 Oct 1918.

(٤١) عن سليمان موسى ، الحركة العربية ، ص ٨٩٣ برقيات اللنبي :
two telegrams, Allenby Nos: 689, 695 (Ec 1818, 1820) CAB 27/04

(٤٢) D.F.Aff. Etr, Levant, 2. 4 Oct 1918, P. 133

بولفان القائد الانكليزي للاحتفال بدخول بيروت. كما كان الأميرال فارني قد دخل بيروت في ٨ أكتوبر / تشرين الأول /، وعين الجنرال اللنبي الكولونيل الفرنسي دو بياباب De Piapape حاكماً للمنطقة الغربية (لبنان والساحل السوري). وتنفيذاً لأوامر اللنبي الذي رفض الإدارة العربية في لبنان، لمخالفته اتفاقية سايكس ـ بيكو، أنزل القائد البريطاني في بيروت العلم العربي الذي رفعه شكري الأيوبي، كما أنزلت الأعلام العربية من المدن الساحلية الأخرى(٤٣). وكان الأيوبي قد رفض أمر القائد البريطاني بإنزال العلم، وقال إنه لا ينفذ إلا أوامر فيصل. وبقيت مسألة إعادة الأيوبي نفسه من بيروت، حيث جرى من أجله جدال ومراسلات بين اللنبي وفيصل، وكانت وجهة نظر اللنبي، أن حكم فيصل للمنطقة الزرقاء (الساحل السوري) سيضر بقضية فيصل، لأن الأمر متروك لمؤتمر الصلح. وكانت وجهة نظر فيصل، أن سكان لبنان هم الذين طلبوا الانضمام للحكم العربي «فهل من العدل والانصاف حرمانهم من أمانيهم». واحتج فيصل على إهانة العلم أثناء إنزاله، وطلب إعادة شرفه، وقال إنه عربي يمثل أباه صاحب الراية المهانة من جانب حلفائه. وبيّن فيصل للانكليز أنه إن سحب شكري الأيوبي، فهذا يعني فقدانه لمكانته، ولذا عليه في هذه الحالة أن يستقيل. واشترط شرطين لسحب الأيوبي وحتى لا يستقيل وهما:

١ ـ أن تعتبر كل الترتيبات التي تجري في المنطقة الساحلية ذات طابع عسكري مؤقت، لا تؤثر على التسوية النهائية لها.

٢ ـ توافق الحكومتان الانكليزية والفرنسية على ضمان اللنبي بتحقيق الشرط الأول(٤٤).

---

(٤٣) D.F.G. 7N-1639, 9 Oct 1918,

و F.O. 371 /3383/ 8 Oct 1918, PP. 544-545.

وقد امتنع أصحاب القوارب في بيروت عن مساعدة الأسطول الفرنسي في انزال قواته في لبنان. مذكرات نوري السعيد، ص ٦٨.

(٤٤) من كلايتون

F.O. 371 /3284/ 12 Oct 1918, PP. 33-34.

وافق اللنبي في اجتماع له مع فيصل في دمشق في ١٦ أكتوبر / تشرين الأول /، وأبلغ حكومته بذلك واعتبر كل الحكام في المناطق عسكريين، ومنعهم من التدخل في السياسة، وأعلن أنه سيعاقبهم أو يعزلهم من مناصبهم إن هم فعلوا، وقال إن التسوية النهائية ستجري في مؤتمر الصلح، دون تأثر بالحكم العسكري المؤقت. وكان كلايتون وكورنواليس من الناصحين للنبي، كي يتخذ هذا الموقف حتى يمنع فيصلاً من الاستقالة، التي تسبب عوّاقب سيئة[٤٥]. وكان ذلك بداية الصراع الحقيقي ما بين فيصل والفرنسيين على أرض سورية نفسها، فهو يخشى مطامعهم ودعايتهم لحكم سورية في أثناء إدارتهم للبنان، والفرنسيون لا يقبلون بحكم عربي في منطقة «تابعة لهم» واعتبروا مباشرة، أن الخمسين طناً من القمح التي أرسلت من سورية إلى لبنان، دعاية عربية ترفضها تماماً[٤٦]. وكان من رأي كلايتون، أن على الانكليز أن يوجدوا التوازن بين الفرنسيين والعرب.

احتلت القوات الانكليزية المدن اللبنانية، وكانت تجد في معظمها الأهالي يرغبون بالانضمام إلى الحكومة العربية، كما عبر لها أهالي صيدا بالترحيب بالجنود البريطانية، وانتظار ممثل الحكومة العربية في دمشق، لكن كان الانكيز يريدون تعيين حاكم فرنسي، وإذا لم يوجد فبريطاني، وكانوا ضد تعيين حاكم عربي، وكانوا يتوقعون القلاقل فيها مالم يعين بريطاني لموازنة القوى. وكان الوضع حرجاً بالنسبة لهم ما بين الطرفين[٤٧]. وعلى كلٍ وتنفيذاً لسياسة تقسيم سورية، فقد أخذت القوات الفرنسية ترد إلى لبنان، وتأخذ مكان القوات الانكليزية. فقد دخلت قوات السباهيين الفرنسية اللاذقية وكان الانكليز قد احتلوها في ٦ أكتوبر / تشرين الأول /، وحلت قوات افريقية محل القوات الانكليزية في صور، وعين حاكم فرنسي في طرابلس، وكانت قد احتلتها القوات الانكيزية في ٣ أكتوبر / تشرين الأول /، واحتلت قوة فرنسية أنطاكية. وهكذا فقد أصبح لبنان خلال هذه الفترة حتى ٧ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨،

(٤٥) F.O. 371 /4179/ P. 147.

(٤٦) D.F.G. 7N-1658, 4 Oct 1918. de Picot

(٤٧) F.O. 371 /3412/ 6 Oct, P. 239

واقعاً تحت الحكم الفرنسي[٤٨] . وفي ١٢ أكتوبر / تشرين الأول /، أرسل كلمنصو رئيس وزراء فرنسا، برقية بوجوب تأسيس قاعدة بحرية فرنسية في بيروت، وهذا يعني انفراد الفرنسيين بالاتصال في سورية[٤٩] .

وكان فيصل مرغماً على تلبية طلبات اللنبي بما يخص احتلال الفرنسيين للبنان، فكما سحب شكري الأيوبي من دمشق، فقد طلب منه اللنبي أن يسحب ابراهيم هنانو وقواته من انطاكية، إثر احتجاج الفرنسيين لاحتلال العرب للجزء الشمالي من المنطقة الساحلية، فاستدعى فيصل إبراهيم هنانو إلى حلب، وأقنعه بسحب قواته من انطاكية، وتسليمها للفرنسيين. وهذا ما حدث[٥٠] ، ولابد أن فيصلاً قد أقنعه، بأن الاحتلال الفرنسي مؤقت.

وخلال فترة الاحتلال الفرنسي لمدن الساحل، طالبت فرنسا باحتلال المناطق الأربع بعلبك التي كان قد احتلها الانكليز في ١٠ أكتوبر / تشرين الأول /، والبقاع، وحاصبيا، وراشيا التي كانت الإدارة العربية قد مارست فيها الحكم منذ أسبوعين، وهذه المناطق تتبع للمنطقة الزرقاء (الفرنسية) حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو، لكنها كانت تتبع ولاية سورية حسب التقسيم الإداري العثماني. وطلب اللنبي من فيصل تسليم هذه المناطق لفرنسا، فرد فيصل بأن هذا القرار يزيد من شكوك الأهالي في نية فرنسا، ويخالف تقرير مصير المناطق حسب أماني سكانها. وكان سايكس وبيكو قد أكدا للحسين عن تحقيق تلك الأماني، وطالب فيصل بتشكيل لجنة دولية لأخذ رأي الأهالي. وكانت هذه أول مرة يطالب بها فيصل بمثل هذه اللجنة، اعتماداً على مبدأ تقرير المصير، الذي أعلنه الرئيس ولسن، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، بين مبادئه الأربعة عشر. وأخيراً عندما أنهى اللنبي ترتيباته وتقسيماته الإدارية، للمناطق الثلاث في سورية في ٢٣ أكتوبر / تشرين الأول /، أبقى المناطق الأربع لسورية تحت الحكم

(٤٨) D.F.G. 7N-1639 No 7933, 9/11 et 9117, 9/ 11.

(٤٩) F.O. 371 /3384/ 12 Oct 1918, P. 115.

(٥٠) عبد الكريم غريبه، الثورة العربية الكبرى، ص ١٠٠.

العربي، نزولاً عند إصرار فيصل على الاستقالة، فيما إذا ضمت للمنطقة الغربية (الفرنسية)، كما نزع صفد ومنطقتها، من المنطقة الغربية، وضمها إلى المنطقة الجنوبية (فلسطين)(٥١)، كما اتخذ اجراءً يدعو للغرابة، وهو أنه أبقى المندوب العربي في اللاذقية، وزعم أن سكان اللاذقية راضون عن نظام فيصل، في نفس الوقت الذي أبدت فيه كل المدن السورية عن رغبتها ورضاها بالحكم العربي. لكن الذي يفسر هذا الأمر، أن تقسيمات اللنبي أثارت تساؤل العرب، عن عدم وجود ساحل للمنطقة الشرقية (العربية)، وهذا ما تساءل عنه كلايتون وما أخبر به حكومته. كما أن الحسين استنكر أن يكون أي أجنبي محتلاً للساحل، فكيف به يحتل كل الساحل، ولا يوجد لدولة فيصل أي منفذ على البحر(٥٢). وقد يكون إجراء اللنبي بإبقاء مندوب عربي في اللاذقية، هو تفسير لما حدث فيما بعد، حيث بقيت اللاذقية منضمة لسورية، وكانت هي منطقتها الساحلية الوحيدة. وكان هذا إجراءً هاماً مخالفاً لاتفاقية سايكس ــ بيكو.

وبذلك تكون الحدود قد وضحت بين المناطق الثلاث السورية وقيادتها، كما نفذها اللنبي، حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو، وقد حدد أيضاً الحكم في كل منها كما يلي:

١ ــ المنطقة الجنوبية (فلسطين) تحت إدارة قائد بريطاني (بانتظار تنفيذ وعد بلفور).

٢ ــ المنطقة الغربية تحت الإدارة الفرنسية، وعين الكولونيل بياباب حاكماً عليها.

٣ ــ المنطقة الشرقية من معان إلى دمشق، وفيها حمص وحماه وحلب، تحت الإدارة العربية الحربية، وعين اللنبي ضابطي ارتباط بينه وبين فيصل، الكولونيل

(٥١) F.O. 371 /4180/ de W.O. 1 April 1919, PP. 25-26.

(٥٢) Ibid, 371 /3384/ de Clayton, 1 Nov 1918, PP. 478-480.

وأوراق من الأمير زيد وفيها برقيتان من فيصل إلى اللنبي (ربما في النصف الثاني من أكتوبر) ١٩٨٠.

عن سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٤٠٢.

وكان من رأي سايكس اعطاء ميناء للدولة العربية في سورية.

D.F.Aff. Etr, Levant. 3. 15 Oct, P. 28.

كورنواليس (انكليزي)، والكابتن مرسييه (فرنسي)، ووجود الاثنين كان بسبب أن المنطقة الشرقية (العربية) تتألف من المنطقة (أ) التابعة لفرنسا، والمنطقة (ب) التابعة لبريطانيا حسب اتفاقية سايكس ـــ بيكو. وتكون المناطق ١، ٢، ٣، خاضعة لسلطة اللنبي[٥٣].

حكومة فيصل وبدء السياسة الفيصلية في سورية

يبدو أن فيصلاً الذي كانت تراوده فكرة حكم «سورية الطبيعية» أثناء ـــ الثورة ـــ منفصلة عن الدولة العربية، والتي وبخه والده من أجلها بقوله «أإلى هذا الحد تصل بك القحة يافيصل؟»، قد بقي على فكرته، لا بل وقبل بحكم جزء من «سورية»، تحت ضغط اللنبي ولو بشكل مؤقت، رغم اعتراضه النظري على تجزئتها. فبعد أن استقر به المقام حاكماً عليها، أخذ يعمل على تنظيم دولة فيها. فشكل الركابي حكومة بناء على رأي فيصل، من الأجزاء العربية المحررة (الحجاز، لبنان، فلسطين، سورية، والعراق)، حتى تكون حكومة «عربية» لا «سورية»، ولو بشكل نظري طالما لا تؤثر على حكمه بشيء. وفعلاً كانت الحكومة المؤلفة عربية من حيث التمثيل الجغرافي على الأقل، بالاضافة إلى من تم تعيينهم من العرب في المناصب الإدارية الكبيرة الأخرى، وتألفت الحكومة من: رضا الركابي[٥٤] (من دمشق)، عادل أرسلان (جبل لبنان) معاوناً للحاكم العسكري، سعيد شقير (بيروت) مديراً للمالية، اسكندر عمون (جبل لبنان) مديراً للعدلية، رشيد طليع (جبل لبنان) مديراً للداخلية، سليم موصلي (دمشق)، وهو ضابط قديم في الجيش البريطاني، مديراً للصحة، ساطع الحصري (حلب) مديراً للمعارف، ياسين الهاشمي (العراق) رئيساً لميرة الجيش[٥٥].

---

(٥٣) تقرير كايتون

F.O. 371 /3383/ 8 Oct 1918, PP. 550-554

و D.F.Aff. Etr, Levant, 3. 27 Oct 1918, P. 214.

(٥٤) انظر ملحق التراجم.

(٥٥) الحكم العهد الفيصلي، ص ٣٥ ـــ ٣٦

وتقرير كلايتون F.O. 371 /3383/ 8 Oct PP. 550-554.

ثم أصدر فيصل بياناً إلى الشعب، في الخامس من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨، عن سياسته في سورية وما اتخذه من قرارات بشأن الحكم فيها، بدا فيها بكل وضوح أنه واقع منذ تلك اللحظة تحت ضغط السياسة البريطانية نتيجة خوفه منها، في تناقض مع نفسه بين السياسة العربية الوحدوية كمبدأ اعتنقه، وبين الاستقلال السوري كرغبة في حكمه. فقد جاء في بيانه، بعد شكره «للسوريين» على عطفهم ومحبتهم ومبايعتهم السلطان حسين، المواد التالية:

١ ــ تشكلت في سورية حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لا شائبة، فيه باسم مولانا السلطان الحسين شاملة جميع البلاد السورية.

٢ ــ قد عهدت إلى السيد رضا باشا الركابي بالقيادة العامة للحكومة المذكورة، نظراً لثقتي باقتداره ولياقته.

٣ ــ تتألف إدارة عرفية لرؤية المواد التي يحيلها القائد العام[٥٦].

فكيف تتشكل في سورية حكومة عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً، وتكون في الوقت نفسه باسم السلطان حسين، وهو ملك دولة الحجاز، ولا علاقة له بسورية، ولا سلطان فعلياً عليها. كما لم يبين فيصل ماهية العلاقة بين الدولتين في نطاق الوحدة العربية، بينما يؤكد على وحدة سورية بكل أجزائها مخالفاً قرار اللنبي. والظاهر أن فيصلاً اقتنع «بوحدة سورية»، لذلك وضعها هدفاً له يدافع عنه، بعد أن شغله قرار اللنبي بتجزيئها عن العمل للوحدة العربية. وإذا كان فيصل في بيانه لايزال منسجماً مع مفهوم القيادة العربية العليا للحسين، فذلك لأنه لايزال تحت تأثير والده والثورة العربية والوطنيين العرب، وحتى لا يعتبر خروجاً عن إرادة والده في وقت حساس، يعتبر بمثابة الخيانة، ولأن اللنبي نفسه قد عينه مديراً للمنطقة المحتلة الشرقية ممثلاً لوالده.

إلا أن الشعب في سورية لم يعترف لأللنبي بتجزيئه لها، ولا يفصلها عن الحجاز، فقد صلى المسلمون في أول يوم جمعة في الجامع الكبير في دمشق، داعين «لأمير المؤمنين سيدنا السلطان حسين، وابنه فيصل». ويعتبر هذا بمثابة مبايعة له

(٥٦) قدري، ص ٧٦

وارتباطٍ بين البلدين الحجاز وسورية، وأبلغ فيصل ذلك إلى أبيه، فأجابه بقبوله بيعة السوريين، وبتعيينه (فيصلاً) نائباً عنه في سورية[٥٧]. وبذلك لم يعترف الحسين أيضاً لأللنبي، بتقسيمه سورية وفصلها عن الحجاز. وكذلك فعل المسيحيون الأرثوذكس — تجاوباً مع المساواة التي أعلنها فيصل بين كل الناس، بغض النظر عن الأديان — فأقام البطريرك الأرثوذكسي صلاة دعا فيها للحسين وجيشه، وللحكام العرب السوريين. فاعتبر الحسين أن كل السوريين سواء وطلب أن يعاملوا بالعدل[٥٨].

وبعد أن استقرت الأمور بين فيصل وحلفائه — مؤقتاً — على مسألة اقتسام سورية واحتلالها، وبعد أن شكل حكومة في سورية برئاسة الركابي، الذي قبل به اللنبي وعينه حاكماً عسكرياً، قبل أن يعينه فيصل رئيساً للحكومة، التفت فيصل لاقامة حكمه في «سورية الداخلية»، على أساس أنه حكم عربي في دولة سورية، مبنى على نظام حديث كأسلوب للحكم.

ويبدو أن فيصلاً حاول التخلص من التناقض القائم بين الحكم العربي القومي، والدولة السورية الاقليمية، بحدودها المعينة ولو بشكل مؤقت، حتى يرضي جميع الأطراف: والده والقوميين العرب من جهة، والانكليز والفرنسيين من جهة أخرى، لأنه لا يستطيع الاستمرار في الحكم، إلا في عملية التوازن هذه، ولذا كانت نداءاته وأهدافه عربية قومية، لأن أباه والأمة تحاسبانه على ذلك. يقول في دمشق «أنا لا أراني إلا مبتهجاً حين أذكر أن والدي والأمة من خلفي، يحاسبونني على عملي ويطالبونني حيناً بعد حين نتيجة سعيي»[٥٩]. وفي نفس الوقت يقول عن الفرنسيين والانكليز في خطاب له، في حلب في نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ «فأنا باسم كافة العرب أخبر إخواني أهل الشهباء، أن للحكومات الغربية وخصوصاً انكلترا وفرنسا، اليد

---

(٥٧) F.O. 371 /3384/ 13 Oct P. 34

و Tibawi, P. 271

(٥٨) Ibid, P. 272.

و F.O. 371 /3384/ 24 Nov 1918, P. 50.

(٥٩) جريدة الحقيقة، بيروت، عدد (ونرمز له بـ ع) ٩٦٣، ٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨.

البيضاء في مساعدتنا وشد أزرنا، ولا تنسى العرب مادامت موجودة على وجه البسيطة، فضل معاونتهم»(٦٠)، لكنه لم يذكر قرار اللنبي بتقسيم سورية واحتلال فلسطين والساحل من قبل الانكليز والفرنسيين، لأنها لا تمت للأيادي «البيضاء» التي ذكرها من قبل بصلة.

ويبدو أن فيصلاً اعتمدّ في التخلص من هذا التناقض القومي ـــ الاقليمي، على أن الشعب جاهلٌ في غالبيته، لايفهم المعنى العميق للاستقلال والوطنية والحرية، فكيف له أن يفهم تعقيدات السياسة الدولية، وخاصة والبلاد متحررة حديثاً من حكم الأتراك، ولما تظهر بعد نتائج السياسة البريطانية والفرنسية الضارة للعرب، التي يمكن أن يلمسها الرجل العامي. فهوَ يقول أيضاً في حلب «والسواد الأعظم من الشعب لا يفقه معنى الوطنية والحريـة ولا ما هو الاستقـلال، حتـى ولا ذرة من كل هذه الأمور»(٦١).

لكن إذا كان هذا الموقف غير واضح، حسب رأيه، بالنسبة للعامة، فكيف رضي المثقفون الواعون بهذا التناقض في سياسة فيصل، وهم شركاؤه في الثورة، والعاملون على بعث القومية العربية؟ وكيف أقنعهم فيصل بسياسته؟

إن شخصية فيصل المحبوبة، والثقة التامة التي كانت في قلوب رفاقه في الثورة، لعبت دورها في هذه المرحلة ـــ إلا أنها لم تستمر في المراحل القادمة ـــ فهو بنظرهم ابن الحسين، قائد الثورة العربية «ومفجرها»، وقائد الجيش العربي، الذي خلص البلاد من حكم الأتراك، والداعي دائماً لبعث الأمجاد العربية، والمنادي بالعروبة، والقائد الذي لا بديل له في ذلك الوقت. كما أن فيصلاً اقنعهم، بأن كل الاجراءات الاقليمية مؤقتة، وأملهم بالوحدة في المستقبل عن طريق السياسة، لأن القوة في نظره، غير متوفرة عند العرب لمحاربة الانكليز والفرنسيين. وقد لاحظ فيصل تعلق هؤلاء القوميين به، فكان نكرانه لذاته يزيدهم تعلقاً به، فهو يقول «أنا لا أكتم أني أعد نفسي جندياً فرداً، لا

(٦٠) ساطع الحصري، يوم ميسلون، لبيروت، مكتبة الكشاف، ١٩٤٧، ص ١٩٦.

(٦١) نفس المصدر، ص ١٩٧.

أفرق بيني وبين أحد ممن يحملون السلاح . دعوا بالله الثناء على فيصل ، فإني أعتقد أن الرجال الذين يفرحهم المدح ويعملون للفوز بالثناء والاطراء ، ليسوا على شيء من الوطنية ، اذكروا اسم فيصل مجرداً عن كل لقبْ ، فحسبي من الألقاب بأن أرى في قلبي الاخلاص في خدمة البلاد »[62] .

من هذا المنطلق كانت دعوة فيصل للقومية العربية « لتكن آمالنا وأمانينا كلها متجهة نحو هدف واحد ، هو خدمة البلاد التي تخفق فيها الراية العربية »[63] . ولم تكن قومية متعصبة ، بل صافية تقوم على المساواة بين كل المواطنين ، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم « إن العرب هم عرب قبل عيسى وموسى ومحمد ، وإن الديانات تأمر في الأرض باتباع الحق والأخوة ، وعليه فمن يسعى لايقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي ، فما هو بعربي »[64] . وكان لهذه السياسة القومية أثر كبير في نفوس السكان ، مما زادت في حب الناس لفيصل واحترامهم الكبير لشخصه ، وإضفاء صفات الأبطال المخلصين لأمتهم عليه ، وكان هذا الشعور الطيب ، يظهر في كل مناسبة أو زيارة ، يقوم بها فيصل إلى مكان أو مدينة . وكانت زيارته لحمص وحماه وحلب ما بين ٤ ـــ ١١ نوفمبر / تشرين الثاني / ، دليلاً عظيماً على تعلق الناس الشديد به[65] .

أما النظام الذي حاول تأسيسه لإدارة الدولة ، فقد بناه على أسس حديثة أسوة ببقية الأمم المتمدنة . وهذا النظام قائم على المبادىء الرئيسية التالية :

١ ـــ الاسلوب الديمقراطي في الحكم ، حيث تنتخب هيئة من الرجال الاكفاء

---

(٦٢) جريدة الحقيقة ، ع : ٩٦٣ ، ٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ .

(٦٣) نفس المصدر « أصبح فيصل ذا شعبية في كل أوساط سورية ، وزاره البطرك (الأرثوذكسي) ، واطمأن المسيحيون الذين كانوا يخافون من حكم إسلامي » .

تقرير من كلايتون

F.O. 371 /3384/ 24 Nov 1918, P. 50

(٦٤) الحصري ، يوم ميسلون ، ص ١٩٨ .

(٦٥) قدري ، ص ٨٦ .

(نواب) لسن القوانين للدولة، وحتى يتم جمعهم (وكثير منهم كان خارج البلاد)، فإنه سيقي المسؤول عن الحكم.

٢ ـــ كان من رأي فيصل أن العرب أمم وشعوب مختلفة باختلاف الاقاليم، فالحلبي ليس كالحجازي... ولهذا ستوضع قوانين خاصة لكل منطقة تلائم سكانها. فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها، والبلاد الساحلية يكون أيضاً لها قوانين طبق رغائب أهلها. وستبقى القوانين السابقة سارية حتى سن القوانين الجديدة. ويبدو فيصل هنا ديمقراطياً إلى أبعد الحدود، حتى إنه لو تم ذلك لأضر بوحدة بلاد كسورية الداخلية. ناهيك عن الدولة العربية الكبيرة.

٣ ـــ نشر العلم وفتح المدارس في كل مكان، فلا شرف إلا بالعلم، وقد كان فيصل يحض الناس أن يؤازروا الحكومة بالمال، حتى تتمكن من افتتاح المدارس. وأثناء زيارته لحماه، تبرع بضعة أشخاص بأربعة آلاف جنيه (مصري)، ووعد آخرون بايصالها إلى (١٢) ألفاً، استجابة لرغبة فيصل، عندما استنهض هممهم لفتح المدارس.

٤ ـــ نشر الأمن والاطمئنان الذي يساعد على انتظام أحوال الحكومة، وحفظ البلاد من الفوضى والعبث في مقدراتها ومستقبلها. ولذا أخذ يحض الشباب على الدخول في سلك الشرطة، وامتدحها كثيراً ووصفها بأنها وظيفة شريفة عالية. وتهدد بالعقاب الشديد، لكل من يمس الأمن، فقال «والغاية الأخيرة بناء حكومة عربية على أسس من العدالة والمساواة، تنظر إلى الناطقين بالضاد على اختلاف أديانهم ومذاهبهم نظراً واحداً، وتقوم هذه الحكومة باسم العرب، وتستهدف إعلاء شأنهم، وتأسيس مركز سياسي لهم بين الأمم الراقية»[٦٦].

وبالرغم من محاولة فيصل انشاء دولة على الأسس الحديثة، إلا أنه لم يعر كبير اهتمام إلى تطوير الجيش العربي وتقويته، مع أن احتلال الانكليز والفرنسيين لفلسطين

(٦٦) الحصري يوم ميسلون، ص ١٩٤ ـــ ١٩٥، انظر فيه أيضاً النص الكامل لخطابي فيصل في دمشق وحلب ص ١٩٤ ـــ ٢٠١.

والساحل السوري، لم يدع مجالاً للشك في أن القوة هي العامل الحاسم الأول في تقرير المصير، وترك الأمر لياسين الهاشمي رئيسه في وزارة الركابي، الذي حاول أن يحول هذا الجيش المؤلف من رجال البدو والمتطوعين السوريين والعراقيين أثناء الثورة، إلى جيش حديث، فحله وشكل منه من جديد، ثلاث فرق في دمشق وحلب ودرعا. لكنه بقي جيشاً صغيراً تنقصه الأسلحة والذخيرة، التي رفضت بريطانيا وفرنسا أن تمداه بها[٦٧] ــ في أثناء الثورة، وفي المراحل التالية، حتى سقوط فيصل ــ حتى لا يكون عثرة أمام تنفيذ خططهما في المنطقة، في الوقت الحاضر والمستقبل. واكتفى ياسين الهاشمي بحله وتقسيمه الآنف الذكر، ولم يعمل على تطويره وتقويته، حتى إنه عندما عاد جعفر باشا العسكري قائد هذا الجيش من القاهرة، (حيث كان مريضاً أثناء دخول الجيش لدمشق)، لم يجده كما تركه على الأقل، كما أن فيصلاً لم يبقه (هو) في الجيش، فعينه حاكماً لعمان والسلط، ثم حلب، كما عين أحد قادته الذين دخلوا دمشق مع الشريف ناصر، وهو الجنرال نوري السعيد، رئيساً لمرافقيه، وبذلك بقي ياسين الهاشمي مسؤولاً عنه، مع أنه لم يشترك في الثورة فعلياً، ولا يعرف تركيب الجيش، ولا كيف قاتل الأتراك، وكان من الصعب تحويل جيش فيصل إلى جيش نظامي حديث، في فترة قصيرة، كما فعل، ولذا بقي ضعيفاً.

وخلال تنظيم فيصل لدولته وزياراته للمدن السورية، كان ثمة تصريح من بريطانيا وفرنسا قد وصل إلى مرحلة النضوج، وأعلن في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، وهو ما عرف باسم إعلان ٧ نوفمبر أو ٨ نوفمبر / تشرين الثاني /، أو الإعلان الفرنسي البريطاني. وكان هذا الإعلان بالأصل، قد بدىء بمشروع كتابته في أواسط يوليو / تموز / ١٩١٨، ليكون جواباً على مخاوف الحسين بما سمعه عن اتفاقية سايكس ــ بيكو. وقصدت منه الدولتان أيضاً، أن يكون معبراً عن سياستهما لتحرير

---

(٦٧) عبد الكريم غرايبه، الثورة العربية الكبرى والعالم العربي، ص ١٠٩.
جاء في تقرير بريطاني «أنه لدى فيصل ٨٥٠٠ رجل، فهل يحتاج إلى جيش ودرك، إن هذا سيكلفه كثيراً». ولا شك أن بريطانيا هي التي ستتكلف هذا الكثير، ولذا فلا حاجة لتقوية الجيش.
F.O. 371 /3412/ from Clayton 23 Oct 1918 P. 317.

الشعوب، وهذا يناسب المبادىء التي طرحها الرئيس ولسون، ولهذا أرسل هذا التصريح إليه، إضافة إلى إيطاليا، وبالأصل إلى الحسين. وعلى عادة بريطانيا، فإنها كلما أعلنت عن إحدى خططها السرية، كانت تصدر الإعلانات والتطمينات، وهي كثيرة ومعروفة وخاصة في سياستها مع العرب. وبما أن اللنبي قد قسم سورية حسب اتفاقية سايكس ـ بيكو، فلابد إذن من إعلان، يطمئن الحسين وفيصلاً والعرب على حكم بلادهم بمحض اختيارهم، وهذا هو جوهر هذا التصريح، وأُبلغ به الحسين أولاً، فلما فرح به ما بين ٤ ـ ٥ نوفمبر / تشرين الثاني /، أعلنته بريطانيا وفرنسا في ٨ منه. وكانت توصية بريطانيا لوينجت، أن ينشره بعد معرفة الحسين به، على أوسع نطاق في البلاد العربية(٦٨).

ونظراً لأهمية هذا الإعلان الذي اتخذه فيصل سنداً في مؤتمر الصلح، والذي استشهد به على نية الحلفاء الطيبة نحو العرب ـ عندما كان في حلب ـ، ولأنه ترك أثراً طيباً في نفوس العرب، نورده هنا بنصه:

«إن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق، تلك الحرب التي أهاجتها مطامع الألمان، هو لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طوالاً تحت نظام الترك، تحريراً تاماً نهائياً، وإقامة حكومات وإدارات وطنية، تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين، اختياراً حراً. ولقد أجمعت بريطانيا وفرنسا، على أن تؤيدا ذلك، وأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات، والإدارات الوطنية في سورية والعراق، المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما، وفي الأراضي التي مازالوا يجاهدون في تحريرها، وأن تساعد هذه الهيئات، وتعترف بها عندما تؤسس فعلاً، وليس من غرض لفرنسا أو بريطانيا، أن تجبرا أهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريدانه، ولكن همهما الوحيد، أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة على هذه الحكومات والإدارات، التي يختارها الأهلون من ذوات نفوسهم، وأن تضمن لهم عدلاً منزهاً يساوي بين الجميع، ويسهل على ترقية الأمور الاقتصادية في البلاد، بإحياء مواهب الأهالي الوطنيين، وتشجيعهم

(٦٨) D.F.Aff. Etr, Levant 3. P. 241 (23 Oct 1918)

على نشر العلم، ووضع حد للخلاف القديم الذي قضت به السياسة التركية، تلك هي الأغراض التي ترمي إليها الحكومتان المتحالفتان في هذه الأقطارالمحررة»(٦٩).

وبالرغم من الوعود الطيبة التي أتى بها هذا الإعلان للعرب، فقد افقدته بريطانيا قيمته مباشرة، إذ أرسلت إلى الجنرال كلايتون (Clayton) رئيس قسم الاستخبارات البريطانية في القاهرة، لتؤكد أن فلسطين مستثناة من الاعلان، وطلبت منه ألا يذيع الخبر(٧٠). وبذلك قطعت خطوة أخرى في تنفيذ وعد بلفور، من خلال تطمين ووعد آخر مخادع للعرب.

فرح بهذا الوعد الحسين، وعبر عن سروره، بأن بريطانيا ستأتي بما هو فوق ذلك أيضاً. وفرح به فيصل، وأعلن ذلك في حلب في ١١ نوفمبر / تشرين الثاني /، وقال بإن هذا الاعلان يدل على شعور عالٍ وحسيات إنسانية، وعلى صدق نيات الحلفاء تجاه العرب(٧١). وفرح الشعب به أيضاً، واعتقد أن هذا التصريح أتى من الحليفتين بديلاً لاتفاقية سايكس ـــ بيكو، وأنه يشمل كل بلاد العرب بما فيها فلسطين، وقامت الأفراح والمظاهرات، وعبرت دمشق بقوة عن فرحها بالمظاهرات، وذهبت منها الوفود إلى مكتب البعثة العسكرية الفرنسية والانكيزية لشكر الحلفاء(٧٢).

---

(٦٩) Parliamentary Debates, House of Common Fifth Series, Vol. 145, P. 37.
و D.F.Aff. Etr, Levant, 3, PP. 30-31
والنص الفرنسي أيضاً في F.O. 371 /3384/ P. 419.
والنص العربي في أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى وأنطونيوس، ص ٥٩٠ ـــ ٥٩١.

(٧٠) برقيات من كلايتون في ٤ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ في:
F.O. 276 /2623/ 4 Dec
عن سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٤١١ وانظر Tibawi, P. 275

(٧١) راجع خطاب فيصل في مذكرات ساطع الحصري (يوم ميسلون) ص ١٩٦.

(٧٢) F.O. 371 /3385/ 7 Nov 1918, P. 111.
كتبت جريدة (سورية الجديدة) الدمشقية في ١٤ نوفمبر / تشرين الثاني /، معلقة على إعلان الحلفاء فقالت «نحن مطلقون من كل القيود، وإرادتنا الآن طوع اختيارنا، لا تقيدنا معاهدات دولية، ولا تسيطر علينا أوامر أو مؤامرات، بل لقد تركت لنا الدول بأسرها، حق الاختيار، فسوف يأتي يوم يقولون لنا فيه ماذا تريدون». عن جريدة الحقيقة، بيروت، عدد ٩٩١، ١٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨.

وخلال هذه المدة القصيرة أي من ١ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨ حتى ٢٢ نوفمبر / تشرين الثاني / يوم سفر فيصل إلى أوروبا، تبين بشكل واضح توثب الفرنسيين وعجلتهم بالانقضاض على سورية، وتبين أن انكلترا تقف حائلاً دون غايتهم، وتحمي فيصلاً منهم. وكان فيصل نفسه يرى هذا الموقف بوضوح، لكنه كان يعلم الأسباب وراء خلاف الدولتين الظاهري، أو المؤقت حول سورية.

أما بريطانيا، فقد ظهر موقفها الودي وصداقتها لفيصل ــ بغض النظر عن فلسطين طبعاً، وعن الاتفاقات السرية، وتقسيمات اللنبي، التي قبل بها فيصل راضياً أم راغماً ــ منذ الأيام الأولى لدخول الانكليز والعرب إلى دمشق، إذ حاولت اعتبار اتفاقية سايكس ــ بيكو ملغاة، لأنها أصبحت غير طبيعية، ولأن الولايات المتحدة دخلت في الحرب والحلف، بينما خرجت روسيا منها، كما أن لإيطاليا مطالب بالساحل الشرقي للبحر المتوسط، ويجب إدخال الولايات المتحدة في أية تسوية تخص سورية وفلسطين(٧٣). وكانت بريطانيا تعلم مدى كره العرب لهذه الاتفاقية، كما أنها كانت تريد أن تنقذ سمعتها بهذا الالغاء، أمام العرب والحسين وفيصل. كما أيد اللنبي والضباط الانكليز الآخرون في سورية، وجوب حصول سورية على ميناء على البحر المتوسط، أي من حصة فرنسا حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو. كما رفض بلفور وزير الخارجية البريطانية، طلب الحكومة الفرنسية، بتعيين مفوض سامٍ فرنسي في سورية، وقال إن اللنبي نفسه يرفض ذلك(٧٤).

وكانت غالبية تقارير الضباط الانكليز، تدل على أن القسم الأعظم من سكان سورية، يطلبون إقامة حكم عربي، ويرفضون الحكم الفرنسي، ويؤكدون على أن المسلمين في سورية ولبنان، يؤيدون حكومة عربية. وكان هؤلاء الضباط يشيعون عن

---

(٧٣) مذكرة من الحكومة البريطانية في ٨ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨.
Ibid, 371 /3384/ P. 10

(٧٤) F.O. 371 /3384/ 25 Oct 1918. P. 276.

شعبية فيصل، وحب الناس له(٧٥). وكان رجال الحركة العربية أو السورية، ممن يندرجون تحت هذا الأسم، ومن أصدقاء بريطانيا، يحثون على مساندة الحكم العربي، ودعم فيصل في سورية (فقط)(٧٦). ومن قبيل المجاملات في هذا المجال المؤيد لفيصل، تلقى هذا برقية من سايكس في ١٢ أكتوبر / تشرين الأول /، يهنئه بتشكيل حكومة عربية إنسانية منظمة في دمشق، تدعم عواطف مواطنيها(٧٧). ولم يسمح اللنبي لأية راية أن ترتفع في المناطق الثلاث، سورية ولبنان وفلسطين، إلا الراية العربية في دمشق، مع أنه أنزلها عن بيروت ومدن لبنان.

هذا مع العلم أن الدعم المادي للحكومة العربية، كان يأتي كله من بريطانيا. وقد طلب فيصل مبلغ مائتي ألف جنيه حتى يقيم إدارته(٧٨).

ولعبت بريطانيا فعلاً دور الموازن بين فيصل والفرنسيين، أو بالأحرى دور الحامي لفيصل من الفرنسيين، وكان يكفي إشعار فيصل أو شعوره بذلك، حتى يعتقد بصداقته للانكليز وعدواة الفرنسيين له. وكان يهم انكلترا أن تحافظ على الوضع الحرج في سورية، إزاء افتضاح اتفاقية سايكس ــ بيكو، وإعطاء حصة صغيرة للعرب وفيصل في سورية المقسمة. وقد أرسلت وزارة الخارجية البريطانية برقية إلى كلايتون في ١٢ أكتوبر / تشرين الأول / تطلب فيه:

١ ــ إقامة علاقة طيبة بين العرب والفرنسيين.

---

(٧٥) Ibid P. 27 (27 Oct)

في معرض مساعدة الضباط الانكليز لفيصل ودعاياتهم الطيبة له «أن زار وفد من الدروز الجنرال كلايتون، فطلب منهم أن تدوم صداقة الدروز التقليدية للانكليز، وأكد لهم أن الحكومة العربية ستكون وطنية، وتحمي كل الطوائف، وطلب منهم دعم الحكومة العربية المحلية».

Ibid, (15 Oct 1918) P. 187.

(٧٦) رسالة من مختار الصلح إلى رضا الصلح (اتحادي)، يطلب فيها منه أن يدعم الحركة العربية التي يدعمها الحلفاء، وخاصة بريطانيا.

Ibid, PP. 182-183.

(٧٧) Ibid, (12 Oct) P. 111.

(٧٨) Ibid, (15 Oct) P. 187.

٢ ــ تقوية ثقة العرب بإخلاص الحلفاء في سياستهم التحريرية[٧٩]

وكان الحسين يصر دائماً على علاقاته مع بريطانيا وحدها، ويعتبرها مسؤولة أمام تعهداتها للعرب بالاستقلال، وكان يشعر نفسه بمخاطر فرنسا على الساحل منذ البداية، كما مر بنا من قبل.

أما فرنسا، فقد ظهر موقفها الهجومي على الحكومة العربية وفيصل، في مواقف كثيرة. فخلال تقدم الحلفاء في سورية نفسها، طلبت الحكومة الفرنسية تحقيق النقاط التالية:

١ ــ يجب أن يعتبر القائد العام (اللنبي)، الممثل الفرنسي مرشداً سياسياً رئيسياً له، في أي قضية تخص الدولة العربية أو الدول العربية، حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو.
٢ ــ يكلف القائد العام المرشد السياسي الفرنسي، بإقامة أي إدارة مدنية في الساحل، من المنطقة الزرقاء، والمنطقة الزرقاء بحالة عامة ــ الدولة العربية في دمشق هي ضمن المنطقة الزرقاء ــ لحفظ النظام، وتسهيل العمليات العسكرية.
٣ ــ تشكل للمرشد الفرنسي هيئة من ضباط أوروبيين مساعدين له، في المنطقة الزرقاء (عامة).
٤ ــ يكون المرشد السياسي مسؤولاً أمام القائد العام، في المنطقة (أ) (منطقة الدولة العربية في دمشق)، بما يخص كل الاتصالات السياسية والإدارية.
٥ ــ ستبقى الاتفاقية (سايكس ــ بيكو) سارية المفعول (بالقوة)، حتى يحين موعد النظر في الإدارة المدنية، وهذا الحل يرضي إيطاليا.
٦ ــ الطلب من بريطانيا الرد بسرعة (وربما غداً)[٨٠].

٢ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨.

وكان جواب اللنبي هو تقسيم الإدارة كما ذكرنا، ووضع ضابطي اتصال أحدهما

---

(٧٩) Ibid, (12 Oct) P. 111.
(٨٠) F.O. 371 /3383/ PP. 523-525.

فرنسي والآخر بريطاني، في دمشق، ووضع ضباط انكليز في شرقي الأردن للمساعدة في الإدارة، وضباط فرنسيين في المنطقة الساحلية[٨١].

وأكد بول كامبون في رسالة له في ١٩ أكتوبر / تشرين الأول / إلى بلفور، على بقاء اتفاقية ١٩١٦ كما هي، حتى تحل المسائل[٨٢].

وأعاد بيشون وزير الخارجية الفرنسية، قصة العلاقة التاريخية التي لفرنسا في سورية، فأرسل رسالة إلى بول كامبون سفيره في لندن، ذكر فيها أن الواجب التاريخي لفرنسا نحو سورية، يجب أن يشمل كل السكان السوريين، لأن الجاليات السورية في فرنسا وفي كل أنحاء العالم تحيي « دخولنا إلى بيروت، ولن تخذل الحكومة الفرنسية هذا الواجب، وسوف تحافظ على مجموع السكان العرب في تلك المنطقة المعروفة، حسب اتفاقية سايكس — بيكو »[٨٣].

والجدير بالذكر، أن فرنسا قامت عن طريق قنصلياتها في العالم، بنشاط سياسي ودعائي واسع بين الجاليات السورية، وربطتهم بجمعيات وصحف ونشرات وأندية. وكان شكري غانم في باريس، مركز الاتصال بينهم وبين الحكومة الفرنسية. وكانت فرنسا تتلقى فيضاً من برقيات التأييد من هؤلاء، بكل ماله علاقة بسورية.

وكان دخول الانكليز والعرب إلى دمشق، مناسبة عظيمة، تلقت فيها فرنسا برقيات تهنئة لتحريرها دمشق وسورية من أيدي الترك، مع أن قواتها كانت قليلة جداً في حملة فلسطين وسورية، ولا تتعدى ثلاثمائة. وليس للعرب ودورهم ذكر في برقيات هذه الجاليات، أليس هو توجيهاً لهم..! ونضرب أمثلة فقط من أعداد لا تحصى من البرقيات. « يهنىء السوريون واللبنانيون في المكسيك الحكومة الفرنسية، لاحتلال دمشق وبيروت، وتخليصهما من نير العبودية »[٨٤]. وشكر من شكري غانم « لفرنسا

---

(٨١) Ibid; P. 528.

(٨٢) Ibid, P. 255.

(٨٣) D.F.Aff. Etr, Levnt, 4. PP. 119-120 (11 Nov 1918)

(٨٤) D.F.Aff. Etr, Levant 2, (11 Oct 1918) P. 230

التي حرر جنودها البر والبحر، وملأوا سورية، ويخص بحرية فارني الشجعان»[٨٥]. وبرقية من السوريين من كيت مورشيوس (Quite Mauricio) «فيها تهنئة لرئيس فرنسا بنصرها وتحريرها سورية، ودعاء أن تعيش سورية حرة تحت ظل العلم مثلث الألوان (الفرنسي)»[٨٦]. وتهنئة السوريين في أمريكا الجنوبية لفرنسا، بتحرير سورية. ورسالة من السوريين في سورية، لتحية الحلفاء وتعلقهم بفرنسا في تقرير مصير بلادهم[٨٧] وتحية من اللبنانيين في بناما إلى وطنهم الثاني فرنسا، وتحية لرئيسها «عاشت فرنسا»[٨٨]. وكان مرسلو هذه البرقيات من أصدقاء فرنسا كلية بينما ظل بعض السوريين في الأرجنتين موالين للأتراك[٨٩].

وقد رحب أصدقاء فرنسا من الموارنة بوصول الفرنسيين إلى لبنان، وجاء ذلك على لسان البطريرك الياس الحويك، الذي قال إلى يوسف الحكيم، عندما علم بدخول الفرنسيين «ألم أقل لك يا يوسف بك أن الله لا ينسانا»[٩٠]. وعندما نقل له كولوندر تحيات الحكومة الفرنسية «سالت دموعه، وقال إن وصول الفرنسيين أدخل إليه السرور العظيم»[٩١]. بينما وقف البطريرك الياس الحويك، صامتاً إزاء دعوة الحكومة العربية في دمشق، التي أرسلها له سعيد الجزائري، ولم يتخذ موقفاً من تشكيل حكم في لبنان يتبع دمشق[٩٢].

ونتيجة لمثل هذه المحالفات مع الطوائف في سورية، زعمت فرنسا أو مسؤولوها في المنطقة الساحلية، أن كل سكان منطقة اللاذقية مؤيدون لفرنسا، ما عدا «بعض

---

(٨٥) Ibid, (8 Oct) P. 230 et F.O. 371 /3384/ (26 Oct) P. 389.

(٨٦) Ibid, Levant, 3. (22 Oct) P. 191.

(٨٧) Ibid, (23 Oct) P. 244 et (31 Oct) P. 281.

(٨٨) Ibid, Levant 6. (13 Dec) 1918, P. 6

(٨٩) Ibid, Levant 3, (15 Nov) P. 28.

(٩٠) مذكرات الحكيم، بيروت ولبنان، ص ٢٩٦.

(٩١) D.F.Aff. Etr, Levant. 3 (24 Oct) 1819, P. 150

(٩٢) D.F.Aff. Etr, Levant. 4 (8 Nov) P. 10 et (10 Nov) P. 37.

المسلمين الذين يقومون بدعاية للشريف، ويريدون الاستقلال حسب إعلان الحلفاء»[٩٣].

وكانت فرنسا تخشى من اليوم الأول لاحتلال دمشق، توحيد المشاعر الدينية بين مسلمي سورية والأتراك ضد الأوروبيين، وأن التعصب الديني، قد يحول السلطة إلى إسلامية بدلاً من تركية.

وكانت فرنسا تعلم أن بعض العائلات الاسلامية ذات التأثير الديني القوي والاجتماعي والشخصي، هي التي تثير المشاعر ضد الأوروبيين، وكانت هذه العائلات محمية ومدعومة بيد قوية، تشد أزرهم وتساعدهم بالسلاح والمال. ويقترح كاتب التقرير على الحكومة الفرنسية، إرسال قوة عسكرية فرنسية كبيرة، والعمل على توحيد مصالح الشبيبة المسلمة والمسيحية، وإفهام المسلمين أن كل مقاومة سوف تضر بلادهم، وتؤخر تقدمها، وأنه يجب الاتصال بالحزب الذي يدعو للاستقلال العربي لسورية ولبنان، والقبول بوصاية فرنسا، وينصح بإرسال وفد دعائي فرنسي إلى سورية[٩٤].

وقدمت لجنة Asie-Océanie الفرنسية إلى وزارة الخارجية الفرنسية، تقريراً في ١٥ نوفمبر / تشرين الأول / ١٩١٨، عن الوضع في سورية، وتحركات فيصل، وتوزيع النقود، والقيام بالدعاية، واقترحت أن تنسحب القوات الانكليزية من سورية، وتحل محلها قوات فرنسية، وأن تكف بريطانيا عن مد فيصل بالمال، ووضع حد للقضية بالاتفاق مع بريطانيا، والاستعداد العسكري اللازم لاحتلال سورية[٩٥].

ويزعم بيكو أن فيصلاً يستعمل النقود التي تعطيها انكلترا له للدعاية في لبنان، وقد وصفه في تقرير لحكومته «بأنه ممالىء للانكليز الذين يدفعون له ٢ مليون فرنك

---

(٩٣) Ibid, Levant, 5 (25 Nov) P. 43.

(٩٤) Ibid, Levant. 7 (1 Oct 1918) P. 71.

(٩٥) Ibid, Levant, 5 PP. 36-38.

بالشهر، وسوف يقيم له إمبراطورية عربية كبيرة كاملة الاستقلال، ولن يعتمد إلا على انكلترا... واقترح بيكو وقف مساعدة بريطانيا له، وأن تقوم فرنسا بنفس الدور، والتأكيد له على مستقبل العرب واحترامه... وبريطانيا تدعم تحرك فيصل...(٩٦).

وطالب أصدقاء فرنسا من السوريين في مصر، بكتاب إلى الحلفاء، لوضع حدود بين القضية السورية والقضية العربية، كما رفضوا في هذا الكتاب الحكم «الحجازي». ويقصدون حكم فيصل في سورية، وطالبوا بأن يكون الحكم للحلفاء. وكان من بين الـ ٤٤ شخصاً الذين أرسلوا الكتاب، اثنان من المسلمين هما، حقي العظم ومختار الجزائري) ومن الأسماء الأخرى المعروفة موريس أبو شادي، وخليل زينية (حكمه جمال باشا بالاعدام لاشتراكه بكتاب عريضة موجهة إلى فرنسا سنة ١٩١٥ كي تحكم فرنسا سورية)، والياس توني(٩٧). وحقي العظم في هذا الكتاب، يتابع خطته في صداقة فرنسا، والعمل من خلال سياستها في سورية

أما فيصل فقد كان متضايقاً من إنزال العلم العربي عن المدن الساحلية، ومن طرد مندوبيه بسبب اعتراض فرنسا، وكان يعتقد أن الانكليز وخاصة الضباط العاملين معه في سورية، هم من المخلصين له ولقضيته. وهذا ما كتبه إلى أبيه، وكان هو وهم، كما أخبروه، يأملون في تغيير سياسة الحكومة الانكيزية في لندن لصالحه، ولذا اتخذ جانب انكلترا، وعادى فرنسا، حتى إنه صرح بأنه ربما يحارب فرنسا، إذا لم يجد بداً من ذلك(٩٨). وقد اشتكى سابقاً من اعتراض كولوندر عليه شخصياً، دون واسطة اللنبي، (بشأن إرسال الأيوبي إلى لبنان)، كما أنه شكا إلى كلايتون من الأخبار التي أطلقها الكابتن مرسييه بين الدروز، من أن فرنسا سوف تحتل سورية، ووعده كلايتون بألا يتكرر سوء التفاهم من هذا القبيل(٩٩). وعبر الحسين عن غضبه من إنزال علمه في بيروت، واعتبر ذلك إهانة لعلم حليف... وأرسل إلى وينجت عما يجده فيصل من

---

(٩٦) Ibid, Levant. 4 (15 Nov) PP. 151-153.

(٩٧) F.O. 371 /3385/ (10 Nov) P. 44.

(٩٨) رسالة من فيصل في أوراق الأمير زيد، عن سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٤٠٦ و F.O. 882/17.

(٩٩) F.O. 371 /3384/ 4 Nov 1918, P. 612.

اضطراب وحزن ويأس من أعمال الفرنسيين، والأموال التي ينفقونها، وطالبه باتخاذ إجراءات لمساعدته. وأجاب وينجت، بأن اللنبي يحقق في القضايا، وطمأنه على حياد اللنبي وعدم تحزبه...(١٠٠).

في أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني /، جرت اتصالات بين الحكومة الانكليزية واللنبي ووينجت، وكذلك لورنس، عمن سيكون ممثل الحسين في مؤتمر الصلح، وكان الترشيح على فيصل، وهو أمر طبيعي، لأن الحجاز ليس مسألة مختلفاً عليها بين الحلفاء وكذلك العراق. ومسألة المسائل هي سورية. وخير من يمثلها هو حاكمها من قبل الحلفاء ومن أبيه الحسين، على أن يكون ممثلاً للحسين لا لسورية، وأرسل فعلاً لورنس برقية في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / إلى الحسين يخبره بقرب مباحثات الحلفاء عن قضية العرب، ويرجوه أن يرسل فيصلاً لتمثيله بسبب انتصاراته الرائعة، وشهرته الشخصية في أوروبا، وذلك سوف يسهل نجاحه...(١٠١). خشي وينجت من إيصال رسالة لورنس للحسين، لأنه اعتقد أن الحسين يخشى من تأثير ونفوذ لورنس على فيصل، فلا يوافق على إرساله، أما بلفور، فقد لامه على تأخير البرقية(١٠٢)، وربما لأنه يقصد هذا التأثير على المفاوض العربي.

وافق الحسين على إرسال فيصل إلى أوروبا، وأرسل برقية إلى وينجت كي تبلغ الحكومة البريطانية، حكومات فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة، بمهمة ابنه(١٠٣). وتلقى فيصل برقية من لورنس في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني /، يطلب منه فيها أن يأتي مرتدياً اللباس العربي، وأن يستعد لاقامة ستة أسابيع، ويحضر معه ضابط عراقي، وإذا أمكن أن يكون نوري السعيد ـــ المعروف بميله للانكليز ـــ وإذا أراد نوري الشعلان أن

(١٠٠) أوراق الأمير زيد و F.O 882/17.

(١٠١) F.O. 371 /3384/ P. 57.

(١٠٢) أوراق الأمير زيد عن سليمان موسى، ص ٤١٦.

(١٠٣) F.O. 371 /3385/ (19 Nov) P. 137.

يحضر فليحضر ، وأن يحضر أيضاً اثنان من القادة السوريين الموالين لفيصل ، وأخبره بأنه سوف ينتظره في تورنتو(١٠٤).

رفضت فرنسا اعتبار فيصل ممثلاً سياسياً لأبيه أو للعرب ، وكانت حجتها أن الحلفاء لم يقرروا بعد ، من سيشترك في المؤتمر من الدول الحليفة أو المعادية أو المحايدة ، كما ادعت أنها لم تبلغ بإرسال فيصل رسمياً من قبل أبيه . وكانت رسائل الحسين قد وصلت إلى إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ، أما فرنسا فلم تتسلمها لأنها كانت بوساطة الانكليز ، لكن الحكومة البريطانية أبلغتها أنها كانت دائماً الوسيط في الاتصالات بين الحسين وفرنسا من قبل ، ولم تعترض هي (فرنسا) . وجاء في حجج فرنسا ، أن الحجاز ليس مملكة عربية ، وهي محدودة بالحجاز فقط باتفاق بريطانيا وفرنسا ، كما أن معتمد فرنسا في سورية لم يُستشر بقدومه ، وسوف تقبل الحكومة الفرنسية بفيصل والوفد المرافق على هذا الأساس ، كأجنبي مميز ابن ملك الحجاز ، دون لقب ، وأن أمره بيد الحلفاء ، وأنه لا يمكن أن يعتبر ممثلاً عربياً في أي اجتماع ، قبل توقيع أي اتفاق يخص العرب ، ويجب إبلاغ فيصل بكل المصاعب . وطلبت الحكومة الفرنسية أن يبلغ اللنبي ممثلها في سورية ، حتى عن مجرد قدوم فيصل إلى فرنسا(١٠٥)

---

(١٠٤) Ibid, (8 Nov 1918) P. 124.

(١٠٥) Ibid, (23 Nov et 24 Nov) P. 288, 299, 304.

الفصل الثاني

تنازلات فيصل
في مؤتمر الصلح

لم تطل زيارة فيصل في حلب، إذ أرسل له والده الحسين، برقية على أثر إعلان الهدنة مع تركيا (٣٠ أكتوبر / تشرين الثاني / ١٩١٨)، يطلب منه السفر إلى أوروبا لتمثيله في مؤتمر الصلح الذي سيعقد في باريس. وخوله التفاوض مع بريطانيا فقط، دون سواها، لأن اتفاقه السابق مع مكماهون، هو الأساس بنظره في علاقات العرب بالحلفاء، كما أنه حدد له البحث في ما يتعلق بالحدود والإدارة فقط، ويبدو أن الحسين كان يظن أن مسألة الاستقلال العربي، وإقامة الدولة العربية، أمر مفروغ منه حسب اتفاقه مع مكماهون، ولذا لم يذكرها لفيصل أو أنه كان يخشى أن يجري فيصل أية اتفاقيات تمس استقلال العرب ووحدتهم، كما فعل في أثناء الثورة.

اعتذر فيصل عن قبول المهمة، لأنه ليست لديه نصوص العهود المعطاة من بريطانيا، بشأن استقلال الدول العربية، التي كانت تتبع الدولة العثمانية. لكن الحسين الذي كان يثق ببريطانيا ثقة مطلقة، ويصفها بالعظمة، رغم انفضاح أمر اتفاقية سايكس ــ بيكو وتطبيقها فعلياً على سورية، أجابه بأن نصوص العهود موجودة في وزارة الخارجية البريطانية، فلا حاجة لإرسال نسخة أخرى منها له[1].

قبل فيصل أخيراً المهمة، وحاول أن يقبل والده بإرسال أخيه عبد الله ليحل

(١) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٦٨ (عن أوراق الحكومة الهاشمية التي استولى عليها السعوديون).

مكانه في سورية، لكن الحسين رفض بسبب انشغال عبد الله بحصار المدينة. وغادر حلب إلى طرابلس عن طريق حمص، فاستقبلته طرابلس بكل حفاوة واستضافه فيها عبد الحميد كرامي، مفتيها وزعيمها، وأعلن أهلها أن المدينة جزء لا يتجزأ من سورية، وأنها ميناؤها الطبيعية، وفوضوا الأمير فيصلاً لتحقيق ذلك[٢].

ثم تابع سفره إلى بيروت فوصلها في ١٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، وكان الوضع فيها يختلف عن طرابلس، لأن سكان الأخيرة مسلمون مؤيدون للحسين وفيصل والدولة العربية الواحدة، أما بيروت، فكان فيها الفرنسيون، والانكليز، والمسلمون، والمسيحيون. فالمسلمون استقبلوه بحفاوة بالغة، وحلوا الخيول التي تجر عربته، وجروها بأنفسهم خلال الشوارع، وكانوا ينادون «لا نرضى إلا السلطان» ــ ويقصدون فيصلاً ــ ولا نقبل أن يحكمنا أحد غير السلطان[٣]. وكان موقفهم هذا كموقف أهل طرابلس أو موقف المسلمين الذين كانوا يرون في الحكومة العربية في دمشق نصراً للاسلام، وحماية لهم من حكم الفرنسيين ومؤيديهم من المسيحيين في لبنان، أما الموالون لفرنسا من المسيحيين، الذين لا يقبلون أن يكونوا رعايا في دولة يحكمها الاسلام، كما كانوا أيام الأتراك، فقد اعتبروا زيارته لبيروت مشبوهة، وأنها جزء من السياسة التي ستربط لبنان بسورية. وتجاهل الفرنسيون الزيارة واعتبروها، إحدى دعايات السياسة الانكليزية، لتشجيع العناصر اللبنانية على الولاء لفيصل، لكن الانكليز استقبلوه ببرود، وأنزله الجنرال الانكليزي بولفين (Bolfin) الذي كان على رأس المستقبلين، بضيافته في قصر سرسق الذي كان يسكنه[٤].

(٢) النشاشيبي، ص ٣٦٨، ص ٩٠.

(٣) Zeine The Struggle, P. 53. عن جريدة بيروت عدد ٢٦١٩ تاريخ ٥ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩٤٦.
D.F.Aff. Etr, Levant. 4 (18 Nov 1918) P. 204.

(٤) Conte R. De Gontont Biron, Comment La France C'est Installeè en Syrie, Paris, 1922, P. 187

احتشد آلاف من المسلمين لاستقبال فيصل في بيروت، واستقبله الجنرال الانكليزي بولفان، وأقام له في المساء حفلة حضرها الكثير منهم، مطران اليونان الأرثوذكس، وهتف الناس عند استقباله لا نريد غيره رئيساً.
D.F.Aff. Etr, Levant. 4 (18 Nov 1918) P. 204 de Picot

فماذا كان موقف فيصل، تجاه هذه القوى المتعددة والمختلفة في لبنان؟ انطلق فيصل في سياسته في هذه المرحلة من «وحدة سورية الطبيعية» بما فيها لبنان، ولم يكن في حاجة لبذل أي مسعى لضمان المسلمين والانكليز فيه، فالأولون يؤيدونه، والأخرون لا يمانعون إذا قبل الفرنسيون. أما الفرنسيون فهو ذاهب ليرى رأيهم في مؤتمر الصلح، وبقي المعارضون له من المسيحيين، وكان فيصل يود لو يضمهم إلى صفه، وحتى يزيل مخاوفهم من ضمهم لسورية، صرح شخصياً في بلدة (المعلقة) في لبنان، بأنه سوف يعطي لبنان الحكم الذاتي، ضمن «الامبراطورية العربية»، وهذا يوازي جبل لبنان الممتاز أيام الأتراك، ووصف لبنان بأنه «الحجر الثمين في الامبراطورية العربية». هذا بالاضافة لما أعلنه فيصل في دمشق وحلب، من التساوي بين كل المواطنين المسلمين والمسيحيين واليهود. وكان يأمل أن يعدلوا موقفهم منه كما كان يحذر الجميع من مغبة سياسة فصل لبنان عن سورية.

وبقي فيصل في بيروت حتى ٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني /، ومنها أرسل إلى أبيه يخبره عن مشاعر الأهالي العارمة، وحماستهم وارتباطهم بعرشه، وأنه رفض مساعدة الفرنسيين، لأنه رأى فيهم الطمع في احتلال البلاد فعلاً ورأى وجوب ارتباط العرب بالانكليز فقط، معبراً تماماً عن وجهة نظر أبيه، وإن كان يحتار أحياناً، فيما إذا كان ما يظهره الانكليز له من وداد، هو حقيقة أم سياسة(٥).

ثم قام فيصل بعودة قصيرة إلى دمشق، قضى فيها ليلة واحدة، عين خلالها أخاه زيداً نائباً عنه أثناء غيابه. ثم عاد إلى بيروت، وغادرها على المركب الانكيزي Gloucester إلى مرسيليا، وكان يرافقه نوري السعيد. رئيس مرافقيه، ورستم حيدر رئيس ديوانه، وفائز الغصين كاتبه، وتحسين قدري مرافقه الخاص، والدكتور أحمد قدري طبيبه الخاص(٦).

(٥) أوراق الأمير زيد (عن سليمان موسى، ص ٤١٨)
ذكر بيكو في تقرير له عن استقبال فيصل «أن الجنرال بولفان قال باسمه في هذا الاستقبال بأن سورية للسوريين وهو يريد أن يراها هكذا بيد السوريين أكثر مما تكون بيدنا نحن الفرنسيين».
D.F.AFF. Etr, Levant. 7 (11 Jan 1919) P. 124.

(٦) قدري ص ٩٠.

وصل فيصل إلى مرسيليا في ٢٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ ، واستقبلته السلطات المدنية والعسكرية هناك استقبالاً رسمياً ، وكان الكولونيل بريموند والكولونيل برتراند مرافقين له . إلا أن الحكومة الفرنسية لم تقبل أن تستقبله بصفته دبلوماسياً ، لأنها لم تستشر في زيارته ، وامتعضت من بريطانيا لأنها نصحت فيصلاً بالقدوم إلى فرنسا دون رأيها ، كما قدمت احتجاجاً إلى الملك حسين عن طريق الكولونيل (كوس) ، وأبلغته أنه كان ينبغي أن يخبرها بأمر زيارته(٧) .

ومهما يكن من أمر ، فقد أرادت الحكومة الفرنسية أن تستغل زيارة فيصل ، علها تكسبه صديقاً لها ، فيسهل بذلك تنفيذ سياستها في سورية ولبنان ، ولذلك أصدرت وزارة الخارجية الفرنسية بياناً بمناسبة زيارة فيصل تكريماً له ، وصفته فيه بأنه «قائد الجيش العربي ، وابن ملك الحجاز ، الأمير الذي حارب ببسالة عظيمة ، الذي سيستقبل استقبالاً شائقاً ، لأنه ضيف مجيد» . كما طلبت من الكولونيل بريموند أن يعامل فيصلاً كجنرال مميز ، وأن يرافقه لزيارة الجبهة عند حدود ألمانيا ، حيث يقلده الجنرال (غورو) وساماً كبيراً من طراز «الضابط الكبير» في ستراسبورغ على الحدود الألمانية(٨) .

ومنذ وصول فيصل إلى مرسيليا ، وصل لورنس لمرافقته ، وكان يرتدي اللباس العربي ، فرفضت فرنسا استقباله إلا بلباسه الانكليزي الرسمي ، لأنها لا تقبله إذا أصر على التنكر بلباس عربي . فرفض لورنس تغيير اللباس العربي ، وخرج من فرنسا ، ورد للفرنسيين وسام الصليب الذي كانوا قد منحوه إياه(٩) . وليست هذه البادرة من

(٧) F.O. 371 /3885/ (4 Dec 1918) P. 476.
و D.F.Aff. Etr, Levant (30 Nov 1918) P. 85
و Zeine, the Struggle, P. 53.

(٨) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦ .

(٩) Zeine, the Struggle, P. 53.

لورنس، إلا للتأثير على شخص فيصل في تنفيذ السياسة البريطانية من جهة، ولكرهه للفرنسيين من جهة أخرى. كما أنه يظهر جلياً من تصرف فرنسا نحو كل من فيصل ولورنس، أن تنافساً بين فرنسا وبريطانيا ناشب على سورية. ولم تخف وزارة الخارجية الفرنسية انتقادها الشديد لبريطانيا، عندما صرحت لفيصل، بأن بريطانيا لا تستطيع أن تعمل كل شيء، وكان يجب ألا تنصحه بالقدوم قبل استشارة فرنسا كما أن الحكومة الفرنسية ظنت أنها بتعيينها الكولونيل (بريموند)، الذي عمل سابقاً في الحجاز، تستطيع أن تؤثر على فيصل كما فعل لورنس. ولذلك اصطحبه برحلة زار خلالها (ليون)، ثم جبهة القتال، حيث كان يلقى الاستقبال الحافل. وفي(ستراسبورغ)، قلده الجنرال غورو (Gouraud) قائد الجيش الرابع، وسام الضابط الكبير (Grand Officier) في احتفال عسكري مهيب[١٠]، وزار (فردان)، والمدن الألمانية المحتلة (فسبادن)، (وفرانكفورت)، وعندما طالت زيارته، أحس بأن غاية فرنسا إبعاده عن باريس ومؤتمر الصلح، ولذلك أرسل إلى الحكومة البريطانية يسألها عن اشتراكه في المؤتمر، فأتاه الرد إلى فرانكفورت بالإيجاب، واختصر زيارته في منطقة الاحتلال الامريكي، واعتذر للجنرال (برشنغ) قائد القوات الامريكية، عن عدم تمكنه من تلبية دعوته[١١].

وقرر فيصل العودة، وعبر إلى الكولونيل بريموند، عن رغبته في السفر إلى باريس، لمقابلة المسؤولين الفرنسيين، وإلا فإنه سيعود لدمشق. فأبلغه بريموند في اليوم الثاني، أن رئيس الجمهورية الفرنسية قد حدد له مقابلة في ٧ ديسمبر / كانون الأول /[١٢].

ولم تكن مقابلته مع رئيس الجمهورية الفرنسية، أجدى عليه من مقابلة المسؤولين له في مرسيليا من الناحية السياسية، إذ كانت المقابلة عبارة عن مجاملات

---

(١٠) Bremond, PP. 310-311

(١١) قدري، ص ٩٢ — ٩٦.

(١٢) نفس المصدر.

فقط، وثناء من الرئيس (بوانكاريه) على أوصاف فيصل وأدبه[١٣]. مما أكد لفيصل، أن الفرنسيين لن يتعاملوا معه كحليف صديق، وزاد من قناعته في ذلك، ما أطلعه عليه عوني عبد الهادي العضو القديم المؤسس لجمعية الفتاة، الذي كان يعيش في فرنسا طلباً للعلم، بأن فرنسا تطمع في سورية، وأنها أنشأت في مصر وباريس والمهجر أحزاباً وجمعيات سياسية صورية، تعمل على الدعاية للسياسة الفرنسية، خاصة نحو الشرق وسورية[١٤].

غادر فيصل فرنسا، وهو يشك بنيتها تجاهه وتجاه سورية، ووصل إلى لندن في العاشر منه، واستقبله لورنس كمترجم. وفي لندن لقي فيصل الحفاوة البالغة والإكرام والاحترام، وأعدت له إقامة فخمة، ولم تتأخر الحكومة البريطانية عن إعداد مقابلة له، مع الملك جورج الخامس في قصر بكنغهام، حيث قلده قلادة الفارس الكبير من طراز فكتوريا الملكي، كما أظهر الملك تقديره السامي لما قدمه الأصدقاء العرب من مساعدة للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وطمأنه بأن بريطانيا ستبقى مع العرب[١٥].

---

(١٣) Poincaré, au service de la France, vol X, P. 453.

وأوراق عوني عبد الهادي، ص ٢٠.

في اليوم التالي حضر فيصل حفلة شاي دعاه إليها بيشون وزير الخارجية الفرنسية، رقصت فيها النساء، وفيصل مطرق لا يرى، وقال بأنه أتى لخدمة بلاده، لا لحضور الحفلات واللهو.

أوراق عوني عبد الهادي، ص ٢١.

(١٤) قدري، ص ٩٦ وأوراق عوني عبد الهادي ص ٢٠.

(١٥) the Times, No 41972, Dec 13, 1918, col 5, D. 7.

وكذلك أمين سعيد، ج ٢، ص ١٨٠.

كانت فرنسا تطلق على فيصل لقب (صاحب السمو الملكي)، وعلى أبيه (صاحب الجلالة الملك)، بينما كان الانكليز يلقبونه (بصاحب السيادة الملك)، فرفع الموضوع إلى الملك جورج الخامس، فأمر باتباع الطريقة الفرنسية، واستقبل فيصل باسم (صاحب السمو الملكي الأمير فيصل).

Tibawi, P. 285.

وفي البداية كان فيصل بعد عودته من الحفلات التكريمية، التي كان يقيمها له الشخصيات الانكليزية، يتأفف قائلاً «أنا لم أحضر إلى لندن، من أجل أن آكل وأشرب، وأستمع إلى الكلمات التكريمية في ختام الحفلات» وبعد الأيام الطويلة التي قضاها في لندن، واختلاطه بطبقة اللوردات، ظهر عليه تغير في نفسيته، فصار يغير لباسه، ويلبس كأحد أمراء أوروبا، ويتأبط ذراع أحد أصدقائه، ويمشي في شوارع لندن.

أوراق عوني عبد الهادي ص ٢٣ ــ ٢٥.

وكان فيصل قد قابل بلفور في ١١ ديسمبر / تشرين الأول / ١٩١٨ ، أي قبل يوم من مقابلة الملك ، وأبلغه شكر العرب وعرفانهم بالجميل نحو مساعدات بريطانيا ، وأنهم بقدر ماهم متعاطفون مع بريطانيا ، هم ضد فرنسا ، وإذا كان لابد من حماية على سورية والعراق ، فلتكن بريطانيا ، وأن العرب لا يتحملون حكماً أجنبياً آخر . وإذا ما فرض هذا عليهم ، لكان من الخير لهم أن يبقوا تحت حكم إسلامي ، وإن كان سيئاً ، من أن يقعوا تحت حكم مسيحي ، ولو كان صالحاً . وشكا من تصرف اللنبي في بيروت ، لأنه أعطاها (بيروت) لفرنسا ، مع أن أباه قد وُعد بها ، وقال إنه ورفاقه لا يقدرون على محاربة دولة كبرى ، ولهذا فهم يفضلون لو ماتوا في الحرب . وشكر بلفور وقال انه لولا اللباس الرسمي ، لشعر أنه في بلده . فطيب بلفور خاطره ، وبرر له رسالة كلمنصو في جريدة التايمز ، التي تحدث بها كلمنصو عن سياسة بريطانيا بعدم مس حقوق فرنسا في سورية(١٦) . وفي رسالة فيصل لأبيه عن هذا الاجتماع ، ذكر أنه طلب من بلفور تمزيق اتفاقية سايكس ـــ بيكو ، أو يعود لبلاده ويعمد إلى القتال ، فطمأنه بلفور بأن العرب سيخرجون من مؤتمر الصلح ضاحكين مسترجعين لكل أمانيهم « من وضع أساس لمجد آبائهم ، الذي تفتخر الانسانية به ، وهي (بريطانيا) ستعمل معكم كأنفسكم والأمر ليس ببعيد »(١٧) .

وليس غريباً أن يختلف موقف بريطانيا عن فرنسا في تعاملهما ، واستقبالهما لفيصل . ففرنسا التي تريد أن تسيطر على سورية ، لم تكن مرتبطة بعهود أو وعود مع فيصل وأبيه أو العرب ، ولم تكن تؤمل منه الكثير في قبوله بسياستها ، ولذلك لم تقبل الاعتراف به واستقباله كحليف دبلوماسي ، لأنه قد يكون بنظرها عدوها في سورية . أما بريطانيا ، فكانت علاقاتها وصلاتها بفيصل وأبيه ، أكبر إن كان في العهود أو المشاركة في الثورة العربية ، وربما كانت بذلك تحاول التكفير عن عدم وفائها للعرب ، أو تحاول الاستمرار في عدم الوفاء هذا ، عن طريق التأثير المستمر على شخص فيصل ، بما تبديه

(١٦) F.O. 371 /3386/ 11 Dec, P. 57.

(١٧) أوراق الأمير زيد ، عن سليمان موسى ، ص ٤٢٤ .

له من مظاهر الإجلال والعظمة . ولم يكن موقف لورنس في فرنسا ، وموقفه في بريطانيا ، الذي كرره ، عندما رفض التخلي عن اللباس العربي في قصر بكنغهام ــ حسب الأوامر والأعراف الدبلوماسية الانكليزية التي لا تجيز لضابط رسمي أن يرتدي زياً آخر ــ قائلاً «إذا خدم رجل سيدين وكان عليه أن يسيء لأحدهما ، فالأفضل أن يسيء للأقوى ، أنا هنا ترجمان رسمي للأمير فيصل واللباس لباسه »[١٨] ، إلا من قبيل استمرار التأثير على فيصل لتنفيذ السياسة البريطانية المقبلة ، وخاصة في فلسطين . ويمكن القول أن معاملتها الودية لفيصل[١٩] ، كانت من باب «وضع السم في الدسم» .

وقبل أن يصل فيصل إلى لندن ، كانت بريطانيا وفرنسا تتباحثان بشأن تعديل اتفاقية سايكس ــ بيكو ، كل حسب مصلحته . والواقع أن فيصلاً قد واجه في فرنسا وانكلترا على السواء ، أربع مؤامرات على قضية (سورية) خاصة ، وعلى العرب عامة ، وهي :

١ ــ مصلحة بريطانيا الاستعمارية في العراق وفلسطين .
٢ ــ مصلحة فرنسا الاستعمارية في سورية ، وما نجم من تبدلات في الموقف السياسي الانكليزي الفرنسي بعد انتهاء الحرب .
٣ ــ المصلحة القومية الصهيونية في فلسطين .
٤ ــ مسألة فصل لبنان عن سورية .

---

(١٨) أمين سعيد ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(١٩) استقبلت الصحف البريطانية الأمير فيصلاً بالترحاب ، فقد كتبت جريدة (THe Times) قبل وصوله إلى لندن مقالاً ، أطرت فيه «العرب في الحرب التي اشتركوا فيها من مكة إلى دمشق أعظم اطراء ، وأثنت على ملك الحجاز والشريف فيصل وأخوته ورجاله ، ونوهت بالحرب غير النظامية التي حاربوها في ظروف سيئة جداً محفوفة بالصعاب والمشاق ، وقالت بأننا (الانكليز) أدركنا أخيراً عقم سياستنا القديمة ، التي كانت تساند تركيا وتشد ازرها على أعدائها ، وأخذنا نحاول البحث عن بديل حر يحل محل السلطنة العثمانية البالية الفاسدة ، فوجدنا هؤلاء الابدال العرب وغيرهم في فلسطين الجديدة (وربما تقصد اليهود)» .
عن جريدة المقطم . القاهرة ، عدد ٩٠٣٨ ، ١٧ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ .

المصالح الاستعمارية المتشابكة لبريطانيا وفرنسا

كانت اتفاقية سايكس ــ بيكو، هي التي تربط بين بريطانيا وفرنسا في المشرق العربي، إلا أنها لم تعد ترضي رغبة بريطانيا، في الحصول على بترول الموصل ــ الواقعة ضمن سورية، حسب الاتفاقية المذكورة، تحت إشراف فرنسا ــ وعلى الانتداب على فلسطين لتنفيذ وعد بلفور لليهود، لأن فلسطين حسب الاتفاقية المذكورة، ستوضع تحت إدارة دولية، ولذلك أخذت بريطانيا تحاول تعديلها لتحقق لها هذين الهدفين، بينما كانت فرنسا تتمسك بهذه الاتفاقية وترفض تعديلها، إلا إذا أعطتها مزيداً من الاشراف أو الاحتلال على «سورية الفيصلية»، التي لم تمنحها إياها الاتفاقية.

وإذن كانت (سورية) هي نقطة الخلاف في الجدل الطويل، الذي جرى بين بريطانيا وفرنسا، فبريطانيا تريد أن تبقيها لفيصل والعرب كحد أدنى من الوفاء بوعدها لهم، وخاصة فهي عازمة على إعطاء فلسطين، وهي جزء من سورية، لليهود، بينما كانت (سورية) هدف فرنسا الأول في المشرق العربي. وثمة عوامل أخرى كانت تدخل في الجدل، فقد كانت بريطانيا تحسب حساباً لسياسة ولسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية، وتحاول إرضاءه بإلغاء اتفاقية (سايكس ــ بيكو) السرية التي تناقض أحد مبادىء ولسن الأربعة عشر، وهو «إلغاء الاتفاقات السرية»[(٢٠)]، التي اتخذتها قاعدة لسياسة الولايات المتحدة، التي أصبح لها وزن كبير في تقرير مصير العالم، بعد أن أنهت الحرب لصالح بريطانيا وفرنسا، كما أنها (بريطانيا) قد ترضي العرب الغاضبين على اتفاقية سايكس ــ بيكو، وربما تضمن لهم حقوقاً أخرى من فرنسا. وكان يشد من أزر فرنسا في مطالبتها بسورية، بعض السوريين وخاصة الموارنة في لبنان.

---

(٢٠) Colonel House and Seymour, what realy happened at Paris, P. 186.

علق الكابتن (ييل) على اتفاق لويد جورج ــ كلمنصو قائلاً «ظهر احتلال فيصل لسورية كأنه تهديد خطير لمصالح فرنسا في الشرق، ولهذا فقد عمد كلمنصو إلى اتفاق مع الانكليز قبيل انعقاد مؤتمر الصلح، حتى يشكلا جبهة قوية ضد محاولات الرئيس ولسن، حتى لا يستبعد الاتفاقات السرية بينهما أثناء الحرب».

Yale, P. 334.

وبناءً على ذلك انتهى مبدئياً الجدل الذي دار في لندن من الأول إلى الرابع من ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، بين لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، وكلمنصو (Clemenceau) رئيس وزراء فرنسا، إلى اتفاق شفوي يضمن مصالح بلديهما على حساب العرب[٢١]. وبموجب هذا الاتفاق تم تعديل اتفاقية سايكس ــ بيكو على الشكل التالي:

آ ــ مصلحة بريطانيا

تخرج الموصل من سورية وتضم إلى العراق الواقع تحت الاحتلال البريطاني، وتوضع فلسطين من (دان) في الشمال إلى (بئر السبع) في الجنوب تحت إدارة بريطانيا، وبالمقابل تلتزم بريطانيا بالبنود التالية:

ب ــ مصلحة فرنسا

١ ــ أن تؤيد فرنسا تأييداً مطلقاً، عند الاعتراضات الامريكية.

٢ ــ إذا تقرر الانتداب، تكون دمشق وحلب والاسكندرونة وبيروت تحت انتداب واحد، هو الانتداب الفرنسي.

٣ ــ تحصل فرنسا على حصة في نفط الموصل[٢٢].

ولا حاجة إلى القول أن هذا التعديل يقضي على استقلال الجزء الأخير المتبقي

---

(٢١) روى لويد جورج، أنه عندما طلب تعديل توزيع المناطق من كلمنصو رئيس وزارة فرنسا، حتى تحصل بريطانيا من جديد على الموصل وفلسطين، وافق كلمنصو دون تردد، لأنه ليس لفرنسا قوة عسكرية في المنطقة العربية لفرض السيطرة، ولأن لويد جورج لم يمس مصالح فرنسا في سورية، وهكذا وافق. لكن الحقيقة أنه اشتراط على لويد جورج وجوب دعم بريطانيا لفرنسا في سورية، كما هو وارد في السطور الآتية. وذكر السيد Martet سكرتير كلمنصو، أن الأخير اعترف بأنه اقترف جناية بتخليه عن الموصل، مقابل كيليكيا، وأنه خير الانكليز أي البلدين تريدون الموصل أم كيليكيا ــ فاختاروا طبعاً الموصل ــ

Woodward and Butler: Documents on British foreign policy vol IV, P. 251.

وبالنسبة لما ذكره Martet انظر عن.ين ص ٢٢٦

Martet Jean, Clemènceau, London 1930 P. 190.

(٢٢) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، صيدا، مطبعة العرفان، ١٩٥٧، ج ١، ص ٦٧. و The New Cambridge Modern History, XII the Shifting Balance of World Forces 1918-1945 Cambridge, 1968 P. 211.

من سورية خاصة، وعلى استقلال العرب عامة. فسواء أكانت الموصل تابعة لفرنسا أم بريطانيا، فإن بترولها لن يكون للعرب، وإن فلسطين، سواء أكانت ستقام فيها إدارة دولية أم توضع تحت انتداب بريطانيا، فإنها خرجت من أيدي العرب لتنفيذ وعد بلفور، ويظهر أن احتلال سورية وتقسيمها إلى أجزاء، وفصلها عن الدول العربية الأخرى، قد أصبح حقيقة واقعة لا تحتمل الجدل بالنسبة لفرنسا وبريطانيا، وأما الجدل فكان حول توزيع جزيئات المصالح الاستعمارية في المشرق العربي وعلى حساب العرب.

هكذا وجد فيصل الجو السياسي في لندن، وبالرغم من اعتراضه على الاتفاق السابق بين لويد جورج وكلمنصو، إلى الحكومة البريطانية، ومحاولته إلغاءه، لأنه يقضي بنظره على سورية، وآمال العرب، فإنه لم يتمكن من تبديل الواقع شيئاً، إلا أنه تعرف في لندن على الأمور التالية واقتنع بها:

١ ـــ تفاصيل اتفاقية سايكس ـــ بيكو والخريطة التي قسمت سورية بموجبها، وتأكد أن سورية ستقسم، وإن الجزء العربي في الداخل قد منع من الاتصال بالبحر.

٢ ـــ إن بريطانية غير مستعدة للبر بوعودها السابقة لوالده، فقد ماطلت في إعطائه صور النصوص المتبادلة بينها وبينه.

٣ ـــ إنها لن تحارب فرنسا من أجل سورية. ونصحته بالذهاب إلى باريس، للاتفاق معها (فرنسا)، إذ هي المسؤولة عن (سورية)[٢٣].

وبذلك اصطدم فيصل بهذه الحقائق وجهاً لوجه، وتأكد منها، مع أنه كان على علم بأطرافها في الأردن، أثناء الثورة عن طريق جمال باشا، وفي دمشق عند اجتماعه باللنبي، ثم في مرسيليا، وأخيراً في لندن.

---

(٢٣) زين، الصراع، ص ٩٩ عن

Temperly. H.W.V. Ahistory of the peace conference, London 1920 and 1924 vol IV, P. 182.

قال لويد جورج لفيصل «يا أمير، فرنسا جارتنا، يفصلنا عنها زقاق ضيق، وقد امتزجت دماء أبنائنا بالحرب، فلسنا نريد أن نحارب جارتنا لاجل سورية».

حنا الخباز، فرنسا وسورية، القاهرة، ١٩٢٩، ج ٢، ص ١٧٣.

المصلحة القومية للصيهونية في فلسطين

لم تكتف بريطانيا بالتخلي عن فيصل أمام فرنسا فحسب، بل حاولت عن طريقه أيضاً، التوصل إلى حل لقضية فلسطين، يحقق مصلحة الصهيونيين في إقامة وطن قومي لهم. ولذلك بدأت تمارس ضغطاً شديداً على فيصل لهذه الغاية، واستعملت لورنس لتحقيقها، إذ كان أفضل شخص يستطيع القيام بهذا الدور، لما له من تأثير على فيصل. ولذلك أوصى الجنرال (كلايتون) أن يمارس لورنس دوره هذا، كي يتفق فيصل مع اليهود(٢٤).

ويبدو أن خطة بريطانيا في التأثير على فيصل لهذه الغاية، كانت تتمثل في اقناعه بفائدة الحركة الصهيونية له وللعرب، لأنها تعارض الانتداب الفرنسي أولاً، ولأن لها تأثيراً كبيراً في الولايات المتحدة بشكل، تستطيع معه أن تؤثر على الرئيس ولسن، حتى يقف إلى جانبه ضد فرنسا ثانياً(٢٥)، كما أن بريطانيا نفسها ستقف مع فيصل في مؤتمر الصلح، وتؤيده ثالثاً.

ونفذ لورنس تعليمات الحركة البريطانية، وأقنع فيصلاً بأنه لا ضرر من توقيع اتفاق مع زعماء الحكومة الصهيونية، والاستمرار في صداقة بريطانيا والاعتماد عليها، كما كان يعقد له الأمور مع الفرنسيين أكثر مما هي في الواقع، ويضخم له مطامعهم في سورية.

وإزاء هذا الموقف الذي خلقته بريطانيا لفيصل، وجد فيصل نفسه في مأزق

(٢٤) Tibawi, P. 286-291

ورسالة كلايتون إلى لورنس في ١٢ فبراير / شباط / ١٩١٨.

F.O. 882/7

أصر بلفور على تعيين لورنس في الوفد البريطاني، وفي نفس الوقت يبقى إلى جانب فيصل بصفة غير رسمية ليوالي تأثيره عليه. ولم يكن (كرزون) يعتبر لورنس يوماً ما عضواً في الوفد البريطاني، لكنه لم يلحق ــ برأيه ــ ضرراً بسياسة بريطانيا.

ناتيلي، ص ١٣٩، و Tibawi, P. 286

(٢٥) Documents, first series, vol IV, P. 421-22.

و /F.O. 371 /4162

حرج لا مخرج آمن له . فمن جهة لا يستطيع أن يلزم والده بشيء دون استشارته من جديد ، ولا يستطيع التصرف بما يعارض تفويضه له فقط ، باستقلال بلاد العرب ، ومن جهة ثانية لا يستطيع أن يوافق على أطماع فرنسا في سورية ، كما أنه لا يستطيع إعطاء فلسطين للصهاينة ، والعراق للانكليز . وبعملية موازنة بين هذه العناصر المتضاربة ، رأى فيصل أن الاتفاق مع الحركة الصهيونية ، لا يتعدى تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتساوي الحقوق بين السكان ، مساهمة في التعمير[٢٦] . وإن ذلك لا يضر بمصالح العرب بنظره ونظر لورنس وتأكيدات حاييم وايزمن له ، عندما قابله في القويرة عند العقبة عام ١٩١٨ ، بل يمنحه ميزات كبيرة في صراعه مع فرنسا بشأن (سورية) . لذلك مضى فيصل في الطريق الذي رسمته له بريطانيا ، واجتمع بزعماء الصهاينة ، وهم وايزمن البريطاني ، وسوكولوف البولوني ، وهربرت صموئيل وزير البرق والبريد في انكلترا سابقاً ، وقدموا له كتاباً يوقعه برضائه ، معترفاً فيه بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، لقاء مساعدتهم العرب في المحافل السياسية . وتدخل عوني عبد الهادي في المناقشة في أثناء الاجتماع ، وقال لفيصل ، إنه قرأ في كتاب صهيوني ، بأن اليهود يودون تشكيل دولة يهودية في فلسطين ، فأجابه هربرت صموئيل ، بأن ليس ثمة من يكتب ، أو يفكر بمثل هذا ، إلا أن يكون خيالياً مجنوناً[٢٧] . وانتهى فيصل إلى توقيع الكتاب ، بعد أن كتب ذيلاً له باللغة العربية ، تفادياً لسوء تأويل موقفه «إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ ، المقدم إلى رئاسة خارجية حكومة بريطانيا العظمى ، فإني موافق على ما ذكرنا طبق هذا من المواد ، وإن حصل أدنى تغيير أو تبديل ، فلا أكون ملزوماً أو مربوطاً بأي كلمة كانت ، بل تعد هذه المقاولة كلا شيء ، ولا حكم لها ولا اعتبار ، ولا أطالب بأي صورة كانت» .

---

(٢٦) ناتيلي ، ص ١٢٢ ورسالة فيصل إلى أخيه زيد في ١٢ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ . أوراق الأمير زيد (سليمان موسى ، ص ٤٣٧)

(٢٧) قدري ، ص ٩٨ .

وكان هذا الاتفاق يتألف من تسعة بنودٍ لم يذكر فيها صراحة، أن الغاية منه هي تأسيس دولة يهودية في فلسطين(٢٨) .

لكن لورنس أعطى وايزمن مسودة لترجمة شرط فيصل الأخير، وحذف منها (استقلال العرب)، وحرف في الترجمة وأخرج منها بعض الكلمات، فصارت ترجمتها كما يلي «إذا تأسس للعرب، كما طلبت في إعلاني الموجه إلى أمانة سر الدولة للشؤون الخارجية، فسوف أنفذ ما هو مكتوب في هذا الاتفاق، وإن حدثت تغيرات، فلست مسؤولاً عن الفشل في تنفيذ الاتفاق»(٢٩) .

وبالرغم من الشرط الذي وضعه فيصل، فقد وجد (وايزمن) في الاتفاقية قيمة دعائية لصالحه، وأضاف بيده (٤ جانفي / كانون الثاني /) بعد كلمة (إعلاني) حسب ترجمة لورنس، واحتفظ بالمسودة للاستعمال في المستقبل. ونشر وايزمن هذه الاتفاقية في جريدتي The Times و The Palestine Post بترجمة لورنس وحذف منها شرط فيصل المكتوب باللغة العربية سنة ١٩٣٦، أي بعد وفاة فيصل ولورنس(٣٠)،

---

(٢٨) انطونيوس، ص ٥٩٥. انظر الملحق وفيه نص الاتفاق وصورة شرط فيصل بخط يده، كما نشره عبد اللطيف الطيباوي في مجلة الاسبوع العربي ببروت، عدد (٥٣٩) ٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩٦٩.

(٢٩) Tibawi, P. 291.

ليس غريباً ان يحرف لورنس الترجمة ويحذف منها مالا يوافقه. فبالرغم من تدخله المستمر في أعمال وتفكير فيصل، فقد اعترف بأنه كان يزور البرقيات ما بين الحسين وفيصل وزيد، وأصبح يشك، انه أرسل من لندن برقيات كثيرة باسم فيصل الى زيد والشريف ناصر وهي من صنعه وليست من فيصل، لخدمة مصالح بريطانيا.

لورنس، ثورة في الصحراء، ص ٣٩١.

ناتيلي، ص ١٥٤ وكذلك Tibawi, P. 288-289

(٣٠) Tibawi, P. 291 و Hourani, P. 51 وانطونيوس ٣٩٦.

وانظر: Weizman, P. 306-309 و the Times, 10 June 1936.

يعزو انطونيوس وناتيلي وسليمان موسى وعوني عبد الهادي قبول فيصل باتفاقه مع وايزمن، إلى ثقته بلورنس، وإلى أنه لم يكن عارفاً بكل نوايا الحركة الصهيونية.

انظر: خيرية قاسمية، الحركة العربية في دمشق، ص ٩٦.

وانظر أيضاً: Jeffries, Palestine, The Reality, London, 1939 P. 249.

حتى لا يوضح أحدهما حقيقة الاتفاق، وشرط فيصل غير المنشور، لأسباب واضحة يبطل حق اليهود في هذا الاتفاق، الذي لم تنفذ شروطه التي ذكرها فيصل.

وهكذا لم تنته سنة ١٩١٨، حتى توصلت بريطانيا وفرنسا إلى اتفاق شفوي يعدل اتفاقية سايكس ـــ بيكو لصالحهما، بالإضافة إلى اعتراف مبدئي من فيصل، بحق الصهيونية برعاية اليهود في فلسطين والتحدث باسمهم، وانتهت رحلة فيصل الأولى إلى لندن، وهو حائر في خضم السياسة الدولية. وبدت ملامح التقسيم الفعلي للشرق العربي، وأصبحت إمارات التمزق لوحدة سورية واضحة، قبل أن يعقد مؤتمر الصلح في باريس[٣١].

وغادر فيصل لندن إلى باريس في ٩ يناير / كانون الثاني / ١٩١٩، ليجد الصعاب الحقيقية من قبل الحكومة الفرنسية، والعاملين بالدعاية لها من السوريين. ولم تكن هذه الصعاب مفاجئة لفيصل، فقد كان يعرفها، وصرح بها في سورية كما ذكرنا قبل مجيئه إلى أوروبا، كما عبر عن عدائه لفرنسا في لندن، وذكر في رسالة لأبيه في ١٢ ديسمبر / كانون الأول /، أن الفرنسيين لا هم لهم إلا ابتلاع سورية، وهي لا تكتفي

(٣١) عقدت اللجنة الشرقية البريطانية في لندن، جلسات كثيرة ما بين أكتوبر / تشرين الأول / وديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، للوصول إلى حل للأزمة بين العرب وفرنسا في سورية، ولدراسة الحلول في العراق وفلسطين والجزيرة العربية، وقدم كل من الحاضرين وجهة نظره ـــ (حضر الاجتماعات: لورنس، كرزون، مدير المخابرات العسكرية،هوجارث، الجنرال سمطس، بلفور وروبرت سيسل وغيرهم) ـــ واتخذت اللجنة في اجتماعي ١٦ و ١٨ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ عدة قرارات، فيها ما يتعلق بسورية، وهو أن بريطانيا ترغب في الغاء اتفاقية سايكس ـــ بيكو عن طريق المفاوضة، وخاصة المادة التي تعطي لفرنسا النفوذ في المنطقة (آ) وترغب كذلك في معاضدة فرنسا، في الحصول على مركز سياسي خاص في لبنان وبيروت والاسكندرونة، ومعاضدة فيصل والسوريين في إنشاء دولة عربية ذات استقلال ذاتي مع منفذ على البحر، وتفضل حل المسألة السورية على مبدأ تقرير المصير. ومن الأمور الجوهرية أن يكون لبريطانيا وحدها النفوذ في المنطقة (آ) و (ب). لكن كلمة اللورد كرزون في إحدى هذه الاجتماعات، تنم عن الروح العدائية نحو العرب ووحدتهم، وعن جوهر السياسة البريطانية، إذ قال «إننا قد نندم في المستقبل إذا ما قمنا بإنشاء دولة عربية كبيرة يحكمها رأس واحد، ولا يكون حل المصاعب بتشجيع الحسين على تحقيق ما يطمح إليه، ولكن بالأحرى يكمن في العكس تماماً».
F.O. CAB 27/24.

بما منحتها إياه اتفاقية سايكس ــ بيكو ، فهي تريد أن تحكم داخلية سورية ، وكرر نفس القول في نهاية رسالته لأخيه زيد في نفس اليوم ، إذ قال « ستقوم الحرب السياسية بيننا وبين فرنسا ، لأنها مظهرة لنا العداوة ، مع أنها أجرت كل الاحترامات بصورة رسمية وأعطتني وساماً ... ولكن من المحتمل أيضاً إعلان الحرب مع فرنسا .. كونوا على أهبة » ووصف فرنسا في رسالة أخرى إلى زيد في ٣١ ديسمبر / كانون الأول /، بأن فرنسا هي العقبة الكؤود أمامه[٣٢] .

ولقي فيصل في فرنسا ما توقع ، ووجد فيها العقبة الكؤود ، بل زاده خوفاً ما سمع وما رأى. فعلى الصعيد الرسمي ، أعلن بيشون وزير الخارجية الفرنسية في الجمعية العمومية الفرنسية في ٢٩ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ من جديد ، عن تمسك فرنسا بعلاقاتها التاريخية في سورية فقال « إن حقوق فرنسا في سورية ولبنان وفلسطين ، تقوم على التاريخ ، وعلى اتفاقيات ومعاهدات ــ فضلاً عن أن أهل البلاد يريدوننا ... ــ وأن اتفاقياتنا مع بريطانيا ، تربط بيننا وبينها ، والحقوق المعترف لنا بها أصبحت ملكاً لنا بالفعل »[٣٣] .

وأجاب كلمنصو في ١٣ ديسمبر / كانون الأول / اللجنة المركزية السورية ، التي عقدت اجتماعاً لبحث مستقبل سورية ، وقال كلمنصو ، إن فرنسا سوف تحافظ من خلال عملها التقليدي نحو سورية على وجهة نظر اللجنة المركزية السورية (وحدة سورية تحت حماية فرنسا) ، وسترعى مصلحتها الوطنية ، وتدافع عنها بكل قوة أمام الحلفاء ، وأن القضية السورية وحلها سيكون في يد مؤتمر الصلح[٣٤] . وكتب هريو (وزير سابق ومحافظ لليون) في ٢١ ديسمبر / كانون الأول /، في جريدة **L' Europe Nouvelle** ، عن علاقات فرنسا التاريخية بسورية ، وأن لها الحق في حمايتها. وعقدت

---

(٣٢) رسائل فيصل في أوراق الأمير زيد ، (سليمان موسى ، ص ٤٣٢) .

(٣٣) France, Journal officiel, Chambre des Deputés, Débats Parlamentaire, 2° Serie du 29 Dec 1918, vol Iv,P.3716.

عن زين ، الصراع ، ص ٢٢٨ .

(٣٤) D.F.Aff. Etr, Levant. 5 (6 Dec 1918) P. 158.

غرفة تجارة مرسيليا اجتماعاً في أول ديسمبر / كانون الأول /، أكدت فيه على حقوق فرنسا التاريخية في سورية، وبأن يكون لفرنسا وجود في شرقي البحر المتوسط، وذكرت أن علاقة مرسيليا بسورية تعود إلى القرون الوسطى وتجارتها فيها(٣٥). ونشرت جريدة France في ١٤ ديسمبر / كانون الأول / مقالاً عن القضية السورية، (بقلم دبلوماسي) قالت فيه، إن الدماء الفرنسية التي أريقت في اليونان هي سبب نصر الانكيز على الأتراك في فلسطين والعراق، وإلا لكانت اليونان عشاً طيباً للغواصات الألمانية، وعندها، كيف يكون حال الانكيز في فلسطين والعراق! ويجب أن تكون سورية مكافأة عادلة لجهد فرنسا في سالونيك، مثلما رفضت بريطانيا إرجاع قبرص لليونان(٣٦).

ونشرت جريدة L' Europe Nouvelle مقالة لجورج سمنة (سوري من قيادة اللجنة السورية المركزية في باريس) في نفس العدد السابق يهزأ بها بفيصل فقال «L' Emir Faycal devint alors commandant en chef d' une des armèes livrèes par son père pour defendre les civilisations et la libertè du monde»(٣٧). أصبح فيصل: (قائداً لجيش من جيوش والده التي أعدها للدفاع عن الحضارات والحرية في العالم).

وفي باريس سمع فيصل بأذنه، غضب الحكومة الفرنسية منه، ومن السياسة الإنكليزية، التي تعمل ضد فرنسا في سورية، وتدس عليها الدسائس. فقبل افتتاح مؤتمر السلم في باريس زاره جين غو (Gout)، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية، وأبلغه أن عدم اهتمام فرنسا به لم يكن نسياناً، وإنما تجاهلاً متعمداً، وأن فرنسا مازالت تعتبره سائحاً، وأنها لا تعترف للنبي بما أعطاه له من تأكيدات، وأن الانكليز يتلاعبون به كما يشاؤون، وأن فرنسا دولة قوية، وأنه كلما أصم أذنيه عن دسائس بريطانيا ضد فرنسا في سورية والعراق، كان ذلك خيراً له... وأن اللنبي، إذا كان قد اعترف لك

(٣٥) Ibid, (2 Dec) P. 126 et F.O. 371 /3386/ (30 Nov) P. 130 et (4 Dec) P. 132.

(٣٦) F.O. 371 /3421/ No 209798

(٣٧) F.O. 371 /3386/ P. 220.

بوجود جيش عربي في سورية، فهو كاذب[٣٨]. رد عليه فيصل قائلاً «إعلم أن والدي لم يحارب الأتراك، لأجل أن تتجزأ بلاده، وتغدو طعمة للأغيار، ولاتحسبوا أنني أخاف قوة فرنسا وشديد بطشها، فأسلمكم بلادي... ولا تظن أنني أميل إلى انكلترا أو غيرها فيما يختص بمنفعة بلادي، بل كن مطمئناً من هذه الجهة. ولقد أعطتني الحكومة الانكليزية قولاً صريحاً بتخلية العراق، إنني عدو لمن يخالف سياستنا الوطنية ويعارضها فيها، أكان ذلك المعارض انكليزياً أو فرنسياً»[٣٩].

علم لويد جورج عن طريق لورنس بهذه المقابلة، وحدث بينه وبين كلمنصو وبيشون جدل حول تمثيل العرب، وكان بيشون يرى أن الحجاز دولة مازالت في طور الولادة، وليست بلداً مستقلاً ذا سيادة، فأجاب لويد جورج بأن انكلترا وفرنسا اعترفتا بالحجاز دولة مستقلة وتقرر في جلسة ١٧ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩، أن يمثل الحجاز ممثلان عنه، وكان ذلك ضد رغبة بيشون. وأبلغ لورنس بهذا القرار فيصلاً الذي كان متشائماً من مقابلته مع غو، ومقتنعاً بأن فرنسا سترفض تمثيله للحجاز، ففرح جداً واعتقد أنه سيكسب المعارك المقبلة[٤٠]. لكن هل قدر أن وجود ممثلين، واحد للحجاز والآخر للعرب عامة، (كما ذكر قدري أحد أعضاء الوفد مع فيصل)[٤١]، هو فصل للحجاز عن قضية العرب، التي ستكون سورية هي القضية الهامة فيها.

سيطرت على المؤتمر الدول الكبرى، وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وكان المؤتمر حقاً مؤتمرها، وبعد انسحاب الولايات المتحدة فيما بعد، أصبح المؤتمر مسرحاً مفتوحاً تلعب عليه بريطانيا وفرنسا الأدوار الرئيسية للسياسة العالمية، رغم عدد أعضائه البالغ سبعاً وعشرين دولة.

---

(٣٨) Lawrence (letters) PP. 273-274.

(٣٩) رسالة فيصل إلى أبيه بتاريخ ١٩١٩/١/١٩ (أوراق الأمير زيد) سليمان موسى، ص ٤٦٤.

(٤٠) Lawrence (lettres) P. 274.

(٤١) رأس فيصل وفد الحجاز، وكان نوري السعيد، والدكتور أحمد قدري، وعوني عبد الهادي أعضاء مساعدين له، كما عين محمد رستم (بصفته دارساً للحقوق السياسية) مندوباً ثانياً.
قدري، ص ١٠٢.

دخل فيصل المؤتمر وهو عارف بموقف فرنسا وبريطانيا من القضية العربية، ولكنه كان يأمل بمساعدة الولايات المتحدة، وكان ينتهز كل فرصة للالتقاء بالوفد الأمريكي، لدعم القضية العربية، تحقيقاً لمبادىء ولسن الرئيسية في تقرير المصير. وكان الكولونيل هاوس (House)، مساعد الرئيس ولسن ومندوبه الخاص، أقوى شخصية في الوفد الأمريكي. وقد شعر نحوه بالاطمئنان(٤٢). ووصف (وسترمان) عضو الوفد الأمريكي ،فيصلاً بأنه رجل شاب ذو نبالة مؤثرة في ثيابه العربية الطويلة، عندما ترأس الوفد العربي في مؤتمر الصلح(٤٣).

ويبدو أن فيصلاً قد تحددت بوضوح لديه فكرة (دولة سورية)، أكثر من أي وقت مضى، بعد أن تيقن أن لا أمل مطلقاً في إقامة دولة عربية واحدة، لما رآه من عزم بريطانيا وفرنسا على تنفيذ اتفاقية سايكس ــ بيكو المعدلة. وظهرت هذه الفكرة لديه، سواء في المذكرة التي قدمها إلى مؤتمر الصلح في الأول من جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩، أو في الكلمة التي عرض بها القضية العربية أمام المؤتمر في السادس من ففريه / شباط / من العام نفسه. وكانت (دولة سورية) في ذهن فيصل كما طرحها في المناسبتين، منبثقة عن أمرين هامين:

الأول: أن من الصعب إقامة دولة عربية واحدة تضم البلاد العربية، بسبب الاختلاف الاجتماعي والاقتصادي الكبير بين هذه البلاد، بشكل يصعب تحقيقه، ولذا فإن قيام دول منفصلة يكون نتيجة طبيعية لهذا المفهوم، ومن ضمنها (دولة سورية)، فهو يقول في مذكراته «إن المناطق العربية المختلفة في آسيا، سورية والعراق والجزيرة والحجاز ونجد واليمن، تختلف اقتصادياً واجتماعياً اختلافاً كبيراً، مما يجعل ضمها في إطار حكومة واحدة أمراً صعباً لا يمكن تحقيقه»(٤٤)

(٤٢) نفس المصدر.

كان لورنس يرافق فيصلاً كمترجم، ويلبس مثله اللباس العربي الفضفاض. وكان كلمنصو والوفد الفرنسي، يشعرون بالغيظ الشديد نحوهما.

(٤٣) Colonel House, P. 153.

(٤٤) المذكرة وكلمة فيصل موجودة في:

←

ومن هذا المنطلق، طالب فيصل بإقامة حكومات عربية مستقلة في سورية، والعراق، والحجاز، ويبدو أنه لم يدخل نفسه في عرض قضية اليمن ونجد، لوجود حكام فيها، ولا علاقة للثورة العربية بهما.

وركز فيصل على (سورية) بالذات بين المناطق العربية لإقامة دولة فيها، لأن سكانها متقدمون سياسياً، بحيث يستطيعون المضي وحدهم إذا حصلوا على مساعدة فنية، ومشورة من الدول الأجنبية. لكنه أصر على (استقلال) سورية، ورفض أن تكون هذه المساعدة مقابل التنازل عن حريتها.

الثاني: أنه قامت ثورتان، لا ثورة واحدة، ثورة عربية قادها والده الحسين، وثورة (سورية) قادها بنفسه بصفته عضواً قديماً في جمعية (سورية)، ويقصد بها جمعية (العربية الفتاة)، ولذا كان بنظره أمراً طبيعياً، أن تقوم دولة في سورية منفصلة عن الدولة العربية، لأنها في الأساس منبثقة عن ثورة سورية. ومن جهة أخرى أراد فيصل أن يعطي لنفسه صفة المواطنة السورية، حتى يصبح له حق شرعي في المطالبة بحكمها، وكأن إنتماءه لإحدى الجمعيات السورية كما يبدو له، سبب كافٍ لإضفاء صفة المواطنة السورية وتحوله عن المواطنة الحجازية. فهو يقول في مذكرته المشار إليها «قاد والدي الثورة لتوحيد العرب في أمة واحدة، وقدت الثورة السورية بصفتي عضواً قديماً في الجمعية السورية». إلا أن فيصلاً قد نسي أن الجمعية التي انتمى إليها لم تكن جمعية سورية بل عربية، وأهدافها الأساسية في الوحدة العربية والاستقلال العربي، لا في دولة سورية كما جاء صريحاً في شروط زعمائها للحسين، أثناء مفاوضاته مع مكماهون.

ويبدو أن فيصلاً لم يكتف بالمطالبة بإقامة (دولة سورية) منفصلة عن الدولة

Miller. D.H, My diary at the Conference of Paris 1918-1919. vol IV (New York 1924), PP. 297-299.

و Lloyd George: the truth about the peace treaties vol II PP. 1043-1044.

وأوراق الأمير زيد (رسائل فيصل لأبيه في ٢٩ جانفي / كانون الثاني / و ١٦ و ١٧ ففريه / شباط / ورسالة في ١٥ ففريه / شباط / لأخيه زيد) سليمان موسى، الحركة، ص ٤٧٠ ـــ ٤٧٢ وكذلك في: F.O. 371 /4180/ P. 304.

وانظر Zeine, the struggle, P. 303.

العربية ، بل زاد طواعية في تنازلاته أمام بريطانيا في خلق الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وأمام اصرار فرنسا على احتلال الساحل ، وكلا الجزئين من سورية . فلم يأت في بيانه على ذكر احتلال بريطانيا للعراق وفلسطين وسورية[٤٥] . وربما لم ير لسذاجته السياسية ، أن الصهيونية تشكل خطراً على وحدة العرب ، فقال بأن ليس بين الشعبين العربي واليهودي من فوارق في الخلق والمزايا ، فالعرب واليهود مبدئياً شعب واحد . ولذا فقد استثنى فلسطين من الدولة السورية ، وطالب بأن تكون تحت وصاية دولة كبرى ، لرعاية التقدم والازدهار فيها . وهذا نفسه ما جاء في اتفاقية سايكس ــ بيكو بشأن فلسطين . فهو يقول «أما في فلسطين ، فإن غالبية السكان الساحقة من العرب ، واليهود يمتون بصلة نسب عرقية إلى العرب ، وليس بين الشعبين من فوارق في الخلق والمزايا ، فإننا واليهود مبدئياً شعب واحد . ومهما يكن من أمر ، فإن العرب لا يمكنهم تحمل مسؤولية الحفاظ على التوازن في حالة حدوث تصادم بين مختلف الشعوب والديانات في هذا الإقليم ... وهم يرغبون في فرض وصاية فعالة يتولاها وصي من الدول الكبرى ، طالما هناك إدارة حكومية تمثيلية محلية تكرس نفسها لرعاية الازدهار»[٤٦] . كما أنه لم يأت على ذكر لبنان ، ولا على ذكر الاحتلال الفرنسي للساحل السوري . وقد

---

(٤٥) بين مجموعة أوراق عوني عبد الهادي وثيقة ينفي بها مذكرة فيصل في ١٩١٩/١/١ نهائياً ويقول بان فيصلاً لم يتقدم الا بمذكرة في ١٩١٩/١/٢٩ . لأن في الأولى تجزيء للوطن العربي ووصاية لدولة اجنبية على فلسطين والعراق ، بينما في الثانية يطلب الوحدة والاستقلال لكل الأقطار العربية ويذكر سليمان موسى أن تاريخ مذكرة ١٩١٩/١/١ الموجودة في أوراق وزارة الخارجية البريطانية F.O. 608/92 يحمل تاريخ ٥ ففريه / شباط / في النص العربي ، وعلى الأرجح هي التي أشار إليها فيصل في الشرط الذي أضافه على الاتفاقية مع وايزمن ، وقد ورد اسم فلسطين في النص العربي عند تعداد أسماء الولايات العربية ، بينما هو مفقود في النص الانكليزي ، والمرجح أن النص العربي هو الذي تقدم به فيصل في ٦ ففريه / شباط / ١٩١٩ .
سليمان موسى ، الحركة ، ص ٤٦٨ .

(٤٦) نفس المصدر

لابد من ذكر ان الوفد الصهيوني تقدم إلى مؤتمر الصلح في الثالث من ففريه / شباط / ، مطالباً باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ووضعها تحت انتداب بريطانيا ، لتسهيل قيام هذا الوطن ، وتسهيل الهجرة اليهودية أيضاً ، على ان تصبح فلسطين يهودية ، بقدر ما هي انكلترا انكليزية .
انظر Weizman, P. 303.

وانظر نص مذكرة الوفد الصهيوني في Hurewitz, vol, 11, P. 45

يكون طلب فيصل فصل سورية عن الحجاز تلافياً للحجج، التي قد يدعيها المسيحيون المعارضون لوضع سورية تحت حكم الحجاز[٤٧]، وبالتالي عليهم في لبنان، وتلافياً أيضاً لدعم الفرنسيين لهم في موقفهم هذا. ولهذا لم يكن هناك من مبرر بنظره لفصل لبنان عن سورية، بعد أن يكون فصل حكم الحجاز عن سورية، قد أزال مخاوف اللبنانيين.

لكن المسألة السورية دخلت في طور جديد، بعد أن اقترح الوفد الأمريكي نظام الانتداب الذي كان القصد منه، أن تساعد الدول المتقدمة على تطوير الدول المتأخرة وتقدمها، حتى تصل إلى درجة معينة من الرقي، لتحكم نفسها بنفسها، ولم يستطع فيصل أن يعطي رأياً في تطبيق هذا النظام الجديد على الدول العربية، عندما سأله الرئيس ولسن إذا كان يفضل انتداباً واحداً أو أكثر للدول العربية، وأجاب بأن العرب، هم الذين يستطيعون إعطاء الجواب، أما هو فيفضل الوحدة (لا التجزيء)، وربما كان يقصد تفضيل انتداب دولة واحدة لا أكثر.

ثم تقدم الدكتور هوارد بليس (Bliss) رئيس الكلية الإنجلية في بيروت (الجامعة الامريكية الآن)، بدعم لفيصل والعرب الذين يعلقون آمالاً كبيرة على الوفد الامريكي، واقترح في ١٣ ففريه / شباط / أمام المؤتمر، إرسال لجنة من الحلفاء، أو من دول محايدة إلى سورية حالاً، لإعطاء فرصة للشعب في سورية ولبنان، ليعبر عن رأيه ورغباته السياسية وآماله، في أي شكل من أشكال الحكومات، هو راغب وأي دولة يريد انتدابها. وطالب أن يكون الاستفتاء حراً. وكان من رأيه فصل الدين عن الدولة. وحذر الرئيس ولسن من بعض السوريين الذين يعيشون في فرنسا، عندما

---

(٤٧) صرح الملك حسين لأمين الريحاني، بأنه يقبل بضم الحجاز إلى سورية سياسياً، ويكون تابعاً لها، وكرر ذلك مراراً.
أمين الريحاني. ملوك العرب، ج ٢، ص ٣٠٨.

سيتحدثون أمام المؤتمر، وقال إنهم لا يمثلون الفكرة السورية ولا الشعور الوطني(٤٨).

ولم يطل الأمر بهؤلاء السوريين، إذ تقدم في نفس اليوم (١٣ ففريه / شباط /)، شكري غانم، بناءً على طلب كلمنصو أمام المؤتمر، قائلاً إنه يتكلم باسم أكثر من مليون شخص عانوا العذاب والاضطهاد ــ ويقصد بهم المسيحين في سورية ــ وطالب لهؤلاء بالحرية، لكنه لا يقبل أن يكون تحرير سورية عن طريق الحجاز، كما أنه لا يرضى أصلاً أن تكون لها صلة بالحجاز، وعارض أن يتكلم فيصل باسم جميع الناطقين باللغة العربية وبإسم سورية. وبنى رفضه قيام علاقة بين سورية والحجاز، على أن مكة تبعد أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر عن دمشق. ونفى وجود صلات روحية أو تقارب ذهني، بين طبيعة السوري والحجازي، بين البدو وأهل الحضر. وتساءل إن كانت هنالك غالبية عربية في سورية تبرر مثل هذه الفكرة (ضم سورية إلى الجزيرة العربية). واستنكر ضم سورية إلى الجزيرة العربية، قائلاً بأن ذلك «افتئات صارخ على قدسية الأرض، التي أنبتت هذا الشعب وعلى تاريخه». ثم بدأ غانم يفصح عن غايته من كلمته، فطلب مساعدة دولة أجنبية لسورية، ولم تكن هذه الدولة في نظره سوى فرنسا، وبعد أن أضفى عليها كل الصفات الجميلة قال «إن فرنسا في نظرنا هي الدولة الوحيدة المؤهلة لإنجاز ما تصبو إليه نفوسنا، إنها ستكون المرشدة التي تتكلم لغة نفهمها، والتي ستوحدنا في مصيرنا المشترك»، ورفض غانم الاقتراح الامريكي القائل بإرسال لجنة استفتاء إلى سورية(٤٩). لأنه كان يعرف أن العرب في سورية سيرفضون فرنسا.

---

(٤٨) Laurnce Evans, United States Policy and THe Partition of Turkey, 1914-1924, Baltimore, 1965, P. 125.

Colonel House, P. 161 ,

(٤٩) Colonel House, P. 154.

كتب جورج سمنه زميل شكري غانم في الجمعية السورية المركزية «كيف نقبل بحكم مغلف بكثير أو قليل من الحجاز، وشعبه قبائل بدوية لم تتم أي تقدم منذ زمن محمد». وقال بأن فيصلاً يحلم بإنشاء امبراطورية عربية، مثل الامبراطوريات الأموية والعباسية.

George Samné, la Syrie, Paris, PP. 538-540.

←

لقد حاول غانم أن يعطي صورة مؤثرة عن تعلق السوريين بفرنسا، فتلاشت

← وتضافرت جهود كثير من السوريين وخاصة من المسيحيين في مصر وأمريكا، وإضافة إلى كثير من الصحف الفرنسية وغيرها، وطالبت مؤتمر الصلح باستقلال سورية، وفصلها عن القضية العربية (الحجازية)، وكان أنصار فرنسا من هؤلاء، يطالبون بانتداب فرنسا، وآخرون بانتداب أمريكا. وكان الدائرون في فلك الجمعية السورية المركزية، يطالبون بحماية فرنسا كجورج سمنه المذكور، كما أن اللجنة المركزية السورية نفسها، قد تقدمت بطلب إلى مؤتمر الصلح، عن طريق بيشون، يحمل كل رسائل وبرقيات اللجان السورية في العالم من (أصدقاء فرنسا)، تطالب بحماية فرنسا، وقد أعلنت عن رغبتها هذه على صفحات الصحف التي تصدر في بلادها.

D.F.Aff. Etr, Levant. 7 (19 Jan 1919) P. 285.

ومن هذا الاتجاه ما كتبه رزق الله أرقش (نائب رئيس لجنة الاصلاح في بيروت)، في ٢٠ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩، عن وجوب عدم ربط سورية بالعرب، لأن السوريين ليسوا عرباً، وقد فرضت عليهم اللغة العربية، بالاحتلال الاسلامي، وأن الحكومات الاسلامية تنقصها مبادىء الأخوة والمساواة والعدالة، لأن القرآن يأمر بالأخوة بين المسلمين فقط، وما دخول فيصل إلى دمشق إلا تعبيراً عن تعصب المسلمين له، وأن الاستقلال كلمة حلوة تحتاج إلى دعائمها ومقوماتها.

Ibid. Levant. 8 PP. 14-17.

ومن الجمعيات التي تستحق الاشارة هنا جمعية سورية الجديدة الوطنية في أمريكا، وكان رئيسها الدكتور جورج خير الله، وأمين سرها الدكتور فيليب حتي، وقد أرسلت هذه الجمعية إلى مؤتمر الصلح مذكرة تطلب فيها عدم عودة الحكم التركي على سورية قولاً وفعلاً، والاستقلال والوحدة لسورية من جبال طوروس حتى سيناء، ومن البحر المتوسط حتى الصحراء والفرات، ووضعها تحت وصاية الولايات المتحدة، حتى يتدبر السوريين أمرهم. وقد طبعت هذه اللجنة بطاقات يتعهد الموقعون عليها بتنفيذ أهدافها، والبطاقات مكتوبة بالعربية من فوق وبالانكليزية من تحت.

Ibid, Levant. 9 (12 Fev 1919) P. 205.

ومن الجمعيات الهامة أيضاً التي تقدمت إلى مؤتمر الصلح بمذكرة، هي حزب الاتحاد السوري في مصر، وكان رئيسه ميشيل لطف الله الذي أرسل إلى كلمنصو رئيس مؤتمر الصلح في ٤ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩، يطالب باستقلال سورية الطبيعية الموحدة دون أخذ اعتبار للفروقات الدينية، وأن تكون الديمقراطية اللامركزية هي أسلوب الحكم.

Ibid, P. 48 et Levant. 7 (10 Jan) P. 191.

ونشرت صحيفة le temps في ٢٤ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ و la Croix في نفس التاريخ، مقالات عن منح فرنسا حق بناء سورية. وأرسل حقي العظم كتابين إلى مؤتمر الصلح. وجريدة Al Havi في ٨ فقريه / شباط / ١٩١٩، يعترض فيها على الدعاية العربية الحجازية، ورفض الصهيونية، والطلب إلى مؤتمر الصلح بوحدة سورية، تقدمية وحديثة.

Ibid, Levant. 9. P. 170.

←

هذه الصورة من جراء التناقض الذي أوقع نفسه فيه. فبالإضافة إلى رغبته الجامحة في الانفصال عن مكة والحجاز، لم تكن مسافة الألف والخمسمائة كيلومتر، برهاناً على وجود علاقة أو عدمها بين شعب واحد، تفصل هذه المسافة بين طرفيه. وإن صح ذلك حسب زعم غانم، فإن فرنسا تبعد عن دمشق أكثر من بعد دمشق عن مكة، كما أن ادعاءه بأن السوريين يعرفون لغة فرنسا، غير صحيح، لأن لغتهم هي العربية باعترافه هو، إذ يقول «الناطقين باللغة العربية».

وبينما كان غانم يقرأ بيانه، ناوله (وسترمان) أحد أعضاء الوفد الأمريكي، الرئيس ولسن، ورقة كتب عليها بأن المتكلم هو شكري غانم، وأنه قضى ٣٥ سنة خارج سورية، وأنه قضى معظم حياته في فرنسا. ولذا بدا الرئيس ولسن غير مكترث بما يقوله غانم، بعد ذلك. ثم نهض عن كرسيه ويداه في جيبيه واتجه إلى الطرف الآخر من القاعة، وأخذ يتطلع من النافذة، مما أربك الفرنسيين وأزعجهم، حتى إن كلمنصو تطاول برقبته وأسر بكلمة إلى بيشون وزير خارجيته (وكان وسترمان وراءهما)، قائلاً بخشونه لماذا جئت بهذا الرجل إلى هنا، فأجاب أنه لم يكن يعلم أن سيعالج الأمر على هذا المنوال(٥٠).

← وإذا كانت الجمعيات الموجودة في فرنسا، أو العاملة لسياسة فرنسا، تطلب حماية فرنسا لسورية، فبدورها كانت الجمعيات الموجودة في بريطانيا ـــ وهي قليلة ـــ تتألف من السوريين القاطنين في بريطانيا، تطالب انكلترا ومؤتمر الصلح بسياسة مؤيدة لحكومة فيصل في سورية، أو بالاحرى لما تتظاهر به بريطانيا من تأييد للعرب. فطالبت اللجنة السورية في مانشستر، باتحاد سورية مع الأقطار العربية المجاورة، كما طالبت جمعية لندن السورية بوحدة العرب وأهدافهم وتحقيقها، وتثني على الحسين، وتدعو الله كثيراً كي يعينه، وذكرت على ذلك مثال حلف الفضول، وأن أحفاده هم يحررون سورية.

F.O. 371 /3410/ No 133865 et 135147.

و D.F.Aff, Etr, Levant, 7, 9 Jan 1919, P. 172.

وكانت بعض الجاليات السورية والفلسطينية في تشيلي، تسير في نفس الاتجاه، فبعضها يطالب بوحدة عربية، وبعضها بتوحيد سورية مع مصر تحت الحماية البريطانية، وبعضها بوحدة سورية مع لبنان.

D.F.Aff. Etr. Levant, 6 (17 Dec 1918) PP. 45-48.

(٥٠) Papers relating to the foreign relations of the Uinted States vol. III PP. 1024-1038.

سأل المستر Meosley (من الوفد الأمريكي) عن تشكيل اللجنة الادارية للجمعية المركزية السورية، فأجاب ←

وحتى نهاية كلمة غانم أو بليس أو فيصل، فإن تجزيء سورية لم يطرق أمام المؤتمر، حتى تقدم أحد أعضاء مجلس الإدارة في لبنان (داوود عمون) أمام المؤتمر في ١٥ ففريه / شباط /، يطالب باسم مجلس إدارة لبنان باستقلال لبنان عن سورية ووضعه تحت الانتداب الفرنسي(٥١).

ويبدو أن فرنسا نفسها، لم تكن راضية عن هذه القضية (انفصال لبنان) في ذلك الوقت، لأنها بالوحدة السورية تبقي نسبة المطالبين بها والراضين عنها من مجموع السوريين كبيرة نسبياً. وفي هذه الحالة قد تجد مبرراً أمام بريطانيا وأمريكا، لمطالبتها بانتدابها على سورية. أما في حالة فصل لبنان ـــ وهي ضامنة أنه سيطلب انتدابها في كل الأحوال ـــ فإن نسبة المطالبين بالانتداب الفرنسي من سكان سورية (الفيصلية)، تكاد تكون معدومة. ثم إنه لمن الأسهل عليها أن تقوم بإدارة واحدة على البلدين، وبذلك ترضي فيصلاً والعرب والمسلمين في سورية.

وقد استهجنت جريدة Le Temps تقسيم سورية، وقالت إن هذا يعود بالضرر

هارم زورو، بأنها تتألف من مسيحيين أرثوذكس غريك، وغريك مالشت، ومسلم، وماروني، وعبري، وتدعي أنها تمثل اللجان اللبنانية في أمريكا وأوروبا واستراليا، وتدعي أنها تمثل السوريين في كل بقعة في العالم.
F.O. 371 /4179/ (2 Apr) P. 385.

(٥١) D.F.Aff, Etr, Levant. 10 (22 Fev) P. 38.
ومحمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، بيروت، ١٩٥٠، ج ٢، ص ٤٤.
رغم أن شكري غانم لم يطالب بفصل لبنان عن سورية، فقد طلب من رئيس الجمهورية الفرنسية وسام الشرف legion d' honneur لداوود عمون. ومن الأمور الطريفة، أن اللجنة اللبنانية في باريس، طلبت من مؤتمر الصلح الاستقلال، رافضة ما قاله فيصل مندوب الحجاز، وكذلك ما قاله شكري غانم العامل للدعاية الفرنسية، فاحتجت اللجنة المركزية السورية على هذه اللجنة، ووصفتها بأنها دزينة من السوريين واللبنانيين. واحتجت في نفس الوقت على مطالب فيصل في مؤتمر الصلح. ثم أرسل الاتحاد اللبناني في مصر ـــ ورئيسه أديب أوغست ـــ رسالة إلى الاتحاد اللبناني في فرنسا قائلاً «نحن نحب فرنسا أكثر مما تحبونها، لكننا نحب وطننا أكثر وهي تريد ذلك». ثم هنأ الاتحاد السوري في مصر الاتحاد اللبناني في فرنسا على مطالبته باستقلال لبنان استقلالاً تاماً (دون حماية فرنسا).
D.F.Aff. Etr. Levant. 10 (28 Fev) P. 83 et Levant. 9 (14 Fev) P. 229, 295 (18 Fev) et (14 Fev) P. 123 et 125.

←

على اللبنانيين، لما يقع من خلاف بين لبنان وسائر سورية. وكتبت جريدة La Croix في ٢٤ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، مقالاً بعنوان المسألة السورية، ضد تجزئة سورية[٥٢]. ولم تكتب الصحف الفرنسية ما يشير إلى مطالبتها أو تأييدها لتجزيء سورية، وكان كل الذين يطالبون بحماية فرنسا على سورية، يطالبون بهذه الحماية على كل سورية.

ودخلت مسألة سورية في جدال طويل بين فرنسا وبريطانيا، بحثت فيه الاتفاقات البريطانية والفرنسية والعربية. وكان الجدال الذي دار في ٢٠ مارس / آذار / أهمها، حيث أصر لويد جورج على اتفاق الإنكليز مع العرب، وعلى أن سورية الداخلية وفيها المدن الأربع تكون تحت إدارة عربية، حسب مراسلات الحسين ــ مكماهون، وأن الحسين قد قدم كل إمكاناته في سبيل النصر، وأن بريطانيا جندت ٩٠٠ ألف في جبهة سورية، ولولا ذلك لما سمع أحد بقضية سورية. ورفض لويد جورج تعديل اتفاقية سايكس ــ بيكو، إلا بما يخص فلسطين والموصل. وأنكر بيشون معرفة فرنسا بالاتفاق مع العرب، وأن ذلك حدث مع بريطانيا وحدها، وأنه لا توجد اتفاقات بين فرنسا والعرب، وطالبت بانتداب فرنسا على سورية كلها كمنطقة واحدة. وعارض بيشون تقسيم سورية لأنها تشكل وحدة، فرفض لويد جورج ذلك، كما رفض فكرة انتداب بريطانيا على سورية، حتى لا يقال أن بريطانيا أخرجت فرنسا منها، وذكر حقوق فرنسا في الساحل كما جاء في إحدى رسائل مكماهون للحسين، وأن اللنبي أخرج فيصلاً من بيروت بناءً على ذلك، كما أن اللنبي رفض أن يحتل فيصل فلسطين والعراق، تنفيذاً لرسائل مكماهون المذكورة. وكانت نتيجة هذا الجدال مزيداً من الفوضى والإبهام، حتى إن الرئيس ولسن خرج من هذا الاجتماع، يصب اللعنات

---

(٥٢) F.O. 371 /3786/ 24 Dec, PP. 223-224.

وجريدة المقطم، عدد ٩٠٩٦، ١٢ فبراير / شباط / ١٩١٩.

أرسل شكري غانم يطلب من الحكومة الفرنسية، أن تحفظ وحدة سورية، فأجابه كلمنصو بأن فرنسا تتبع مصالحها في سورية أولاً، ثم اتفاقها مع الحلفاء، ولهذا فسيدرس الموضوع ككل في مؤتمر الصلح.

the Times, No 419707, 11 Dec, 1918. P. 7.

على كل ما حصل، وقال إنه لم يفعل شيئاً سوى الكلام لمدة ٤٨ ساعة، وأظهر استياءه من القضية كلها، إلا أنه بقي مصراً على إرسال لجنة الاستفتاء إلى سورية(٥٣).

أما فيصل الذي كان ينتظر بشوق صدور قرار بإرسال اللجنة، فقد كان دائم السعي لدى الوفد الأمريكي لذلك، وكان يظن أن في إرسال اللجنة إلى سورية، إنقاذاً لها من الفرنسيين، إما بالاستقلال، أو بالانتداب الأمريكي، أو البريطاني. حتى إن الرئيس ولسن طمأنه مرة، بأن حقوق العرب ستصان، وقال له «لن تروا في بلادكم أبداً أعمالاً للاستعمار باسم المشورة أو خلافها، وإذا أحوجتكم المشورة فستكون بناءً على رغبتكم وموافقتكم»(٥٤).

واستطاع الرئيس ولسن، أن يحصل على موافقة بريطانيا وفرنسا في ٢٥ مارس / آذار / ١٩٢٠، على تعيين لجنة لإرسالها إلى سورية. لكن بريطانيا وفرنسا، أخذتا تسوفان في تسمية أعضائهما في اللجنة، وكانت كل واحدة تحتج بالأخرى. فبريطانيا لا تقبل بالاشتراك في اللجنة، حتى تعين فرنسا أعضاءها، وفرنسا لا تقبل، حتى توافق بريطانيا على تعيين مسؤولين فرنسيين في المنطقة الشرقية، حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو(٥٥). واستمرت القضية على هذا المنوال، حتى اضطر الرئيس ولسن

---

(٥٣) Evans, P. 141 و Zeine, the struggle, P. 93.
و Papers relating to the foreign relations of the Uinted States, the Paris Peace conference 1919, vol. V, PP. 1-14.
و D.F.Aff, Etr, Levant 11 (20 Mars) 1919, PP. 52-57.
وفيها ما دار من أحاديث في الاجتماع المذكور.

(٥٤) قدري، ص ١٠٥، انظر المنار، مجلد ٢١، ج ٤، ٢٨ جوان / حزيران / ١٩١٨، ص ٢٠٤.

(٥٥) Jefries, P. 276 و Colonel House, P. 161 و F.O. 371 /4139/ P. 272
نشرت جريدة le Temps في ٦ أبريل / نيسان / مقالة شديدة ضد إرسال لجنة الاستفتاء إلى سورية، وضد قرار مؤتمر الصلح بتشكيلها، وقالت بأنه ما من أحد يحتج على حقوق فرنسا في الانتداب على سورية، وأن القول المزعوم أن فرنسا تريد أن تستعمل نفوذها في سورية، لتعارض الصهيونية في فلسطين، هو كلام أطفال بعيد عن الحقيقة.

←

أن يتخذ قراراً في ٢٥ ماي / أيار / بإرسال الأعضاء الأمريكيين فقط(٥٦).

وكان إرسال اللجنة إلى سورية، يعد بحد ذاته مأزقاً بالنسبة لفرنسا وبريطانيا والصهيونية، لأن فرنسا تتوقع رفض السوريين لها، وبريطانيا تتوقع رفض العرب للصهيونية في فلسطين، وبالتالي لها، فلم يكن في مصلحة أحد منها إرسال اللجنة، ولذلك أخذت بريطانيا خلال مرحلة التسويف هذه، على عاتقها للتوفيق بين فيصل وفرنسا، حتى يغض النظر نهائياً عن إرسال اللجنة، فاستخدمت لورنس لهذه الغاية، فنصح فيصلاً بمقابلة كلمنصو قبل أن يعود لسورية. وكان لورنس قد جس نبض الفرنسيين عن رأيهم بالاتفاق مع فيصل، وشعر برضاهم(٥٧). وقبل فيصل نصيحة

F.O. 371 /4179/ P. 430. →

وكتبت thr Times في ٤ أبريل / نيسان /، أن مؤتمر الصلح عقد اجتماعاً البارحة بين الأربعة الكبار، (بريطانيا، فرنسا، أمريكا، إيطاليا)، لبحث مستقبل سورية والجزيرة العربية. والفكرة هي إرسال لجنة إلى سورية، وأن فرنسا سوف تناقش القضية مع بريطانيا، عن سياسة الحكومتين في كل أجزاء المنطقة السورية، والمسؤوليات التي تتخذها القوى، وأن جريدة Temps ذكرت أنه يجب أن يؤخذ رأي فيصل مرة ثانية عن وجهة نظره، ووجهة نظر (المحمديين) الذين يدعمون حكمه.

Ibid, P. 465.

اعترضت اللجنة المركزية السورية على إرسال لجنة إلى سورية، وطلبت إعطاء الانتداب فوراً إلى فرنسا، وطالبت بإنهاء الاحتلال (الحجازي). وقالت أن قرار مؤتمر الصلح بإرسال لجنة هو ضد الانسانية والعدالة ومصالح فرنسا، وتسيء إلى العلاقات بين الحلفاء، وتجعلها خطيرة. كما وصفت جريدة Echo de Paris، أن إرسال اللجنة هو تجربة خطيرة، كما اعترضت le Temps في ٢٣ مارس / آذار / على إرسال اللجنة، لأن المواطنين في سورية ليسوا أحراراً في الاختيار، لأنهم خاضعون لأنظمة الاحتلال العسكري. وكتبت جريدة Dépêche de Toulouse الواسعة الانتشار، بوجوب ابقاء الموصل تابعة لسورية.

Ibid, (23 Mars) PP. 302-303 et (25 Mars) P. 316.

(٥٦) Colonel House, P. 162.

(٥٧) أرسل روبرت دوكي رسالة إلى بيكو في ٢٧ مارس / آذار /، تحدث فيها عن لورنس المستعرب، وأنه رافق فيصلاً بعد الغداء مع ستيد Steed، وقال لورنس بأن لبنان وحوران (الدروز) يتطلبان حكماً ذاتياً، وأن فيصلاً سوف يطلب المساعدة الفنية من فرنسا، واقترح لورنس تقسيماً للمنطقة. وقال دوكي بأن اتفاقاً مع فيصل يخدمنا، وطلب تأخير رحيل فيصل، وألح على الانكليز أن ينصحوا فيصلاً بالتقرب من فرنسا، وأن هذه السياسة ستكون جيدة، لأننا نقسم البلاد إلى مناطق إدارية، وبذلك نقيد فيصلاً. وسوف يتبع ←

لورنس بمقابلة كلمنصو، وتم الاجتماع فعلاً بين الطرفين في ١٣ أبريل / نيسان / ١٩١٩، وكان لورنس حاضراً كمترجم. ولا شك أن سورية كانت هي موضوع الحديث. فالفرنسيون يريدون احتلالها بدلاً من القوات الإنكليزية، وفيصل يريدها مستقلة تحت حكمه، ويقبل فقط المساعدة الفنية من فرنسا. وجرى نقاش صريح بين كلمنصو وفيصل(٥٨)، أظهر كل طرف مطالبه علناً. فكلمنصو يريد أن يكون لفرنسا (أثر) في سورية حتى ترضي كرامتها ولا يلحقها العار، وذلك بإحلال جندها محل الجند الإنكليزي، ورفع علمها على سورية. ومن الغريب أنه يسمي هذا رداً لكرامة فرنسا، ولا يسميه استعماراً كما هو فعلاً. ولنسمع إلى الحوار الذي دار بينهما كما سجله ساطع الحصري، فقال كلمنصو «إن الجنود الإنكليز سينسحبون من الشام وحلب، وإني أود أن تقوم عساكرنا مقام العساكر الإنكليزية هناك» فأجاب فيصل «أنا لا أستطيع الموافقة على هذه الفكرة، فسورية لا تحتاج إلى عساكر أجنبية، وإذا احتاجت فإنها لا تتأخر أن تطلبها منكم» فرد كلمنصو «أنا لا أود احتلال البلاد، وإنما أقول ذلك نظراً للحالة الراهنة، فلو كان الأمر راجعاً إلي لما كنت اختلفت معكم دقيقة واحدة، بل كنت أتفق معكم على ما تريدون. غير أن الأمة الفرنسية، لا يرضيها أن

← العلويون نظام دروز حوران بسهولة، وسوف يكون الجو ملائماً أمام اللجنة وأمامنا «وسوف أقابل بيكو وأسأله إن كان له نفس الرأي بفيصل».

D.F.Aff. Etr. Levant 11, PP. 131-136.

اقترح لورنس على كلمنصو في ٧ أبريل / نيسان / حلاً للمسألة السورية، بأن تكون فرنسا في الساحل وبريطانيا في الساحل الجنوبي من سورية، وفيصل في الداخل حتى درعا والعقبة، ويكون لفرنسا حق إرسال المستشارين إلى سورية من درعا والشمال، ولبريطانيا نفس الحق من درعا والجنوب، ويجب دعم فيصل مادياً حتى تستقر الجمارك، وذكر أن وجهة نظر فيصل هي في أن تكون سورية موحدة، من اسكندرون حتى العقبة، بما فيها لبنان وفلسطين، و قال لورنس أنه لن تحمل سورية صفة حكم شعبي يناسب أكثرية سكانها، إذا وضعت تحت إدارة فرنسية مارونية، من طراز شكري غانم وما تحت، في حالة تنحية فيصل، وذكر بأن السوريين يطلبون تنفيذ تصريح فرنسا في نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨.

Ibid, PP. 248-249.

(٥٨) في مقابلة بين عوني عبد الهادي وخيرية قاسمية «ان فيصلاً كان مستعداً ان يمد يده لكلمنصو، الذي أعلن انه مع سورية وضد الاستعمار، لو كان (فيصل) واثقاً، ان كلمنصو سيبقى رئيساً لوزراء فرنسا إلى الأبد». قاسمية، ص ١١١ وانظر أيضاً Gountont Biron, P. 84 و Documents, P. 265

لايكون لها في سورية أثر يدل على وجودها فيها، فإذا لم تمثل فرنسا في سورية بعلمها وعساكرها، فإن الأمة تعد ذلك عاراً، كفرار الجندي من ساحة القتال. وأضاف، على أننا لا نود أن نرسل قوة كبيرة، بل نفراً قليلاً، ولا مانع أن يوضع علمكم إلى جانب علمنا»[٥٩].

ويبدو أنه تم في الاجتماع بحث أمور أكثر مما ذكر الحصري، إذا أخذنا برواية كلمنصو لهاوس عن هذا الاجتماع. فقد أخبر كلمنصو الأخير في اليوم التالي ١٤ أبريل / نيسان /، بمحادثته مع فيصل. وقال كلمنصو بأنهما جاءا ليتفقا على شروط الانتداب، وأنه تم الاتفاق بينهما، على أن تدفع فرنسا لفيصل مثلما تدفع بريطانيا له من معونة، وأن الجيش الفرنسي يرفع العلم الفرنسي على سورية، وترفع المؤسسات العلم العربي. ويقوم مساعدون فنيون فرنسيون بالعمل لمساعدة سورية. وأكد كلمنصو لهاوس تصميم فرنسا على عدم التخلي عن أي أرض سورية. لكنه مستعد للتخلي عن كيليكيا، إذا قبل الرئيس ولسن بالانتداب على الأرمن فيها ما عدا الاسكندرون لأنها جزء من سورية[٦٠]. وذكر فيصل في ٢١ أبريل / نيسان /، إلى الضابط البريطاني بالمر، أنه اتفق مع كلمنصو بناءً على نصيحة لورنس، لإقامة انتداب فرنسي على سورية، يكفل استقلالها، لكنه قال بأنه لم يقصد أن ينفذ هذه الاتفاقية، لأن السوريين ضد الفرنسيين بحالة عامة[٦١]. كان هذا القول أمام بريطاني، أما أمام الفرنسيين، فقد صرح عكس ذلك إذ ذكر لجريدة الماتان Matin، ما يناقض قوله السابق، بأنه اتفق مع كلمنصو، وبأنه مع كل السوريين، مقتنع بأن الدولة الأوروبية الوحيدةَ التي تدعم استقلال سورية، هي فرنسا، وقال إنه يبدو أن اتفاقية سايكس ـ بيكو التي تمزق سورية، قد انتهت، وأن فرنسا وسورية ستعمدان إلى إعادة وحدتها واستقلالها[٦٢]. كما أعلن فيصل عن ارتياحه لدى مقابلة كلمنصو في ١٣ أبريل

(٥٩) الحصري، يوم ميسلون، ص ١٠١.
(٦٠) Evans, P. 148
(٦١) F.O. 371 /4180/ PP. 323-324.
(٦٢) Ibid, P. 63 (de Temps)

/ نيسان /، وتصريح الأخير باستقلال سورية. وأعلن عن رغبته بالوصول إلى اتفاق كامل حول سورية، لكنه كان يصر على إرسال لجنة الاستفتاء، حتى نرى هياج العالم الإسلامي ضد الأطماع الإستعمارية، لكنه أبدى إخلاصه لفرنسا(٦٣). وتبادل فيصل مع كلمنصو عند عودته الكتب، فقد كتب إليه كلمنصو في ١٧ أبريل / نيسان /، مذكراً إياه بمقابلته في ١٣ منه، وكرر دعم فرنسا للحكم الحر ولإستقلال سورية، (وأرمينيا والعراق) حسب رغبات الشعب. وكرر عن تقديم فرنسا للمساعدة والمشورة إلى سورية، وأن الساعة قد حانت لقيام تعاون واتفاق بين فرنسا وسورية، لتأكيد روح محادثات ١٣ والانسجام الذي لا ينفصم(٦٤). وأجابه فيصل في ٢٠ منه يشكره على عواطفه واعترافه باستقلال سورية، كما طالب بإرسال لجنة الاستفتاء والاستقلال التام لسورية دون تحفظ، وأبدى سروره للإتفاق الذي تم بين الإثنين، وقال بأن السوريين يطلبون اعتراف فرنسا ودول أوروبا والولايات المتحدة باستقلال سورية، وفي هذه الحالة، فسوف يطلب المساعدة الفنية، وخلال ذلك تستطيع فرنسا أن تنمي أثرها في هذه البلاد. ثم أرسل رسالة أخرى في ٢٠ منه يشكره على مقابلته ويذكره أيضاً باللجنة(٦٥). وأرسل لورنس إلى كلمنصو رسالة في ١٩ منه، يقول فيها إن فيصلاً وجماعته مجانين بكلمة استقلال «ولو كنت مكانك لكتبت له رسالة أعترف فيها بالاستقلال كإعلان ٧ نوفمبر / تشرين الثاني /، ويمكن فتح الطريق أمام الخطوة التالية ... وأنت رئيس وزارة فرنسا، وفيصل ليس له أي مكان فعلي في سورية، وسوف تستفتى حكومات طرابلس وأنطاكية واللاذقية وصيدا، وسوف تكون هذه الحكومات مؤلفة من سوريين مع مستشارين فرنسيين، وليس ضباطاً فرنسيين» وطلب منه لورنس أن يوحد المنطقة الغربية والشرقية، ويكون لفرنسا نفس العمل في المنطقتين، ويتيسر بذلك حل القضية، وأن يعترف لفيصل بالحكم، وقال أيضاً إن جورج بيكو لن

---

(٦٣) D.F.Aff. Etr, Levant, 12 (14 April) PP. 22-25

(٦٤) Ibid, (17 April) P. 131 et Evans. P. 149-150.

(٦٥) D.F.Aff, Etr, Levant. 12, PP. 133-136.

يستطيع أن يقدم له شيئاً مثلما فعل هو باقتراحه هذا[٦٦]. وطلب لورنس كتم هذا الخبر كما فعل هو.

لكن هذا الاتفاق المبدئي بين فيصل وكلمنصو لم يكـن يقنـع المسؤولين الفرنسيين بصدق نية فيصل، ولذلك حذر وزير البحرية الفرنسيـة في ٦ أبريـل / نيسان / وزير الخارجية، بناءً على تقرير من كابتن بيزاني، بأن فيصلاً إذا لم يصل إلى اتفاق مع فرنسا، فسوف يسقط من جديد بين أيدي لورنس والضباط الإنكليز، إضافة إلى عملاء الولايات المتحدة، وعندها يبتعد عن فرنسا. واقترح تأخير سفره حتى التفاهم[٦٧]. وكانت الحكومة الفرنسية تتلقى أخباراً عن خطورة الموقف في سورية (من الكولونيل كوس)[٦٨]، ولهذا عمدت بجد إلى التفاهم مع فيصل. كما أن فيصلاً نفسه أرسل رسالة إلى أخيه زيد يخبره فيها بإمكانية اعتراف فرنسا باستقلال سورية، لكنه قال بأنه إذا عاد إلى سورية قبل لجنة الاستفتاء، فيكون ذلك دليلاً على أنه لم يحرز النتيجة المطلوبة مع فرنسا[٦٩]، وهو ماحدث. كما ذكر لورنس أن فيصلاً لم يتوصل إلى اتفاق مع كلمنصو قبل سفره[٧٠].

وهكذا كان لقاء فيصل مع كلمنصو، والتفاهم معه حول نقاط هامة عن مصير ومستقبل سورية، تحولاً في السياسة الفرنسية ــ الفيصلية، لكنه ظل بعيداً ولم يصل إلى درجة العلاقة ما بين فيصل والإنكليز، وظلت بعض النقاط دون تفاهم. ففيصل يطلب الاستقلال ويقبل بالمساعدة الفنية فقط، وكلمنصو يصر على أن تكون فرنسا وحدها التي تقدم المعونة المادية والمعنوية، حسب العلائق التاريخية بين البلدين، وهذه المعونة كانت تشمل إرسال جند فرنسي ورفع علم فرنسي. وفضل فيصل أن

---

(٦٦) Ibid, PP. 133-138.

(٦٧) Ibid, (15 April) P. 28.

(٦٨) Ibid, (6 April) P. 35.

(٦٩) رسالة فيصل في ٢٦ أبريل / نيسان / (أوراق الأمير زيد)، سليمان موسى، ص ٤٧٨.

(٧٠) برقية من بلفور إلى كلايتون في ٢٣ أبريل / نيسان /.
F.O. 608/92.

يرسل الفرنسيون مندوباً خلفه إلى سورية لمتابعة المفاوضات، لاضطراره مغادرة باريس، لكن كلمنصو رفض طلبه، لأنه كان يعتقد أن تبادل الرسائل، لا يفي بالغرض المطلوب[٧١].

وهكذا أجلت المباحثات حتى خريف ١٩١٩، وبقيت مسألة سورية معلقة بين الأطراف الثلاثة، فيصل، والإنكليز، والفرنسيين، لكن فيصلاً ظل يعتمد على إرسال اللجنة إلى سورية، وهو آخر ما طلبه في ٢١ أبريل / نيسان / من هاوس قبل عودته إلى سورية، كما وحذر من نشوب حرب فيها. ثم غادر باريس في ٢٣ أبريل / نيسان / عن طريق روما تلبية لدعوة الحكومة الإيطالية، التي أخذت تسعى لتوسيع نشاطها في سورية[٧٢]، ونزل ضيفاً عليها، وقابل ملك إيطاليا، كما زار البابا الذي حمله سلاماً خاصاً لأبنائه المسيحيين في سورية. وكان قد مر في طريقه ببروكسل وزار ملك البلجيك، ثم غادر ترانتو إلى بيروت بحراً، على متن طراد فرنسي، ووصلها في ٣٠ أبريل / نيسان /، وبقي محمد رستم الممثل الثاني في مؤتمر الصلح، مع عوني عبد الهادي الذي أنابه فيصل عنه، وأصبح أمين الكسباني السكرتير العام للوفد العربي في باريس، وهو المنصب الذي كان يشغله عبد الهادي قبل ذلك[٧٣].

---

(٧١) Evans, PP. 149-150.

(٧٢) منذ قرار إرسال لجنة الاستفتاء إلى سورية، أخذ الايطاليون يسعون لتوسيع نشاطهم، وطلبوا من الانكليز السماح لهم بفتح بنوك وقنصليات. «وهذا النشاط موجه ضد فرنسا».
F.O. 371 /4180/ (19 April 1919) P. 55.

(٧٣) قدري، ص ١٠٦.

الفصل الثالث

التحولات إلى الاقليمية
في أثناء غيبة فيصل

الادارة والحركة الوطنية

لقد ذكرنا سابقاً، أن رضا الركابي شكل حكومة في دمشق، تضم عناصر من مختلف الأقطار العربية، إيماناً بأن هذه الحكومة هي حكومة الدولة العربية الواحدة، لا حكومة سورية فقط. ومن ثم أتت معظم التشكيلات السياسية والإدارية الأخرى عربية أيضاً. فحل مجلس الشورى الذي كان قد عينه سعيد الجزائري، ورفض الاعتراف بأعضائه، وعين بدلاً منهم مجلساً آخر للشورى[1]، ضم رجالاً عرباً من مختلف الجهات، معروفين بالعلم والأدب والقانون، برئاسة عبد القادر المؤيد العظم. وبقيت مهمة هذا المجلس كما كانت أيام الأتراك، تتضمن إعداد لوائح القوانين والقرارات، وعرضها على الحاكم العسكري، الذي كان يحيل ما هو بحاجة إلى توقيع رئيس الدولة إلى فيصل، مع أنه لم يكن رئيساً شرعياً منتخباً. وكان هذا دلالة على رضى الجنرال اللنبي، المسؤول الأول عن سورية، وتمهيداً لاعتلاء فيصل العرش.

وكذلك أتت التشكيلات الإدارية عربية أيضاً، حيث ضمت رجالاً من مناطق سورية الثلاث، ومن العراق أيضاً، ولم تفرق الحكومة العربية في المعاملة والوظائف بين المواطنين، وقد تجاوزت الأديان والمذاهب المختلفة، وكانت تنظر إلى المواطنين على أنهم

(١) رفض أعضاء مجلس الشورى الذين عينهم سعيد الجزائري الاعتراف بشرعية الركابي، لكنه أخبرهم بأنه الحاكم العسكري بأمر القائد العام الجنرال اللنبي، وطلب منهم الانصراف فانصرفوا.
الحكيم العهد الفيصلي، ص ٣٩٠.

عرب دون الرجوع إلى شيء آخر، فكان مثلاً مجلس بلدية دمشق، يتألف من المسلمين والمسيحيين واليهود. وحدث نفس الشيء، بالنسبة للقضاة والمحافظين وموظفي الأمن العام[٢].

واشترك في خدمة الدولة العربية معظم الموظفين العرب، الذين كانوا يخدمون في الإدارة العثمانية، ممن كانوا في سورية، أو ممن أتوا إليها للاستفادة من خبرتهم السابقة. وحرص الجميع على أن يكون المثقفون، وخريجو المعاهد، وأهل الخبرة على رأس الدوائر. ولم يقصر المثقفون من أبناء البلاد، عن دعم الحكومة العربية في عملها التأسيسي الجديد. إلا أن هذه الإدارة العربية الجديدة، كانت في الواقع استمراراً للإدارة العثمانية، إلا ما تغير منها منذ البدء، وما كان له صلة وثيقة بالأتراك، كالعملة التركية، والألقاب، فاستبدلت بألقاب وأسماء عربية[٣].

ولم يتدخل اللنبي بالتنظيمات الداخلية، وترك للركابي الحرية في كل ما يقوم به، إلا بعض الأمور التي حرص على أن تكون تحت إمرته مباشرة، كالأمن العام، فقد عين لرئاسته الكولونيل جبرائيل حداد، وهو ضابط في الجيش البريطاني «ومن سورية أصلاً»، وكانت غاية اللنبي من ذلك، الاطلاع الدائم على ما يجري في سورية عن طريق ضابط بريطاني مباشرة، وإرضاء للعرب بتعيين واحد منهم في هذا المنصب، ورقاه إلى

(٢) من بين الاشخاص الذين تسلموا مناصب كبيرة في الادارة العربية: جعفر باشا العسكري والياً لحلب لشؤون الجيش والامن العام، وناجى السويدي من العراق أيضاً، والياً ادارياً على حلب، وشكري القوتلي (الذي أصبح رئيساً للجمهورية فيما بعد) من دمشق، مديراً للرسائل، وفرج الله طراد من بيروت، لرئاسة الادعاء العام في وزارة العدل، وابراهيم هاشم من نابلس (فلسطين)، رئيساً للنيابة العامة، ورشيد الحسامي من لبنان، واسحق بديري (للقدس) للتفتيش، وفؤاد وبهجة ومصطفى الشهابي من دروز لبنان وغيرهم.
نفس المصدر، ص ٣٦ــ ٤٢.
كما شكل الأمير زيد إدارة في الكرك (شرقي الأردن)، كمتصرف، ومساعد وأعضاء حكومة، ورئيس شرطة، ورئيس محكمة، وأعضاء محكمة، وكان المتصرف عبد الله الدليمي، ومساعدة الضباط الانكليز.
D.F.Aff. Etr. Levant. 5 (Sep 1918) PP. 225-6.

(٣) استبدلت الالقاب (بك، آغا، خواجه) بكلمات عربية كسيد واستاذ ومعلم، وأدخل التعامل بالعملة المصرية (الجنيه) بدلاً من العملة الورقية التركية، وأبقى التعامل بالعملة الذهبية والفضية التركية.
نفس المصدر.

رتبة جنرال، فصار يدعى (حداد باشا) حسب النظام العسكري التركي. كما كانت السلطة البريطانية تشرف أحياناً، على الصحافة والبريد والدخول والخروج من سورية وإليها[٤].

لم يكن المظهر العربي للحكم بفضل الركابي أو اللنبي، بل كان انعكاساً للجو العربي والروح العربية الوحدوية، التي كانت تخيم على دمشق، التي أصبحت كعبة الشباب العربي المثقف خلال الأشهر القلائل للحكم العربي. فقد توطنها من العراق، والحجاز، ولبنان، وفلسطين، وباقي أنحاء سورية[٥]، رجال لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ هذه الفترة، وتاريخ العرب المعاصر. وبوجود هؤلاء القادة والمفكرين في مدينة واحدة، حدث تطور اجتماعي وسياسي وثقافي، وأصبحت البلاد في حركة دائبة وحماسة وطنية.

(٤) قاسمية، الحكومة العربية في دمشق ص ٦١.

(٥) من العراق: ياسين الهاشمي الذي عين وزيراً للحربية في الحكومة العربية، وأصبح فيما بعد رئيساً للوزراء في العراق، جعفر العسكري، مولود مخلص، جميل المدفعي، ناجي السويدي، توفيق السويدي، طه الهاشمي نوري السعيد، تحسين علي، تحسين العسكري، وكانوا ضباطاً في جيش فيصل ودخلوا معه دمشق.
من سورية: هاشم الاتاسي، الذي أصبح رئيساً للوزارء في الحكومة الفيصلية، ورئيساً للجمهورية السورية فيما بعد، ابراهيم هنانو قائد ثورة الشمال ضد الفرنسيين، سعد الله الجابري، صبحي بركات، احسان الجابري، أحمد مريود، محمود الفاعور اللذان قاما بثورة ضد الفرنسيين في العهد الفيصلي، كامل القصاب رئيس اللجنة الوطنية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وزير الخارجية في حكومة فيصل، خالد الحكيم والثلاثة من حزب الاتحاد السوري في مصر، شكري القوتلي عضو جمعية الفتاة خير الدين الزركلي الشاعر المعروف، فوزي البارودي الوجيه الدمشقي. يوسف العظمة الذي أصبح وزيراً للحربية في آخر حكومة فيصلية، ساطع الحصري من حلب وكان وزيراً للتربية في العهد الفيصلي. جميل مردم بك العضو المؤسس للعربية الفتاة، وبعض زعماء آل الأطرش من الدروز.
لبنان: بهجة ومصطفى الشهابي من دروز لبنان، رضا الصلح الذي عين وزيراً للداخلية في إحدى الوزارات الفيصلية، عادل ارسلان، رياض الصلح الذي أصبح رئيس وزراء لبنان فيما بعد، رشيد طليع الذي عين مديراً للداخلية في العهد الفيصلي، سعيد طليع، توفيق الناطور، سعيد حيدر، فؤاد سليم (مدير الصحة) في العهد الفيصلي، سعيد عون، رشيد الحسامي...
فلسطين: الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، عوني عبد الهادي العضو المؤسس لجمعية العربية الفتاة وعضو الوفد الحجازي مع فيصل، عزة دروزة أمين سر المؤتمر السوري (الفيصلي)، سعيد الماضي، الشيخ عبد القادر الخطيب الذي رأس النادي العربي، أحمد حلمي، صبحي الخضرا، وكثير من آل التميمي والحسيني وغيرهم من مختلف المناطق.
انظر أسعد داغر، ص ١٠٥.

وتضافرت الجهود لبناء الدولة العربية الواحدة، وتنظيمها، وتوطيد دعائم الاستقلال والوحدة العربية. وبخاصة فإن قسماً منهم قد ناضلوا أيام الأتراك، وشاركوا في الثورة العربية، ورأوا أن حلمهم بدأ يتحقق في الحكم العربي في دمشق.

وكان الشعور الوطني قد رسخ في قلوب عامة الناس، ووصل إلى درجة عالية من الحماسة والتوقد، وكان شعوراً ممزوجاً بروح إسلامي، فكانت شوارع دمشق تمتلىء بعشرات الألوف من المتظاهرين، في المناسبات الوطنية، وكانوا يهتفون «دين محمد دين السيف»، ويطلقون آلاف الطلقات من الرصاص في السماء، وسط أجواء بالغة الحماسة. وكانت الفوضى تسود في البدء، إلا أن النظام ساد على مثل هذه التظاهرات، بعد جهود رجال الأحزاب والجمعيات الوطنية[٦].

وكانت أكثرية الشعب في سورية من أصحاب الدعاية العربية الوطنية، وكانت متطرفة بعدائها لفرنسا، لما كانت تسمع عنها من رغبتها في استعمار البلاد، ومحو اللغة العربية والإسلام[٧]. وكانت الجزائر والمغرب العربي مثلاً بليغاً لهم، إضافة إلى ما كانوا يعرفون عنها، رغبتها في حماية المسيحيين وتفضيلهم عليهم. وكان المسيحيون الأرثوذكس يعارضون فرنسا، ويخشون حكمها لسورية ولبنان، لأنهم (الأرثوذكس) يعرفون أن فرنسا سترعى الكاثوليك أفضل منهم[٨]. أما الدروز فكانوا غالباً ضد فرنسا، وكان

---

(٦) نفس المصدر.

(٧) ذكر فيصل في مقابلة له مع كلايتون في ١١ يوليو / تموز / ١٩١٩، وفي رسالة إلى الضابط السياسي الانكليزي في دمشق، أن رفض السوريين لفرنسا، عائد لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وأن فرنسا تستغل البلاد الواقعة تحت حكمها اقتصادياً، وأنها تقضي على كل المقومات الخاصة بالأمة، من لغة وشعور وعادات ودين، وهذا يعني الموت المؤكد للسوريين. وهي تظلم وتضغط على الشعب الواقع تحت حكمها (كلبنان الآن)، والسوريون يخشون من الأطماع القديمة لفرنسا في سورية، ويخشون أن تستعمرهم، وتحاول فرنسا أن تدخل قلب آسيا، وستكون سورية جسراً لها.
F.O. 371 /4182/ PP. 2-9.

(٨) في تقرير لمخابرات البحرية الفرنسية في ١٠ ففريه / شباط / ١٩١٩ عن سورية، أن الأرثوذكس في سورية الذين يموِّلهم الانكليز، يعملون بقوة لنشر دعايات ضد فرنسا.
D.F.G. 7N-1640, mote No 204, R 3 Part Said.

بعضهم يميل للإنكليز، منذ عهد محمد علي باشا. وكان بعض الجزائريين من أسرة عبد القادر، صديقاً لفرنسا. كما أن فرنسا استطاعت أن تستميل إليها بعض العشائر البدوية(٩)، عن طريق المال والاتصال المباشر وتخويفهم على نفوذهم من رجال العشائر الحجازية، ممن أتوا مع فيصل إلى سورية.

وكانت فرنسا تعتمد على فئات من المسيحيين الكاثوليك، وخاصة الموارنة في سورية ولبنان، وكان لها أيضاً فئة من المؤيدين بين المسلمين من طبقة الأغنياء والذوات، التي كانت تشكل أيام الأتراك الطبقة المتنفذة الحاكمة، والتي اعتادت أن ترى طبقات العامة تسير وراءها. فنقمت هذه الفئة على فكرة التحرر التام من كل مساهمة أجنبية، لأنها لا توفر لها مناخ الحكم والوصول إلى السلطة، وخاصة بعد ما رأت، أنه نزل إلى ميدان السياسة شباب من عامة الناس، حصلوا على درجات عالية من الثقافة والعلم، والذين ناضلوا ضد الأتراك وشاركوا في الثورة العربية، والتفوا حول فيصل ونادوا بالاستقلال التام، وحلوا مكان هؤلاء الذوات في الحكم. ولذا سعى الفرنسيون لإيجاد فئة من المسلمين تقبل بحكمهم. كما سعت هذه الفئة لصداقة فرنسا. وكان يتم اللقاء بين الطرفين سراً في دار الكولونيل (كوس)(١٠)، المعتمد الفرنسي، في دمشق. وكان عامة الناس يتهمون هذه الفئة بالخيانة وضعف العقيدة الوطنية. ومرور أسابيع قليلة على الحكم العربي، كان كافياً لزعزعة نفوذها وزعامتها التقليدية. وكانت اللجنة الوطنية (من عامة الناس)، تندد بشدة بالأعيان والأسر القديمة، حتى تلاشى نفوذها(١١).

---

(٩) Yale, P. 331.

كان الشيخ (مجحم) وأحد عشر شيخاً من قبيلة عنزة الكثيرة العدد في البادية السورية، موالين لفرنسا، وكانوا على صلة دائمة بضابط الاستخبارات الفرنسي في جزيرة (أرواد) القريبة من طرطوس.

Gountont Biron, P. 284.

(١٠) مقابلة شخصية مع صبحي العمري في صيف ١٩٧٠ الذي ذكر بأنه حضر احدى هذه اللقاءات. وفي مقابلة بين فيصل وبيكو في جوان / حزيران / ١٩١٩، ذكر فيها فيصل مايقوم به الكولونيل كوس، من دسائس بين الدروز وغيرهم ضد فيصل.

F.O. 371 /4181/ P. 352.

(١١) داغر، ص ١٠٩ وانظر: Kedurie, P. 159 و David, P. 21.

الأحزاب

وقد لعبت الأحزاب الوطنية، والجمعيات، والنوادي، والصحف، في هذه الفترة دوراً كبيراً في قيادة الجماهير، وطبعت هذه الفترة من تاريخ سورية بطابع عربي قومي، في طلب الاستقلال والوحدة العربية ومقاومة الفرنسيين.

وكانت جمعية (الفتاة) أهمها، وقد تأسست عام ١٩٠٩، واستمرت تعمل بجد ونشاط في قيادة سورية، إلا أنها خففت من طابع السرية على تنظيماتها، بسبب زوال الضغط والإرهاب، لكنها أبقت قيادتها سرية تخوفاً، من تطور الموقف السياسي العربي أو الأجنبي، الذي قد تضطر لمقاومته يوماً ما. وأسست في ٥ ففريه / شباط / ١٩١٩، حزباً للعمل السياسي، له نفس أهدافها ونظامها، ويكون مظهراً خارجياً لنشاطها، ودعته حزب (الاستقلال). ولذا فقد كانت الهيئة الإدارية (للفتاة) تقرر، وحزب الاستقلال ينفذ علناً، بالاتفاق مع الحكومة، وفيصل بصفته أحد أعضاء الهيئة ورئيس الشرف فيها[١٢]. وضم حزب الاستقلال معظم الرجال في دمشق، كفيصل، وزيد، والهاشمي، والشيخ كامل القصاب، والقوتلي، وهنانو، والركابي، والشهبندر، ويوسف العظمة... ويبلغ عدد من خاطبوا لجنة كنغ ــ كرين في الاستفتاء في جوان / حزيران / ١٩١٩ بـ (٧٥) ألفاً منه[١٣]. وظل هذا الحزب مسؤولاً عن قيادة سورية سياسياً طيلة العهد الفيصلي، إلا ما كان يخالفه به فيصل، وخاصة في الفترة الأخيرة من الدولة العربية. وعمل هذا الحزب على نشر المبادىء القومية، والاتجاه بالجماهير، نحو الاستقلال التام والوحدة العربية، وبعث النهضة الفكرية والاجتماعية[١٤].

(١٢) كانت الهيئة الادارية للفتاة تعمل ليلاً نهاراً (حسب تعبير قدري). وبعد تغيب رفيق التميمي في بيروت ورستم حيدر في باريس، تشكلت الهيئة من: سعيد حيدر، أحمد مريود، ياسين الهاشمي، عزة دروزة، شكري القوتلي، توفيق الناطور، أحمد قدري، ولم يكن الركابي فيها نظراً لاشغاله الكثيرة، ولعدم انسجام آرائه مع آراء اخوانه. وكانت الهيئة تستعين بفيصل رئيسها الأعلى، لتنفيذ الخطط المرسومة. قدري، ص ١١٦.

(١٣) عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، صيدا، ١٩٥٠، ج ١، ص ٨٩ ــ ٩١.

(١٤) تقرير من كورنواليس في ١٦ ماي / أيار / ١٩١٩.

←

وقام حزب الاستقلال بنشاط هام في أثناء غياب فيصل في أوروبا، رداً على ما كان يصل إلى البلاد من أخبار من مؤتمر الصلح، عن أطماع فرنسا في سورية. وأسس أعضاء منه، وعلى رأسهم الشيخ كامل القصاب، بالتعاون مع بعض الوطنيين من داخل الحزب وخارجه، (لجنة وطنية)، غايتها الدفاع عن البلاد، ووضعوا نظامها في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٩. وكانت هذه اللجنة من عامة الشعب، استطاعت أن تدخل بين طبقات الشعب جميعاً، وخاصة في دمشق، وأن تتسلم قيادتها، وعملت على توحيد آراء الناس لدعم الاستقلال، ومقاومة أطماع الفرنسيين. وجمع القصاب(١٥) زعماء الأحياء والتجار وأرباب الحرف والصناعات، من الشيوخ والشباب ورجال الدين وغيرهم(١٦). واستطاعت هذه اللجنة أن تمثل قطاعاً كبيراً على المستوى الشعبي، لدعم الحكم العربي في الاستقلال والوحدة، من وراء حزب الاستقلال ورجاله، الذين سماهم الفرنسيون «بالوطنيين المتطرفين». وكانت الندوات الشعبية والخطب والاجتماعات، تعقد بشكل مستمر في الأحياء، لتوضيح الموقف السياسي.

وانبثقت عن اللجنة الوطنية عدة لجان فرعية، اقتضتها الظروف الراهنة وهي:

١ ـ لجنة الدعاية للوحدة العربية، وضمت العرب من مختلف الأقطار، كالسوريين، والعراقيين، والحجازيين، واللبنانيين، والمغاربة، وكانت مهمتها بث فكرة الوحدة العربية، والتذكير بتاريخ العرب ومجدهم وفتوحاتهم وحضارتهم، أملاً في تحقيق الوحدة العربية عن طريق شد الجماهير وحشدهم حولها.

← F.O. 371 /4181/ PP. 117-118

وانطونيوس، ص ٤٠٤. وعزة دروزة، حول الحركة العربية ص ٨٩ ـ ٩١.

(١٥) انظر ملحق التراجم.

(١٦) الحكيم العهد الفيصلي، ص ٥٦ ـ ٥٧

هذا نص إحدى الدعوات بخط اليد «لحضرة صاحب المعزة... المرجو تشريفكم إلى دائرة البلدية يوم الثلاثاء الواقع في ١١ جمادى الأول ١٣٣٧ الساعة التاسعة زوالية قبل الظهر، للمذاكرة بأمور هامة تتعلق بالوطن ودمتم»

التوقيع رئيس البلدية ـ دمشق (الاسم غير ظاهر) ٩ جمادى الأول ١٣٣٧.

D.F.Aff. Etr. Levant. 10 P. 27.

٢ ـــ لجنة العمل للوحدة السورية : وكانت تتألف من السوريين ، واللبنانيين ، والأردنيين . وكان تأليفها رد فعل ضد تجزئة سورية بين فرنسا وبريطانيا ، كما ظهر في مؤتمر الصلح ، وحفاظاً على الأقل على وحدة سورية ، بعد أن تعثر أمل الوحدة العربية .
٣ ـــ لجنة الإخاء الوطني ، لحفظ الوحدة الوطنية بين مختلف طبقات الناس ومذاهبهم ، في وقت كان الفرنسيون يبذلون جهدهم للتفرقة بين الطوائف ، وخاصة في لبنان .
٤ ـــ لجنة الاحتفاء بالزائرين ، لتسهيل مهمة القادمين من الأقطار العربية وخاصة (لبنان ، ولإقناعهم بالمساهمة في القضية الوطنية ، وتفشيلاً لسياسة فرنسا في تخويف العرب بعضهم من بعض ، وخاصة المسيحيين من الحجازيين المسلمين .
٥ ـــ لجنة الدفاع عن الاستقلال ، وهي أهم هذه اللجان . وبدأت عملها فعلياً ، عندما توضحت الأمور في مؤتمر الصلح ، لتجزيء سورية والانتداب الأجنبي عليها . وكانت مهمتها جمع المتطوعين وإمدادهم بالسلاح والذخيرة من الجيش العربي ، أو عن طريق الشراء وخاصة من فلسطين . وكان القصاب نفسه ، يقوم على إدارتها ، وكان هدفها تحقيق الاستقلال التام ، ومقاومة فرنسا . وكان فيصل وكبار القادة ، يباركون هذا الاتجاه في سورية .

كما أن بريطانيا لم تخف ارتياحها لذلك[١٧] ، حتى تجبر فرنسا على تعديل اتفاقية سايكس ـــ بيكو لصالحها . لأنه لو قبل الوطنيون بمطالب فرنسا في سورية ، لما تزحزحت قيد شعرة أمام بريطانيا . وكانت الاجتماعات والمحاضرات تلقى تباعاً في الأحياء ، يقوم بها الزعماء والمثقفون والمسؤولون ، يحضون الناس على التطوع ، ووجوب الدفاع عن البلاد .

لكن لو عدنا إلى الهدف السياسي لجمعية الفتاة ، الذي قامت على أساسه ، لوجدناه «استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً ، بجميع معانية الحقوقية والسياسية ، وتأييد ذلك الاستقلال ، وجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية» ، كما جاء في المادة

(١٧) داغر ، ص ١٠٩ ، والحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ٥٧ ـــ ٥٨ .

الأولى من نظامها[١٨] . ولم يختلف هدف حزب الاستقلال عن ذلك، إذ كان يهدف إلى أن «تكون البلاد العربية المحررة، ذات وحدة سياسية مستقلة استقلالاً تاماً»[١٩] . إلا أن هذا المفهوم القومي الوحدوي أخذ يتدنى نحو المفهوم الإقليمي. وكان هذا التحول في حقيقته، انعكاساً للظروف السياسية، التي كانت تفرض على العرب في أوروبا في مؤتمر الصلح، والتي كان فيصل قد عانى منها، وقنع بعدم جدوى العمل للوحدة العربية، ونقل ذلك إلى المواطنيين، فقنعوا بالعمل للوحدة السورية، كمرحلة من مراحل الوحدة الوطنية، واللجان الفرعية، إذ أصبح هدفها العمل على الوحدة السورية. فقد جاء في المادة الثانية من نظام اللجنة الوطنية «اتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية، والزود عن استقلالها التام، ومقاومة كل مبدأ يرمي إلى تأسيس قومية غريبة، تهدد كيان البلاد السورية». وجاء في المادة الخامسة من نظام اللجان الفرعية التابعة للجنة الوطنية «لما كان القصد من الحركات الوطنية، توجيه كل قوى الأمة السورية نحو غاية مشتركة، وتوحيد السير نحو تلك الغاية»[٢٠] .

ولم يقتصر هذا التحول على اللجان الوطنية التي تضم معظم الوطنيين، بل شملت بقية الأحزاب أيضاً. فانقسم حزب العهد الذي أسسه عزيز المصري إلى حزب (العهد السوري) و (العهد العراقي)، حتى يناضل كل من الفريقيين في مسألة قطره. أما العهد السوري، فلم يكن موجوداً إلا بشكل نظري، لأنه لم يلعب أي دور هام سياسي، إلى جانب ما كان يقوم به حزب الاستقلال. وبقي معظم أعضائه من الضباط السوريين، الذين كانوا فيه منذ نشوئه، وقد أصبح هدفهم استقلال سُورية ووحدتها. وتشكلت هيئته الإدارية من حسني البرازي، ومحمد اسماعيل، ولطفي الرفاعي، وعارف التوام، ورشيد بقدونس، والأمير فؤاد الشهابي، وحسن الحكيم[٢١] .

---

(١٨) من مجموعة أوراق محب الدين الخطيب.

(١٩) نفس المصدر.

(٢٠) من أوراق محب الدين الخطيب، نظام اللجنة الوطنية العليا، انظر الملحق.

(٢١) أمين سعيد، ج ٢، ص ٣٥ ـــ ٤٠ ومجلة المنار، القاهرة، مجلد ٢١، ج ٦، ص ٤٦٤، أوت / آب / ١٩١٩ ودروزة، ص ٨٨.

أما العهد العراقي، فبقي يعمل في دمشق لاستقلال العراق وتخليصه من الانكليز. وكان الضباط العراقيون الذين دخلوا مع فيصل إلى دمشق، هم أساسه. ولذلك فقد بقي لهذا الحزب دور بارز في حركة إعلان استقلال العراق فيما بعد، والثورة العراقية ضد الانكليز(٢٢). ومع وجود هذا الانقسام في حزب العهد، فقد بقي الضباط العراقيون يعملون في خدمة الحكومة العربية حتى سقوطها. وكان في هيئة العهد العراقية، جميل لطفي المحمد العراقي، واسماعيل نامق، ورشيد الخوجة(٢٣).

وفي مصر، تحدد موقف الأحزاب السورية ـــ كما ذكرنا ـــ في ثلاثة اتجاهات في هذه المرحلة، لم يكن أي واحد منها يحمل اتجاهاً عربياً. وهذه الأحزاب هي، الاتحاد السوري اللبناني ويميل لفرنسا وغايته تشكيل لبنان الكبير تحت حماية فرنسا، وحزب الاتحاد السوري، يميل لدولة فيصل مع دعم الانكليز أو الأمريكيين، وحزب الاتحاد اللبناني الداعي لاستقلال لبنان(٢٤).

أما في فلسطين، فقد تمثلت خطورة الصهيونية بالنسبة إلى المسلمين والمسيحيين على السواء. لذلك اتحدوا وشكلوا (جمعية فلسطينية) سموها الجمعية الاسلامية المسيحية، وكانت أهدافها رفض الصهيونية، ورفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإبقاء هذه جزءاً من سورية تحت حكم فيصل. هذا وكان بالأساس، كثير من القادة الفلسطينية والمثقفين، مؤسسين وأعضاء في جمعية الفتاة الحاكمة في دمشق(٢٥).

وفي لبنان، فإضافة إلى التيارات السياسية الموجودة سابقاً، بكل أنواعها العربية

---

(٢٢) Documents, vol. IV, PP. 568-569.

(٢٣) المنار، العدد السابق، نفس الصفحة، ودروزة، ص ٨٨ وأمين سعيد ص ٣٥ ـــ ٤٠.

(٢٤) D.F.Aff, Etr. Levant 7 (9 Juin 1919) P. 159.

وانظر دراسة مفصلة عن هذه الأحزاب في تقرير مخابرات البحرية الفرنسية في ١٠ فبراير / شباط / ١٩١٩ في:

D.F.G. 7N-1640.

(٢٥) أمين سعيد، ج ٢، ص ٤٣.

أو السورية أو اللبنانية، أو التي تميل لفرنسا، فقد حاول الفرنسيون تأسيس حزب مسيحي فيه، لكن الخوف من قيام حزب إسلامي بالمقابل، منع من تأسيس هذا الحزب. وقد ذكر يوسف الحكيم في مقابلة شخصية معه، أنه حضر أحد هذه الاجتماعات بين الأعضاء المسيحيين، الذي كانوا في طريقهم لتأليف الحزب المذكور، فقال الحكيم ماذا يحدث للأقلية المسيحية في سورية، وماذا يحدث للمسلمين في لبنان، إذا أنشأ كل طرف حزباً خاصاً به؟، سيحدث الصدام ويكون الطرفان خاسرين، وناشد الحاضرين التخلي عن فكرتهم، فصفقوا له وغضب منه الفرنسيون، بعد أن منوه بالمناصب الكبرى إذا انضم إلى إخوانه المسيحيين. وعندما سألناه عن سبب رفضه إنشاء الحزب المسيحي غير ما ذكر، فقال إن المسيحيين كانوا يمثلون بأكثر من نسبتهم العددية في حكومة دمشق العربية، وأنهم يعاملون بالتساوي مع المسلمين، فلم يعد يوجد سبب لإغضاب إخوانهم المسلمين(٢٦).

النوادي والصحافة

وإلى جانب نشاط الأحزاب واللجان الوطنية، فقد برز نشاط ثقافي هام، تمثل في النوادي العربية. وكان أهمها في دمشق وحلب. وقد أسس هذه النوادي الشباب المثقف المؤمن بالوحدة، وتقدموا بطلب رخصة لتأسيس نادي دمشق في ١٨ نوفمبر / تشرني الثاني / ١٩١٨. وقد لعبت النوادي دوراً هاماً في الحركة الوطنية، إذ كانت تعقد فيها الاجتماعات الأدبية، والثقافية، والوطنية، والسياسية، وكانت أشبه (بسوق عكاظ العصر). فكانت تصدر عنها النشرات، والمناشير الوطنية، والتوجيهات القومية. وكان الخطباء فيها لا يتوانون عن نقد الحكومة، والسلطة، بلا خوف. وكانت الجماهير تحتشد أمامها، فتلقى فيها الكلمات الوطنية، ثم تنطلق بعد ذلك في تظاهرات كبيرة تطالب بالاستقلال والوحدة. وكان تلاميذ المدارس يطوفون كل خميس، شوارع المدينة وينشدون (مارسيليز العرب):

---

(٢٦) انظر مذكرات الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٤٩.

أيها المولى العـــــظيم فخـــر كل العـــربِ
ملـكك الملك الفــخيم ملك جدك النبـــــي

(يقصدون فيصلاً)

وكان يردد هذا النشيد كل من يسمعه من الناس . وكان المتظاهرون يصرخون ويلوحون بالسيوف والبنادق، ويطلقون الرصاص من مسدساتهم، كلما أخذتهم الحماسة، وهزهم الطرب[٢٧]، وقد لعب الشيخ عبد القادر مظفر (فلسطين) رئيس النادي العربي في دمشق، دوراً بارزاً فيه[٢٨]. لأنه كان من رجال الدين الخطباء، مما سهل عليه الأمر، ولم يخشَ ما يقول.

وكانت مهمة النادي العربي بالأساس مهمة اجتماعية، وقد كتبت لافته على مدخله، تحظر من بحث الأمور السياسية فيه، أو عقد الاجتماعات السياسية. وكان ذلك رغبة من فيصل، في إيقاف المعارضة، ومحاولة أخذ كل شيء بيده. ومع كل هذا فقد كان فيصل يعرف ـــ حسب رأي كورنواليس في تقرير له، ومقابلة مع فيصل في ١٦ ماي / أيار / ١٩١٩ ـــ أنه من الأسهل عليه وقف شلالات نياغارا، من أن يوقف السوريين عن التكلم بالسياسة، ولهذا فقد سمح باستمرار المناقشات في بيوت الأعضاء[٢٩]. ودخلت السياسة في قلوب كل السوريين على اختلاف طبقـاتهم وثقافتهم، كما أصبحت المظاهرات أمراً مألوفاً، حتى كادت تفقد قيمتها وأثرها في النفوس.

وكان الفرنسيون يعتبرون النوادي العربية موجهة ضدهم بشكل خاص، وكانوا يتهمون بعض الشخصيات العربية، والضباط أيضاً، بمسؤولية نشاط النادي، كياسين

(٢٧) علي الطنطاوي، دمشق، ص ٩٦ ـــ ٩٧.

(٢٨) أمين سعيد، ج ٢، ص ٤٥ والحكيم، العهد الفيصلي، ص ٥٧ ـــ ٥٨ وداغر، مذكرات، ص ١٠٧ والمنار، مجلد ٢١، ج ٢، ٢ فقريه / شباط / ص ٩١ ـــ ٩٥.

(٢٩) F.O. 371 /4186/ PP. 117-118.

باشا حلمي، والرائد شريف العمري، إضافة إلى الضباط العراقيين[٣٠]. وسوف نرى هذا التحسس الفرنسي من النوادي العربية، أثناء الحوادث في هذا المؤلف.

ولابد من ذكر الدور الهام، الذي قامت به الصحف الوطنية في توضيح الاتجاه الوطني، فقد كانت تهاجم به حكم فرنسا في الساحل، وتحض الناس على مقاومته، مما اعتبره غورو فيما بعد، من الأعمال العدائية ضد فرنسا. كما كانت هذه الصحف، تنتقد الحكومة العربية وفيصلاً أحياناً بشكل خفي، عندما تلمس أي تهاون في مصير البلاد، مما كان يتسبب في إغلاق بعضها بشكل مستمر. وكثرت أعداد الصحف وخاصة في دمشق، ومن أهمها الدفاع، المفيد، الاستقلال العربي، الكنانة، لسان العرب، العقاب، الحرمون، سورية الجديدة، الأردن والعاصمة وهي الجريدة الرسمية في دمشق. وحلب الشهباء، العرب والراية في حلب، والاخاء والشعب في حماة[٣٠ب].

وفي الحقيقة يمكن القول، إن جمعية الفتاة، وحزب الاستقلال، واللجان الوطنية، والنادي العربي، والصحف الوطنية، مزيج متجانس ينبثق عن منبع واحد، هو جمعية الفتاة وحزبها الاستقلال.

وأن الدعوة (لسورية) المتحدة، ظهرت في هذه الفترة، تحت ضغط الظروف الدولية الانكليزية الفرنسية، لاقتسام بلاد العرب، ورضوخ فيصل والساسة العرب لهذا الضغط. وأنه على الرغم من ظهور المسألة السورية، منفصلة عن الوحدة العربية،

---

(٣٠) D.F.Aff. Etr. Levant 10 (4 Fev) 1919. PP. 152-153.

جاء في أحد التقارير الفرنسية في ٢٠ مارس / آذار / ١٩١٩، «أخذ الاتحاد الاسلامي **Pan islamiste** بتعاظم في دمشق، ويهيجه الأخوة البكري وأعضاء النادي العربي، وقد دعا الخطيب النقشبندي في الجامع، إلى وجوب اتحاد المسلمين وطرد (الأجانب)».

Ibid, Levant. 11. P. 26.

(٣٠ب) لم أجد من هذه الصحف في دمشق، إلا الدفاع والعاصمة والكنانة، أما بقية الصحف فهي مفقودة، إلا أنني عثرت على مقالات منها في دار الوثائق البريطانية، مترجمة في المكتب العربي في دار الاعتماد البريطانية في القاهرة، كما وجدت بعض أقوال هذه الصحف في صفحات الصحف اللبنانية في ذلك الوقت، والمحفوظة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت.

فإن الشعور العام في سورية بقي قومياً عربياً، تغذيه انفعالات الحوادث، وعواطف الجماهير المتصاعدة البعيدة عن إدراك ما يجري فعلاً وما يحاك ضد العرب، وكان يغذيه ما يبثه بعض الزعماء العرب، من روح قومية مبنية على ذكرى الدولة العربية الغابرة، والمجد العربي، والحضارة العربية، مما كان يجد لدى عواطف الجماهير أعظم صدى. إلا أن هؤلاء الزعماء، لم يستطيعوا تقدير حقيقة قوتهم، فبالغوا فيها كثيراً، وكانوا معتمدين على جيش فيصل، ولم يدركوا أن هذا الجيش، استمد سلاحه من الانكليز[٣١] الذين أبقوه ضعيفاً بشكل لا يمكن أن يكون خطراً على مصالحهم في المستقبل. وكانت تدور بين العرب إشاعات، أن عند سورية المدافع والأسلحة والذخيرة، بشكل تجعلهم قادرين على محاربة الحليفتين اللتين تحتلان سورية، وكان يقال إن الملك الحسين، أنذر الحلفاء، بأنه سيستعمل القوة لاخراج المحتلين، وأنه بصدد تشكيل جيش مؤلف من خمسة وعشرين ألفاً في سورية[٣٢]. إلا أن هذه المبالغات لم تغير من حقيقة ضعف العرب في سورية أمام الحليفتين، لا بل كانت وبالاً عليها، عندما هاجم الفرنسيون سورية في جوييه / تموز / ١٩٢٠.

وقد لاحظ الجنرال اللنبي هذا الشعور الوطني العارم، عندما زار دمشق مع زوجته في ففريه / شباط / ١٩١٩ ــ أثناء غياب فيصل ــ. وأقام له النادي العربي حفلة تكريمية ألقيت فيها الخطب الحماسية، واسترعى انتباهه كلمة مطران السريان (افرام برصوم)، عندما وجه حديثه إليه قائلاً «لا تحول مسيحيتي دون اعتناق مذهب الوحدة العربية، الذي يجمع أبناء البلاد على صعيد واحد في الاخاء والمساواة»[٣٣]. ويبدو أن اللنبي الذي كان ينفذ سياسة بلاده بريطانيا، كان يرى خطراً في موقف الوطنيين المتطرف على مصالح بلاده، كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار كلمة برصوم عن الوحدة العربية، بل أطلق كلمة السوريين على المواطنين سكان سورية، وكان من رأيه أن فيصلاً هو الذي يحل القضية السورية في مؤتمر الصلح، وليس النهور الذي

---

(٣١) Yale, P. 329

(٣٢) Gountont Biron, P. 235

(٣٣) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٥٩ ــ ٦٠.

شاهده، فقد أتى في جوابه «لحظت أن الحماسة والقوة الوطنية، قد بلغا منكم حداً بعيداً، ربما وصل بكم إلى درجة التهور الذي لا يستغرب حصوله في مثل حالتكم الحاضرة، لذلك أرى واجباً علي أن أنصحكم بالاعتدال، واتخاذ التؤده والرفق، دليلاً لكم في الطريق السياسي المفتوح أمامكم، مؤكداً لكم أنكم ستحصلون على أمانيكم الوطنية المعقولة، إذا طلبتموها بالحكمة والتعقل، أما إذا تطرفتم في طلبكم، فيصبح الوصول إليه أمراً مشكوكاً فيه، وأوصيكم في الختام، بالاعتماد على مؤتمر الصلح، ونائبكم الأمير فيصل عضو فيه» وقال لبرصوم «إني بصفتي مسيحياً، أشكر لك عواطفك، وأتمنى لبني قومك السوريين مستقبلاً مجيداً»(٣٤). ويمكن اعتبار زيارة اللنبي لسورية مثلاً حياً لسياسة الانكليز في المنطقة، وموقف الوطنيين المتحمس.

موقف الحكومة العربية السياسي

ومثلما حدث تحول إلى الإقليمية لدى الأحزاب واللجان الوطنية، حدث كذلك لدى الحكومة العربية في دمشق. واعتبرت هذه الحكومة نفسها تمثل «الأمة السورية»، كما يمثل فيصل سورية في مؤتمر الصلح. فبعد أن ذهب فيصل لأوروبا، رأى أن يكون معه مستند رسمي، يخوله بموجبه السوريون حق التكلم باسمهم، كما خوله والده التكلم باسم الحجاز، فأرسل للركابي من باريس يطلب منه هذا المستند. فجمع الركابي رؤوساء الأديان، والمذاهب، والأعيان، والوجهاء، وكبار المفكرين، وأعضاء المجلس البلدي في دار البلدية، وأطلعهم على كتاب فيصل، فأجمعوا كلهم على إنابته عن سورية، وكتبوا على الأثر برقيات تتضمن إنابتهم، بوصفهم ممثلين طبيعين للأمة

---

(٣٤) نفس المصدر.

«زار اللنبي مدينة حلب بعد زيارته لدمشق، فاستقبله الشريف ناصر وشكري الايوبي، وفرش له الشارع بالرمل الأبيض ونصب له قوس نصر، وقدم له رئيس البلدية تحت القوس، مفاتيح مدينة حلب، وقرصاً من الخبز، ومقداراً من الملح، على طريقة (الأخوة العربية والكرم العربي). فتناول من القرصة لقمة، وذاق الملح، ثم لمس المفاتيح، ورفع يده بالسلام، ثم ذكر الناس بأنه المسؤول الأول في سورية باسم الحلفاء، واتخذ قراراً بمنع اخراج الذهب من سورية، بصفتها ولاية عثمانية محتلة».

كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، مطبعة حلب، ١٩٢٦، ص ٧١٢.

السورية «صاحب السمو الملكي الأمير فيصلاً» لتزويد مؤتمر الصلح بأمانيهم في الاستقلال التام الناجز. كما أرسلوا إلى رئيس الولايات المتحدة (ونعتوه بنصير الأمم المطالبة بحقها في الحرية والاستقلال)، ورئيسي وزراء بريطانيا وفرنسا بذلك[٣٥]. جاء فيه بتوقيع ٣٥٠ سورياً، احتجاج ضد تصريح بيشون وزير الخارجية الفرنسية، بأن العلاقات التجارية لا تشكل حقوقاً، أياً كان نوعها على السكان، وحريتهم واستقلالهم الوطني. واعتمدوا على تصريحات الرئيس ولسن بشأن تقرير المصير، وأن الحرب جاءت لتحرير الشعوب، وكانوا يعتقدون أن الحلفاء سيساعدونهم[٣٦]... وكان هذا أول عمل سياسي هام، تقوم به الحكومة العربية باسم سورية، جرتها إليها السياسة الدولية وفيصل.

وكانت الحكومة العربية، وخاصة رئيسها رضا الركابي، تعتبر قيادة اللنبي هي المسؤولة عن سورية. فلم تكن تمنع السلطات البريطانية، من اتخاذ أي إجراء ولو كان داخلياً. ولم تكن السلطة البريطانية تتدخل، إلا بما تعتبره يمس بأمن الحلفاء. وبعد أن مضت خمسة أشهر على نهاية الحرب، أثبت الحكم العربي في دمشق، أنه قادر على توطيد الأمن، وتسيير أمور الادارة، ومصالح الناس على أحسن حال. ولم يذكر اللنبي أي شكوى أو تذمر من وجود اضطراب أو فوضى عندما زار دمشق، وهذا يسقط حجة القائلين، بوجوب انتداب دولة على سورية لتدريبها، حتى تصبح قادرة على حكم نفسها بنفسها، مع العلم بأن سورية، كانت خارجة من حرب، وأن نظام الادارة انتقل من لغة تركية إلى عربية، وأن هذا تم في فترة قصيرة، قد يصعب على الدول المتحضرة أن تقوم به.

ولم يعكر صفو الأمن، إلا حادثان كانا من صنع الانكليز والفرنسيين، تدخلت فيهما السلطة البريطانية، ووقفت الحكومة العربية مكتوفة اليدين حيالهما. الحادث

---

(٣٥) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٣٦.

(٣٦) تقرير من كلايتون في ١٨ مارس / آذار / ١٩١٩.
F.O. 371 /4179/ P. 456.

الأول، هو مقتل عبد القادر الجزائري، وسجن أخيه سعيد من قبل الانكليز، الذين كانوا يعتبرونهما من الموالين لفرنسا والمعادين للانكليز. وروى كلايتون في تقرير له في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، عن حادث القتل فقال، بأن سعيداً وأخاه عبد القادر اعترضا على وجود القوات العربية في سورية، ولذا أمر فيصل باعتقالهما ونفيهما. وفي اليوم التالي قاوم عبد القادر، وأطلق النار على الشرطة، وركب حصانه وانطلق إلى الشارع، فأطلق عليه البوليس النار وقتله. وجرت تساؤلات كثيرة عن قتله. لكن اعتقال الانكليز لأخيه سعيد وسجنه في الرملة في فلسطين، يؤكد أن الانكليز ــ وليس فيصل ــ هم الذين أصدروا الأمر بنفي الأخوين، والتسبب بمقتل عبد القادر. وهذا ما يؤكده سعيد الجزائري في روايته(٣٧).

وكادت تحدث فتنة بين المغاربة والحكومة العربية، بسبب هذا الحادث، إلا أن القوة (الحكومة العربية) فرضت على المغاربة الإنسحاب.

أما الحادث الثاني، فهو فتنة الأرمن في حلب في ٢٨ فقريه / شباط / ١٩١٩، عندما اقتتل رجلان، أرمني ومسلم في سوق حلب، بسبب سرقة الأرمني

(٣٧) F.O. 371 /3385/ PP. 44-46.

وروى سعيد الجزائري القصة فقال، بأن أخاه قتل في شارع الصالحية في دمشق، وهو راكب جواده متجهاً نحو القصر الأميري، برفقة بعض المغاربة، بعد أن تلق أمراً من الانكليز يوجب مغادرة البلاد. وفي طريقه أصابته رصاصة قاتلة. وأشيع أن رجال الأمير فيصل قتلوه بمعرفة الانكليز. لكن لم يعرف القاتل الحقيقي. أما سعيد فقد نقله الانكليز إلى سجن الرملة في حيفا. ويدعي سعيد أن الحاكم البريطاني (ستانتون)، قد وعده بتاج سورية، إذا عمل مع الانكليز، لأن الأمير فيصلاً ــ حسب رواية الجزائري ــ ورأي ستانتون، ليس إلا غريباً من الحجاز، أما هو فابن الوطن. وبعد خروجه من السجن، أعطاه الكومندان الفرنسي (ستيفاني)، مبلغاً ضخماً من المال ليساعده على القيام بالأعمال السياسية. ويقول بأن الفرنسيين استقبلوه بحفاوة في لبنان، وأعادوا له راتبه الذي كان يتقاضاه سابقاً (١٠٠ ليرة ذهبية)، وأوعزوا إلى أنصارهم بالالتفاف حوله وتأييده، نكاية بالانكليز وصديقهم فيصل. وصارت الصحف اللبنانية الموالية لفرنسا، تقارن بين سعيد وفيصل، وتفضل سعيداً لحكم سورية.

مذكرات الجزائري، ص ١٨٨، ١٣٥ ــ ١٣٦ والحكيم، العهد الفيصلي، ص ٣٦.

وفي تقرير فرنسي يتهم الشرطة (الشريفية) بقتل عبد القادر.

D.F.Aff. Etr, Levant. 16. P. 174.

لبقرة من المسلم، وتعصب كل طرف إلى ملته، وبدأ القتال وانتشر في الأحياء، ونهبت البيوت، وكانت النتيجة مقتل ٢٥ من الأرمن ومسلم واحد[٣٨].

وقفت القوات البريطانية موقفاً متشدداً، فشكلت محكمة عسكرية حكمت بالإعدام على ٣٥ شخصاً. فقتلوا، ونفي آخرون خارج سورية، وكان من بينهم شرطة ووجهاء[٣٩]. وإذا كان السبب المباشر حسب رواية الغزي هو السرقة، فإن الأسباب البعيدة، تعود إلى أن الفرنسيين كانوا قد طوعوا بجيشهم في الساحل وكيليكيا، عدداً كبيراً من الأرمن، أخذوا ينتقمون من المسافرين، أتراكاً وعرباً، وهم عائدون إلى سورية في الممرات الجبلية، فيسلبونهم ويقتلونهم، مما ملأ نفوس الناس حقداً عليهم. ويؤكد هذا الرأي، البرقية التي بعث بها الأرمن من حلب، إلى المفوضية الفرنسية في بيروت، يرجونها ألا تستخدم المتطوعين الأرمن في الجيش الفرنسي[٤٠].

وقد أدرك فيصل وهو في باريس، أن إثارة مثل هذه الفتنة تترك أثراً سيئاً أمام العالم ومؤتمر الصلح، وأن السوريين غير قادرين على حكم أنفسهم، وأن المسيحيين في خطر فيها، مالم تنتدب عليهم دولة تحفظ الأمن وتدير البلاد، ولهذا أرسل برقية إلى أخيه زيد يستنكر الحادثة ويصفها «بأنها جرت ظلماً وعدواناً، وتنفيذاً للأغراض السافلة، وأنها تؤخر النجاح في المستقبل، لأنها من صنع عملاء العدو»[٤١].

---

(٣٨) الغزي، ص ٧٢١ ــ ٧٢٧.
و D.F.G, 7N-1640, No 25 (3 Avr) 1919.
و F.O. 371 /4179/ (14 Mar) P. 186.

(٣٩) الغزي، ص ٧٢١ ــ ٧٢٧.

(٤٠) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٦٥.

(٤١) جريدة العاصمة، عدد ١١، ٢٥ مارس / آذار /.
يذكر الحكيم حادث الأرمن بشكل آخر فيقول، بأن ذوي الأغراض السيئة قاموا بمهاجمة فئة مستكينة من الأرمن في بيوتها، وفتكوا بها، فوقع عدد من القتلى والجرحى. ويضيف بأن جمعية الصليب الأحمر الأمريكية، بذلت المساعدة لمن يشاء من مهاجري الأرمن بالرحيل من حلب، وأوصلتهم إلى بيروت، ومنها إلى البلاد التي اختاروها.
العهد الفيصلي، ص ٦٥.

والحقيقة أن مقتل الجزائري وحادثة الأرمن، لا يخلوان من سياسة التنافس بين الحليفتين على سورية، ولا تخلو حادثة الأرمن، من تعصب مبني على مرارة أحداث وقعت في عهد الدولة العثمانية.

الفصل الرابع

عودة فيصل إلى سورية
ولجنة كنغ - كرين

وصل فيصل إلى بيروت في ٣٠ أبريل / نيسان / ١٩١٩ تحت الراية العربية، بعد غياب دام خمسة أشهر. فاستقبله الجنرال (Bulfin) بولفان، قائد المجموعة (٢١)، البريطاني في الساحل، وأطلقت له المدافع من الميناء تحية ترحيب، واستقبلته بيروت استقبالاً شعبياً كبيراً، وكانت تهتف له بالتأييد(١).

وقبل الدخول في مناقشة سياسة فيصل في سورية، لابد من الإشارة إلى ملاحظة هامة، وهي أن فيصلاً في سورية، غير فيصل في أوروبا، وأن تصريحاته السياسية في سورية، تناقض أقواله في أوروبا، وأنه اتبع سياسة مزدوجة، الواحدة منها تحت تأثير بريطانيا والحلفاء لإرضائهم، والثانية ترضي الوطنيين القوميين في سورية، رغم ما بين الاثنتين من خلاف في المبدأ والاتجاه. فقد رأينا مثلاً، أنه قبل بمساعدة الولايات المتحدة أو بريطانيا وهو في أوروبا، ونراه يقول في بيروت «كل من يطلب معونة انكلترا أو فرنسا أو أمريكا أو إيطاليا فهو ليس منا، نحن لا ننكر أننا محتاجون إلى المعاونة الفنية، وسنتفق عليها مع من نريد حسب ما يوافقنا، وهذا لا يكون إلا بعد أن نأخذ الاستقلال المطلق»(٢). وربما اتخذ هذا الازدواج، حتى يسهل عليه حل التناقض بين

(١) قدري، ص ١٠٧ و D.F.Aff, Etr. Levant. 13, P. 206

(٢) قدري، ص ١٠٧.
«وصف فيصل القائدين الفرنسي والانكليزي الجالسين عن يساره ويمينه، في الحفلة التي اقامتها بلدية بيروت تكريماً له، بأنهما يمثلان امتين كريمتين، تشبهان الاب الابر والأم الرؤوم، اللذان إذا وجدا (العرب) قد ←

السياسة الأوروبية والوطنية[٣].

وأمام القلق الذي كان يساور النفوس، من سياسة بريطانيا وفرنسا تجاه العرب، صرح فيصل في بيروت للصحف، بأن لجنة دولية ستأتي إلى سورية، لمعرفة رغبات الشعب في نوع حكمه، وأن هذا يدل على حسن نية الحلفاء تجاه سورية. وذكر أيضاً أن مؤتمر الصلح اعترف باستقلال البلاد العربية ومنها سورية لكنه لم يذكر قرار الانتداب عليها الذي يفقد هذا الاستقلال قيمته، كما أنه لم يذكر أن رفض بريطانيا وفرنسا الاشتراك في اللجنة لا يدل على حسن نيتهما. والحقيقة أن فيصلاً لم يرد أن يكشف الحقيقة التي واجهته في أوروبا، عساه يصل إلى حل ما للقضية، عن طريق اللجنة التي كان يعول عليها الكثير، وأراد إشراك الشعب عن طريق مؤتمر سوري، يتخذ القرارات اللازمة للاستقلال، ليضعها أمام اللجنة، وليثبت لها أن السوريين قادرون على إدارة شؤونهم بأنفسهم.

وأعاد إلى الأذهان رأيه في وجوب الاستقلال الداخلي، لكل صقع من الأصقاع العربية، بسبب الاختلاف في العادات والتقاليد، إلا أنه قال كلمة ذهبت مثلاً وهي «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى»[٤].

سياسة فيصل

والحقيقة أن القضية كانت أعقد مما تصورها فيصل وصرح بها، فقد كان عليه أن يواجه ست مسائل هامة في سورية وهي:

١ ــ أن يطمئن العرب من مخاوفهم التي كانوا يسمعونها من أوروبا، عن محاولات

← بلغوا سن الرشيد، منحاهم كل ما يسرهم، وإذا رأيا عكس ذلك (لا سمح الله)، عاملاهم بمثل ما يضطر الاب إلى معاملة ابنه من القسوة لخيره».

عن جريدة لسان الحال، بيروت، عدد ٧٧٩٣ــ١٤٥، ٥ ماي / آيار / ١٩١٩.

(٣) Documents, P. 264.

(٤) الحكيم، العهد الفيصلي ص ٧١.

لاستعمار بلادهم، وأن يقنعهم بالتالي بوحدة سورية فقط، والتخلي عن القضية العربية ككل، بسبب الظروف السياسية الدولية.

٢ ــ أن يؤمن الانسجام والاتفاق بين العناصر المختلفة في السلطة والشعب.

٣ ــ تنظيم الفكر العربي وتوحيده، أمام لجنة كنغ ــ كرين.

٤ ــ معارضة اللبنانيين لوحدة سورية.

٥ ــ إبقاء الانكليز في صفه، وعدم تخليهم عنه.

٦ ــ الاحتفاظ بموقف الولايات المتحدة المناهض لاتفاقية سايكس ــ بيكو، في الموقف الخاص بسورية، عن طريق التعاون مع لجنة كنغ ــ كرين الامريكية، وطلب انتداب الولايات المتحدة.

ولنعرض الآن لهذه المسائل بالتفصيل(٥):

١ ــ فيصل يشرح موقفه في أوروبا

في الثالث من أيار غادر فيصل بيروت إلى دمشق، فاستقبلته استقبال الأبطال العظام، وخرجت المدينة للقائه، وبلغ من روعة الاستقبال، أن الورود التي القيت على موكبه أصبحت تعرقل سيره(٦). لأن الشعب كان يظن، أن فيصلاً عائد إليه وقد حمل له، الاستقلال والحرية والوحدة. أما هو فقد أراد أن يوضح خطته السياسية بوضوح، ولذا دعا إلى اجتماع بعد يومين، حضره الساسة والوجهاء ورجال الدين وأهل الرأي وغيرهم، ممن يهتمون بالقضايا الوطنية، وكان الاجتماع أشبه بمؤتمر وطني. وألقى خطاباً(٧) ــ وكان الأول له بعد عودته من أوروبا ــ ويمكن اعتبار هذا الخطاب برنامجاً

---

(٥) ذكر (Evans) أربعاً من هذه القضايا، ولم يتعرض لذكر الأولى والرابعة.

(٦) قدري، ص ١٠٩.
عندما وصل فيصل إلى دمشق، امتطى عربة تجرها ثمانية خيول، عليها سروج من الذهب والفضة، ونصبت له أقواس النصر، وزينت جنباتها بالحلي والجواهر التي تبرعت بها سيدات دمشق، ثم فرشت له في الطريق ٢٥ ألف سجادة.
غالب العياشي الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي على سورية، دمشق، ١٩٥٥، ص ٣٥.

(٧) F.O. 371 /4181/ P. 118.

سياسياً، حدد فيه بكل صراحة، أن غايته العمل على إقامة دولة سورية الطبيعية واستقلالها، عن الحجاز والعراق، واعتمد في تبريره في فصل القضية السورية عن القضية العربية، على أن الثورة العربية، هي التي حررت البلاد العربية من الأتراك، وأن أباه هو المسؤول الأول عنها، وأن الحجازيين هم الذين قاموا بأعبائها، أما دور السوريين فقد كان دوراً معنوياً، لأنهم «شوقوا الحجازيين لهذه الحركة». بالاضافة إلى الاختلافات الاجتماعية القائمة بين الشعوب العربية. ثم أكد لهم أنه بذل جهداً كبيراً في الدفاع عن العرب، الذين كان يظنهم الأوروبيون عرب البادية، الذين يسكنون الخيام، وأنه لاقى صعوبات بالغة في أوروبا لا يستطيع ذكرها أمامهم، بسبب بعض المواقع السياسية التي تجبره على السكوت عنها، لكنه خرج بنتيجة طرحها أمامهم، وهي أن الظروف الدولية ليست مساعدة لادارة العرب كأمة واحدة، لذلك فإنه طلب الاستقلال لسورية الطبيعية وحدها، وكذلك للعراق، وللحجاز. واستعمل تعبير (الأمة السورية) . وهو تعبير جديد في مفهوم القومية العربية إذ قال «إن الأمة السورية أمة تريد أن تستقل، وتأخذ ما تحتاجه من المعاونة، بدريهمات معدودات، ودافعت عن سورية الطبيعية، وقلت إن السوريين يطالبون استقلال بلادهم الطبيعية، ولا يريدون أن يشاركهم فيه شريك. والعراق مستقل بلا علاقة بسورية، كما أن سورية لا علاقة لها بسائر البلاد العربية، مع أن العرب أمة واحدة في التاريخ والجغرافية والصلات القومية، ويجب أن توحد الجمارك، وألا يحجز المناسبات الودية والاقتصادية بينها حاجز»[٨] .

وحتى لا يكون فيصل مسؤولاً وحده عن هذه الخطة، أراد أن يأخذ موافقة الحاضرين عليها، فسألهم رأيهم عما قام به في مؤتمر الصلح، وحدثهم عنه في جلستهم هذه، فأجابه الجميع (حسن حسن) وعلا التصفيق والهتاف. ووافقوه على أن يتابع خطته في الداخل والخارج، عندما سألهم ذلك، وهتفوا (فليحيا أميرنا فيصل) . ولم يكتف بذلك، بل أراد فيصل أن يعطوه كل ما يطلب بدون قيد أو شرط، حتى يكون ذلك مستنداً له في عمله، حتى عقد المؤتمر، فوافق الجميع. ثم تقدم منه رؤوساء

(٨) انظر نص الخطاب الكامل في الملحق.

الوفود بالتتالي وبايعوه من كل قلوبهم على كل ما يريد[٩]، وذلك بحسن سياسته وأسلوبه العاطفي.

ومن الجدير بالملاحظة، أنه لم يتكلم من الحاضرين عراقي أو حجازي، لأن المسألة لا تمس أقطارهم مباشرة، وربما كانت تلك رغبتهم، في ألا يثيروا أمامه مشاكل كان يحاول الابتعاد عنها.

ومع كل هذا التأييد الذي ناله فيصل في الاجتماع، فقد أخذ الشك ينتقل تدريجياً إلى نفوس الوطنيين المتطرفين، حول نوايا الحلفاء تجاه سورية والبلاد العربية، وخاصة بعدما أسر فيصل لبعض أصدقائه المقربين، عن فشله في أوروبا، وعن قلقه من سياسة الحلفاء[١٠]، ولذلك انقسم السوريون إلى فريقين: فريق معتدل يقبل بخطة فيصل، وكان على رأسه الركابي، والارستقراطيون التقليديون، ويقبلون بسورية الموحدة، كهدف وطني تمشياً مع الظروف الدولية. والفريق الثاني، وكان يمثله الشباب المثقف، ورجال الفتاة، وكانوا يرون ألا مبرر لسياسة فيصل الجديدة (السورية)، وفسروها بأنها خروج عن الوحدة العربية، ومن ثم فهي خروج عن العهد العربي، كما انتقدوا قبوله إعطاء الحكم الذاتي لكل جزء من سورية، إرضاء لجبل لبنان، وعدوا إعطاءه الأقليات المقام الأول في إدارة الحكومة، ضعفاً لا تقره الأكثرية[١١]. إلا أن نقدهم هذا، لم يتجاوز حد الأراء السياسية الشخصية، وبقيت ثقتهم قوية بفيصل، وبقي مركزه قوياً

(٩) كانت الوفود تمثل: بيروت وصيدا وفلسطين وجبل عامر وعشيرة (الرولا) وجبل الدروز وجبل عامل ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه وحلب والمعرة وطرابلس وعمان، واللاذقية والسلط (في الاردن) وحصن الاكراد من منطقة طرابلس والدروز واليهود والمسيحيين. ومما قاله بطريرك الروم الارثوذكس «بيننا وبين سموكم اتفاق في هذه القاعة، على شرائط معدودة لا تبرح من ذاكرتكم الشفافة فنحن عليها راسخون، وهي: طاعة الله، احترام الأديان، الحكم شورى على مقتضى القوانين والانظمة التي تسن لذلك، المساواة في الحقوق، توطيد الامن، تعميم المعارف، اسناد المناصب والوظائف إلى اكفائها».
انظر الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٤٣.

(١٠) انطونيوس، ص ٣٩٤ وارسكين، ص ١١٩ ـ ١٢٢.

(١١) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٧٤ ـ ٧٥.

بين الجميع. ولم تكن خطة فيصل هذه (السورية) ترضي والده الحسين، وكان يعتبرها تمزيقاً لوحدة العرب[١٢].

٢ ـ تأمين الانسجام والاتفاق بين العناصر المختلفة

قد يكون فيصل استطاع إدخال شيء من الثقة، في قلوب المواطنين في سورية، بما قاله لهم، لكنه لم يستطع أن يتغلب على مشكلة صعبة واجهته في دمشق، عندما عاد من أوروبا، وهي من يتسلم مقاليد الحكم؟ هل الرجال الذين ضحوا بمصالحهم، وشاركوه الحرب والثورة، ولو ثبت عجزهم عن تحمل المسؤولية. «لقد واجهته هذه المشكلة بشكل حاد، إذ شكل العراقيون والحجازيون العنصر الأقوى في قيادته، بينما استمر الكثير من السوريين في خدمة العثمانيين إلى ما بعد الهدنة بزمن طويل. وقضت مشانق جمال باشا على مجموعة من الكفاءات النامية، كان من الممكن أن يعتمد عليها فيصل لو ظل أصحابها أحياء. وأرهبت أعمال جمال باشا من تردد في ولائه العثماني، وسعى من سلم إلى إثبات هذا الولاء بشكل مبالغ فيه، وأخلص هؤلاء في القتال في صفوف الجيش العثماني، والتحق بعضهم رغبة أو رهبة بحزب الاتحاد والترقي التركي. ثم تراجعوا مع الجيش التركي وقرنوا مصيرهم بمصيره. وبعد إعلان الهدنة، وحل الجيش التركي، والتحاق ضباطه بجيش مصطفى كمال، لم يجد (الاتحاديون العرب) مكاناً لهم في صفوف الجيش التركي الجديد، وشعروا بالحقد التركي على كل ما هو عربي، اعتقاداً من الأتراك بأن العرب سبب نكبة بلادهم. فلم يبق أمام هؤلاء إلا العودة إلى بلادهم، فعادوا خائفين مضطربين، فاستقبلهم فيصل بترحاب شديد، ليسد بهم العجز في جهازه الاداري، ولاعتقاده بأن الكفاءة أهم من الولاء ومع أن قراره هذا كان

(١٢) عبد الكريم غرايبه الثورة العربية الكبرى والعالم العربي ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
ظهر رأي الحسين واضحاً ضد تجزئة البلاد العربية، في جوابه على مقترحات ميشيل لطف الله، رئيس حزب الاتحاد السوري في مصر، في فقريه / شباط / ١٩١٩ الداعي لاستقلال سورية، والذي طالب به مؤتمر الصلح. وكان جواب الحسين: أن العرب جميعاً يجب أن يكونوا تحت سلطة عليا واحدة، وليسوا مقسمين أجزاء ووحدات تفصلها حدود، وقال ألا مطمح شخصي له من وراء ذلك.
F.O. 371 /4179/ P. 52.

جريئاً، إلا أنه سلب رجاله المقربين من سلطتهم، ولم يبق لهم إلا عطفه»[١٣].

ومع أن فيصلاً استطاع أن يخلق جواً مشبعاً بالصداقة وحسن التفاهم، بعدما دخل دمشق[١٤]، بين العرب والحلفاء، وحمل الجميع على مساعدته، وكان متفائلاً فإن الأشهر الستة الأولى لم تكن كما يريد، لأنه لم يكن حاكماً استبدادياً مطلقاً، وكان حوله الكثير ممن أخذوا ينقمون عليه، احتفاظه برجاله الذين حاربوا معه من العراقيين، والحجازيين، وغيرهم الذين ينكرون الاكتفاء بدولة سورية عربية، وكانوا يعملون في سبيل توحيد البلاد العربية كلها تحت لواء واحد[١٥]. وكان قرار فيصل باستقبال العائدين العرب من تركيا، متفقاً مع سياسته الجديدة على استقلال سورية ووحدتها منفصلة عن الوحدة العربية، لأن هؤلاء العائدين كانوا في غالبيتهم من السوريين، ولهذا انحاز لهم. قائلاً، إنه لا يعتب على من آثر البقاء والحرب مع الأتراك حتى النهاية بأمانة وإخلاص، لأن هذا من حقهم، لكنه دعاهم لخدمة البلاد معه، بعد أن أصبحت مقدراتها بيديه[١٦]. وبدأ صراع بين السوريين (الشاميين) وبين ضباط الثورة العرب الآخرين، تجلى في التفاف الضباط الشاميين حول (يوسف العظمة)، الذي حارب مع العثمانيين حتى نهاية الحرب بكل إخلاص، وكان ذا ثقافة عسكرية عالية، ومن ضباط أركان الحرب المرموقين في الجيش العثماني، وكان محط ثقة الألمان. واستقبله فيصل في دمشق، وعينه مرافقاً له ثم معتمداً في بيروت، وضمته العربية الفتاة إلى صفوفها، لتأكدها من إخلاصه للعروبة[١٧]. بينما كان رأي الطرف الآخر من الضباط العرب

---

(١٣) عبد الكريم غرايبه الثورة العربية الكبرى والعالم العربي، ص ١٠٧ــ١٠٨.

(١٤) جمع فيصل عشائر البدو التي حاربت معه والتي وقفت مع الاتراك، وكذلك طرفي الدروز (الذين معه والذين كانوا مع الاتراك)، وصالح جميع الأطراف، وعين على جبل الدروز سليم الأطرش كحاكم وكان مع الأتراك.

مذكرات سلطان الأطرش، مجلة بيروت المساء، عدد ١٠٠ (٣٠ ديسمبر / كانون الأول / و ٥ جانفي / كانون الثاني /)١٩٧٦، ص ٣٦ و D.F.Aff. Etr. Levant, 14, PP. 87-92.

(١٥) أرسكين، ص ١١٣ــ١١٤.

(١٦) مذكرات القاوقجي، ص ٦١.

(١٧) غرايبه، الثورة العربية الكبرى والعالم العربي ص ١٠٨ــ١٠٩.

فيه مختلفاً، فهو في رأيهم تركي العصبية، ألماني الميول، إقليمي النزعة (دمشقي) يريد فرض سيطرته الشخصية على الحكومة في دمشق. وتبادل الشاميون وغيرهم التهم، فالشاميون من الذين يرغبون في الوظائف بدأوا يشكون من أنهم أصبحوا غرباء في بلادهم، ورد رجال الثورة «نود حكومة عربية ولم يدر في خلدنا الاكتفاء بسورية»[١٨].

وعانى فيصل والعربية الفتاة من موجة الاستياء، التي عمت وتفشت بين كل الأطراف، وبذل جهداً شاقاً للوقوف بوجهها، واستعمل السياسة والحكمة، إذ أدخل السوريين إلى إدارة الدولة، وأبقى رجال الثورة إلى جانبه يحميهم ويستشيرهم، ولم يكن أمام هؤلاء وغالبيتهم من العراق، إلا الصبر، لأنهم لا يستطيعون العودة إلى العراق الذي احتله الانكليز، ورفضوا عودتهم إليه. وكان هذا النزاع يعود في قسم كبير منه إلى فيصل ذاته، الذي تخلى عن السياسة العربية، وركز على سورية. ولو بقي يعمل للوحدة العربية، لما تجرأ أحد على النظر إلى أي عربي نظرة الغريب عن البلاد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى اعتبار الفلسطينيين غرباء عن سورية والمدن الأربع، مع أن فلسطين تعتبر جزءاً من سورية. وكان على رأس الشاميين الذين يريدون إبعاد الفلسطينيين عن الادارة في الحكومة العربية (محمد كرد علي)، وكان يعلل ذلك بأنه دفاع عن فلسطين، حتى «لا تخلو من رجالها وقادتها، بينما يهاجر إليها اليهود تباعاً، وسورية لا تحتاج إلى رجال ومفكرين، ففيها الكفاية»[١٩]. وقد عانى فيصل مشكلة

---

(١٨) انظر دروزة، ص ٧٤ـ ٩٢.

جاء في مذكرات فوزي القاوقجي الذي حارب مع الأتراك حتى النهاية «بدأ الصراع بين الضباط الذين انضموا للثورة العربية، وبين الضباط الذين حاربوا مع الأتراك حتى النهاية، واعتبر الأولون أن كل ما حصلوا عليه من رتب ومال وأوسمة من حقهم، بينما اعتبرت الفئة الثانية ذلك لاغياً، وأنهم حاربوا مع الامبراطورية العثمانية التي بلادهم جزء منها، وأن الثورة العربية قامت على ذهب الانكليز، وأسلحة الانكليز، وبإرشاد الانكليز، وبقيادة الانكليز، ولصالح الانكليز، رغم ما قدم العرب من ضحايا. واضطرت القيادة إلى تصفية الرتب، مما أغضب ضباط الثورة». ص ٦١.

(١٩) محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، بلا تاريخ، ج ٣، ص ١٧٠. ويذكر كرد علي في مذكراته، أن فيصلاً دافع عن الغرباء ضد الشاميين، وأنه قال له «إن أولئك الغرباء قد خدموني أكثر من الدمشقيين، وأن هؤلاء لا مأرب لهم إلا المال». مذكرات، مطبعة الترقي، دمشق، ج ١، ص ٢٣٢.

ربما أقل أهمية، وهي وجود تذمر لدى المدنيين والفلاحين، وخاصة في منطقة الأردن، الذين رأوا أن البدو الحجازيين يستأثرون بالمال والجاه، مع أنهم، أي الفلاحين، قد حاربوا وشاركوا الجيش العربي في أصعب معاركه وحروبه ضد الأتراك، وهم الذين فتحوا البلاد حين كان همُّ البدو كما كانوا يتهمون «السلب والنهب»[١٩ب].

وكان الجيش العربي هو الضحية الأولى لهذا الانقسام القومي، فبعد أن كان يتألف من العرب جميعاً، والسوريون فيه قلة نسبياً، إذا به يحل باسم إعادة تشكيله على النظام الحديث. لكن ياسين الهاشمي (العراقي)، الذي عين قائداً له، لم يتمكن من إعادة تشكيله، بسبب عودة الضباط السوريين واختلافهم معه وانحيازهم إلى يوسف العظمة. وعندما اعتقل الانكليز الهاشمي في ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، وعين العظمة بدلاً منه بعد شهر في قيادة الجيش، لم يستطع هو أيضاً أن يعمل شيئاً، للحصار الذي فرضته الحليفتان (بريطانيا وفرنسا) على تسليح الجيش وإمداده بالذخائر[٢٠]، ولانفراط عقده العربي القديم.

وقد بقيت أسلحة الجيش العربي وذخائره كما كانت، عندما دخل إلى دمشق، دون زيادة، وعندما عين الكولونيل تولا في دمشق في أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٨، تبين أن الانكليز لم يؤسسوا جيشاً قوياً لفيصل، بل وجد العكس إذ إن الجيش كان ينقصه الكثير، وهذا ما عبر عنه غورو أيضاً[٢١]. وكانت فرنسا تراقب بانتباه هذا الجيش، وتحتج على أية بادرة تدل على دعم الانكليز له. وقد كتب وزير البحرية الفرنسية رسالة إلى زميله وزير الخارجية، عن تزويد بريطانيا للجيش العربي بالعتاد العسكري، وكان هذا في سبتمبر / أيلول / ١٩١٩، عند محاولات الاتفاق بين الحليفتين للاستبدال بين قواتهما في سورية[٢٢]. لكن لم يحدث هذا التزويد، وتؤكد

(١٩ب) وثيقة في مديرية الوثائق التاريخية، دمشق، القسم الخاص، أعلام، الملك فيصل، رقم ٢١٥/١ وهي صورة لرسالة من أحد فلاحي السلط إلى فيصل. انظر صورتها في الملحق.

(٢٠) غرايبه، الثورة العربية الكبرى والعالم العربي، ص ١٠٨.
و Documents, 1 Ser, vol IV, P. 267

(٢١) D.F.Aff, Etr, Levant, 3 (22 Oct 1918) P. 132

(٢٢) Ibid, Levant, 17 (8 Sep) 1919 P. 147

الوثائق البريطانية ذلك، إذ تقول إنه لدى فيصل ٨٥٠٠ دركي، وهو يحتاج لجيش. وفي نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، قبل الانكليز بتجهيز ٨٥٠٠ دركي Gendarmerie وتجهيز جيش مكون من لوائين، 2 Brigades. وفي ففريه / شباط / ١٩١٩، اختلف الوضع بالنسبة للانكليز بسبب الصراع الفرنسي العربي، حيث أصبح الفرنسيون أكثر نقداً وخاصة بعدما اعتقدوا أن العرب حصلوا على كمية من الأسلحة بسقوط المدينة، ولذا فقد طلبت القيادة البريطانية في مصر، تأجيل موضوع تجهيز الجيش. وفي أبريل / نيسان / ١٩١٩، أخبر المكتب السياسي (P.O) أن يؤجل الموضوع، حيث يدرسه اللنبي وفيصل(٢٣) ... وكما سيمر معنا سنجد فيصلاً يتابع رسائله إلى اللنبي لتزويد الجيش بسلاح دون فائدة. كما أن مشاغل فيصل ورحلته إلى أوروبا، لم تترك له الوقت الكافي لمعالجة هذا الأمر الهام، بجدية أكثر، ولم يتمكن من لأم الشرخ الذي قام بين دعاة الوحدة العربية والمكتفين بوحدة سورية. وربما كان ذلك يوافقه، لأنه كان يفتش عن دعم وطني له في سياسته الجديدة بالاكتفاء بسورية، وكان من المفروض أن يجد من دعاة الوحدة السورية سنداً له.

٣ـ تهيئة الشعب أمام اللجنة الأمريكية

بعد أن حصل فيصل على الاجماع في ١٥ ماي / أيار /، كما ذكرنا سابقاً، لإنابته عن سورية، قرر بالاتفاق مع جمعية الفتاة، دعوة مؤتمر سوري عام يمثل كل سورية(٢٤). لأن اجتماع ٥ ماي / أيار / لم يعتبر رسمياً. وكان هذا تمشياً مع سياسته السورية الجديدة. (ولأن للمجالس النيابية في نظره، المقام الأول في الحكومات الراقية). ونظراً لأن الوقت لا يتسع لإجراء انتخابات، ولأنه يستحيل مثل ذلك في الساحل، وفلسطين، بسبب معارضة الفرنسيين والانكليز المحتلين للمنطقة، لذلك تقرر أن تجرى الانتخابات من قبل الناخبين الثانويين، الذين انتخبوا آخر مرة نواباً عن البلاد لمجلس المبعوثين في استانبول. وعلى هذا الأساس دعت حكومة الركابي أعضاء

(٢٣) F.O. 371 /4182/ 30 Juil 1919, P. 29

(٢٤) المنار، مجلد ٢٣، ج ٥، ٢٧ ماي / أيار / ١٩٢٢، ص ٣٩.

المجلس العمومي، أي النواب في كل من ولايتي دمشق وحلب، المنتخبين على مقتضى القانون العثماني، ليكونوا أعضاء في المؤتمر السوري. أما في الساحل وفلسطين، فلقد اكتفي بانتخابات خاصة عن طريق توقيع عرائض من الأهالي بانتخاب من يريدون، قام بها أنصار الحكم العربي. وكانت النتيجة أن تمثلت المناطق الثلاث بمجموعة من الأدباء، والمفكرين، والوجهاء، والقادة، والشباب. وكانوا في غالبيتهم من مؤيدي الحكم العربي[٢٥]. وكان المؤتمر مدعوماً من حزب الاستقلال، وحزب الاتحاد السوري، لاتفاق بين أهدافه (حزب الاتحاد) وغاية المؤتمر. وكان يعتبر ممثلاً شرعياً وحقيقياً للبلاد، واعترفت بذلك لجنة كنغ ــ كرين كما سيأتي. وكانت قلة ضئيلة من أعضاء المؤتمر من أنصار الانتداب الفرنسي، إلا أنها لم تكن ذات صوت مسموع. كما أن النواب المسيحيين كانوا أكثر عدداً من نسبتهم إلى السكان[٢٦]. وكان عدد الأعضاء خمسة وثمانين، يمثلون دمشق وحلب ومناطقهما وحماه وحمص ودير الزور وحوران وجبل الدروز والكرك (شرقي الأردن) وانطاكية واللاذقية وبيروت وطرابلس وجبل لبنان وفلسطين[٢٧].

---

(٢٥) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٩٠ ــ ٩٤. وقدري، ص ١٢١ David, P. 72
انظر الملحق وفيه صورة غلاف لبطاقة أحد نواب المؤتمر وورقة إجازة له بالسفر. مديرية الوثائق التاريخية، دمشق، القسم الخاص، أعلام.

(٢٦) العهد الفيصلي، ص ٩٤.

(٢٧) يعلق (David) على المؤتمر وانتخابه، بأن رفض الفرنسيين والانكليز في الساحل وفلسطين، السماح باجراء الانتخابات في مناطق احتلالهما، تعطيل لعمل المجلس في المستقبل، الذي لا يمثل شرعياً كل سورية، ولا يحق له المطالبة باستقلالها. كما يذكر بأن المسيحيين فيهما رفضوا الانضمام إلى سياسة فيصل التي يسميها (الشريفية)، وان الذين انضموا منهم للمؤتمر، هم من الحزب الشريفي، وغالبيتهم من المسلمين. P. 54, 62

صرحت لجنة حزب الاتحاد السوري بأنه يمكن اعتبار المؤتمر السوري مجلساً لسورية، وأن الشعب السوري يشكل حكومة وطنية، وأنه يمكن للمؤتمر عقد انتخابات وإرسال مفاوضين لباريس، للدفاع عن حقوق الشعب السوري.
F.O. 371 /4182/ 10 Sep 1919 P. 441.

ورغم سيطرة حزب الاستقلال على المؤتمر، فقد حاول الأرستقراطيون (الزعماء التقليديون والأغنياء)، الذين سمحت لهم طبيعة الانتخابات أن يكونوا أعضاء في المؤتمر، منذ البدء وأن يسيطروا على المؤتمر، ولذلك عقدوا اجتماعاً لنواب ولايتي دمشق وحلب في دار (محمد فوزي العظم)، وانتخبوه (العظم) رئيساً للمؤتمر، وانتخبوا الغني الكبير، عبد الرحمن اليوسف، نائباً له[٢٨] . وكان هذان من الموالين للأتراك ثم مالا للفرنسيين. وقتل اليوسف على يد الوطنيين بعد احتلال الفرنسيين لسورية وتعاونه معهم. إلا أن الاستقلاليين أفشلوا خطتهم (جماعة يوسف)، وانتخبوا (هاشم الأتاسي) من الفتاة، رئيساً له في أول جلسة رسمية في ١٩ جوان / حزيران / ١٩١٩. وظهر فيها أن معظم النواب يطالبون بالاستقلال والوحدة، وأنهم كانوا لا يمانعون في الانتداب الأمريكي أو البريطاني، على أساس أنه مساعدة فنية. وكانت توجد أقلية تطالب بالانتداب الفرنسي، وأقلية أخرى لا تفرق بين الانتدابين[٢٩] .

كانت مهمة المؤتمر الأساسية وضع قانون أساسي للبلاد، والاشراف على أعمال الحكومة[٣٠] ، والاتفاق مع اللجنة الوطنية للدفاع عن وحدة سورية واستقلالها، ومقاومة التدخل الأجنبي، وخاصة الفرنسي.

أما غاية فيصل نفسه منه، فقد كانت لتنفيذ سياسته بتبني المؤتمر لها في (وحدة سورية واستقلالها)، حتى يبين بوضوح أهداف الشعب أمام اللجنة الأمريكية. ولذا فقد تابع فيصل نشاطه لهذه الغاية، فذهب لحلب بعد أن أتم الأمر في دمشق، ودعا إلى اجتماع فيها في العاشر من جوان / حزيران / يوم وصول اللجنة الأمريكية إلى فلسطين ـــ حضره الوجهاء والقادة، كما حضره القادة البريطانيون ـــ أظهر فيه تفاؤله من قدوم اللجنة، وأوضح أن مستقبل الأمة يتوقف على ما ستقوله أمام هذه اللجنة، فقال «أنتم أحرار في بلادكم، وستقولون ما تريدون، وسيعمل بما تريدون» وأوصاهم أن يكونوا مخلصين يداً واحدة، كمواطنين سوريين وعرب، لأن السوريين

(٢٨) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٩١.
(٢٩) مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم في صيف ١٩٦٩ وداغر، ص ١٠٤.
(٣٠) من مذكرات حسن الحكيم الخطية، ص ٩.

عرب رغم اختلاف الأديان[٣١] . وأيده الحاضرون ، وضمن لسياسته النجاح في حلب أيضاً[٣٢] .

وبعد عودة فيصل من حلب إلى دمشق ، عقد المؤتمر السوري عدة جلسات ، كانت جلسة ١٧ جوان / جزيران / هامة فيها ، إذ طالب معظم النواب بوحدة سورية واستقلالها التام الناجز ، وانتداب آمريكا أو بريطانيا إن لم يكن بد من الانتداب ، ورفض انتداب فرنسا[٣٣] .

ولكن كيف قبلت أكثرية النواب بالانتداب كمبدأ ، مع ما في ذلك من تناقض مع الاستقلال ، مع العلم بأن هذا القول كان موحى به من فيصل ، والفتاة ، وحزب الاستقلال ، وهم الأكثرية في المؤتمر ، وهم الذين اتفقوا على طلبه . في الواقع لقد تم ذلك بعد مناقشات طويلة بين فيصل والهيئة الادارية للفتاة ، حيث أفضى فيصل بأسرار كثيرة عن الوعود التي نالها من بريطانيا ، والعهود التي قطعتها على نفسها لتأييد استقلال سورية ، ومساعدتها على تأمين الوحدة العربية . وكان من رأي فيصل ، أن طلب الانتداب الأمريكي أو البريطاني ، لا يناقض فعلياً عدم قبول أي انتداب ، لأن الولايات المتحدة ، لن تقبل بالانتداب ، متمشية مع مبدأ (مونرو) ، القاضي بعدم تدخلها خارج أمريكا ، ولأن بريطانيا سترفض الانتداب أيضاً ، لأنها لن تقبل ما يرفضه السوريون من حليفتها فرنسا ، حتى لا يصاب حلفهما بالتصدع . أما إذا لم يطلب انتدابهما ، فقد يجبر الحلفاء السوريين على قبول انتداب فرنسا بالقوة[٣٤] . وبهذه الحجة

---

(٣١) الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٢١٣ــ٢١٧ .
و F.O. 371 /4181/ 23 Juin 1919, P. 362

(٣٢) Documents, 1 Ser, vol IV, P. 291.

(٣٣) الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ١٠٠ .

(٣٤) الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ١١٠ .
وانظر Documents, 1 Ser, vol IV, P. 277
وداغر ، ص ١٠٤ .
استدعى فيصل كرد علي « وطلب منه أن يدعو الشاميين ليقولوا بانتداب بريطانيا عليهم ، فيوحد الانتداب في أرض العرب ، فأجابه ، بأن هذا كان يجب ان يكون قبل ستة أشهر على الأقل ، فقال فيصل ، بأنه مازال
←

استطاع فيصل أن يقنع الفتاة وحزب الاستقلال بخطته، في طلب انتداب أمريكا أو بريطانيا، ورفض فرنسا.

ولم يأل فيصل جهداً في سبيل العمل لوحدة سورية واستقلالها، فكان يتصل بالعاملين والزعماء الشعبيين، بالاضافة إلى ما يقوم به من عمل رسمي لهذا الغرض. وكان الركابي وحكومته يؤيدون فيصلاً في كل ما يعمل.

٤ ـ معارضة اللبنانيين والسلطة الفرنسية في الساحل لفيصل في وحدة سورية

حاول الفرنسيون مقاومة فيصل في لبنان، وأرادوا أن يؤسسوا حزباً باسم (اتحاد مسيحي)، لكنهم فشلوا كما مر معنا، إلا أنهم كانوا يخوفون المسيحيين من المسلمين، وينعتون جيش فيصل بالجيش الحجازي، وأن الحكومة العربية حكومة دينية[٣٥]. كما كانت الصحف اللبنانية الموالية لفرنسا تركز حملة ضد فيصل، لتفريطه في فلسطين، وقبوله بالانتداب البريطاني المتفق مع الصهيونية، ورفضه الانتداب الفرنسي غير المرتبط بالصهيونية على الأقل[٣٦]. وكانت السلطة الفرنسية تمنع يوسف العظمة المعتمد العربي في بيروت، من القيام بنشاط مضاد لها، وتضيق عليه نشاطه بين المسلمين، وكان هو يعمل جاداً لبث الدعاية للحكومة العربيـة في دمشق[٣٧]. كما حاول الفرنسيون أن يقطعوا على فيصل الطريق أمام مطالبته بلبنان، فأوعزوا إلى مجلس إدارته أن يتخذ قراراً صريحاً بذلك، ليسمعه فيصل بأذنه وهو بينهم في لبنان في ٢ ماي / أيار / ١٩١٩، عندما عاد من أوروبا. وصدر قرار مجلس إدارة لبنان في نفس اليوم، ينص على استقلال لبنان بهذه الصيغة:

← في الوقت متسع لاعداد الافكار لهذا الرأي، وانه (كرد علي) بما له من الثقة عند القوم، يدعوهم فيستجيبون له».

كرد علي خطط الشام، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣٥) الحصري، يوم ميسلون، ص ٧٧.

(٣٦) Yale, P. 236

(٣٧) Gountont Biron, P. 206

١ ــ المناداة بإستقلال لبنان الاداري والسياسي، بحدوده التاريخية والجغرافية، ورد الأجزاء المغتصبة منه له.

٢ ــ حكومة لبنان ديمقراطية مؤسسة على الاخاء والمساواة.

٣ ــ اتفاق الحكومة اللبنانية والفرنسية، على العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة.

٤ ــ رسم وتنظيم القانون الأساسي.

٥ ــ تقديم القرار إلى مؤتمر الصلح.

٦ ــ إعلان القرار في الجريدة الرسمية[٣٨].

ومنذ البدء، حاول فيصل أن يتلافى ما يمكن لفرنسا أن تقوم به من دعاية ضد الحكم العربي، فعين ــ كما مر ــ بين أعضاء الحكومة، عدداً من المسيحيين يزيد عن نسبتهم السكانية، كما كان يعلن في كل مناسبة الجملة المشهورة «الدين لله والوطن للجميع». وقد نجح في كسب رضا قسم من رجال الدين المسيحي[٣٩].

وكان جورج بيكو، المفوض السامي الفرنسي في بيروت، قد عاد إلى عمله بعد مضي سنوات الحرب الأربع، ويذكر اسمه بأمرين في سورية، الأول هو تركه الأوراق الرسمية في القنصلية الفرنسية، والتي اعتمدها جمال باشا سبباً لإعدام الوطنيين، والثاني هو شراكته في اتفاقية سايكس ــ بيكو، والأمران يدعوان للمرارة منه. وإذا كان سايكس كما يذكر بعض أصدقائه، قد أظهر ندمه على عقده الاتفاقية المذكورة مع بيكو، فإن هذا قد عاد إلى سورية لينفذها، وكان نشيطاً في عمله مع أصدقاء فرنسا، وكذلك كان نشيطاً ضد فيصل في سورية، وكان يقوم بمهمة دعائية مثلما كان يفعل شكري غانم في فرنسا. فأخذ يرسل البرقيات، ويحض السكان في الساحل للكتابة إلى الحكومة الفرنسية ومؤتمر الصلح، لطلب حماية فرنسا، أو لإنشاء دولة لبنان الكبير، وتوسيع حدوده على حساب سورية. وهذه نماذج منها. فهاهم سكان منطقة جزين في لبنان،

(٣٨) قدري، ص ١٣٢.

(٣٩) الحصري، يوم ميسلون، ص ٧٧.

يرسلون عريضتين في ٣٠ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ و ١ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩ إلى مؤتمر الصلح، لتوسيع حدود لبنان إلى حدوده التاريخية والطبيعية(٤٠). وكذلك أرسل أهالي البقاع عريضة إلى مؤتمر الصلح لضمهم إلى إدارة جبل لبنان، وكانوا خاضعين للحكم العربي(٤١). وكذلك أرسل أهالي بيلان (من لواء الاسكندرون الواقع تحت الحكم الفرنسي) إلى الحكومة الفرنسية في جوان / حزيران / ١٩١٩، مضبطة ينكرون فيها أية علاقة لهم بالحكومة (الشريفية)، ويظهرون عواطفهم الطيبة نحو فرنسا(٤٢). كما أرسل بيكو رسالة إلى حكومته في ١٠ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، بأن أعيان طرابلس وبيروت يريدون إرسال وفد إلى مؤتمر الصلح، لطلب مساعدة فرنسا(٤٣)، مع العلم أن طرابلس كانت مؤيدة لفيصل، كما ذكر أنه قابل مختار الصلح (من أنصار الحركة العربية) وعمر الداعوق حاكم لبنان الذي عينه فيصل، وكانت نتيجة المقابلة أنهما أدركا أن الظروف الحالية لا تمنع من التعاون مع فرنسا(٤٤). كما كان مجلس إدارة لبنان، قد اتخذ قراراً بالاجماع في ١٩ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، يطالب بتوسيع حدود لبنان، حتى يكتفي ذاتياً، وبتأييد استقلاله الاداري، والقضائي، وبتشكيل مجلس نيابي، ومساعدة فرنسا لتقدم البلاد ورقيها(٤٥). وهو القرار الذي أعلنه المجلس رسمياً في ٢ ماي / أيار / الذي ذكرناه آنفاً. وتلقى بيكو مضبطة من أهالي قرية تعلبايا (مارونية)، لإعادة سجل قريتهم إلى جبل لبنان(٤٦). ونشرت مجلة صدى لبنان عدد ٢٢٥٣ ملحق ٣ (٩ جوييه / تموز /) ١٩١٩، دعوة من لجنة كسروان، لاعتبار عيد فرنسا في ١٤ جوييه / تموز /، عيداً وطنياً في جبل

---

(٤٠) D.F.Aff. Etr, Levant, 9 PP. 41-43.

(٤١) Ibid, P. 70.

(٤٢) Ibid, Levant 14 (9 Juil) P. 153

(٤٣) D.F.G. 7N-1658 (10 Dec 1918) Picot

(٤٤) D.F.Aff. Etr, Levant, 9 (1 Jan 1919) P. 1

(٤٥) Ibid, Levant, 6, PP. 79-80

(٤٦) Ibid, Levant, 15 (21 Jui 1919) P. 100

لبنان، تعطل به الدوائر وتتم به الاحتفالات والمعايدات والزينات (٤٧-٤٨) ... وغير ذلك كثير من النشاطات المؤيدة لفرنسا في لبنان.

أما في سورية نفسها، فقد كان الموقف مختلفاً بالنسبة إلى فرنسا أو بيكو نفسه. ولم يجد بيكو في رحلته إلى حلب مع سايكس، ذلك الود الذي كان يلقاه في لبنان. ففي أواخر ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨، ذهب الرجلان في محاولة من سايكس لتصفية الجو بين العرب والفرنسيين، ولإثبات أن الانكليز ليسوا ضد الفرنسيين، الذين كانوا يتهمون الحكومة البريطانية بنشاط دعائي معادٍ لفرنسا. وقد قابله الحلبيون ــ حسب رواية بيكو في تقريره ــ بتحفظ معادٍ، وخاصة المسلمون المحافظون منهم، بينما لقي ترحيباً من الجمعيات المسيحية. وقد ساعده سايكس حتى استطاعا تناول الغداء سوية مع علي رضا الركابي، الحاكم العسكري في سورية، والشريف ناصر، وجرى الحديث عن السياسة، وقد لاحظ جورج بيكو بكل سهولة، ومنذ البداية، أن الاحتكاك الذي حدث في دمشق بين ضابط الارتباط الفرنسي والسلطة، قد ترك «أثراً عميقاً عند محدثي وشكاية طويلة قد صدرت عنهم ممزوجة بالمرارة».

وتحدث بيكو وسايكس في النادي العربي، حيث حضر الاجتماع شخصيات حلب الرئيسية وشباب الأحزاب العربية، وكانت لهجة الأحاديث ودية ومرحبة، وقد استقبلت كلمة بيكو من جمهور خاص جداً، بينما علا التصفيق عندما تكلم سايكس. وقد ذكر هذا جهود فرنسا التي لولاها لما كان العرب في حلب الآن. وقد لاحظ بيكو أيضاً في هذا الاجتماع الشعور الفاتر الذي يجب الاعتراف به(٤٩).

ونفذ بيكو سياسة فرنسا الطائفية في سورية، سواء قبل رحلة فيصل إلى أوروبا، أو بعدها، وأخذ يتصل بالطوائف، حتى يضمهم إلى صفوف فرنسا، ضد الحكومة العربية في دمشق. فإضافة إلى الاتفاق مع أصدقاء فرنسا من المسيحيين، فإن بيكو والمسؤولين من الضباط الفرنسيين قد اتصلوا ببعض العلويين، وكانوا في دورهم إلى

(٤٧-٤٨) Ibid, P. 72.

(٤٩) D.F.Aff. Etr. Levant, 6 (30 Dec 1918) P. 248 et Levant, 7 (1 Jan 1919) P. 1

إعطائهم كياناً خاصاً وجيشاً أو شرطة محلية . وعندما اتصل رجال الحكومة العربية بالعلويين ، أرسل بيكو تعليماته إلى الضباط الفرنسيين كي يفعلوا كل شيء لوقف تلك المحاولة(٥٠) .

واتصل جورج بيكو بالدروز في مارس / آذار / ١٩١٩ ، حيث طالبه هؤلاء بالاستقلال الاداري تحت وصاية فرنسا ، وأن يعفى الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية ، سواء في بلادهم أو خارجها ، وأخذ حالة الفقر في بلادهم بعين الاعتبار ، وأن تحسن فرنسا حالهم وجبلهم من الناحية المالية والاقتصادية والزراعية وتطوير المدارس ،واعتبار آل الأطرش أمراء كالأمراء الجزائريين . ويجب استخدام الدروز فقط في الوظائف الادارية ، وللسكان حق التسلح لمحاربة البدو ، أو أن تحميهم فرنسا منهم(٥١) .

وفي شهر جوان / حزيران / ، تعهد فارس الأطرش ، ومتعب هلال الأطرش ، وسلمان بن عبده الأطرش على خدمة فرنسا ، ومن يخالف يدفع ٥٠٠ ليرة ذهبية جزاءً . كما تقدم سليم الأطرش بطلب إلى الحكومة الفرنسية ، لحمايته وعائلته . وفعل مثله متعب الأطرش(٥٢) .

وتحقيقاً لفكرة استقلال الدروز ، طالب هؤلاء في ٢ جوان / حزيران / ١٩١٩ ، الأمير فيصلاً بتشكيل حكومة وطنية في جبل الدروز ، وأن يكون سليم الأطرش متصرفاً عليه ، وأن يقسم إلى ١٢ ناحية(٥٣) ، وهذا يذكرنا باتفاق فيصل مع الدروز قبيل دخول دمشق سنة ١٩١٨ . وفي يوليو / تموز / ١٩١٩ ، أعطى فيصل لعائلة الأطرش وظائف عالية تلافياً لنشاطات بيكو ، وعين سليماً متصرفاً للجبل وأعطى سلطاناً رتبة فريق في الجيش ، وعين نسيباً موظفاً عالياً في الحكومة(٥٤) . وقد

---

(٥٠) Ibid, Levant, 6 (13 Dec 1918) P. 5.

(٥١) D.F.Aff. Etr, Levant, 10 (14 Mar 1919) P. 140

(٥٢) Ibid, Levant. 14, P. 91 et 95

(٥٣) Ibid, PP. 87-90.

(٥٤) Ibid, P. 186.

شكل الفرنسيون أيضاً للدروز دولة في الجبل بعد الاحتلال الفرنسي لسورية سنة ١٩٢٠، أسوة بدولة العلويين.

ولعل أغرب ما فعل بيكو في هذا المجال، هو إعطاؤه نفسه الحق، بعقد اتفاق مع فئة من سورية دون الرجوع إلى حكومة دمشق، وكأنه تعامل مع حكومة مستقلة، متجاهلاً القرارات العسكرية من بريطانيا حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو، التي تعترف بأن فيصلاً هو المسؤول في سورية الداخلية، أو منطقة الاحتلال الشرقية، وذلك أن الفرنسيين أقاموا علاقات مع مجحم بن مهيد أحد شيوخ عنزة، وهي قبيلة بدوية تقطن البادية السورية وأطراف الجزيرة. وبدأت هذه العلاقة بعد احتلال الفرنسيين لجزيرة أرواد عام ١٩١٥. وتابع بيكو تلك العلاقة وأرسل تعليماته إلى الضابط الفرنسي بيلي Pilley حيث عقد مع مجحم اتفاقية في ١٢ جوييه / تموز / ١٩١٩، تتألف من سبع مواد تنص على:

١ ــ يتعهد مجحم باسمه واسم شيوخ عنزة التابعين له، بطلب الانتداب الفرنسي.
٢ ــ يكون لفرنسا الحق على كل أراضي عنزة، في الامتيازات الخاصة الممنوحة للتجار الفرنسيين، وللحكومة الفرنسية، بما يضمن مصالح الطرفين المتفقين.
٣ ــ يلحق بمجحم ضابط فرنسي، وطبيب، يقدمان له المساعدة المادية والمعنوية التي يحتاجها حسب الظروف.
٤ ــ يتعهد مجحم بن مهيد ألا يتحالف مع أي دولة أخرى إلا فرنسا، وهذا يكون معترفاً به بين اتحاد قبائل عنزة، وبين الممتلكات الأجنبية الأخرى، أياً كان نوعها.
٥ ــ تحترم فرنسا حياة مجحم البدوية.
٦ ــ تحترم فرنسا العادات التقليدية لقبائل عنزة.
٧ ــ يحق لقبائل عنزة أن تحتفظ بسلاحها، طالما تحتاج سلامتها ذلك، في حالة تهديدها من قبل جيرانها من القبائل. وتتعهد فرنسا ــ إضافة إلى ذلك ــ بدعم عنزة في كل الحالات التي يحاول أعداؤها ارتكاب أعمال عدائية ضدها.
٨ ــ يتعهد الطرفان بتنفيذ هذا الاتفاق حالما يوقع عليه.

ومنذ وقع مجحم عليه، شرع يبث دعاية لفرنسا في الأوساط الاسلامية في حلب، كان لها تأثير قوي ساعد على جذب أكبر إقطاعي مهم فيها (حلب) وهو هاشم بك (؟...).

توقيع جورج بيكو[٥٥].

وعندما عاد فيصل من أوروبا في أول مايو / أيار / ١٩١٩ إلى سورية، ووصلت أخبار (اتفاقه) مع كلمنصو إلى كل الأطراف ومنهم الموارنة أصدقاء فرنسا. وقع بيكو في مأزق تجاه هؤلاء الأصدقاء، فقد كان مضطراً أن ينفذ كلام كلمنصو باتفاقه مع فيصل، وهذا ما أغضب الموارنة الذين يرفضون حكم فيصل، وهو لا يستطيع إغضابهم، وإذا كانت فرنسا ستستميل فيصلاً، فإنها ستخسر حزبها الصديق (الموارنة)، وقد قال الممثل الاداري الفرنسي Deliot في حديثه مع بعض المسلمين، إن الفرنسيين مستعدون أن يضحوا بالمسيحيين كي يكسبوا المسلمين إلى جانبهم، وقال إن فرنسا كانت دائماً حكومة مسلمة، وأنها منذ الزمان القديم كانت تدعم المسلمين[٥٦]. لكن سياسة فرنسا وبيكو في سورية، كانت بعيدة كل البعد عن جذب المسلمين إليها. وهذا برأينا خطأ كبير وقعت به السياسة الفرنسية، إذ ركزت كل اهتمامها على جذب المسيحيين، والطوائف الأخرى، وبذلك أثارت رد الفعل عند الأكثرية المسلمة، فوقفت ضدها. وتنفيذاً لخطة كلمنصو بمتابعة الحوار مع فيصل، للوصول إلى اتفاق تام معه، أرسلت جورج بيكو إلى دمشق في العشرين من ماي / أيار / ١٩١٩ وتباحث مع فيصل لعدة أيام، أصر فيها فيصل على مطلبه القديم الذي رفضه كلمنصو، وهو الغاء اتفاقية سايكس ــ بيكو، وإنشاء إدارة وطنية في الساحل السوري ولبنان، تحل محل الحكم العسكري الفرنسي، وترتبط مع سورية (الفيصلية)، بوحدة أو اتحاد، وفقاً لرغبات الأهلين. لكن بيكو اعتذر عن الغاء اتفاقية سايكس ــ بيكو الأصلية، لأن بريطانيا طرف آخر فيها. وكان اعتذاره باطلاً، لأن بريطانيا نفسها كانت تحاول الغاء الاتفاقية المذكورة، حتى تحصل على بترول

(٥٥) D.F.Aff, Etr, No 1001, Duplicata bis (dans: D.F.G. 7N-1640.

(٥٦) F.O. 371 /4181/ (20 Jui 1919) P. 175.

الموصل.-وطلب منه فيصل أن تتعهد فرنسا أيضاً بإدخال الموصل وفلسطين ضمن الدولة السورية، فاعتذر بيكو أيضاً، لأن بريطانيا برأيه ترفض ذلك، كما رفض الدخول في مناقشة مع فيصل حول العراق، لأنه من شأن بريطانيا أيضاً. إلا أنه وعد فيصلاً بالعمل على إنشاء سورية موحدة، فطلب منه فيصل أن تعلن فرنسا ذلك رسمياً، قبل وصول اللجنة الأمريكية، حتى يطمئن الناس، فقال ان إعلان ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ كاف، لكن فيصلاً لم يقبل به، لأنه مختصر وغير وافٍ. وعندها أبرق بيكو إلى وزارة الخارجية الفرنسية بذلك(٥٧).

ويبدو أن الحكومة الفرنسية أرادت أن تستغل الظرف، حتى يقبل السوريون بإنتدابها أمام اللجنة الأمريكية، أو لا يرفضونها على الأقل، فأبلغت بيكو بقبول اقتراح فيصل. وحمل بيكو الجواب في ١٨ جوان / حزيران / وأبدى استعداده لنشر بيان يتفق مع مطالب فيصل في الساحل، بدون أن تتقيد فرنسا بتوقيع اتفاقية معه بهذا الشأن(٥٨). كما أظهر بيكو سياسة فرنسا الودية نحو سورية، وكيف رفضت طلب بريطانيا الداعي لاحتلال جبل الدروز وحوران. وحاول بيكو أن يقلل من أهمية اللجنة أمام فيصل، حتى يثنيه عن مساعيه أمامها، لأنه، برأي بيكو، لن يكون لقراراتها

(٥٧) كان الدكتور أحمد قدري مترجماً بين فيصل وبيكو، وكان يتصرف بالترجمة حتى لا يفهم بيكو عكس ما يقصد فيصل، وقد لاحظ بيكو ذلك فاعترض عليه، لكن فيصلاً أيد الترجمة وأقوال قدري.

قدري، ص ١١٧، قابل رشيد رضا بيكو بناء على طلب الاخير في ١٧ ماي / أيار / في بيروت، وطلب منه ان تكون اللغة العربية رسمية بالنسبة للمسلمين، والا تتعرض السلطة الفرنسية للاوقاف والتعليم الديني، فوافق بيكو، وصرح له بوجوب توحيد الادارة في الساحل والداخل، أما بالنسبة لرئاسة الادارتين، فقال بأنه متروك لمؤتمر الصلح. وأصر بيكو ونائبه (دوكي)، على وجوب ابقاء القوات الفرنسية في الساحل على الاقل.

وكتبت جريدة (الفيغارو)، بأن وصاية فرنسا يجب ان تكون شاملة لكل البلاد السورية، وليس على سورية مقسمة. عن مجلة المنار، مجلد ٢٣، ج ٢ ٢٧ فقريه / شباط / ١٩٢٢، ص ١٤٦، مجلد ٢١، ج ٤، مارس / آذار / ١٩٢١، ص ٣١٢، مجلد ٢٣، ج ١، افريل / نيسان / ١٩٢٢، ص ٧٧.

(٥٨) قدري، ص ١١٨.

وانظر تقرير كورنواليس عن هذه المقابلة في:

F.O. 371 /4181/ PP. 352-353.

أهمية في مؤتمر الصلح ،لأنها مرسلة من قبل ولسن فقط . لكن فيصلاً لم يقنع بذلك ، وخاصة واللجنة كانت تقوم بعملها في سورية ، فرفض وجهة نظر بيكو ، وسأله لماذا لم توافق فرنسا على الاشتراك باللجنة ، فأجاب بيكو بأن ذلك جرى في باريس وهو لا يعرف . ووصف بيكو فيصلاً في آخر المقابلة إلى كورنواليس ، بأنه ضعيف ، ولا يقدر على حكم سورية ، وأن الشعب سيصوت ضد فرنسا ، لكن لن يكون هناك قتال إذا دخلت فرنسا إلى سورية ، وأن ٢ ــ ٣ فرق Brigades هي كافية(٥٩) .

وقد عبر بيكو إلى كلايتون في ١ جوان / جزيران / ١٩١٩ ، عن رأيه الحقيقي بالموقف في سورية ، وهو مالم يقله لفيصل صراحة ، وإن كان يعمل له ، إذ قال « بأن عملية اقتسام سورية سائرة في مجراها دون استشارة فيصل ، بينما تجري الترتيبات لاقتسام سورية »(٦٠) .

ومن البداية كان جورج بيكو يتصرف ضد فيصل ، ورفض أن تمنح الحكومة الفرنسية الوسام المقرر إهداؤه لفيصل من طراز الضابط الكبير ، حتى لا يثير أصدقاء فرنسا من المسيحيين . وجاء في جواب له إلى وزارة الخارجية الفرنسية في ٥ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨ «إنني لم أعلق الوسام لفيصل ، لأني تأكدت أن هذه الحركة ستسبب القلق إلى أصدقائنا المسيحيين ، دون أن يدعمنا هؤلاء الذين اتخذوا موقفاً ضدنا ، وأنا أرى أنه قبل أن يعطى هذا الوسام في فرنسا نفسها ، يجب إيقاف السياسة التي تقابلنا بها حكومة دمشق بالمثل»(٦١) .

ومع كل هذا ، كان الفرنسيون يعتبرون فيصلاً أقل تطرفاً من أخيه زيد ، وقد أرسل بيكو تقريراً في ٢٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩ ، ذكر فيه أن غياب فيصل قد شجع المتطرفين لإثارة العواطف ضد فرنسا ، وأن ذلك كان بمساعدة دولة أجنبية ،

(٥٩) Biron, P. 236 و F.O. 371 /4181/ 13 Jui 1919 P. 275
وأمين سعيد ، ج ٣ ، ص ٤٦ .

(٦٠) برقية من كلايتون إلى كرزون .
Documents, vol IV, P. 263

(٦١) D.F.G. 7N-1658, le Caire (5 Dec 1919) No 664 (Affaies Etrangeres)

ويقصد بها انكلترا[٦٢]. حيث كانت التقارير الفرنسية تشكو دائماً، من انحياز الضباط الإنكليز في سورية، إلى زيد والحكومة العربية ضد فرنسا. وشكا بيكو أيضاً من أن زيداً ينفق المال الذي تقدمه بريطانيا وفرنسا دون حساب، للدعاية الشريفية، وهو المال المخصص للإنفاق على الإدارة[٦٣].

وفي الحقيقة كان بيكو كارثة على العرب، وعلى سورية بشكل خاص، وخاصة باتفاقيته المشؤومة سايكس ـــ بيكو. ولم يكن له أي رصيد من الثقة لدى العرب، منذ تسبب بتركه أوراق القنصلية في بيروت إعدام الزعماء، وهذا ما عبر عنه النائب الفرنسي Victor Augagneur في رسالة له إلى مجلس النواب الفرنسي في ١٢ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، وطالب بنقله من مركزه في بيروت وتعيين مفوض أكثر حيوية منه، حتى ينظم البلاد، ليس لأنه فقط مكروهاً من العرب، بل لأنه مهمل كلية من قبل اللنبي، الذي لا يعرف سوى الكولونيل دبياباب[٦٤].

كما أن بيشون احتج أيضاً إلى بلفور، على الدعاية الإنكليزية في سورية ومصر ضد فرنسا، وقال إن زيداً خلال غياب فيصل، قد حول سورية إلى مملكة مستقلة تحت حكم الملك حسين، كما أنه ادعى ذلك على لبنان، ووصفه بأنه جوهرة الإمبراطورية العربية. وقال بيشون إن حداد باشا الضابط البريطاني، هو من أصل سوري، ويصرح بأن حل مسألة سورية هو أن يكون فيها حكم شريفي، وانتداب بريطاني، وأن الجنرال بولفان يدعم زيداً، وقد قدم له الخيول. كما أن الأمير فيصلاً نفسه يشجع بشكل واسع المواطنين، ويثير بينهم القلق، حتى بين الدروز، ويثير المسلمين الذين «يتوقون لتحرير أنفسهم من هذه السياسة التعصبية»[٦٥]. وكان رد فيصل على الاتهامات الفرنسية،

---

(٦٢) D.F.Aff, Etr, Levant, 8 (26 Jan 1919) P. 107

(٦٣) F.O. 371 /4179/ (10 Dec 1919) P. 144
وفيه مجموعة من تقارير بيكو عن سورية.

(٦٤) D.F.Aff, Etr, Levant, 5 PP. 239-241

(٦٥) F.O. 371 /4179/ 31 Jui 1919 PP. 343-350

أن الدعاية ضد فرنسا سببها فرنسا نفسها، ودعايتها، وخوف السوريين من استعمارها، كما هو في الجزائر وتونس(٦٥ب).

٥ـ ابقاء الإنكليز في صفه

أما اللنبي القائد العام، فقد كان موقفه أن يبقي الأمور في سورية كما هي، حتى تحل القضية في مؤتمر الصلح. وبصفته المسؤول عن أمن المنطقة، كان يراقب بحذر الشعور الوطني المتصاعد في طلب الوحدة السورية، والاستقلال في المناطق الثلاث. وكان يخشى من اندلاع ثورة عامة في كل سورية ضد كل الأوروبيين، لا الفرنسيين فقط، وخاصة في الفترة التي سبقت وصول اللجنة. إذ بلغ النشاط السياسي ذروته، لدى العرب والفرنسيين ومنافسيهم الإنكليز. ففي أواخر ماي / أيار /، وصلت برقية إلى فيصل من وفد الحجاز في باريس تقول، إن اللجنة قد لا تذهب إلى سورية، لأن فرنسا تضع العراقيل أمامها، بحجة أن العرب السوريين ليسوا من النضج الكافي الثقافي والفكري، لوعي مثل هذه الأمور(٦٦). فأرسل فيصل كتاباً إلى اللنبي، بأنه سوف يعلن استقلال سورية إذا لم تحضر اللجنة، وقال «إننا لا نقبل أن نقسم كالقطيع». فأجابه اللنبي بعنف، وحذره من مثل هذه التصريحات، وهدده بالصدام مع القوات الإنكليزية والفرنسية معاً، ورفض موافقة فيصل على عقد مؤتمر سوري، وأبلغه بأن بريطانيا لا ترغب في الانتداب على سورية، وحذره تحذيراً حاسماً من أن أي إجراء متسرع قد «يؤدي بك إلى الاشتباك مع قواتي، وسوف توضع عندئذٍ نهاية سريعة لجميع مطامحك الوطنية»، لكن اللنبي وعده، بأن بريطانيا ستلقي بثقلها إلى جانب قرارات اللجنة(٦٧). وفي ١٢ جوان / حزيران /، أبلغ اللنبي بلفور عن خطورة الموقف، وخاصة في فلسطين، لأن الناس مسلحون يقودهم ضباط عرب بإشراف الهاشمي(٦٨). فأجاب بلفور، بأن مجلس الحلفاء سيأخذ بعين الاعتبار آراء الأعضاء

(٦٥ب) Ibid, 4182/ 5 Juil 1919. PP. 10-12.

(٦٦) قدري، ص ١١٩.

(٦٧) Tibawi, P. 295 و Documents, vol IV, P. 265-294, 365.

(٦٨) Tibawi, P. 295 و Documents, vol IV, P. 267

الأمريكيين في اللجنة، لكن القرار النهائي هو للمجلس الأعلى، وليس من صلاحيات اللجنة. وأرسل فيصل إلى اللنبي في جوان / حزيران /، يستوضح عن أهمية قرارات اللجنة، وعن قبول بريطانيا للانتداب على سورية، وفي حالة عدم إمكانية ذلك، فإنه يفضل طلب انتداب أمريكا على فرنسا، فأجاب اللنبي بأن بريطانيا لا ترغب في الانتداب على سورية، وعندها عبر فيصل عن سروره، لأن بريطانيا ستأخذ قرارات اللجنة بعين الاعتبار. وأرسل بذلك إلى اللنبي، وأضاف مكرراً أن كل السوريين سيطلبون انتداب بريطانيا. فأبلغ اللنبي فيصلاً من جديد بجواب لبلفور، يقطع قطعاً جازماً برفض بريطانيا قبولها الانتداب على سورية(٦٩).

وعندما سد طريق بريطانيا أمام فيصل، اتجه إلى الولايات المتحدة، اتقاءً لفرنسا فأرسل إلى ولسن يسأله عن أهمية قرارات اللجنة، ويبدي قلقه لمعرفة حقيقة الوضع الراهن(٧٠)، لكن لم يصله جواب.

وهكذا أخذت تتبدد آمال فيصل ببريطانيا والولايات المتحدة، وكان في انتظار اللجنة الأمريكية وقراراتها غير الملزمة. وكان أمله فيها منذ البداية قوياً، لكن لم يبق له شيء منه بعد أن توضح الموقف.

ومن الأمور التي جعلت بريطانيا تنفض يدها من فيصل، هو النشاط الصهيوني المكثف في الولايات المتحدة، لاقناع الرئيس ولسن، بالتخلي عن سياسة تقرير المصير، بما يخص فلسطين، حتى تنطلق بريطانيا بتنفيذ سياستها فيها. وتسبب الضغط الصهيوني في فلسطين لتنفيذ وعد بلفور، بنقل الجنرال كلايتون، وتعيين الكولونيل ماينر تزهاغن الصهيوني أكثر من الصهاينة(٧١). ومن الأسباب التي جعلت بريطانيا أيضاً تتخلى عن فيصل، هو نشاط الضباط العراقيين في حكومته وجيشه،

(٦٩) انظر برقيات فيصل وأجوبة اللنبي في ١٢ و ١٥ و ١٧ جوان / حزيران / في:
Documents, vol IV, PP. 265-277,298-299
و F.O. 371 /9181/ P. 76 et 133 (Jui 1919)

(٧٠) Documents, (22 Jui) P. 279.

(٧١) Ibid, (24 Jui) PP. 307-308.

الذين كانوا يطالبون باستقلال العراق واتحاده مع سورية، مما أثار غضب كرزون الذي اعتبر ذلك من دعاية فيصل لاستقلال البلاد العربية التام، الذي يسبب القلق في لندن وبغداد، وطلب من كلايتون عدم تشجيع هذه الحركة(٧٢).

وكانت وزارة الهند البريطانية، تحاول في هذه الفترة القضاء على حركة الاستقلال العربي. وكانت نتيجة لسياستها، أن قامت الحرب بين الحسين وابن سعود، أو بين وزارة الخارجية البريطانية، ووزارة الهند إذا صح التعبير، وحدثت معركة تربة في مايو / أيار / ١٩١٩، التي هُزم بها الحسين، مما أثر على موقف فيصل(٧٣)، وجعله يزداد قلقاً على قلقه في موقفه العصيب، وفشل في إبقاء بريطانيا في صفه.

وكانت المظاهرات العاصفة التي قامت في دمشق في شهر مايو / أيار /، التي تطالب بالاستقلال التام، تنذر بسوء الثقة بالحلفاء ومنهم بريطانيا، مما جعل الموقف خطيراً في سورية، وهذا ما عبرت عنه التقارير الانكليزية الخارجة منها(٧٤).

٦ ــ لجنة كنغ ــ كرين *(King-Crane)* (٧٥)

لقد ذكرنا سابقاً أن اللجنة وصلت إلى يافا في فلسطين، في العاشر من جوان / حزيران / ١٩١٩، ونشرت بياناً رسمياً عن مهمتها، التي تتلخص بأن مؤتمر الصلح، عين لجنة دولية لدرس الحالة في تركيا، والأقطار التي كانت تابعة لها، ونوع الوصاية عليها. وإن غاية اللجنة الأمريكية هي الاطلاع على أحوال السكان، ورغباتهم ليكون

(٧٢) Ibid, (24 Jui) PP. 296-297.

(٧٣) Ibid, (26 Jui) PP. 301-303

(٧٤) F.O. 371 /4180/ 30 Mai PP. 386-387 et /4181/ P. 76.

(٧٥) سميت اللجنة اختصاراً بهذا الاسم. وكان هنري تشرشل كنغ، وتشارلز كرين، عضوين في الوفد الامريكي في مؤتمر الصلح، وفي لجنة الحلفاء المشتركة، للنظر في مسائل الانتداب على تركيا وتوابعها السابقة. وعينهما الرئيس ولسن للقيام باستفتاء رغبات الشعب في سورية، والعراق، وتركيا. وساعدهما في اللجنة (ألبرت ليبرة) كمستشار تقني، والكابتن Yale، والدكتور سامي حداد كمترجم، وجورج مونتغمري والكابتن برود، كمستشارين فنيين لجهات شمال تركيا، ورافق اللجنة الكولونيل ولسن من قيادة اللنبي.
Haward, the King-Crane Commission, Beirut, 1963, P. 18.

الرئيس ولسن والشعب الأمريكي، على بينة بالحقائق السياسية لمشاكل الشرق الأدنى، في مؤتمر الصلح وعصبة الأمم.

وتجولت اللجنة في المناطق السورية الثلاث حتى ٢١ جوييه / تموز / ١٩١٩، وزارت المدن الكبيرة والقرى، وتلقت كثيراً من اللوائح المكتوبة من السكان، وقابلت كثيراً من الهيئات الاجتماعية والدينية والسياسية.

وفي ٣ جوييه / تموز /، قابل رئيس المؤتمر السوري، وواحد وعشرون عضواً من مناطق سورية المختلفة، اللجنة وقدموا لها قرار المؤتمر القاضي «بطلب الاستقلال التام لسورية الموحدة، وأن يكون نظام الحكم فيها ملكياً على مبدأ اللامركزية، وأن يكون الأمير فيصل ملكاً عليها. كما أن المؤتمر يحتج على إدراج سورية، تحت البند (٢٢) من عصبة الأمم الخاص بالانتداب، لأن سورية لا تقل رقياً عن بلغاريا وصربيا واليونان. وأنه يقبل بالانتداب الأمريكي كمساعدة فنية، وإذا لم تقبل فالانتداب البريطاني، على ألا يمس استقلال سورية التام ووحدتها، وألا تزيد مدة الانتداب عن عشرين سنة. كما يرفض المؤتمر كل حق تدعيه فرنسا في سورية، ويرفض انتدابها. ويرفض المؤتمر الوطن اليهودي في فلسطين، وهجرة اليهود إليها، وفصلها وفصل لبنان عن جسم سورية، ويطلب أن تكون وحدة البلاد مصونة، لا تقبل التجزئة بأي حال كان. كما طالب المؤتمر بالاستقلال التام للقطر العراقي، وألا تكون هناك حواجز اقتصادية بين القطرين. وطلب المؤتمر إلغاء المعاهدات السرية، ووعد بلفور، وطلب أن يسمح له بإرسال وفد إلى مؤتمر الصلح، لتمثيل البلاد. وأبدى ثقته وأمله بالرئيس ولسن، لتحقيق هذه الآمال»[٧٦].

(٧٦) قدري، ص ١٢٨ والحكيم، العهد الفيصلي، ص ٢٠٣.
و F.O. 371 /4182/ P. 87.
وكان المؤتمر السوري قد قدم احتجاجاً سابقاً إلى بيشون في ٢١ فقريه / شباط / ١٩١٩، يحمل نفس معنى الفقرة الأولى، بما يخص مادة الانتداب، وجاء في هذا الاحتجاج، أنه يجب أن يعامل العرب مثل اليونان، الذين تحرروا عن طريق الحلفاء، نظراً لماضيهم العريق، وأن العرب لهم أيضاً حضارة وتاريخ مجيد أكبر، وهم يطالبون بالاستقلال والوحدة، ويفندون حقوق فرنسا في سورية.

←

أما فيصل(٧٧) فقد قابل اللجنة مرتين، وكانت الثانية بعد مقابلة لجنة المؤتمر لها مباشرة، دعم فيها مطالب المؤتمر، وأوضح أن السوريين جميعاً متفقون على الوحدة، وأن الحركة الانفصالية اللبنانية، هي حركة غير طبيعية أثارها الفرنسيون، ودعمها بعض رجال الدين، لكن المثقفين والعقلاء يرفضونها، وأن رغبة اللبنانيين في الحرية والوحدة السورية، لا تقل عن رغبة العرب في سورية، ولهذا فهو يؤكد على وحدة لبنان وسورية. وبين للجنة أن رفض السوريين لفرنسا، ليس ناجماً عن كراهيته لها، أو أفكار سابقة، وإنما لعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية.

فالسوريون يعتقدون أن الفرنسيين تجار مستغلون، يسيؤون إلى الحياة الاقتصادية في البلاد، ولا أدل على ذلك من انحطاط المستعمرات الفرنسية، كما أن فرنسا ظالمة ولا تحترم الشعور الوطني «وهذا يعني الموت المؤكد للسوريين»(٧٨)، كما أن مطامع فرنسا غير خافية في اتفاقية سايكس ــ بيكو(٧٩).

وأكد فيصل ما ذكره أمام اللجنة، إلى الضابط السياسي الانكليزي في دمشق، وأيضاً في مقابلة مع كلايتون في جوييه / تموز / ١٩١٩، وقال إنه أحد ٣٠٠ ألف شخص ممن تقدموا بالتوقيع إلى اللجنة، وأنه واحد منهم ممن حارب الأتراك، وأن

→ D.F.Aff. Etr. Levant, 10 PP. 27-29.

وجاء في تقرير لكلايتون في ٩ جوان / حزيران /، أنه مالم يتغير البند ٢٢ من قرار عصبة الأمم المتحدة، وتنفيذ تقرير المصير للشعوب، وتنفيذ إعلان نوفمبر / تشرين الثاني / الانكليزي ــ الفرنسي ١٩١٨، فإن أي حل لتقسيم سورية سيلقى العداء.

F.O. 371 /4181/ P. 19.

(٧٧) كتبت جريدة الاستقلال العربي في دمشق «نحن تابعون لسياسة فيصل فيما يلائم مصلحة البلاد، وهو أصدق وطني يعمل في هذه البلاد، فلنؤيده بكل قوانا، فإن بقاءه فوق عرش سورية، مفيد لسورية والعرب معاً، ولنهبه التاج، ولنفوضه بجميع أعمالنا، ولنكل بأمورنا إليه، فهو الذي سعى ومازال يسعى، لتحقيق أمانينا».

عن جريدة البلاغ، بيروت، عدد ١٤٦٩، ١٤ جوييه / تموز / ١٩١٩.

(٧٨) F.O. 371 /4181/ 3 Juil 1919, P. 438.

(٧٩) Documents, vol IV, PP. 291-292 و Haward, P. 120-123

السوريين يخافون الاستعمار ويطلبون الحرية والاستقلال ويرفضون تقسيم البلاد، وحدد سورية بالبحر المتوسط وجبال طوروس والفرات والخابور وصحراء سيناء والحجاز، وقال إن سكانها ساميون عرب من عرق واحد، ومتحدون أيضاً بالثقافة واللغة والعادات والتقاليد، ومتحدون بروابط جغرافية وتاريخية مع بقية الأقطار العربية، كالعراق والحجاز والجزيرة العربية، ومتحدون بالعرق واللغة. ومما جاء أيضاً في إضافة على ما قاله أمام اللجنة، أن السوريين قد أثبتوا كفاءتهم في الحكم، وأنهم يعرفون أن بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا سنة ١٩١٦، على تحقيق مصالحهما في المنطقة العربية، وأن السوريين ليسوا أقل رقياً من بلاد كثيرة كالبلقان، وأن السوريين قلقون على استقلالهم(٨٠)...

وكان فيصل متفائلاً بقدرة اللجنة وتأثيرها السياسي، وكان يأمل أن يؤجل مؤتمر الصلح بت الأمر في قضية سورية، حتى يعود إلى باريس، ويكون معه قرار اللجنة كمستند قوي.

وكانت شخصية فيصل احدى المهام التي بحثت عنها اللجنة، كحل لرئاسة الدولة في سورية، إلا أنها لاحظت اختلاف تعلق الفئات السكانية به، فالمسيحيون يخشون من تغلب التعصب الاسلامي عليه، بينما معظم المسلمين يحبذونه إلا الفلسطينيين منهم، فلم يثقوا كثيراً به وبسلوكه، لأنه لم يهتم بفلسطين ومقاومته للصهيونية، كاهتمامه بسورية ومقاومة الفرنسيين. وظهر فيصل بنظر اللجنة قادراً على القيادة، غير أن بعض أعضائها كان يراه ضعيف الشخصية، لكن كان عليه أن يتنازل عن كل حقوقه الوراثية في عرش الحجاز، حتى تزول أمامه المصاعب في رئاسة سورية. وكان واضحاً من ذلك أن اللجنة تصر على استقلال سورية عن الحجاز(٨١).

---

(٨٠) F.O. 371 /4182/ 11 Juil 1919. P. 209

(٨١) Ibid, P. 149-153

يعلل Kedourie ان انضمام المسيحيين للمسلمين في فلسطين ورفضهم الصهيونية، ناتج عن انهيار الكنيسة الارثوذكسية بعد الثورة الشيوعية في روسيا، وخوفهم على أنفسهم منها، أما خارج فلسطين حيث لا يوجد خطر عليهم، فقد كانوا يخشون من تسلط اسلامي.

Kedourie, P. 154

وقدمت اللجنة تقريراً في ٢٨ أوت / آب / ١٩١٩، إلى المندوبين الأمريكيين في باريس، ضم ثلاثة أجزاء كان الثالث أهمها، وفيه التوصيات التالية:

١ ـ إقامة الانتداب تحت إشراف عصبة الأمم بمفهومه التطوري والحسن، وتحديد زمن له مع العناية، بالثقافة، والاقتصاد، وتطور المفهوم الوطني، وإزالة الخوف السائد من أن سورية ستستعمر.

٢ ـ وحدة سورية، لأن ذلك يوافق رغبات الشعب واللغة والاقتصاد والثقافة والعادات، ويبقى لبنان مستقلاً ذاتياً ضمن الوحدة السورية.

٣ ـ وضعها (سورية) تحت انتداب واحد.

٤ ـ أن يكون الأمير فيصل رئيساً لها لأنه أتى إلى مكانه بشكل طبيعي، فقد اختاره المؤتمر السوري، وهو ابن شريف مكة ومشرف في العالم الاسلامي، وأحد قادة العرب المعاصرين الذين تحملوا المسؤولية في قيام العرب ضد الترك، وقد دعمه الانكليز ليكون المرشح لرئاسة الدولة العربية، ولا يوجد رجل مثله يحل مكانه. إنه جلود حكيم وماهر في تعامله مع الرجال، عالي الأخلاق مخلص في داخله، فإن كانت لديه القوة، لكان بالتأكيد الرجل المرجو لسورية.

٥ ـ وجوب التقليل الكبير للبرنامج الصهيوني الواسع، والقاضي بهجرة يهودية غير محددة إلى فلسطين، لأن ٩٠٪ من السكان ضد الصهيونية، ويطالبون بوحدة فلسطين مع سورية، ويجب أن تلغى فكرة إقامة وطن يهودي في فلسطين، وأن تنفيذ البرنامج الصهيوني، يحتاج إلى خمسين ألف جندي. ولا ترى اللجنة مانعاً من بقاء فلسطين في الوحدة السورية.

أما بالنسبة للانتداب فستكون الولايات المتحدة بالدرجة الأولى، وبعدها تأتي بريطانيا. أما فرنسا فإن العرب السوريين يرفضونها بنسبة ٦٠٪، ولا ترى اللجنة إعطاء الانتداب لفرنسا على لبنان وحده حلاً معقولاً، كما أن اللجنة أبدت مخاوفها من الانتداب البريطاني، لأنه ربما ينقلب إلى استعمار دائم(٨٢).

---

(٨٢) Howard, P. 221-227

←

وقد كانت اللجنة ذات أهمية خاصة، لأنها قدمت تحليلاً واقعياً عن المنطقة، وكانت المحاولة الوحيدة التي بذلت نيابة عن مؤتمر الصلح للتحقق من أماني العرب. وقد تضمن تقريرها قسماً كبيراً من أماني العرب السوريين في الوحدة السورية والاستقلال. إلا أنه بني على مبدأ غير صحيح، وهو تفريق الناس على أساس ديني ومذهبي، وهو بذلك كان مطابقاً لسياسة فرنسا في المنطقة. وكانت الخطورة في عمل اللجنة أن ثبتت هذه الاختلافات الدينية والطائفية(٨٣) بعد أن كانت الحكومة العربية تبذل جهداً كبيراً، لإذابة هذه الفوراق في بوتقة القومية العربية، والتخلص منها، مما ترك أثراً سيئاً على المنطقة في المستقبل. وتضمن التقرير أيضاً دراسة واسعة وعميقة عن شخصية فيصل.

وأضافت اللجنة مشكلة جديدة إلى القضية السورية، أثرت على السكان تأثيراً سلبياً، إذ جعلتهم يترقبون الأوهام عندما وضعوا هم وفيصل، آمالهم في هذه اللجنة، وظنوها الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمانيهم. ولذا كانت خيبتهم شديدة، بعد انسحاب الولايات المتحدة والرئيس ولسن من مسرح السياسة خارج أمريكا(٨٤)، كما أن القيمة السياسية لعمل اللجنة ضاعت، بعد أن طوى التقرير في الأدراج، ولم يلتفت إليه أحد، بينما كانت بريطانيا وفرنسا تتممان خطتهما في تقسيم سورية.

أما الشعب، فقد ابتهج لنتيجة الاستفتاء من ناحية، وغضب واحتج من ناحية أخرى. فابتهاجه نتج عن قرار اللجنة بوحدة سورية، واقتراح الأمير فيصل أميراً عليها، وعدم التوصية بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. بينما غضبه كان بسبب احتمال

← لم ينشر التقرير الا في ديسمبر / كانون الأول / ١٩٢٢ في باريس. حول توصيات اللجنة. انظر Hurewitz, vol 2, P. 66-74 وأيضاً انطونيوس: ملحق ص ٦٠٠ ــ ٦١٦.

ذكر (ستورز) ان هذه النتائج كانت مقبولة بالنسبة للبريطانيين، كما ذكر أحد كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية، بأن النتائج لم تكن مفاجئة للوزارة، لانها أكدت ما كانت سمعته من موظفيها البريطانيين في المنطقة.

Tibawi, P. 90

(٨٣) الريحاني، ملوك العرب، ج ١، ص ٣٢٦.

(٨٤) Yale, P. 337 وأيضاً Kedourie, P. 147

انتداب فرنسا على لبنان، أو حتى على سورية أيضاً، في حال رفض الولايات المتحدة وبريطانيا قبول الانتداب. والحقيقة أن الاحتجاج على الانتداب كمبدأ، كان خروجاً على إرادة فيصل، رفعه ممثلو الأحزاب والجمعيات[٨٥] بعد انتهاء اللجنة من عملها في

---

(٨٥) الأحزاب والجمعيات المحتجة:

حزب الاتحاد السوري: واثق المؤيد، عبد الرحمن الشهبندر، سعد الدين المؤيد، نصوح المؤيد، هشام المؤيد.

حزب الاستقلال العربي: عبد القادر العظم، جميل مردم، أحمد قدري، أحمد مريود، رضا مردم.

جمعية النهضة الادبية: سامي البكري، عبد الرحمن سفر جلاتي، نديم الصواف، يحيى الشماع.

حزب العهد السوري: عبد القادر كيوان، أبو النصر اليافي، اسعد المالكي، حسني البرازي.

حزب العهد العراقي: جميل العراقي، اسماعيل نامق، رشيد الخوجه.

المؤتمر السوري: منح هارون (اللاذقية)، مظهر رسلان (حمص)، سعيد حيدر (بعلبك)، معين الماضي (فلسطين) فائز الشهابي (حاصبيا)، عبد القادر الخطيب (دمشق)، محمد المدرس (حلب).

جمعية النهضة الفلسطينية: سليم عبد الرحمن، الحاج ابراهيم، محمد صالح المعمادي.

الجمعية البقاعية: عجاج الهيماني، عوض البقاعي.

الشبيبة البيروتية: محمد الصانع، أحمد مختار الفاخوري.

التعاون الخيري: محمد الياسين، عارف الدوجي.

الاسعاف الخيري: عبد الرحمن الدواليبي، أحمد صبري.

جمعية الاطباء: حسام الدين أبو السعود، مرشد خاطر.

جمعية الصيادلة: منير المحايري، حسني الهبل.

جمعية المحامين: نجيب الحكيم، سعيد حيدر.

النداء الخيري: شكيب كحالة، صالح الجيلاتي.

جمعية المعلمين: محمد أبو الخير العوضي، عجاج البقاعي.

جمعية طلاب المدارس: عبد القادر سري، مصطفى الرفاعي.

جمعية الاخاء العلوية: أديب التقي البغدادي، محمد مرتضى.

خريجي المدارس العالية: المهندس درويش أبو العافية، الزراعي عمر شاكر.

النادي التجاري: لطفي الحفار، سعد عبيد، ياسين دياب.

الجمعية الزراعية السورية: هاشم المصري، صبحي الحسيني.

النقابات الصحفية: خير الدين زركلي (المفيد) اسعد داغر (العقاب) عجاج البقاعي (الانقلاب) أبو هدى اليافي (الكنانة).

الحرف والنقابات: محمد كوكش، محمد البزم.

جمعية نهضة الطباعة العربية: سعدي العمري، محمود الجيلاتي.

عن مجلة المنار، مجلد ٢١، ج ٥، أوت / آب / ١٩١٩ ص ٢٥٠ ــ ٢٥١.

فلسطين والمنطقة الجنوبية، أي في القسم الأخير من شهر جوان / حزيران /، إلى فيصل ولويد جورج وولسن وأورلاندو رئيس مؤتمر الصلح، وإلى ممثلي الحلفاء في العاصمة، وإلى الحاكم العسكري، واللجنة الأمريكية، ووفد الحجاز في باريس، ونائب رئيس حزب الاتحاد السوري فيها أيضاً، وجاء فيه احتجاجهم على قرار اللجنة الأمريكية، بوجوب تسمية دولة وصاية على سورية. وجاء فيه أن تقرير المصير يجب أن يكون من قبل أبناء البلاد، وهم لا يطلبون إلا الاستقلال التام بدون حماية ولا وصاية ولا إشراف، ولا أقل شيء يمس الاستقلال الداخلي والخارجي. ويبدو أن رجال السياسة هؤلاء كانوا يتوقعون توصية من اللجنة بعدم الانتداب الفرنسي.

وكان هذا رفضاً لبعض من سياسة فيصل، وإفشالاً لخطته، التي عمل لها جاهداً، أو كان على الأقل عدم رضا أو قناعة بسياسة التراضي مع الأجانب، التي سلكها فيصل للوصول إلى سورية موحدة، ولو تحت انتداب أجنبي، وهو استعمار بعرفهم.

كان موقف بريطانيا والضباط البريطانيين في سورية معروفاً بالنسبة للجنة، ولم يظهروا لها العداء. واعتبر الكولونيل فرنش French خلف كلايتون المؤقت، ريثما يصل ماينر تزهاغن، أن الآراء المطروحة أمام اللجنة كانت كثيرة، ولكنها كانت تدل على رغبة السوريين بالاستقلال، وانتداب أنكلو ساكسوني[٨٦]. وقال ستورز، إن هذه النتائج كانت مقبولة بالنسبة للبريطانيين، كما ذكر أحد كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية، بأن النتائج لم تكن مفاجئة للوزارة، لأنها أكدت ما كانت سمعته من موظفيها البريطانيين في المنطقة[٨٧].

وكذلك كان موقف فرنسا معروفاً، فبرغم عدم اعترافهم بأن اللجنة تمثل عصبة الأمم المتحدة، بل «تمثل الدكتور ولسون»، فقد جمع بيكو ومجلس إدارة لبنان كثيراً من اللوائح المؤيدة لفرنسا، لتقديمها أمام اللجنة. وهذه اللوائح تطالب بانتداب فرنسا على

(٨٦) F.O. 371 /4182/ 19 Juil 1919 P. 91.

(٨٧) Tibawi, P. 90

سورية. لكن في سورية نفسها كان بيكو يعرف، أن الشعب سيصوت ضد فرنسا، وهذا ماقاله للكولونيل كورنواليس(٨٨). وقد فسر De Caix تلك النتيجة التي هي ضد فرنسا، بأنها من صنع دعاية الإنكليز في سورية ضد فرنسا. وقد نشر De Caix مقالاً في جريدة Asie-Française في ١٩ جوييه / تموز / ١٩١٩، جاء فيها أن الدعاية ضد فرنسا في سورية ناتجة من الإنكليز الذين يحركون فيصلاً ضدها، لأن الإنكليز في مأزق، فقد وعدوا الحسين بما يناقض اتفاقهم مع فرنسا، يريدون التخلص بهذه الطريقة. ونشرت (Le temps) في ٢٧ منه بعض مقالة De Caix، وقالت إن الفرنسيين لا يتهمون بريطانيا، وهم جيران، وأن بريطانيا لا تريد الإنتداب على سورية كما ذكر لويد جورج، لكن عملاءها هم الذين يريدون إبعاد فرنسا عن سورية، وأن نتائج اللجنة الأمريكية في سورية، هي نتيجة شهور أو سنة من الدعاية ضد فرنسا(٨٩). كما كتبت جريدة Journal des Debats الفرنسية في ١٨ أوت / آب /، عن عدم اهتمام بريطانيا بالإنتداب على سورية، وتتمنى أن ترى عملاءها في سورية يفعلون ذلك(٩٠). وأرادت جريدة Le temps في ١٨ أوت / آب / أن تخفف من نتيجة الاستفتاء في سورية فزعمت أن عواطف سكان لبنان وسورية كانت جميعها نحو فرنسا، واستشهدت بأن العلويين البالغين ٤٠ ألفاً في إنطاكية، قد تقدموا بعريضة إلى اللجنة، موقعة من كل الوجهاء، يرفضون فيها كل حكم عربي، ويطلبون حماية فرنسا(٩١).

وقد تركت نتائج الاستفتاء في سورية أثراً غير طيب بين فيصل والفرنسيين، ليس في المجال النظري والسياسي فحسب، بل وعلى الصعيد الواقعي. فقد اعتقلت السلطات العربية بعض الزعماء السوريين من أصدقاء فرنسا بعد إدلائهم أمام اللجنة الأمريكية في حمص، بحجة السرقة، وكانوا عائدين إلى بيروت لمقابلة بيكو هناك، رغم مرافقتهم

---

(٨٨) F.O. 371 /4181/ 4 Juil, P. 352

و Yale, P. 236

(٨٩) F.O. 371 /4182/ 29 Juil 1919, PP. 17-20

(٩٠) Ibid, P. 177

(٩١) Ibid, PP. 189-190

بضابط فرنسي[٩٢]. كما اعتقلت الحكومة العربية مجحم بن مهيد، وهو عائد من بيروت في ٢٣ جوييه / تموز / ١٩١٩، بعد مقابلته لبيكو في بيروت، وكان اعتقاله في حمص، واقتيد إلى حلب، وأطلق سراحه بعد تدخل أصدقائه في ٢٤ أوت / آب /. وقد أفادت القيادة الإنكليزية، أن اعتقاله كان بسبب ١٧ قضية مختلفة، وقد اشتراه الفرنسيون بالذهب، ووعدوه بوسام جوقة الشرف بالمستقبل، وظن المسؤولون أنه ذاهب لبيروت، حتى ترسله فرنسا كممثل سوري في مجلس السلم، ولذا اعتُقل[٩٣]. وكتب بيكو أن المسيحيين في حلب قد احتجوا للحكومة العربية على اعتقال مجحم بن مهيد، لأنه صوت لفرنسا في ٢٥ جوييه / تموز /، وأنه قد دعم موقف فرنسا أيضاً وموقف مجحم في حلب الاقطاعي فوزي الشمعة، وهو مالك أراضٍ وقرى كثيرة في منطقة حلب، وطلب من اللجنة انتداب فرنسا متحدياً بذلك جعفر العسكري وأعوانه[٩٤]. وفي هذه الفترة أطلق الإنكليز سراح سعيد الجزائري في شهر أوت / آب /، وأرسل إلى بيروت، وطُلب منه ألا يتدخل بالسياسة، وقد تحدثت الصحف الفرنسية كثيراً عن اعتقال سعيد الجزائري ومجحم بن مهيد، كما أن سعيد الجزائري قد أصبح مادة هامة للصحف اللبنانية ولأصدقاء فرنسا، وأخذت تُنشر المقالات التي تقارن بين فيصل وسعيد الجزائري وتفضل بالنتيجة الجزائري، لأنه يعيش في منطقة تابعة لفرنسا، ولأنه شخصياً من تبعية فرنسا بسبب أصله الجزائري، وقد مدحه بعض الشعراء المسيحيين بقصائد طويلة، كقصيدة بشارة رعد الذي اقترح أيضاً أن يصبح سعيد الجزائري خليفة للمسلمين، وقصيدة أخرى للخوري جورج زواوين يقول في مطلعها:

مرحباً، مرحباً بالبطل صديق فرنسا الحنون

Salut, salut heros, ami de douce France...[٩٥].

---

(٩٢) F.O. 371 /4182/ 19 Aout, P. 166

(٩٣) Ibid, P. 234

(٩٤) D.F.Aff, Etr, Levant 16 (23 Juil) P. 93

(٩٥) Ibid, (31 Juil) P. 183 et (10 Aout) P. 180 et (25 Juil) P. 106

وإزاء سياسة فيصل الرافضة لفرنسا ، جرت مقابلة بينه وبين الكولونيل تولا المسؤول السياسي الفرنسي في دمشق، في ١ جوييه / تموز /، ويدل النقاش الذي جرى فيها على الحدة وسوء العلاقة بين فيصل وفرنسا . وفي البداية سأل تولا فيصلاً لماذا لم يقف محايداً بعد رجوعه من فرنسا؟ لا بل لماذا ظهر أكثر عداءً لفرنسا من بريطانيا؟ وكان فيصل يبتسم، وأجاب بأنه كان يود الإتفاق مع فرنسا لكنه لم يحصل على ما يريد في باريس، وقال إن موقفه واحد بالنسبة لكل الدول، وهو بحاجة لقوة الرأي العام حتى يتمكن من التعامل مع فرنسا ، التي تدعي الحق المفضل لها في سورية ، وإذا لم تعامله فرنسا بشكل حبي ، فسوف يذهب إلى القوى الأخرى. وسأله تولا عن نتيجة سياسته هذه، بصفته المسؤول الأول دون الشعب، الذي يقوده، كما قال له فيصل، كالقطيع، فقال فيصل: إنه سيعود دائماً للشعب الذي سوف يحبذ ما سأفعله في المستقبل، فيما لو كانت الظروف مواتية أكثر مع فرنسا. «فقال تولا: لا أشاطرك كلية طريقتك التي ترى فيها أنك تقود الشعب بهذه السهولة، لأن الخطبة التي وجهها لك خطيب الجامع الكبير، كانت شديدة، إذ طلب الإستقلال المطلق وقال (إنك أنت أميرنا، لكن إذا طلبت شيئاً غير هذا فسوف ننفض من حولك) فقال فيصل: لا يجرؤ أحد أن يكلمني بهذه الطريقة. فقال تولا: لكن كيف ستطلب مساعدة كل الدول وهذه سياسة خطيرة، وخاصة أنك مقدم على التفاهم مع فرنسا؟ فأجاب فيصل: يخوض الإنسان المخاطر السياسية أحياناً، أما بالنسبة للمساومة فقد لاتقبل الدول، وربما تستعد له. وقال تولا: لقد قلت لي أنك قدت الشعب كالقطيع، ليقف ضد فرنسا أمام اللجنة الأمريكية... وانتهت المقابلة بحضور شخص مهم. ثم أجاب فيصل: في اليوم التالي بأنه لم يفعل شيئاً ضد فرنسا، وأن نتيجة لجنة الإستفتاء كانت لصالحه، واعترف بأنه أحب ألا تكون النتيجة لصالح فرنسا. وقال تولا لفيصل: إن المحيطين بك قد فهموا تفكيرك وأنا أعتقد أنهم تجاوزوه، فأجاب فيصل: بأن بيكو سأل السؤال نفسه. وقال تولا: إن اشتراك شعب سورية ودورها في الحرب كانا صغيرين، بينما اشتركت فرنسا وحصلت على نصر مجيد، وهي من الأمم القوية، وموقفكم هذا ضدها ليس مجيداً، فأجاب فيصل: بأن انتصار فرنسا المجيد لا يعطيها الحق في استعمار

الشعوب الصغيرة، ولقد لعب التشيكو سلوفاكيون دوراً صغيراً في الحرب وكانوا ضدكم. وتابع قائلاً: إنه يخشى من لبنان، لأن اللبنانيين يريدون أن يكونوا من تبعية فرنسا، ويخشى من حماية فرنسا واستعمارها عندما تستقر في لبنان، فمنه تستطيع أن تدخل سورية بالقوة كي تطرده، وهو يريد وحدة لبنان مع سورية، وأنه لو أعطيت الحرية للصحافة في لبنان لكانت كلها تشجع الوحدة مع سورية، ولتركت الدعاية الإنفصالية، فقال تولا: بما أنك تعترف بخطر فرنسا في لبنان فمن الأفضل الإتفاق معها»(٩٦).

وبعد عشرة أيام من هذه المقابلة، أرسل بيكو تقريراً ضد تصرف حكومة دمشق تجاه أصدقاء فرنسا في سورية(٩٧). وهكذا أخذ فيصل يفقد دعم بريطانيا، في الوقت نفسه الذي أخذت تزداد علاقته بفرنسا حساسية وسوءاً، ولم يكن هذا إلا انعكاساً لسياسة بريطانيا وفرنسا في أوروبا بما يخص سورية، مما سنتحدث عنه فيما بعد.

الحكومة الجديدة

اعتبر فيصل نتيجة الاستفتاء انتصاراً لسياسته، ولذلك رأى مع بعض الوطنيين المعتدلين، أن ينتهوا من الحكم العسكري المستمد من الجنرال اللنبي، وينتقلوا بالبلاد إلى حكم وطني، يكون مرجعه دون سواه، بصفته أميراً للبلاد، ولا سيما وأن المؤتمر الوطني قد أخذ على عاتقه وضع دستور للبلاد. فألف في الرابع من أوت / آب / ١٩١٩، حكومة سماها حكومة المديرين (بدلاً من وزراء) تحت رئاسته. وعين رضا الركابي نائباً عنه في مجلس المديرين(٩٨)، مع إبقاء لقب الحاكم العسكري له، حتى لا يعتبر ذلك خروجاً على إرادة اللنبي ولو ظاهرياً.

---

(٩٦) D.F.Aff, Etr, Levant, 14 (3 Juil) P. 170

(٩٧) Ibid, (10 Juil) P. 178

(٩٨) تألف مجلس المديرين من: اسكندر عمون (لبنان) للعدلية، رشيد طليع (لبنان) للداخلية، سعيد شقير ←

وفي ٢٥ أوت / آب /، صدر نظام مجلس المديرين موقعاً من فيصل، لكنه نص على أن يتقيد المديرون بالأوامر العسكرية المؤقتة لأللنبي، إضافة إلى أوامر فيصل، بحيث لا يكون بينهما تناقض، وحتى لا تعترض بحليه حكومات الحلفاء. ولكن مع كل هذا، اعترض اللنبي على نوع الحكم الجديد، وأنكر على السوريين أن يؤلفوا حكومة مدنية، لأنه يجب أن تبقى الإدارة عسكرية، حتى يقرر مؤتمر الصلح مصير البلاد. وإزاء موقف اللنبي، صرحت الحكومة بأن مجلس المديرين ما هو إلا مجلس استشاري، يساعد الحاكم العسكري في أعماله(٩٩). مع العلم بأن مجلس المديرين الجديد، لا يختلف عن حكومة الركابي السابقة(١٠٠)، التي كان اللنبي راضياً عن نوعيتها. وهذا يدل على أن الحكم العربي، لم يستطع الخروج من قبضة اللنبي.

والجدير بالملاحظة أن مجلس المديرين هذا، كان معتدلاً يقبل بسياسة فيصل الداعية لقبول انتداب أمريكا أو بريطانيا، بعد أن رفض الوطنيون ذلك. ولم يعد لهذا المجلس طابع قومي أو وحدوي، إذ تألف من أربعة وزراء يحملون أفكاراً سورية. فاسكندر عمون ورشيد طليع من حزب الاتحاد السوري، وسعيد شقير من الحزب الحر المعتدل الذي يقبل بالإنتداب كمبدأ، وجبرائيل حداد ضابط بريطاني، ولم يبق إلا الهاشمي وساطع الحصري يحملان اتجاهاً قومياً. أما الركابي نفسه، فهو معتدل يرغب في حل المسألة السورية ولو بالإنتداب عليها. وكان هذا الاتجاه منسجماً مع سياسة فيصل، الذي يعمل ليكون رئيساً لسورية الموحدة، مدفوعاً بأمله أن يكون حاكماً لها خيراً من ألا يكون رئيساً لشيء، مهما كان كبيراً كالدولة العربية، ولم يكن مجلس المديرين هذا مسؤولاً أمام المؤتمر السوري(١٠١)، ويبقى كلاهما يعمل لوحده رغم محاولات المؤتمر فرض وجوده على الحكومة.

← (لبنان) للمالية، ياسين الهاشمي (العراق) لرئاسة الشورى العسكرية، ساطع الحصري (حلب للمعارف، جبرائيل حداد (سورية) للأمن العام.
الحكم العهد الفيصلي، ص ١١١.

(٩٩) الحصري يوم ميسلون، ص ٨٢. Lonorigg, P. 92

(١٠٠) David, P. 33

(١٠١) Ibid, P. 72

انتهت لجنة الاستفتاء من عملها، دون أن تأتي لفيصل بدعم لقضيته في أوروبا، بل تابعت في إعلانها رفض الانتداب على سورية، وأبلغ الجنرال بولز رئيس أركان جيش اللنبي بذلك إلى فيصل في أوائل أوت / آب /، وأكد له أن بريطانيا ستقبل الانتداب على فلسطين، فأرسل فيصل الذي أدخل الخبر القلق إلى نفسه مذكرة إلى اللنبي في ١٧ منه، محتجاً على سياسة تقسيم الأقطار العربية حسب اتفاقية سايكس ـ بيكو الظالمة، وأن السوريين والعراقيين قد طالبوا بإنتداب دولة واحدة، تفادياً لتجزئة بلادهم، وهدد بإراقة آخر نقطة دم إلى جانب أهل بلاده. كما هدد بأن العرب سيثورون جميعاً، إذا فرض عليهم الانتداب ضد رغباتهم، أو قسمت بلادهم(١٠٢). وقد استفاد فيصل من الجو الوطني السائد في سورية ضد الاستعمار والانتداب، حتى يكون لتهديده قيمة. كما اجتمع فيصل ببولز في ٣١ أوت / آب /، وذكره بوعود بريطانيا، وأن العرب ينتظرون مكافأتها، وأنهم لم يحاربوا الترك حتى يأخذ البريطانيون جانباً منها، والفرنسيون جانباً آخر، وهدد أيضاً بالثورة والقتال(١٠٣).

وأرسل في اليوم نفسه بوساطة اللنبي، مذكرة إلى لويد جورج، ناشده باسم شرف بريطانيا والعدالة الإنسانية، ألا تكون مكافأة العرب على إخلاصهم، وجهادهم في سبيل قضية الحلفاء، في ساعات الشك وأيام الخوف، تقسيم بلادهم... وذكره بأن هذه السياسة تلحق الضرر بالسياسة البريطانية، وبين أضرار التجزئة وتفتيت البلاد، وكرر مناشدته للويد جورج، كي لا تنحرف حكومته عن مبادىء الحق والعدالة، وألا يكون جزاء العرب جزاء سنمار، وطالب بالسفر فوراً إلى أوروبا(١٠٤).

ومن خلال التقارب البريطاني الفرنسي حول سورية، بعد انسحاب الولايات المتحدة من السياسة الأوروبية، أرسل اللنبي ضابطه السياسي ماينر تزهاغن، ومعه لافوركاد الفرنسي، فقابلا فيصلاً في التاسع من سبتمبر / أيلول /، وأبلغه ماينر تزهاغن أن الحكومتين الفرنسية والإنكليزية متفقتان على:

(١٠٢) Documents, vol IV, PP. 365-6 (French to Curzon 29/8)

(١٠٣) Ibid, PP. 388-390

(١٠٤) Ibid, PP. 385-388

١ ـــ رفض بريطانيا الانتداب على سورية .
٢ ـــ إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
٣ ـــ عدم قبول بريطانيا بإنشاء حكومة لا تمثل رغبات الشعب (إشارة إلى تشكيل حكومة المديرين) .
٤ ـــ تحمل اللنبي وحده مسؤولية حفظ النظام في المنطقة (رفضاً لمسؤولية فيصل عن ذلك)(١٠٥) .

فأجاب فيصل، بأن هذا الإعلان لا يوافق رغبات الشعب، وهو لا يقبل بتقسيم سورية، ومن ثم فإن سورية ستتوحد وتبنى على العدل. وقال إنه يثق باللنبي، لكنه لم يظهر ارتياحاً لهذا الإعلان الذي يخالف إعلان الحلفاء في نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، وطلب من المسؤولَيْن إبلاغ حكومتيهما أن تحترما تعهداتهما السابقة. فأجابه ماينر تزهاغن مهدداً، بأن أية قلاقل ستقمع فعلاً بالقوة، أما بالنسبة لفلسطين، فقد قال فيصل أنه لا يقبل فصلها عن سورية، وقد أعلن ذلك في مؤتمر الصلح، وأعلن ذلك أيضاً إلى الكولونيل تولا والكولونيل كوس، وقال إن الكلمة الأخيرة للشعب، وهو يقرر مصيره وحده(١٠٦) .

ويظهر واضحاً من هذه المقابلة التي يمكن تسميتها عنيفة، أن بريطانيا قد اتخذت قرارها النهائي بالنسبة لسورية، وقد يكون لوضعها في الدرجة الثانية، بالنسبة لرغبة السوريين في الانتداب بعد أمريكا، ورفض وعد بلفور، أثر ظهر في إصرار ماينر تزهاغن الممالىء للصهيونية، على تنفيذ وعد بلفور، وعلى رفض بريطانيا أن تُنتدب على سورية. وهذا يعني تلاقياً جديداً مع فرنسا. وقد ظهر أيضاً على لسان الجنرال البريطاني (من قيادة اللنبي) (Gamlan)، الذي أبلغ الضباط الفرنسيين في بيروت، أنه

(١٠٥) D.F.G. Carton-17, SA. Syrie 1919, Haut Com maisaire General Gouraud, PP. 5891-94. et Documents first Serie, vol IV, PP. 298-99
وانظر كذلك Longrigg, P. 92

(١٠٦) D.F.G. Carton 17, PP. 5891-94.

يمكنهم احتلال المنطقة الشرقية (سورية الفيصلية) حالما يوضع لهم الانتداب(١٠٧).

وبدأت تراود فيصلاً (الذي كانت سياسته ردود فعل للسياسة البريطانية) فكرة الإتفاق مع الفرنسيين، برغم سوء علاقته بهم، وخوفه أيضاً من حكمهم وأطماعهم بسورية. وكان يتمنى لو تؤكد له فرنسا على بيان الحلفاء في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨، حتى يكون ذلك علامة على حسن نيتها، وحتى يتمكن بعد ذلك من إقناع الوطنيين بالاتفاق معها. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تقف له بالمرصاد، فيما لو اتفق مع الفرنسيين بطريقة تضر بمصالحها. ففي المقابلة السابقة، وجد المسؤول الفرنسي، أن فيصلاً يحمل تحفظاً متطرفاً بالنسبة لفرنسا، ويرغب دائماً في الحصول على ضمانات أكثر جدية، دون أن يعطي بدوره تأكيداً رسمياً، كما لاحظ أن فيصلاً كانت لديه الرغبة في رؤيته وحده، إلا أن الضباط الإنكليز لم يتركوه أبداً، وأشعروه من طرف آخر أن بريطانيا ستتوقف عن تقديم المساعدة له اعتباراً من أوت / آب / ١٩١٩، مع أنهم لم ينقطعوا عن جباية جمارك حيفا، وكان هذا ضغطاً عليه، حتى لا يتفق مع الفرنسيين من وراء ظهرهم، أو يتخذ قراراً بالنسبة لوضع سورية السياسي دون إذنهم. وكان الجو في سورية مساعداً كي يتخذ فيصل موقفاً صريحاً ضد الإنكليز والفرنسيين على السواء، لكنه في النهاية آثر الاحتفاظ بصداقة بريطانيا، واكتفى بتنظيم البلاد داخلياً(١٠٨).

أما فرنسا ـــ بعد عودة فيصل من أوروبا ـــ فكان سلوكها في بيروت يتراوح بين محاولات الاتفاق مع فيصل من جهة، والعداء والدعاية ضده من جهة أخرى. وهذا بالواقع تناقض غريب وقعت فيه السياسة الفرنسية، ولم تستطع بموجبه أن تتقدم خطوة ـــ خلال الأشهر الماضية ـــ نحو قبول العرب لها: بل كانت تزيدهم نفوراً منها، لأنها كانت بدعايتها تثير النعرات الدينية والقومية بين العرب، وكانت الصحف المواتية للفرنسيين في بيروت، تستغرب كيف يطالب السوريون بإستقلال بلادهم، ويقبلون

(١٠٧) D.F.G. P. 3227-28

(١٠٨) Ibid, P. 5891-94

بالوقت نفسه بحكم أجنبي (فيصل) عليها(١٠٩). وكانت هذه الدعاية تملأ قلوب الوطنيين سخطاً على فرنسا ورفضاً مطلقاً لها. كما كانت التقارير الفرنسية في بيروت، تزعم أن الشعب في سورية بعيد كل البعد عن الفهم السياسي، وعن الحركات السياسية، ماعدا أعضاء النوادي السياسية، وماعدا (٤٠٠ ــ ٥٠٠) محارب حجازي بإمرة زيد. وكان قصدها أن الذين يرفضونها في سورية، ليسوا هم السوريين أنفسهم، بل الغرباء وبعض السياسيين.

وكان المسؤولون الفرنسيون في سورية وفي مصر أيضاً، يشعرون بحاجة لوجود ضابط كبير يماثل اللنبي، ويكون برتبة عسكرية كبيرة، وقديماً في الخدمة، وذا كفاءة حتى يستطيع أن يفرض أمره على الجنرالات الانكليز، لأن الموظفين المدنيين الفرنسيين لا يستطيعون ذلك مع اللنبي. وكان الفرنسيون أيضاً يشعرون بضعف موقفهم العسكري، وقلة عدد قواتهم في سورية. ولهذا كان القنصل الفرنسي في القاهرة، يؤكد في طلباته المتتالية من حكومته على ضرورة إرسال أربعة ألوية وأربعة أسراب من الطائرات، خلال شهرين لاحتلال سورية، لأنه متأكد أن اللنبي لن يعارض ذلك. وكان يؤكد أن موقف القوات الفرنسية سيكون خطيراً في سورية، بعد انسحاب القوات الانكليزية، ولذا كان من الضروري تعزيزها(١١٠).

وهكذا بدأت صورة الموقف تتضح بعد التقاء وجهتي النظر الفرنسية والبريطانية، وأن مسألة سورية قريبة الحل، بعد أن كان التنافس سائداً بينهما.

وسافر اللنبي إلى لندن ليبذل جهده، كما يقول الفرنسيون، لانهاء الأزمة السورية. وكان في القاهرة ينصح (لافوركاد) القنصل الفرنسي، أن يتفاهم مع فيصل نداً لند، ويؤكد له أنه لا يعرف بوجود أي اتفاق بين بريطانيا وفيصل، إلا أنه منذ الآن

---

(١٠٩) D.F.G. P. 5480

(١١٠) Ibid, P. 3227-28

سيلعب دوره لحل القضية، وهو يعتقد كما يقول الفرنسيون أيضاً، بأنه كانت توجد سياسة انكليزية مضادة لفرنسا، لا تدل على أنها حليفة(١١١).

وعند وصوله إلى مرسيليا، أظهر اللنبي بوضوح خطته الجديدة في دعم الفرنسيين في سورية، وقال إن ما جرى بينهما ليس إلا سوء تفاهم بسيط، وإن الاتفاق تام بينهما، وإن بريطانيا تعترف بحقوق فرنسا في سورية، وإنها (بريطانيا) لا تطمع قط في الانتداب عليها.

وكتبت جريدة **Le Matin** الفرنسية، بأن اللنبي يرغب أشد الرغبة، في اجتناب كل ما من شأنه أن يضعف هيبة فرنسا في سورية(١١٢)، كما ذكرت جريدة **Le Journal** في ١١ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩، أن اللنبي أكد لها عن دعمه للانتداب الفرنسي على سورية، وقال ان وجود القوات الانكليزية في سورية يعود لأسباب عسكرية، وأن انكلترا ستترك الأمور السياسية لفرنسا في سورية(١١٣). كما كتبت جريدة **The Times** اللندنية في ١٦ منه قائلة إن كل الناس يعرفون سبب زيارة اللنبي القصيرة للندن، وقالت إنه إذا لم تحل المسألة السورية، فستطول زيارته، لأنه قد يقدم استقالته من التبعية التي أنيطت به. كما كتبت أيضاً ان الفرنسيين سيعرفون في المفاوضات الجارية بين الطرفين (الانكليز والفرنسيين)، بأن اللنبي هو الناصح الأمين الذي يمكن أن يثقوا به كل الثقة(١١٤).

وفي الصفحات التالية نتبين كيف تم التقارب والتفاهم الانكليزي الفرنسي على

---

(١١١) **Ibid, P. 5473** ١٦ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩.
سأل لافوركاد فيصلاً، هل يقبل الانتداب الفرنسي إذا ضمنت فرنسا الوحدة السورية تحت هذا الانتداب، فأجاب بأن الانتداب الفرنسي عبودية، وأعطى أمثلة محلية عن الظلم الفرنسي.
F.O. 371 /4182/ P. 434

(١١٢) نقلاً عن جريدة المقطم عدد ٩٢٧٠، ١٣ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩.
(١١٣) **F.O. 371 /4182/ 11 Sep 1919. P. 439** عن الجريدة الانكليزية **Daily Telegraph**
(١١٤) The Times. No 42206, 16 Sep, Col, 4, P. 11

سورية، منذ عودة فيصل من باريس أواخر أبريل / نيسان / ١٩١٨، وحتى عودته إلى أوروبا، حيث وصل إلى لندن في ١٨ سبتمبر / أيلول /.

الفصل الخامس

سفرة فيصل الثانية إلى أوروبا واتفاقه مع كلمنصو

القضية السورية في صحف أوروبا قبل رحلة فيصل

في أوروبا وفي باريس بشكل خاص، لم يتوقف الجدال بين انكلترا وفرنسا عن حل للقضية السورية المستعصية، التي وصفها الصحفي الفرنسي Garin L'hermitte، بأنها شوكة سامة في جسم اتفاقية السلام[1]. وكانت الأطماع الاستعمارية واتفاقية سايكس ـ بيكو ومحاولة تعديلها وتفسيرها، هي السبب في طول الصراع والجدال. ففرنسا تريد احتلال سورية الداخلية، مع أن الاتفاقية المذكورة لا تعطيها الحق في ذلك، وبريطانيا تحاول أن ترضي العرب في سورية فقط ضد الفرنسيين، مقابل سيطرتها على العراق وفلسطين، اللتين لم يكن لهما نصيب هام في هذا الصراع، وكأنهما غير عربيين، ولم يشكلا قضية خلاف، مع العلم أن مسألة فلسطين كانت أخطر بكثير من مسألة سورية. لكن الذي وضع مسألة فلسطين والعراق في الظل، هو عدم اهتمام فرنسا باحتلالهما، وسكوت فيصل صديق الإنكليز بما يخص المنطقتين المذكورتين، وبذلك كانت بريطانيا هي الرابحة الوحيدة دون صراع، وكذلك الصهيونية.

في السادس من فبراير / شباط / ١٩١٩، قدمت فرنسا مذكرة إلى بريطانيا، تقترح فيها اتفاقية انكليزية ـ فرنسية جديدة حول سورية، تتحدث فيها عن أثر فرنسا العميق منذ الحروب الصليبية، حتى احتلال لبنان عام ١٨٦٠، حتى الآن، وتعدد

(١) F.O. 371 /4182/ 5 Aout 1919, P. 94

أعمال فرنسا فيها، كتنوير الساحل. والاقتراح الجديد هو لتسوية الحدود المتشابكة بين المنطقة الزرقاء (الفرنسية في الساحل) والمنطقة (A) العربية، لأنه لا يمكن فصل ولايات حلب ودمشق وبيروت ولبنان عن بعضها. وتبدي فرنسا استعدادها لوضع نظام في دمشق قريب مما هو معمول به فيها، حسب اتفاقية ١٩١٦، يؤكد للأمير فيصل مكانة يرضى بها الحلفاء له، ويحقق المصلحة العامة للشعوب العربية، ويعطيها حضارة جديدة[٢]. والإقتراح بمجمله يعني، وضع سورية كلها تحت الانتداب الفرنسي.

ثم تم — كما ذكرنا — لقاء فيصل بكلمنصو في أبريل / نيسان /، دون الوصول إلى اتفاق نهائي على سورية، ثم استطاعت كل من انكلترا وفرنسا التنصل من الإشتراك في لجنة الاستفتاء لتقرير مستقبل سورية. وغادر فيصل فرنسا أواخر أبريل / نيسان /، واستمر الجدال في شهر ماي / أيار / بين فرنسا وبريطانيا. وكان يحمل شكوى وتذمر الفرنسيين من سلوك البريطانيين المضاد لهم في سورية. وكانت خطة فرنسا هي أن تقنع بريطانيا بإرسال قوات فرنسية لتحافظ على النظام في سورية، ولتعدها للحكم المحلي المستقل الذاتي. وكان طلب فرنسا ذلك في ٥ ماي / أيار /، وفي ٨ أيضاً، عندما طلب السفير الفرنسي في لندن مقابلة كرزون لإدخال قوات فرنسية إلى سورية[٣].

وصلت هذه الأخبار إلى دمشق، فأرسل فيصل يستفهم عن إرسال قوات فرنسية لتحل محل القوات الإنكليزية، وأنذر بعواقب مثل هذه السياسة، فأبلغه اللنبي في ١٧ ماي / أيار /، بأنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع، لكنه أبلغه بأنه يريد أن يسحب القوات الإنكليزية من سورية، لأن عددها قليل، ولا تكفي لمصر وسورية[٤]. وكان هذا بداية تخلي الإنكليز عن فيصل. وفشل أيضاً الوفد العربي في باريس في الحصول على انتداب واحد للبلاد العربية، حتى يضمن وحدتها. إذ تقدم في النصف الثاني من ماي / أيار / بطلب بذلك إلى مؤتمر الصلح في باريس، لكن بريطانيا على

(٢) Ibid, 371 /4180/ PP. 302-303

(٣) Ibid, PP. 187-188 et P. 204

(٤) F.O. 371 /4180/ P. 204

لسان اللورد هاردنغ، أجابت بأن ذلك مستحيل، لأنه لا يمكن لدولة واحدة أن تتحمل مثل هذا العبء الثقيل في الإنفاق على تطوير البلاد وإعمارها. أما بولك رئيس الوفد الأمريكي ــ بعد عودة ولسن إلى بلاده ــ فكان أكثر صراحة، لأن الأمر لا يخص بلاده مباشرة، وهو بغير حاجة للمناورة واللف والدوران، كما فعل هاردنغ، فأجاب الوفد العربي بأن طلبه صعب التنفيذ، لأن فرنسا مصرة على الذهاب إلى سورية، وبريطانية مصرة على الذهاب إلى فلسطين[٥].

وعقد الأربعة الكبار في مؤتمر الصلح ثلاث جلسات في باريس في شهر ماي / أيار /، وفي ٢١ و ٢٢ و ٣١[٦]، اتهم فيها كلمنصو لويد جورج بالحنث بوعده، بالنسبة للقضية السورية، عندما وافق لويد جورج على طلباته في خريف ١٩١٨ في لندن، على استئثار بريطانيا بالموصل وفلسطين، مقابل ترك سورية لفرنسا. وكان مركز كلمنصو مهدداً، لأنه كان عرضة لنقد شديد وخاصة من اليمين الفرنسي ورجال الدين، لأنه لا يولي سورية الاهتمام الكافي. ونفى لويد جورج اتهام كلمنصو، واستعرض الاثنان بنود اتفاقية سايكس ــ بيكو والعلاقات السياسية البريطانية والفرنسية، منذ ١٩١٢ عندما أعلنت بريطانيا أنها لاتريد سورية. ولم يقدر ولسون أن يفعل شيئاً، إلا ملاحظته ومعرفته، أن الإثنين يتصارعان على سورية، دون تحقيق رغبة شعبها في تقرير المصير، حسب المبدأ الذي أعلنه ولسون سنة ١٩١٨، والذي بنت الولايات المتحدة سياستها عليه، وعلى المبادىء الأخرى لدخول الحرب إلى جانب الحلفاء. وكانت أمام الجميع البرقيات التي تدل على خطورة الموقف في سورية، وخاصة

(٥) انظر سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٤٨٦ عن رسالة له من عوني عبد الهادي عضو الوفد العربي.

(٦) للاطلاع على ما جرى في هذه الجلسات انظر: Documents, vol IV, PP. 257-260

و Papers Relatings to the Foreign relations of the United States vol V, PP. 756-766 et 807-812

و Lloyd George, the truth about the peace treaties, vol II, P. 1076

و D.F.Aff, Etr, Levant, 11 PP. 248-249, 271-289, 293-294, 311-314

وفي الوثائق الفرنسية هذه كل المراسلات والمناقشات.

ضد فرنسا. وكانت نتيجة هذه الإجتماعات دون الخوض في تفاصيلها، وقسم منها مكرر ـــ هي:

١ ـــ لا تريد بريطانيا ولا فرنسا الإشتراك في لجنة الاستفتاء.

٢ ـــ ترفض بريطانيا الانتداب على سورية، ويعتبر هذا نصراً لفرنسا.

تابعت فرنسا ضغطها على بريطانيا، حتى تحصل نهائياً منها على جواب شافٍ، بأن تكون سورية لها. لأن رفض بريطانيا انتدابها على سورية، ليس من الضروري أن يعني ذلك. ولهذا قابل السفير الفرنسي في لندن كرزون أوائل جوان / حزيران /، ما بين كلمنصو ولويد جورج، فأكد كرزون بأنه يجب أن تكون فرنسا ممتنة لبريطانيا، التي رفضت الانتداب على سورية، وأبلغت فيصلاً بذلك[٧].

وأخذ فيصل يشعر بجدية الموقف البريطاني وتخليه عنه. وكان يحاول كل جهده كي تبقى بريطانيا في سورية، وتصور أنه يمكن إغراؤها أو اقتناعها بالبقاء، فيما إذا رضيت الانتداب على سورية والعراق معاً كدولة واحدة، وهذا ما تقدم به نوري السعيد المعاون العسكري الأكبر لفيصل في باريس في ٢٤ جوان / حزيران /، مبيناً أن ذلك يحقق رغبة السكان في البلدين في تشكيل حكومة عربية واحدة، لأن الأحزاب الإستعمارية الأوروبية هي التي تريد فصل البلدين حتى تستعمرهما، وأن الحل الوحيد لقضية العرب هو تشكيل حكومة واحدة (فدرالية) كالولايات المتحدة، يكون فيها لكل ولاية حكم ذاتي، يتجاوب مع تقاليد السكان في تلك الولاية، ومع عاداتهم ودرجة رقيهم الإجتماعي[٨]. لكن بلفور أجاب ـــ كما ذكرنا ـــ بشكل قطعي رفض بريطانيا لانتدابها على سورية، وفي ذلك فشل لخطة فيصل الجديدة، ونصر جديد لفرنسا. وكانت دعاية فيصل العربية في العراق، قد أثارت غضب كرزون، كما جعلت حاكم العراق البريطاني يطلب من وزارة الخارجية البريطانية، ان يقصر نشاطه على

(٧) Documents, IV, P. 276

(٨) Ibid, P. 289

سورية[٩] . وكان هذا دافعاً قوياً لدى الإنكليز ، لرفض توحيد سورية والعراق ، ودفعا لها أيضاً للتقارب مع فرنسا ، وحل القضية السورية على حساب العرب .

ثم كانت الخطوة التالية في ٢ جوييه / تموز / ، هي الأهم من طرف بريطانيا ، إذ تقدم بلفور بمذكرة من باريس إلى لويد جورج عن توزيع الممتلكات التركية ـــ وكان هذا بعد أن قرر مجلس الحلفاء في ٣٠ جوان / حزيران / تأجيل بحث تسوية الأراضي العثمانية ، حتى تتخذ الحكومة الأمريكية قرارها ـــ وكانت وجهة بلفور التي قال أنه عبّر عنها أكثر من مرة تتضمن :

١ ـــ سلخ البلاد العربية التي كانت تتبع الدولة العثمانية عنها نهائياً ووضعها تحت الانتداب .

٢ ـــ تنتدب فرنسا على سورية وبريطانيا على العراق وأمريكا أو بريطانيا على فلسطين ، مع توسيع حدودهما شمالاً وشرقاً ، لضمان مصلحة الصهيونيين .

٣ ـــ تكون الاسكندرونة تابعة للانتداب الفرنسي ، مع عدم الجزم بأنها سورية أم تركية ، وأنه يشعر بالأسف ، أن تمتد منطقة انتداب فرنسا على محاذاة البحر حتى شاطىء الأناضول ، ليس لأنه يضنُّ بها على فرنسا ، لكن حتى لا تتقدم إيطاليا بمطالب جديدة[١٠] .

لكن الأخبار القادمة من سورية من اللجنة الأمريكية إلى مؤتمر الصلح في ١٠ جوييه / تموز / ، زادت في مخاوف فرنسا ، برغم مذكرة بلفور الطيبة بالنسبة لهم ، إذ ذكرت تلك الأخبار رغبة السوريين في الوحدة بما فيها فلسطين ، ورفض الانتداب الفرنسي ، ماعدا الأحزاب اللبنانية .

وقد زاد هذا من ثائرة الصحف الفرنسية ضد الإنكليز ، متهمة إياهم بتشويه سمعة فرنسا في سورية ، ومعارضة أهدافها . وقد حملت هذه الصحف العبء عن الحكومة الفرنسية بالوقوف بعنف تجاه بريطانيا . ففي ٣ جوييه / تموز / كتب Denys

(٩) Ibid, PP. 296-297

(١٠) Ibid, PP. 302-303

Cochin في جريدة Le Figaro مقالة عن حقوق فرنسا التاريخية في سورية، وعن أن الشعب جميعه، مسلمين ومسيحيين في سورية، لا يريدون فيصلاً المدعوم من بريطانيا[11]. وكتب الكاتب المعروف Decaix مقالاً في جريدة Asie-Française في ١٩ جوييه / تموز /، هاجم فيها الدعاية البريطانية الموجهة ضد فرنسا في سورية، للقضاء على النفوذ الفرنسي فيها، وكان ذلك بتشجيعهم للوحدة العربية، وقيامها في سورية. وتحدث عن تلاعب بريطانيا بوعودها المتناقضة للعرب ولفرنسا، والتي كانت وعودها للعرب أقوى وأكبر من وعودها لفرنسا، والسبب هو أنانية الإنكليز وحرصهم على منافعهم الخاصة[12]. وأعادت Le Temps في نفس اليوم مقالة دوكي، لكنها طالبت أن تخلص بريطانيا وفرنسا لبعضهما لصالح الإثنتين[13]. وكتب H.R. Savary في ٢٨ جوييه / تموز / في جريدة (Democratie Nouvelle) «لقد راكمنا الأخطاء، ولقد تركنا حقيقة مخيفة تلعب بذكاء ضدنا بالمسائل الدينية، سواء من وجهة نظر إسلامية أو مسيحية. ويمكن لنا أن نقيس اليوم مفهوم الخطيئة المشتركة، التي اقترفتها حكومة هزيلة وعنيدة وكبيرة على الدرس الذي أعطته انكلترا، بالمحافظة على سفارتها لدى الكرسي البابوي. ونستطيع أن نستخلص من ثمرات هذه السياسة المتجاهلة لمصالحنا الكبرى التاريخية، التي جعلتنا دون أن نشاركها (انكلترا)، نحصد ما زرعه الغير»[14]. وكتبت جريدة Journal في ٣٠ جوييه / تموز /، عن بطء اتخاذ قرار بمسألة الشرق، لأن ذلك يهم مصالح فرنسا كثيراً، ويطالب بتطبيق اتفاقية سايكس ــ بيكو بسرعة، التي كما يقول غراهام سفير بريطانيا في فرنسا، أنها تعني قطن كيليكيا وبترول الموصل. وليست هي مسألة اتفاقية ١٩١٦، ويعني إبعاد فرنسا المستعدة للقضية ... وتحدث غراهام عن رغبة السوريين في رفض فرنسا، حسب رأي اللجنة الأمريكية[15]. وكتب Jaque Bienville معلقاً على مقالة Decaix في جريدة

---

(١١) من أرشيف F.O. 371 /4181/ P. 473

(١٢) من أرشيف Ibid, 371 /4182/ PP. 17-20

(١٣) من أرشيف Documents, IV, P. 134

(١٤) من أرشيف F.O. 371 /4182/ P. 52

(١٥) من أرشيف Ibid, P. 67

Action française أن الحل الوحيد هو تطبيق اتفاقية ١٩١٥ و ١٩١٦ بالنسبة لسورية(١٦). وكتب Garin L'hermitte في جريدة Pays في ٥ أوت / آب /، حيث ــ كما ذكرنا ــ شبه القضية السورية بالشوكة السامة في جسم اتفاقية السلام، وتحدث عن الدعاية التي تقوم بها بريطانيا ضد فرنسا في سورية، التي تقاومها الصحف الفرنسية، بينما لا تذكر شيئاً عنها الصحف البريطانية(١٧). وكتبت L' Asie-Française في ٥ أوت / آب / تتحدث عن القضية العربية بشكل طيب، حتى تكون دعاية طيبة لفرنسا «وأن طموحنا عقد اتفاق باتحاد بين الشعب العربي وفرنسا، الذي عرف مرة على ساحات المعارك، والذي تقرر مصيره بالإعتراف به، على ساحة النشاط الثقافي والاقتصادي(١٨). وكتبت الفيغارو في ٩ أوت / آب / (عن وجوب التغاضي عن كل الذي مضى بين بريطانيا وفرنسا، حتى يتم بعض التقدم في مسألة الشرق الأوسط)(١٩). وكتب كاتب تحت اسم un Français في جريدة Partie في أوت / آب /، مقالة لصالح سورية، ثم لصالح فرنسا، فقال: يجب أن يُسمع صوت سورية. وأخشى أن يأتي السوريون بعد اللبنانيين في التأثير الفرنسي. لكن فيصلاً هو نموذج الاستقلال السوري، وأثبت تعلقه بفرنسا. ويجب أن تختار فرنسا بين التعاون المخلص مع شعب البلاد بكل امكانياته الواسعة، أو الاستعمار البغيض بنجاحاته المصائبية، وكراهية العالم العربي. وقال إن كلامه (أي الكاتب) خطأ وصواب. هو مخطىء لأنه يدعو لاستقلال سورية، بينما لفرنسا حقوق. وهو على صواب، عندما يدعو إلى الاستقلال في سورية، إذا كانت فرنسا لا تستطيع أن تجعل حقها محترماً ويجب ألا تكون سورية لبريطانيا، ولكن إذا لم تكن فرنسية، فلندعها حرة مستقلة(٢٠). وكتبت الفيغارو مقالة في ١١ أوت / آب / ضد بريطانيا فقالت: إن كل دولة أخذت حصتها، فبريطانيا في مصر وفلسطين والعراق، و $\frac{٢}{٣}$ تركية،

---

(١٦) من أرشيف Ibid, P. 84

(١٧) F.O. 371 /4182/ P. 94

(١٨) انظر صورة العدد رقم ١ السنة الأولى في الملحق. Ibid, 371 /4182/.

(١٩) Ibid, P. 102

(٢٠) Ibid, P. 127

واليونان في أزمير ، وإيطاليا ليس لها مصالح ، والولايات المتحدة ترفض أرمينيا ، وفرنسا ليس لها سوى شريط في الساحل اللبناني . كل اتفاقية سايكس ـ بيكو نفذها الحلفاء لصالحهم ، أما فرنسا فلا . في اتفاقية ١٩١٦ تكون كل سورية التاريخية لفرنسا مع حلب والموصل ودمشق ... ثم تحدث عن الدعاية في مصر ضد فرنسا ، وذكرت المقطم[٢١] . وكتبت جريدة La Croix في ٢ أوت / آب / ، أن سورية ولبنان وفلسطين تشكل بلداً واحداً ، وكل سكانه من أصل واحد سوري ، ويجب أن تُعطى الحكم الذاتي تحت انتداب دولة كبيرة ... وقد رفض ولسون إدخال عالمه الجديد في العالم القديم ، وسوف تقرر فرنسا بعنايتها مستقبل سورية[٢٢] . وكتبت Le Temps في ١٨ أوت / آب / عن أن عواطف سكان سورية ولبنان هي بالكلية نحو فرنسا . وعلق جاك بيانفيل في L' action française في ٢٥ أوت / آب / ، بأن بعض المدنيين والعسكريين أبدوا ميلاً لا ينكر ، بتجاهل الحقوق التقليدية والمصالح الفرنسية في سورية . لكن بعض الصحفيين الفرنسيين والموظفين لم يحافظوا على الإرادة الطيبة والمحاكمة الهادئة ... وانتقد تعاطف الإنكليز مع العرب والحسين[٢٣] . وهاجم الكاتب الفرنسي Partinax هجوماً شديداً عصبة الأمم لأنها لم تصادق بعد على اتفاقية ١٩١٦ ، فقال إن كل اتفاقات بريطانيا مع منطقة الخليج ، واتفاقية سايكس ـ بيكو ، ومع الحسين ، لم ترسل إلى عصبة الأمم . ويسأل كم من الوقت تنتظر اتفاقية ١٩١٦ حتى تصدقها عصبة الأمم ، بينما هي تنفذ (أي بريطانيا) كل اتفاقياتها القديمة غير المصدقة[٢٤] . والجدير بالذكر ، أن بارتناكس كان قد شن هجوماً في نفس الصحيفة في ١٦ ماي / أيار / ، اتهم فيها الدبلوماسية الفرنسية بالتقصير في مسألة سورية ، وانشغالها في الجبهة الغربية ، مما مكن بريطانيا من اغتصاب نفوذ فرنسا في تلك البلاد[٢٥] ... إلخ من صحف أخرى .

---

(٢١) Ibid, P. 125

(٢٢) D.F.Aff, Etr, Levant, 16 P. 9

(٢٣) F.O. 371 /4182/ PP. 224-225

(٢٤) من أرشيف Ibid, P. 163

(٢٥) the Times, 17 Mai, P. 13, Col 6.

أما الصحف البريطانية فكانت ترد الإتهامات الصحفية الفرنسية، كما كان يفعل الحكام البريطانيون بردهم على كلمنصو وبيشون وغيرهما. ففي ١٧ ماي / أيار / ردت جريدة the times على مقالة بارتناكس، بأن بريطانيا زاهدة في الإنتداب على سورية، وأنها تعترف دائماً بحق فرنسا، باعتبار سورية منطقة نفوذ لها، وأنه يجب أن يعطي الإنتداب على سورية إلى دولة ما (أي فرنسا بعد زهد بريطانيا فيها)[٢٦]. ثم كتبت في ٢٨ جوييه / تموز / تبين رغبة السوريين في انتداب أمريكا أو بريطانيا، ورفضهم لأية قوة أخرى ـــ وعنت بذلك فرنسا دون أن تذكرها ـــ فقالت، إن السوريين نتيجة للإستفتاء يريدون استقلال سورية، أوانتداب أمريكا أو بريطانيا، ويرفضون أية قوة أجنبية أخرى، وأن بيروت ولبنان وقسم من الساحل طلبوا انتداب فرنسا، والموارنة ومعظم الكاثوليك يطلبون فرنسا، أما الأرثوذكس فمنقسمون إلى قسمين بين بريطانيا وفرنسا[٢٧]. ثم ردت على حملة الصحف الفرنسية خلال شهر أوت / آب /، فنشرت مقالاً في ٣١ أوت / آب / بأن الصحف الكثيرة الفرنسية تثير مسألة سورية، لكن إذا كان السوريون يريدون فيصلاً أميراً عليهم، فلماذا ترفع هذه الصحف الأصوات، يمكن أن توضع سورية تحت انتداب فرنسي من قبل عصبة الأمم، وأنه يمكن حلها بالنية الصادقة والإرادة الطيبة، وهذه المصاعب متلازمة، لكن يجب أن يسود الإنسجام علاقة انكلترا بفرنسا[٢٨].

وهكذا كان الجو خلال شهري جوييه وأوت / تموز و آب /، حيث كانت فرنسا على لسان الصحف تشن هجوماً ضد بريطانيا للدفاع عن اتفاقية ١٩١٦، وكانت بريطانيا على لسان الصحف تراضي وترضي بعد تمنع مصطنع، وكان هذا هو سلوك الحكومتين الفرنسية والإنكليزية. هذه تهاجم، وتلك تدافع ثم تخضع بعد «تمنع مريب بحق العرب».

(٢٦) Ibid.

(٢٧) D.F.Aff, Etr, Levant, 15, P. 186

(٢٨) أرشيف F.O. 371 /4182/ P. 219.

القضية السورية بين الحكومات الأوروبية

في ١٨ جوييه / تموز /، قال كلمنصو في وفود الدول الخمس العظمى، في وزارة الخارجية الفرنسية (كي دورسي) بغضب، إن الجنرال اللنبي قد تصرف في سورية كجنرال بريطاني لا كجنرال قائد عام، وقد خلق بذلك شعوراً معادياً للفرنسيين، وقد منع القوات الفرنسية من دخول سورية. وكان عملاؤه يعملون بشكل مستمر ضد الفرنسيين، وكان يمنع إقامة مراكز عسكرية فرنسية في سورية، بحجة الشعور المعادي من الأهلين. ورفض بلفور أقوال كلمنصو، وقال انه ما من موظف بريطاني إلا ويعلم أن بريطانيا لا تقبل الإنتداب على سورية، وما من موظف بريطاني يشوه سمعة فرنسا، وبريطانيا لا تجد سبباً لوضع العراقيل في وجه الآخرين(٢٩).

وإزاء الضغط الفرنسي المستمر، الذي ربما كان يهدد تحالف فرنسا وبريطانيا، وإزاء قبول بريطانيا بطلبات فرنسا في سورية ـــ بعد تمنع ـــ بعد أن أعطتها فرنسا كل ما طلبت، قدم بلفور مذكرة حول سورية وفلسطين والعراق في ١١ أوت / آب /. وتميزت هذه المذكرة بالتحليل والصراحة والفجور وخيانة العرب، إذ قال فيها «لايمكن الوفاء بالوعود التي قطعها الحلفاء للعرب وفاءً حرفياً مع النص». وتحدث في هذه المذكرة عن الوعود المتناقضة التي أعطاها الانكليز للعرب ولفرنسا، ويخطّىء من وضع تلك الاتفاقات، لأنه فاته أن دولاً كانت ستقوم، ربما تسقط الدولة العثمانية، ويعني سورية وفلسطين والعراق، مع بعض المشورة. وحسماً للنزاع المرّ، رأى بلفور العودة إلى نصوص اتفاقية سايكس ـــ بيكو، وأن يكون لفرنسا منطقة نفوذ في سورية، ولبريطانيا في ما بين النهرين دجلة والفرات، وأن يكون لليهود وطن في وادي الأردن(٣٠). وإذن لا يكون للعرب شيء.

كان هذا تراجعاً جديداً لبريطانيا، ونصراً جديداً أيضاً لفرنسا، وكعملية تدريجية لاستبدال القوات الفرنسية بالإنكليزية في المنطقة عامة، أبلغت وزارة الحربية

---

(٢٩) Documents, IV, P. 134 et PP. 340-349

(٣٠) Ibid, PP. 349-350

البريطانية ممثلها في مؤتمر الصلح، يعلمه بتواريخ وأسماء القطعات العسكرية الإنكليزية، التي ستبدل بفرنسية في كيليكيا، وساحل سورية، وأن تبقى القوات الإنكليزية داخل سورية، لأن اللنبي يعتبر خروجها خطيراً الآن من كل سورية(٣١).

وسوف لن يتوقف انسحاب القوات الإنكليزية حتى من سورية، رغم خطورة الموقف، لكن انسحابها من كيليكيا وساحل سورية، كان بمثابة إعلام لفيصل، ليتدبر أمره في مسألة لا بد أن تنتهي على شكل من الأشكال، وتلك القضية هي بالطبع، سورية وموقفها أمام فرنسا.

وكما ذكرنا، استمرت الحملة الهجومية الصحفية الفرنسية ضد بريطانيا خلال شهر أوت / آب /. وعندها أرادت بريطانيا الدفاع عن موقفها، ورفض الإدعاء الفرنسي، أبلغت سفيرها غراهام في باريس، أن ينقل ذلك لبيشون وزير الخارجية الفرنسية. وتقابل الإثنان في ١٤ أوت / آب /، وعرض بيشون التقارير الكثيرة، التي تظهر نشاط الموظفين البريطانيين العدائي ضد فرنسا في سورية. فأنكر غراهام كل هذه التقارير، لكن بيشون ظل ثابتاً على رأيه، وعبر له عن خطورة موقف الحكومة الفرنسية إزاء الشعب الفرنسي، بالنسبة للقضية السورية، وقال إنه إذا تخلت الحكومة الفرنسية عن الشرق، فسوف تسقط، ولن تنال عشرة أصوات في البرلمان الفرنسي... وأنه على بريطانيا، أن تصدر تعليماتها إلى موظفيها وعملائها في سورية، كي يكفوا عن الدعاية ضد فرنسا التي تشكو منه، وهو يعتقد أن بريطانيا لا تريد الإنتداب على سورية، لكن وكلاءها يريدون أن يمنعوا تأثير فرنسا ووجودها في المنطقة(٣٢).

وإزاء الإصرار الفرنسي على قضية سورية، رأت الحكومة البريطانية بعد طول النقاش فيها، أنه لا يوجد إلا حل واحد، وهو أحد خيارين، إما أن تتفق مع فرنسا على حساب العرب، أو تتفق مع العرب ضد اتفاقية سايكس — بيكو. واتفاقها مع

(٣١) F.O. 371 /4182/ 30 P. 119

(٣٢) F.O. 371 /4182/ (14 Aout) P. 133
و D.F.Aff, Etr, Levant, 16 (12 Aout) P. 116

الإثنتين متضارب. وكان من مصلحة بريطانيا بالطبع أن تتفق مع جارتها القوية، ضد العرب المتفرقين الضعفاء. وتفتق ذهن لويد جورج عن فكرة خبيثة، كما وصفها ويلم يال[٣٣]، اعتقد أنه يمكن إرضاء الأطراف المتنازعة على سورية من الفرنسيين والعرب، وبذلك يكون قد حقق العهود مع كلا الطرفين، كان هذا هو الظاهر، أما الحقيقة فكانت على حساب العرب، أما ذلك الحل فهو انسحاب القوات العسكرية البريطانية من سورية، بحجة تخفيف نفقاتها، وبالتالي التقليل من الأعباء المالية على بريطانيا، وتسلم بريطانيا للقوات الفرنسية، المنطقة الساحلية وللقوات العربية، المنطقة الداخلية. وفيها المدن الأربع دمشق وحمص وحماة وحلب، وكأنه بذلك قد وضع المنطقة على حافة الخطر، الذي لابد أن يندلع، ويكون العرب هم الخاسرين. وتم اتخاذ هذا القرار في اجتماع للحكومة البريطانية في ١٩ و ٢٠ أوت / آب /، ثم جرت مشاورات أخرى في ٦ و ٧ سبتمبر / أيلول /، ثم في ٩ بحضور اللنبي، الذي استدعاه لويد جورج ليحضر مناقشة القضية الهامة، (سورية). وتتابع النقاش في ١٠ وفي ١١، ونوقشت قضية مد أنابيب للنفط العراقي إلى موانىء البحر المتوسط، ومد خط سكة حديد بين العراق وفلسطين[٣٤]. وفي ١٣ سبتمبر / أيلول / سلم لويد جورج مذكرة إلى كلمنصو في باريس، تتألف من أحد عشر بنداً، تتضمن سياسة بريطانيا تجاه سورية والبلاد العربية، وأهم هذه البنود هو تسليم المنطقة الساحلية غرب خط سايكس ــ بيكو إلى فرنسا، وتسليم شرقه إلى فيصل، وبقاء القوات البريطانية في العراق وفلسطين، وحددت المذكرة حدود هذه الأقاليم. وزعم لويد جورج أنه بذلك يفي بالتزامات بريطانيا نحو فرنسا والعرب، كما ذكر لويد جورج، بأنه مستعد لقبول حكم يعينه ولسن في حالة الخلاف على طريق السكة الحديدية، وأنابيب النفط، وهو مجاملة فارغة لولسن، الذي انسحب من السياسة الأوروبية، بسبب معارضة شديدة

(٣٣) زين، الصراع، ص ١٣٠.

(٣٤) D.F.Aff, Etr, Levant, 17 (13 Aout) P. 217

Documents, 1 P. 690 et 700-701

وانظر Lloyd George, vol, 2 P. 1081

من خصومه في بلاده، وكان ذلك من أسباب اتخاذ لويد جورج قراره هذا، بالاتفاق فقط مع فرنسا، دون الولايات المتحدة(٣٥).

إن هذه المذكرة تعني بشكل صريح تجزئة بلاد العرب، وفرض الانتداب عليهم، وإن لم يذكر صراحة، وضرب مبدأ تقرير المصير عرض الحائط، مخالفة حتى لإتفاقية سايكس ــ بيكو، التي تعترف بوجود دولة عربية في المنطقة (آ) و (ب).

بعد هذا الاتفاق، عقد مجلس الرؤوساء الخمسة لوفود الدول الكبرى اجتماعاً في مكتب كلمنصو، في وزارة الحربية في باريس يوم الخامس عشر من سبتمبر / أيلول /، ووزعت على الحاضرين مذكرة لويد جورج المذكورة، لتكون حلاً مؤقتاً، حتى يتخذ قرار بشأن الانتداب. وأعيد في هذا الإجتماع من جديد، بحث اتفاقية سايكس ــ بيكو، أعاد فيها لويد جورج وجهة نظره، بأن الإتفاق المذكور مع كلمنصو يحقق اتفاق بريطانيا مع العرب، الذين قاموا بعمل جليل في خدمة الحلفاء، حيث فصل ٣٠ ألف جندي تركي، من أصل ٤٠ ألف من القتال ضد الحلفاء، إضافة إلى ما قدموه من عون مادي ووفاء بالتزاماتهم، وقال لويد جورج أخيراً «ومن واجبنا نحن أن نفي بمواثيقنا». أما كلمنصو فقد وافق على إحلال قوات فرنسية محل البريطانية، لكنه رفض التقيد بقبول أي أمر آخر مما أتت به مذكرة لويد جورج، بالنسبة لاحتلال سورية وفلسطين والعراق، حتى يتم تقرير الانتداب، كما قال كلمنصو بأن خلق امبراطورية عربية، يخلق مصاعب عظيمة، وعلى الحكومات المعنية أن تفكر طويلاً بالأمر(٣٦).

لم يُتخذ قرار في هذه الجلسة، إلا أن مجلس الحلفاء الأعلى اطلع على المذكرة باعتبارها ترتيباً مؤقتاً، لا يؤثر على الحل النهائي للانتداب والحدود.

---

(٣٥) Documents, 1, PP. 700-701

(٣٦) انظر تفاصيل المناقشات في Documents, 1, PP. 685-701
و F.O. 371 /4182/ P. 528-530-537.
و Papers relating to the foreign relation of the United States vol II, P. 840

وفي اليوم التالي طلب كلمنصو من اللنبي . كي يستعمل الضغط على فيصل ، حتى تنسحب قواتهم (القليلة) المرابطة في دمشق وحلب ، حتى لا تثير استياءً فرنسياً . كما أبلغ لويد جورج بمشاركة فرنسا لبريطانيا بدفع نفقات الحكومة العربية البالغة ١٥٠ ألف جنيه شهرياً ، بديلاً للعائدات الجمركية ، التي كانت تأخذها بريطانيا عن المواد المستوردة إلى سورية عن طريق البحر . وبدأت فرنسا فعلاً تدفع حصتها اعتباراً من نوفمبر / تشرين الثاني / ، ثم أوقفت بريطانيا دفعها في أول ١٩٢٠ ، وفعلت فرنسا في أول مارس / آذار / ١٩٢٠(٣٧) .

أما فيصل فلقد ذهبت نداءاته ومناشدته شرف بريطانيا أدراج الرياح ، لا بل فلقد اقترح تشرشل وزير الحربية البريطانية في وزارة لويد جورج في اجتماع ١١ سبتمبر / أيلول / ، أن يُحتفظ بفيصل رهينة في أوروبا ، إذا ما حاول محاربة الفرنسيين ، وكان بذلك يرد على مخاوف اللنبي ، الذي ذكر في ذلك الإجتماع ، أنه يتوقع نشوب قتال بين العرب والفرنسيين ، بعد انسحاب القوات البريطانية . لكن اللنبي غضب بشدة لاقتراح تشرشل ، ولم يأخذ به ، كما أصر اللنبي في ذلك الإجتماع ، على وجوب دعوة فيصل شخصياً للقدوم إلى باريس في الحال ، فوجه لويد جورج له الدعوة في ١١ سبتمبر / أيلول / « لأنه من المرجح أن تبحث قضية سورية في وقت قريب »(٣٨) . كما قدم الوفد العربي في ١٠ سبتمبر / أيلول / ، مذكرة إلى الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح في باريس ، عما سمعه من الأخبار عن الاتفاق الذي قام بين فرنسا وبريطانيا ، بشأن استبدال القوات ، ولعبة التعويضات ، التي لم تكف عن كونها قاعدة الدبلوماسية السرية ، التي تهيج مشاعر الشعب الذي اعتقد بانتصار حكم العدالة والحق . ثم تسرد المذكرة اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية ، وتبين بطلانها وترفضها ، وتلفت نظر مؤتمر الصلح ، إلى الوضع الخطير الذي يمكن أن تخلق كل الحلول المؤقتة في سورية بالنسبة لمستقبلها ، وتضيف المذكرة أن المفاوضات الجارية (بين فرنسا وانكلترا) ، لا غاية لها سوى استبعاد النتائج العملية والمحايدة لأعمال لجنة الإستفتاء الأمريكية ، التي يمكن أن

(٣٧) Documents, vol IV, PP. 384-385 et Documents No 354-415, vol. 13, No 232-234, 259-277

(٣٨) F.O. 371 /4182/ P. 412

تكون القاعدة العادلة للعمل النهائي في سورية والأقطار الأخرى المحررة(٣٩) ...

إن الذي جرى من اتفاق بين انكلترا وفرنسا، جعل الصحف في كلا البلدين تشعر بشيء من الراحة، بعد أن وضعت البداية كي تأخذ كل دولة حصتها من العرب، حسب اتفاقية سايكس ــ بيكو وعن ذلك عبرت the times و Daily Telegraph و Le temps و Echo dé paris و Le Figaro(٤٠) ...

---

(٣٩) Documents, vol IV, No 268, PP. 375-377

(٤٠) كتبت Daily Telegraph في ١١ سبتمبر / أيلول / عن رضى اللنبي ودعمه للانتداب الفرنسي على سورية، وكتبت The Times في ٦ سبتمبر / أيلول /، قائلة إن اللنبي يأمل أن يتم الاتفاق بين فرنسا والأمير فيصل، وبذلك يزول الظل عن منطقة الشرق الأوسط، وتتأكد فيه الصداقة الانكليزية الفرنسية. وكتب لورنس في نفس الجريدة في ١١ سبتمبر / أيلول /، وعزا كل المصاعب إلى اتفاقية ١٩١٦، وقال بأن مصلحة العرب يجب أن تكون في تبادل وجهات النظر البريطانية ــ الفرنسية التي ستناقش الاقتراحات حسب هذه الاتفاقية. وقال أيضاً بأنه لا يوجد تناقض ما بين مراسلات مكماهون ــ الحسين واتفاقية سايكس ــ بيكو والتصريح للسوريين السبعة وإعلان نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨. وإذا لم يعط الطرفان الانكليز والفرنسيون وزناً للطرف الثالث (العرب) فلن يصلوا إلى اتفاق. ونشرت le temps في ١٧ سبتمبر / أيلول / خبر الاتفاق الفرنسي البريطاني، وقالت بأنه لا يوجد تناقض بين وعود الانكليز للحسين واتفاقية سايكس ــ بيكو، حسب رأي بريطانيا، لكنها ذكرت أن الموصل خرجت من فرنسا لتكون لبريطانيا. ونشرت Echo de Paris في نفس اليوم مقالة بقلم بارتيناكس، أن اتفاقية سايكس ــ بيكو تعطي الانتداب لفرنسا على المنطقة الداخلية في سورية (الفيصلية). وكتبت le Figaro في ١٠ سبتمبر / أيلول /، عن أن كل رأي سواء في فرنسا أو بريطانيا يسيء إلى الصداقة الانكليزية الفرنسية، فإنه بطبيعة الحال يسيء إلى الانتصار نفسه، الذي أحرزته الدولتان، وأن كل الصحف في فرنسا قد أثارت الرأي العام لقضية سورية، وأنه يلاحظ في انكلترا زيادة العواطف تجاه فرنسا، وهذا ما جاء على لسان اللنبي في مرسيليا ...

انظر بالنسبة لـDaily Telegraph F.O. 371 /4182/ P. 439

وبالنسبة لـ The Times في العددين المذكورين.

D.F.Aff. Etr, Levant, 17, P. 129, 184

و F.O. 371 /4182/ P. 389

وبالنسبة le Temps F.O. 371 /4182/ P. 551

وبالنسبة لـ Echo de Paris Ibid, P. 554

وبالنسبة لـ le Figaro Documents, vol IV. No 268, PP. 377-378.

وكتبت جريدة Journal في ٣ سبتمبر / أيلول /، بأن حقوق فرنسا ستكون محترمة في سورية.
F.O. 371 /4182/ P. 342.

فيصل والإنكليز واتفاق لويد جورج ـ كلمنصو

وفي هذا الجو المشوب بالخوف، من اتفاق بريطانيا وفرنسا على إنهاء القضية السورية لصالحهما، تلقى فيصل في ١١ سبتمبر / أيلول / البرقية من لويد جورج، يستدعيه للحضور إلى بريطانيا لتدبر الوضع معه حسب الاتجاه الجديد، قبل التوقيع على اتفاق مع فرنسا، على ألا يتأخر وصوله عن ١٦ منه. فأسرع فيصل بالسفر، وأناب عنه مرة أخرى أخاه زيداً في دمشق. وسافر بقطار خاص إلى حيفا ثم الإسكندرية، وأبحر حالاً على نسافة بريطانية قاصداً مرسيليا[٤١]. وأذاع بياناً على الشعب عند سفره، ظهر فيه القلق من «الموقف الحرج الذي سيكون فيه فصل الخطاب»، كما ظهر خوفه من مغبة الحوادث التي ربما تحدث في سورية بعد سفره، ودعا الناس إلى التمسك بالصبر والسكينة[٤٢]. مع العلم بأنه كان يوجد وفد عربي في باريس، لكن تجدر الملاحظة، أن هذا الوفد الذي تركه فيصل نيابة عنه في باريس، بعد رجوعه إلى سورية، لم تتعد أعماله ومسؤولياته في غالبها، تبليغ فيصل في دمشق، ما قد يراه أعضاء الوفد في أوروبا، من سياستها تجاه العرب أو العكس. ولم يتعامل الساسة الإنكليز والفرنسيون مع هذا الوفد في الأمور الهامة، ولذا كانوا يستدعون فيصلاً عند بحث مثل هذه الأمور.

وكان فيصل مدركاً ما يمكن أن يكون لفرنسا من دور في المسألة السورية، فأظهر وداً خاصاً (لكوس)، وطلب إليه أن ينسى الاختلافات الصغيرة التي حدثت بينهما، لأن المسألة السورية تدخل الآن مرحلة جديدة، عله بها يستطيع الوصول إلى حل مرضٍ مع فرنسا، إلا أن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى الوفد المرافق له أنه يعادي

(٤١) قدري، ص ١٣٦.
و D.F.Aff. Etr, Levant, 17 P. 262 (19 Sep)

(٤٢) الحصري، يوم ميسلون، ص ٢١٧.

فرنسا عداءً عميقاً[٤٣]، مع العلم بأن عدداً من أعضاء الوفد كان من اللبنانيين. وكانت غاية فيصل من إشراكهم، اتقاء النزعة الإنفصالية اللبنانية التي ربما يواجهها في فرنسا.

وبما أن بريطانيا وفرنسا قررتا الاتفاق نهائياً، على مسألة سورية قبل وصول فيصل، حتى لا تقعا من جديد في دوامة مناقشات معه، كما حدث في السفرة الأولى، وحتى تضعاه أمام الأمر الواقع، تم الإتفاق بينهما في ١٣ سبتمبر / أيلول /[٤٤]. ولذلك أخذت السفينة تتباطأ بدلاً من أن تسرع، حتى لا يصل فيصل قبل ١٦ سبتمبر / أيلول /، ووقفت في جزيرة (مالطا) بحجة إصلاحها، وأقام حاكم الجزيرة المارشال (بلومر) برنامجاً حافلاً لفيصل، بزيارة معالم الجزيرة وقصورها التاريخية، ومشاهد المسابقات الرياضية، رغم الغبار الذي كان يعمي العيون، بسبب قلة المياه. وطالت الرحلة يومين[٤٥]. وعندما طلب فيصل متابعة السفر، أخبر بأن السفينة غير جاهزة، واختفت من الميناء. وعرضوا عليه سفينة أخرى أبطأ منها، فرفض السفر إلا على الأولى[٤٦]. ولذلك وصل متأخراً إلى مرسيليا (في ١٨ سبتمبر / أيلول /). ورحلته هذه تذكر برحلته في فرنسا في سفرته الأولى، إلا أن هذه أشد أثراً، لأن مستقبل سورية كان يقرر في بنود بين بريطانيا وفرنسا بعيداً عنه.

وزاد هذا التأخير فيصلاً قناعة بخطورة الموقف، وتحقق منه نهائياً في مرسيليا، عندما علم باتفاق لويد جورج وكلمنصو في ١٣ سبتمبر / أيلول /، حول مسألة

---

(٤٣) D.F.G. P. 5897

رافق فيصل المقدم محمد اسماعيل، والشاعر فؤاد الخطيب سكرتيره للشؤون الخارجية، وحداد باشا مدير الأمن العام، وأحمد قدري والخوري يوسف اسطفان الماروني، وتوفيق الناطور، وجميل الألشي، وتحسين قدري. ولحق به الأمير أمين ارسلان، والأمير فايز الشهابي، والدكتور سامح الفاخوري، وهم من لبنان. قدري، ص ١٣٦.

ويقول Jefries ص ٢٨١ انه كان الأمر أسهل أمام فيصل، لو كان معه وفد يمثل الامة جمعاء.

(٤٤) The New Cambridge Modern History, XII, P. 290

(٤٥) قدري، ص ١٣٧.

(٤٦) D.F.G, Telegramme No, 5985, Le Caire

سورية في الصحف، وتيقن أن بريطانيا قد تخلت عنه لفرنسا، لأنها عقدت الاتفاق بغيابه دون مبرر. فرأى أن يحول سياسته العدائية نحو فرنسا، صاحبة الأمر في سورية، ــ بعد الاتفاق ــ إلى سياسة صداقة وتقارب، حتى يستطيع أن يفعل شيئاً من أجل استقلال سورية. كما أظهر الود (لكوس) في دمشق، حاول أن يظهر صداقة لفرنسا بشكل أقوى هذه المرة، في أثناء إجتيازه التراب الفرنسي بالقطار إلى لندن، حيث كان يرافقه الكولونيل (تولا)(٤٧). وأبدى استعداده للعودة إلى اتفاقه المبدئي مع كلمنصو. كما حاول أن يبرر رفضه لإنتداب فرنسا أمام لجنة كنغ ــ كرين، عندما ذكره تولا بموقفه هذا المعادي لفرنسا، فقال إنه لم يتخذ موقفه هذا، إلا بعد أن رأى كل الناس يطلبون انتداب أمريكا أو بريطانيا، ويرفضون فرنسا، وأنه (فيصل) يفضل دائماً أن يكون الأخير في الكلام. وأبدى له عواطفه الحارة نحو فرنسا وصداقتها، وصرح له بأنه يقبل مساعدة فرنسا طوعاً، شريطة أن تعترف باستقلال سورية بما فيها فلسطين. ويبدو أن فيصلاً حاول اشعار (تولا) بميله نحو فرنسا، وغضبه من بريطانيا، عندما ذكر فلسطين التي هي تحت الاحتلال البريطاني. وعندما سأله تولا كيف يطالب باستقلال سورية (الطبيعية)، وفلسطين تحت الاحتلال البريطاني أولاً، وفرنسا سمحت لبريطانيا بالانتداب عليها ثانياً، فأجاب فيصل بأن المسألة لا تبدو مستحيلة، لكنه لم يفسر قوله، واعتبر اتفاق لويد جورج ــ كلمنصو الأخير، نتيجة شعور غاضب من الاثنين نحو بلده، لكنه لم يقطع أمله من إعادة البحث في ذلك، لأن المحادثات مازالت جارية وهي طويلة(٤٨).

وإزاء شعور فيصل الطيب الذي أبداه نحو فرنسا، حاول (تولا) إنهاء الحديث معه بشكل ودي، حتى لا يتأثر بالاستقبال المتحفظ الذي قابله به الفرنسيون، والذي كان سببه موقف فيصل المعادي لفرنسا في الفترة الأخيرة... وكان تولا يأمل أن يزول التفاهم في هذه الرحلة الثانية. وبالفعل فإن فيصلاً بقي محافظاً على شعوره الطيب نحو

(٤٧) الكولونيل تولا هو معاون المعتمد العسكري الفرنسي في دمشق الكولونيل كوس.

(٤٨) D.F.G, Telegramme, No, 5985

فرنسا، وقال إنه لا يكن أية مرارة ضدها. وأبدى في كثير من المرات، عواطف عميقة تجاه المحادثات المفتوحة بكل حرية(٤٩). وبهذه الروح الطيبة نحو فرنسا توجه فيصل إلى لندن، بالرغم من المعاملة القاسية التي لقيها في باريس، إذ رفض كلمنصو مقابلته. والجدير بالذكر، أن كلمنصو أصدر أوامره، بألا يتوقف فيصل لا في مرسيليا ولا في باريس، وقد ربطت عربته بقطار خاص قاده مباشرة حتى كاليه.

وفي لندن لم يكن عند الإنكليز ما يقدمون لفيصل، إلا المظاهر والتقدير العالي والاستقبال الحافل، أملاً في تخفيف وقع الصدمة عليه وعلى العرب، تلك الصدمة التي صنعوها بأيديهم.

وفي الحقيقة كان يمكن للويد جورج أن ينتظر توقيع الاتفاق حتى قدوم فيصل، ويبدو أنه أسرع في توقيعه لأسباب طارئة، فقد كان حدد يوم ١٦ سبتمبر / أيلول / كآخر يوم يمهل فيه فيصلاً للوصل قبل توقيع الإتفاق، بينما وقعه فعلاً في ١٣ سبتمبر / أيلول /(٥٠)، كما أنه لم يكن جاهلاً موقف العرب وفيصل من الفرنسيين ورفضهم انتدابهم(٥١).

وفي اليوم التالي لوصول فيصل، دعاه رئيس الوزارة البريطانية، وأفهمه أن عليه أن يذهب ويتفق مع كلمنصو، بعد أن تم الإتفاق بين بريطانيا وفرنسا على سحب

---

(٤٩) Ibid, P. 5179 تقرير تولا عن رحلة فيصل بالقطار، مؤرخ في ١٩ سبتمبر / أيلول /.

(٥٠) كتبت جريدة The Times «بأن مجلس الحلفاء الأعلى وافق على الاتفاق في ١٥ سبتمبر / أيلول /، وأن معلقاً في الوفد البريطاني، ذكر بأن المحادثات كانت مرضية للغاية، وأن هذا الاتفاق المؤقت، سيبقى حتى تصادق الولايات المتحدة على معاهدة السلم، وتبدي استعدادها فيما إذا كانت، تقبل تحمل مسؤوليتها في مسألة الامبراطورية التركية».

The Times, No, 206, 16 Sept, Col, 2, P. 10

(٥١) تلقى لويد جورج من فيصل في آخر شهر أوت / آب / كتاباً عن طريق اللنبي، يحذره فيه من قيام قلاقل واضطرابات في سورية، إذا أراد الفرنسيون احتلالها. لكن لويد جورج لم يعر صرخة فيصل أي اهتمام، بل كان في ذلك الوقت في طريقه إلى الموافقة على طلب الفرنسيين في سورية الذي انتهى في ١٣ سبتمبر / أيلول /، بعقد الاتفاق بين الطرفين.

قدري، ص ١٣٨. وزين، الصراع، ص ١٣٢. و Evans, P. 122

القوات الإنكليزية من سورية (ماعدا فلسطين)، واستبدالها بقوات فرنسية، على أن تترك من الآن المدن الأربع، دمشق، وحمص، وحماه، وحلب والمنطقة الواقعة إلى الشرق منها، خارج الاحتلال الفعلي. وحدد الأول من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩ لهذا الانسحاب. ووعده لويد جورج بأن يساعده لدى كلمنصو(٥٢).

فاحتج فيصل بعنف على هذا الإتفاق، الذي جرى في أثناء غيابه، لأنه كان يعلم أن الفرنسيين سيحتلون (سورية) عندما تنسحب القوات الإنكليزية، التي كانت بنظره تحمي سورية منهم. ورفض إدعاء فرنسا لأي حق لها في سورية، كما أكد للويد جورج، أن العرب يعارضون تقسيم بلادهم، وأن السوريين يرفضون تقسيم سورية، ولم يعد يقنع بكل تأكيدات لويد جورج، بأن الإنكليز سيفون بوعودهم للعرب. وأصر فيصل على أن تكون الدولة المنتدبة هي واحدة فقط. وضرب مثلاً (محزناً) عن حال العرب، فقال «إنه في العصور الوسطى، كان العبد المملوك يتمتع بحقه، في أن يطلب بيعه إلى سيد آخر، وهو يأمل أنه في القرن العشرين ما يزال ذلك الحق موجوداً.

وأعاد على مسمعه أنه لا يستطيع أن يجابه العالم الإسلامي، ليقول له حارب خليفة المسلمين، حتى يقتسم الأوروبيون البلاد العربية. وكان فيصل يرى قيمة كبيرة في إثارة مشاكل (إسلامية) أمام لويد جورج، عله يغير موقفه، لأن بريطانيا مازالت تحكم عدداً كبيراً من المسلمين في الهند ومصر. وأراد فيصل أن يستوثق من نية لويد جورج في حماية (سورية الفيصلية)، أو المدن الأربع والمنطقة الواقعة شرقيها، من احتلال فرنسا، وعن استمرار دعمها المادي لسورية، فسأله ثلاثة أسئلة:

١ ــ هل تقف بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مع إعلان ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨؟

٢ ــ هل تستمر بريطانيا بتقديم المعونة المالية وقيمتها (١٥٠) ألف جنيه شهرياً، حسب الإتفاقية الجديدة؟

---

(٥٢) Documents, vol IV, PP. 395-404
وقدري، ص ١٣٨، وانظر Polk, P. 119-120

٣ ـــ هل يستمر القائد العام بقيادته لكل القوات العسكرية الموجودة في سورية؟

إلا أن لويد جورج لم يجب على أي من الأسئلة التي تتعارض مع اتفاقه مع كلمنصو، فاكتفى بقوله أنه سيقف مع العرب (٥٣). وأدرك فيصل أن الإنكليز تخلوا عنه نهائياً، أمام اصرار الفرنسيين بالانتداب على سورية، إذ لم يكن أمامهم إلا أحد الأمرين:

١ ـــ الوقوف مع السوريين وفيصل ضد فرنسا، وما ينتج عن ذلك من مخاطر.

٢ ـــ التخلي عن السوريين وفيصل، والإتفاق مع فرنسا القوية بما يؤمن مصالحها.

وقد فضلت بريطانيا الأمر الثاني، ووجد فيصل نفسه هذه المرة في موقف صعب للغاية، فقد كان من قبل يعتمد على تنافس بريطانية وفرنسا في وقوفه ضد الثانية، أما الآن فأصبح يقف وحده أمام فرنسا، ولهذا أخذ يحاول جهده أن ينقذ ما يستطيعه بالسياسة من مساعدة بريطانيا، التي كان لها دور كبير في عدائه لفرنسا. وأصبحت غايته في هذه المرحلة الخطرة، أن يبقى الوضع الراهن كما هو دون انسحاب القوات البريطانية، ولذلك طلب من لويد جورج الغاء اتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول / الذي لم يكن بنظره، إلا عودة إلى النظام الإستعماري القديم. وقال إنه إذا كان لابد من انسحاب القوات الإنكليزية، فمن الأفضل للعرب أن تنسحب القوات الأوروبية كلها، وألمح إلى لويد جورج أن العرب سوف يحاربون بكل قوة في سبيل استقلالهم، إذا لم تلغ الاتفاقية، وأن الحكومة العربية مستعدة لحفظ النظام والأمن وحدها في سورية (٥٤).

ثم اتبع فيصل طلبه هذا بمذكرة أخرى في الثالث والعشرين من سبتمبر / أيلول /، إلى لويد جورج تدل على تطرف في موقفه إزاء الوضع الراهن، ويتلخص بمطلبه بسحب القوات الفرنسية من الساحل السوري، وتسليمه للقوات العربية، أو

---

(٥٣) Evans, P. 221 و Documents, IV, PP. 395-404

(٥٤) Documents, IV, PP. 406-409

وانظر حافظ وهبة (جزيرة العرب في القرن العشرين وفيها جواب فيصل)، في ٢١ سبتمبر / أيلول / ص ٣٧٣ ـــ ٣٧٦.

الإبقاء على الوضع الراهن(٥٥) . مع العلم أن سعي فيصل كان منصباً على منع القوات الفرنسية من احتلال (سورية الفيصلية) ، فإذا به يطالب بسحب القوات الفرنسية من الساحل . وفي اليوم نفسه اجتمع بلويد جورج ، بحيث نفى هذا أن يكون الإنكليز قد اتفقوا مع الحسين ، بشأن بقاء البلاد تحت قيادة فيصل ، حتى تسوية القضية نهائياً في مؤتمر الصلح ، وكان لويد جورج يرد على مذكرة فيصل التي طلب فيها الأخير أن تعود القوات العربية إلى الأراضي التي كانت فيها (لبنان) عند احتلال سورية ، وإبقاء الوضع الراهن كما هو . وذكره لويد جورج بتضحيات الفرنسيين التي بلغت ١٫٤ مليون شخص ، كما خسرت بريطانيا مليوناً ، وأن العرب مدينون بتحررهم لهذه التضحيات . لكن فيصلاً قال إن اتفاق الإنكليز مع فرنسا بني على اتفاقية سايكس ـــ بيكو ، التي يعتبرها العرب بمثابة حكم بالإعدام عليهم ، ويرجو ألا يكون أصدقاء العرب (الإنكليز) ، هم الذين ينطقون بهذا الحكم (٥٥ب) .

ومهما يكن من أمر ، فلم يرد أحد من المسؤولين الإنكليز على مذكرته ، مما زاد في مرارته لعدم اهتمامهم به وبقضيته السياسية ، بينما لم يكونوا يبخلون عليه في الإكرام ودعوته للحضور إلى الحفلات الترفيهية والاحتفاء به ، فقد دعاه محافظ لندن لحضور

(٥٥) Documents, IV, PP. 412-413

(٥٥ب) Ibid, PP. 413-418

كان يحضر اجتماعات فيصل بلويد جورج كل من جبرائيل حداد (المترجم)، وفؤاد الخطيب ومن البريطانيين بونارلو ، واللورد كرزون ، واللنبي ، وكورنواليس (الذي أوصى به ماينر تزهاغن كي يلقى ويقابل فيصلاً) وستيرلنغ . وصف الكولونيل ستيرلنغ مقابلة فيصل مع لويد جورج ، فقال «كان لويد جورج برلمانياً من الطراز الأول ، وكالعادة عرض في الاجتماع بهلوانياته اللفظية ، يتكلم كثيراً ويقول قليلاً . ولكن ذهن فيصل الحاد اخترق دروعه في عدة نقاط ، حتى أنه في مناسبتين طرح الأمير أسئلة من نوع محرج ، اضطر رئيس الوزراء معها أن يستأذن وينسحب إلى الغرفة الأخرى ، كي يبحث الموضوع مع زملائه . لقد كانت دلائل المهارة السياسية بينة واضحة عند هذا الرجل ، الذي كان يُعتبر بدوياً غشيماً ذا تربية صحراوية ، ولم يعتد على أساليب الأمم المتمدنة» .

Sabety Last Hallis and Carter, London 1953, PP. 101-102

عن سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٥١٢ .

حفلة تكريمية للورد اللنبي بصفته لندنياً. وحضر الحفل الوزراء، ورئيسا مجلس اللوردات والنواب، واستقبله المحافظ بمظاهر الحفاوة البالغة وقدمه على جميع الحاضرين، حتى كأن الحفلة أقيمت على شرفه(٥٦).

وبالرغم من صمت الإنكليز تجاهه، تابع فيصل تحريك القضية، إلا أنه أخذ يعدل من طلباته وبات يقنع على الأقل بتأجيل انسحاب القوات الإنكليزية، إذا لم تلغ الاتفاقية أصلاً. وكان هذا في مذكرة جديدة بعث بها إلى لويد جورج بتاريخ ٩ أكتوبر / تشرين الأول / واقترح فيها، أن توضع المسألة حالاً أمام مؤتمر الصلح، أو أمام مؤتمر يضم الإنكليز والفرنسيين والعرب برئاسة أمريكي، ليقدم بعد البحث الحل إلى مؤتمر الصلح. وأظهر من جديد عواطفه وصداقته لبريطانيا وأمله في مساعدتها له(٥٧).

وأمام إلحاحه الشديد، أرادت الحكومة البريطانية أن تنهي معه المسألة بشكل حاسم. فأعاد عليه اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية، بكل صراحة في مذكرة له في نفس اليوم ٩ أكتوبر / تشرين الأول /، قصة العلاقات العربية البريطانية من اتفاق الحسين مكماهون، حتى اتفاق بريطانيا وفرنسا في ١٣ سبتمبر / أيلول / بشأن سورية(٥٨).

وحاول كرزون أن يبرر اتفاق بريطانيا مع فرنسا بشأن سورية، معتمداً على أن

---

(٥٦) قدري، ص ١٣٨.

(٥٧) F.O. 371 /4183/ P. 101

(٥٨) مما أتى في مذكرة كرزون، أن بريطانيا لم توافق الحسين بشأن منطقة النفوذ الفرنسي، وان الغاية من انسحاب القوات البريطانية هو تخفيف عبء ميزانيتها، وان بريطانيا لا تقبل الانتداب على سورية، وان اتفاقها مع فرنسا مؤقت حتى يبت مؤتمر الصلح في مسألة سورية. Ibid
كتب كروزن في ١٦ أكتوبر / تشرين الأول / إلى سفير بريطانيا في فرنسا، بأنه حث فيصلاً على الذهاب إلى باريس، دون مرافقة أي بريطاني، كيما يقابله كلمنصو ويعرف موضوعه بوضوح، وليتأكد فيصل ان هذه آخر فرصة له للاتفاق مع الفرنسيين.
انظر Kedourie, P. 166

تحرير العرب إلى مدى بعيد، يعود إلى ما بذله الشعب الفرنسي من تضحيات جسام. ومع أنها لم تشترك في الحرب العربية، إلا أنها كانت منهمكة في الجبهة الغربية، وأنها فقدت مليوناً وربعاً من القتلى، وترتب عليها ديون لاتقل عن ديون بريطانيا.

ويبدو أن كرزون كان يحاول أن يجد مبرراً لاحتلال فرنسا لسورية، مقابل ما قدمته من ضحايا في سبيل تحرير العرب، لكن تبريره هذا كان واهياً، لأنه لا شأن للعرب في خسائر الفرنسيين في الحرب، التي لم تكن إلا صراعاً على المصالح الإستعمارية في العالم. ولو أن السوريين أو العرب اشتركوا مع الألمان أو الأتراك في الحرب، لجازت إلى حد ما حجج كرزون، أما وأنهم كانوا حلفاء لهم، فما من سبب يدعو لإحتلال سورية إلا الاستعمار. وعلى كل فقد كانت نصيحة كرزون الأخيرة لفيصل، أن يقبل بالإتفاق المؤقت وينفذه مع حليفته بريطانيا وفرنسا بطريقة ودية، وحثه بإسم بريطانيا (صديقة) العرب المخلصة، أن يتفاهم مع الفرنسيين على هذا الأمر(٥٩-٦٠).

وبالرغم من وضوح مذكرة كرزون لفيصل، التي لا تراجع فيها عن موقف بريطانيا بالنسبة للاتفاق مع فرنسا، أرسل لويد جورج نفسه في اليوم التالي (١٠ أكتوبر / تشرين الأول /) مذكرة إلى فيصل، حتى لا يدع له مجالاً للشك في موقف بريطانيا، أكد له فيها كل ما قاله كرزون، ورفض اقتراحات فيصل بإلغاء أو تأجيل الاتفاق البريطاني الفرنسي، لأنه من المستحيل على بريطانيا أن تبقي قواتها في سورية، مهما كانت الأسباب والظروف، وأن لا حاجة للمزيد من الكلام عن ذلك(٦١).

ومع كل هذه الأجوبة القاطعة، نرى فيصلاً يستمر في احتجاجه وتظلمه للمسؤولين الإنكليز، علهم يغيرون ما في أنفسهم تجاهه، ويساعدونه في موقفه الرافض

(٥٩-٦٠) Ibid, P. 102

(٦١) Ibid, P. 481

لاحتلال فرنسا لسورية، ولم يدخل إلى روحه الملل في إعادة قصة وعود بريطانيا لأبيه، وإنكارها اتفاقية سايكس ـ بيكو(٦٢) ... ولكن بدون جدوى.

ورغم وصول بريطانيا وفرنسا إلى اتفاقهما المذكور لم تعد علاقاتهما (الظاهرية) إلى الصفاء التام بشأن مسألة (سورية)، إذ بقي كلمنصو غاضباً من لويد جورج، وحمله تبعية مسؤولية عدم الوصول إلى اتفاق بين الفرنسيين وفيصل، بسبب التأثير الإنكليزي المستمر على فيصل بهذا الشأن. كما أنه أصر على لويد جورج، أن يقبل بتعامل الفرنسيين مع فيصل، كتعامل الإنكليز مع العراق وفلسطين، حتى تحفظ كل

---

(٦٢) Ibid, P. 121-123

في هذه الفترة كان لورنس يفتش عن طريقة لتحويل الاتفاق المؤقت (١٣ سبتمبر / أيلول /) إلى حل دائم للمسألة السورية. وبعث بذلك مذكرة إلى كرزون في ٢٥ سبتمبر / أيلول /، يقترح فيها اقامة حكم عربي مدني في المنطقة (آ) والمنطقة (ب)، ويقام مجلس منتخب فيهما، يوافق على الاتفاق المذكور، وعلى قيادة فيصل. وتخصص بريطانيا ميناء حراً للادارة العربية في حيفا، وتخصص فرنسا مثله في طرابلس أو الاسكندرون. ويقام خط حديدي ما بين هذه الموانىء وبين الداخل. وتجلو القوات البريطانية والفرنسية عن المنطقتين المذكورتين، وتتقاسم بريطانيا وفرنسا دفع المعونة لفيصل (٧٥ ألف لكل منهما)، ويقبل فيصل عنده معتمداً بريطانياً في المنطقة (ب) وفرنسياً في المنطقة (آ).

F.O. 371 /4183/ P. 597-598

انظر Lettres de T.E.Laurence, Traduites par Etiemble et Yassau Gaichère, Paris, 1948, P. 597-598

وعلق الكولونيل كورنواليس في الثالث من أكتوبر / تشرين الثاني / على مقترحات لورنس فقال، ان العرب قد ملوا الوعود والكلام ويريدون ان يروا افعالاً. وهم يعتقدون بثلاثة مشاعر قوية وهي، كرههم للفرنسيين، ورغبتهم في الاستقلال التام والوحدة. وعلى البريطانيين تحقيق الشعور الأخير، بدمج عدة أقطار عربية لتكون ولايات عربية مستقلة، وبذا تكون فكرة القومية العربية قد حفظت لتبدأ في التقدم. واقترح كورنواليس مع القائد هوجارت مايلي: اقامة دولة عربية بالعراق بمساعدة بريطانيا، وانشاء دولة عربية مستقلة لها موانىء حرة على البحر، وانشاء دولة عربية ساحلية حتى الاسكندرون بمساعدة فرنسا، واقامة دولة عربية في فلسطين بمساعدة بريطانيا، ووضع اتفاق بين اليهود والعرب. واقامة دولة في لبنان، حسب رغبات أهله، ووضع فيصل ملكاً وراثياً على العرب في هذه الدول، وان لا تكون بينها حواجز اقتصادية، واعطاء الفرنسيين مزايا اقتصادية في شمال سورية، وتوافق الدول ومؤتمر الصلح على ذلك، ولم يكن برأيهما اقتناع فيصل فقط، لأنه لا يستطيع ان يعمل شيئاً دون رضا الشعب، ولا يستطيع ان يقنعهم دون ان يحقق لهم شيئاً مما يؤمنون.

F.O. 371 /4183/ P. 361-366

منهما في منطقته التي لا يجوز مسها. وكان ذلك بمذكرة أرسلها كلمنصو له في ١٠ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩[٦٣]، ثم اتبعها بأخرى في ١٤ منه إلى اللورد (ديربي) سفير بريطانيا في باريس، أظهر فيها أسفه، لأن الحكومة البريطانية دعت فيصلاً إلى أوروبا دون استشارة فرنسا، وأن هذا لا يسهل الإتفاق وحل المسألة. كما طلب من بريطانيا أن تخبر فيصلاً بوجوب السفر إلى باريس، لأن شأنه بات مع الفرنسيين فقط[٦٤].

أما لويد جورج فقد أكد لكلمنصو في رده له في ١٨ أكتوبر / تشرين الأول /، أن بريطانيا حفظت حقوق فرنسا في سورية، في كل اتفاقاتها السياسية مع الحسين ومع فرنسا نفسها، ولهذا فهو يستغرب رغم كل هذه التأكيدات، أن يعامل فيصلاً بمثل هذا الجفاء المتعالي، لأنه ليس من اللياقة بشيء، وطلب منه أن يعامله عندما يحضر لباريس، معاملة كريمة محترمة يستحقها حليف من حلفائه، وذكره بأنه هو الذي قاد ثورة ضد الترك، في وقت بلغت فيه معنويات الحلفاء حداً متدنياً، وأنه بقي مخلصاً للحلفاء حتى النهاية، وأنه مع أتباعه قاموا بدور فعال في دحر الأتراك، الذي كان بداية لسقوط الألمان، وقال إن الأمير فيصلاً يمثل شعباً عريقاً فخوراً بنفسه، وعلى البريطانيين والفرنسيين التعايش مع هذا الشعب بعلاقات ودية[٦٥].

ويبدو أن لويد جورج لم يبق من الود لهذا الشعب (العريق)، ولفيصل، إلا مظاهر الإحترام الزائفة، التي لم يظهرها كلمنصو كما فعل لويد جورج. وتخلى عن فيصل نهائياً وسلمه للفرنسيين. والغريب في الأمر أن الإنكليز أنفسهم، هم الذين عينوا فيصلاً رئيساً للإدارة العربية في سورية في أكتوبر / تشرين الثاني / ١٩١٨ تعييناً مؤقتاً، حتى يبت مؤتمر الصلح بالقضية السورية، وتخلوا عنه بعد سنة في الشهر نفسه، دون أن يبت مؤتمر الصلح بالقضية. وكان ذلك إذعاناً لفرنسا ولكلمنصو المتصلب.

(٦٣) Ibid.

(٦٤) Ibid.

(٦٥) Ibid, P. 155-157

وعلينا أن ندرك حقيقة ــ تعرض لها كورنواليس في اقتراحه السابق (هامش ٦٢) ــ وهي أن المسألة السورية كانت تتعلق ببريطانيا وفرنسا فقط، بعد أن اسقطا دور فيصل. ولم تحسبا طوال المناقشات والمؤامرات حساباً للطرف الحقيقي الثالث، وهو سكان سورية العرب، لأنهما قدرتا أنهم من الضعف بحيث لا يحسب لهم حساب، ولذا لم تتأثرا بكل أنواع التهديد، التي هدد بها فيصل والحسين، بقيام المسلمين بحرب ــ دينية ــ ضد الأوروبيين عامة. وكانت تجزئة العرب الحل الوحيد لإبقائهم خارج الحسبان. ولم تستطع بريطانيا أن تتصرف بتركيا(٦٦) أو تهبها لفرنسا، لأن ثورة مصطفى كمال، قد خلقت الطرف الثالث وهو الشعب التركي، فسلمت تركيا مما لم يسلم منه العرب، بالرغم من أن تركيا كانت عدوة للحلفاء، بينما كان العرب حلفاء لهم. ولم يكن مصطفى كمال، بحاجة إلى كل المذكرات والمراسلات والمفاوضات والتأويلات من جانب بريطانيا أو فرنسا لتحرير تركيا، بينما كان فيصل والعرب تقيمهم مذكرة وتقعدهم رسالة، في نفس الوقت الذي أصبحت فيه (سورية الفيصلية) نفسها وجهاً لوجه أمام الاحتلال الفرنسي. ولم يحاول فيصل أن يستفيد من الثورة المصرية عام ١٩١٩ للضغط على بريطانيا، بينما كانت هذه الثورة أحد العوامل التي جعلت بريطانيا، تعجل بعقد الاتفاق مع فرنسا، لسحب قواتها وربما للإستفادة منها في قمع الثورة المصرية، وبالمقابل، لم يحاول سعد زغلول الإستفادة من وضع سورية ووضع العراق المتفجر ضد بريطانيا، فقد كان كل طرف يعمل وحده، مع أن الوفدين المصري والسوري كانا في باريس في نفس الوقت(٦٧)، ومع العلم أن سعد زغلول أبدى

(٦٦) قال لويد جورج في الخامس من ديسمبر / كانون الأول /١٩١٩ «نحن لا نتحدى المحافظة على الامبراطورية العثمانية في الأرض الأم للعنصر التركي، أما السوريون، والعراقيون، والفلسطينيون، والأرمن، فهم في حكمنا مرتبطون في قوميات وحالات مختلفة».
Hourani, A.H.Syria and Lebanon, Oxford, 1964, P. 47

(٦٧) لم يرد في كل خطابات ومذكرات ومفاوضات فيصل أي ذكر لمصر، كما أن سعد زغلول صرح لجريدة Echo de Paris في حفل حضره الصحفيون وبعض السوريين في باريس في ١٣ ماي / أيار / ١٩١٩، ان الحركة الحالية في مصر ليست دينية، ولا حركة معادية للأجانب، ولا هي حركة دعوة إلى جامعة عربية. كما نشرت جريدة Daily Telegraph، بان سعداً قال «لاينبغي ان نتحد مع بلاد أخرى مجاورة لنا».
عبد العزيز رفاعي، ثورة مصر سنة ١٩١٩. القاهرة، دار الكاتب، ٩٦٦ ص ١٦٤.

موافقته لقيام الثورة العربية ضد الأتراك قبيل قيامها(٦٨)، على أساس أنها حركة تحررية.

موقف الولايات المتحدة الأمريكية

كان موقفها سلبياً أمام التفاهم الذي كان يجري بين لويد جورج وكليمنصو على (سورية)، لكنها ظلت تصر على مبدأين وهما، رفض الاحتلال العسكري لأراضي الدول الأخرى، وعدم موافقتها على أي حل تتخذه الدول الكبرى، مالم تقره عصبة الأمم ومؤتمر الصلح. وبناءً على ذلك، فهي لم تشترك بالمباحثات التي جرت بين لويد جورج وكلمنصو من جهة، وبين لويد جورج وفيصل من جهة أخرى. وأخذ بعض أعضاء الوفد الأمريكي، يقوم بنشاط شخصي في هذه المسألة. فقام الكابتن ييل (Yale) بمقابلة (روبرت دوكي) معاون بيكو في بيروت، وجان غو (Gout) من وزارة الخارجية الفرنسية، الذي أبلغه أن فرنسا تريد الوصول إلى حل مرضٍ مع فيصل، لكنه إذا استمر في سلوكه كالأشهر الماضية، فإن فرنسا ستتجاوزه وتتعامل مباشرة مع الشعب السوري. وفي ١٩ سبتمبر / أيلول / قابل المسيو برتلو (Berthelot)، معاون وزير الخارجية الفرنسية، الذي أبلغه أن فرنسا ستحتفظ بما تحتله من سورية حسب اتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول /، وسترسل جنوداً يكفون لاحتلال كل سورية(٦٩). وفي نهاية سبتمبر / أيلول / غادر (ييل) إلى لندن، فقابل شخصيات كثيرة من العرب والإنكليز، ومن بينهم رستم حيدر رئيس وفد الحجاز، الذي أبلغ ييل أن فيصلاً لن يقبل باتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول /. فأوضح له ييل، بأن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تقدم مساعدة في حل القضية السورية، مالم يتوصل الأطراف الثلاثة إلى حل أساسي لها. وأوضح وجهة نظره في الموقف مقترحاً:

١ ـــ إقامة حكومة لبنانية في جبل لبنان.

---

(٦٨) نوري السعيد، مذكرات، ص ٨.
انظر Rondot Pierre, the Changing Patterns of the Middle East. London. 1961, P. 79-80

(٦٩) Evans, P. 224

٢ ــ إقامة دولة عربية تمتد في سورية، من طوروس إلى البحر الأحمر. والاثنتان تكونان تحت الإنتداب الفرنسي، مع قسط كبير من الإستقلال للدولة العربية.

٣ ــ توضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني، مع تنفيذ الوعد الصهيوني.

٤ ــ يوضع القسم الشمالي من العراق من بغداد إلى الموصل، تحت الانتداب البريطاني والثاني من بغداد إلى (المحمرة) بما فيها البصرة جنوباً يتمتع بحكم ذاتي، تحت الإنتداب البريطاني.

وفي حال قيام هذا المشروع، فإن الولايات المتحدة تقوم بمهمة الحكم في النزاع الذي يحدث فيه[٧٠].

ومع أن مشروع بيل (الشخصي) كان يحقق لفرنسا وبريطانيا مطالبهما في الانتداب، وللصهيونية في الوطن القومي، فإن الساسة العرب وجدوا فيه فرصة من دولة لا تريد الاستعمار، بإقامة دولة موحدة بين سورية الداخلية والعراق، أملاً في أن تقبل الولايات المتحدة في تعديل هذا المشروع، وإقامة دولة واحدة بدلاً من اثنتين في سورية والعراق. وصرح نوري السعيد ورستم حيدر، بأن فيصلاً يقبل بذلك إذا وضع المشروع للمناقشة الجدية. ثم عرض المشروع على لويد جورج، فأبدى قبولاً له إذا قبلته فرنسا أيضاً. وأرسل المشروع أخيراً إلى واشنطن حتى تتبناه حكومة الولايات المتحدة رسمياً، إلا أن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض التدخل، وفشلت المحاولة[٧١].

وأفشلت حكومة واشنطن محاولة أخرى لإشراك الولايات المتحدة في حل القضية السورية، قام بها لويد جورج، وديفيس (Davis) سفير الولايات المتحدة في لندن في ١٦ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩[٧٢].

وحاول فيصل أيضاً إشراك الولايات المتحدة في حل قضية سورية، عن طريق ديفيس، وعرض له القضية السورية بشكل مخالف لما كان يعمله أمام لويد جورج،

---

(٧٠) Ibid, P. 225

(٧١) Ibid, P. 226

(٧٢) Ibid, P. 230

وأراد أن يستحث الولايات المتحدة للتدخل، لأن ثمة خطراً عاماً سينشأ في المنطقة بين العرب والإنكليز والفرنسيين، لأن العرب لا يقبلون إلا بالوحدة العربية، ولا يقبلون بفصل فلسطين عن سورية، وأنه شخصياً إذا لم يتحقق هذان المطلبان، سيعود إلى سورية ويضع نفسه بين يدي الشعب، لأن المقاومة ــ بنظره ــ بلا أمل، خير من الرضوخ، وألمح إلى إمكانية التعاون من جديد مع الأتراك، واشترط وجود مندوب أمريكي، حتى يدخل المناقشات السياسة في باريس.

وفي اليوم التالي في ٣ أكتوبر / تشرين الأول /، أرسل ديفيس تقريراً عن محادثاته مع فيصل، لكن لم يأته جواب أيضاً(٧٣).

وهكذا فقد فيصل سهمه الأخير، بتخلي الولايات المتحدة نهائياً، عن التدخل في حل المسألة السورية، ولم يبق أمامه، إلا الذهاب إلى كلمنصو خصمه الأصلي، وقد فعل. ولم يحافظ على كلمته التي قالها لديفيس، بأنه سيعود إلى سورية ليضع المسألة أمام الشعب السوري، إذا لم تشترك الولايات المتحدة في المؤتمر، فالولايات المتحدة لم تشترك في المؤتمر، ومع ذلك قرر العودة إلى باريس وليس إلى سورية،

---

(٧٣) Ibid.

كانت جريدة Washington post، تكتب في هذه الفترة متعاطفة مع سورية ضد الاحتلال الفرنسي، أو الانتداب الفرنسي. فكتبت في ١٢ ديسمبر / كانون الأول /، بأن الحل المثالي لسورية هو الانتداب الامريكي، لمناطقها المختلفة التي لا تقبل بأي حال الانتداب الفرنسي، وكتبت في ٢٨ منه عن احتمال قيام صراع اسلامي مسيحي، وأن سورية تتطلع إلى أمريكا، وأن السوريين ثائرون الآن ضد فرنسا، وكل العالم يعرف أن سورية تريد الاستقلال حالاً أو بعد حين، ولو بقوة السلاح، والقومية تعبر عن نفسها بالبارود.

D.F.Aff, Etr, Levant, 20, P. 22,237

وكتبت في ٨ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، رددت نفس الكلام عن قيام حرب دينية في سورية، لأن الوطنيين لا يريدون احتلال فرنسا، ويريدون الانتداب الامريكي ... ورئيس سورية الفعلي هو فيصل من نسل النبي محمد، وبما أن مسألة الحل الديني قد أثارتها فرنسا، فإن التضامن الاسلامي سيكون عاملاً قوياً، في المقاومة والصراع.

Ibid, Levant, 21, P. 107

وكان اتحاد الجمعيات السورية يقوم بنشاط لصالح سورية ضد فرنسا، ولذلك أنكر سفير فرنسا في واشنطن، أن يكون هذا الاتحاد اتحاداً أم جمعيات، وإنما هو ــ برأيه ــ مجموعة من السوريين انقلبوا إلى البروتستانتية.

Ibid, Levant, 22 (31 Jan 1920) P. 159

وضاعت تهديداته أدراج الرياح. ويبدو واضحاً أنه لا أحد من الأمريكيين أو البريطانيين أو الفرنسيين، كان يحمل كلام فيصل محمل الجد. وخيب فيصل أمل الشعب بمواقفه الضعيفة المترددة المتناقضة، مع أنه كان على علم بخطورة الوضع واحتمال قيام حرب في المنطقة ضد الأوروبيين، فقد كان زيد يرسل أخبار التوتر المتزايد وخطورة الموقف، إذا انسحبت القوات الإنكليزية(٧٤). كما وأن البرقيات كانت ترسل من القنصليات في الأقطار العربية إلى واشنطن تباعاً، عن الحالة الآخذة في التوتر، وعن اقتراب الحرب ضد الأوروبيين(٧٥). وكان الضباط الإنكليز أيضاً يتوقعون انفجار الحرب في كل لحظة(٧٦).

ولم يحاول فيصل أن يستغل هذا الشعور ضد الأوروبيين، ولربما لو فعل لتغيرت النتائج.

موقف الوفد اللبناني

وبالرغم من التصريحات الكثيرة التي أعلنها فيصل، عن سياسته القومية التي

(٧٤) أرسل زيد إلى فيصل بأن أخبار انسحاب القوات الانكليزية من سورية، ونية الفرنسيين في احتلالها، قد أثار الناس في كل المناطق، وخاصة في المنطقة الشمالية المتاخمة للحدود التركية، وان القبائل العربية والتركية، قد تجمعت في تلك المنطقة، وان الاكراد يتصلون بمصطفى كمال لقيام حرب في المنطقة، لكن الخطر ــ كما يقول زيد ــ الآتي من الساحل من عند الفرنسيين، سيكون أعظم.
F.O. 371 /4183/ P. 258

(٧٥) أرسلت القنصلية الامريكية في بيروت في ٢٣ سبتمبر / أيلول /، ان انسحاب القوات البريطانية سيؤدي إلى نتائج خطيرة جداً. وفي ٢ أكتوبر / تشرين الأول /، أرسلت بأن القتال بدأ بين الدروز والمسيحيين في لبنان. وفي ١٩ منه أرسلت، برقية عن تعليمات سرية وصلت إلى البريطانيين بوجوب مغادرة النساء والأطفال البريطانيين المنطقة الفرنسية والعربية. كما أخبر القنصل الامريكي بأنه إذا احتلت العصابات التي يقودها العرب المنطقة، فلا خوف على البريطانيين والاوروبيين المقيمين في سورية، لكن إذا كانت هذه تعمل من تلقاء ذاتها، فالخطر موجود على كل الأوروبيين، ثم طلب القنصل الامريكي ارسال سفينة حربية امريكية في الأول من نوفمبر / تشرين الثاني / إلى ميناء بيروت، وقال إن انتداب أمريكا على سورية هو الحل الوحيد.
Evans, P. 226

(٧٦) F.O. 371 /4188/ P. 564

لاتفرق بين الأديان والمذاهب، وأن العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، وعن استعداده إعطاء الحكم الذاتي إلى جبل لبنان ضمن الوحدة السورية، فقد قامت بوجهه حركة في لبنان تطالب باستقلال لبنان، وفصله عن سورية، ووضعه تحت الانتداب الفرنسي. وقد رأس هذه الحركة بعض زعماء الطائفة المارونية المتأثرة بفرنسا، والتي تعتمد عليها فرنسا في بث دعايتها وثقافتها، وكانت تمدها بالمال في أثناء الحرب(٧٧). وبفضل فرنسا استطاعت هذه الطائفة إقامة حكم ذاتي في جبل لبنان عام ١٩٦١، الذي أصبح نواة ـــ بنظر غالبية الموارنة ـــ للمطالبة بدولة مستقلة في كل لبنان، وليس فقط في الجبل. وهذا ما فعله داوود عمون في مؤتمر الصلح في ففريه / شباط / ١٩١٩ كما مر معنا. وتابع نفس المهمة البطريرك الماروني (الياس الحويك)، وسافر إلى أوروبا من لبنان في أوت / آب / ١٩١٩ (قبل سفر فيصل إلى أوروبا) على رأس وفد لبناني ديني وعلماني، للمطالبة باستقلال لبنان الكبير(٧٧ب) بحدوده الطبيعية لأنه ـــ بنظره ـــ لم يعد هناك مسوغ لبقاء لبنان داخلاً في سورية، بعد أن زال حكم الأتراك، وأصبح تقرير مصيره تابعاً لأهله اللبنانيين. ولم يكن الحويك يرى وجود أي علاقة بين سورية ولبنان لإختلافهما الديني، وأنه لا يقبل أن يستبدل العرب بالأتراك، بينما كان يرى أن العلاقة المبنية على الدين تربط لبنان بفرنسا رباطاً عميقاً. ففي الخامس من أوت / آب / ١٩١٩، صرح الحويك في روما وهو في طريقه إلى فرنسا «بأن لبنان كان مع سورية قطراً واحداً أثناء الحكم التركي، ثم انفصلا عن الإمبراطورية العثمانية، وتخلص لبنان من حكم الأتراك. وفي هذه الحالة لم تكن الغاية تغيير حكام لبنان الترك (بهؤلاء العرب)، ولم يكن يصدق أحد أن يقرر مصير لبنان إلا أهلوه بالإتفاق مع فرنسا. أما الآن ومع كل ذلك، فيظهر تأثير الأمير فيصل الواسع في

---

(٧٧) D.F.Aff, E, vol, 17, P. 102

Ibid, vol, 1, P. 11

(٧٧ب) ذكر بشارة الخوري في مذكراته أن السلطة الفرنسية في بيروت، رجت البطريرك الحويك أن يذهب إلى فرنسا، على رأس وفد من الرهبان والأحبار، للمطالبة باستقلال لبنان برعاية الدولة الفرنسية، فسافر مجيباً دعوتهم. ص ٩٦.

سورية أخيراً، مع العلم أن الفرنسيين يعلمون، أن القسم الكبير من اللبنانيين، قد عرضوا أنفسهم للذبح، في سبيل حب تلك التي يرتجونها فرنسا»(٧٨).

وكان الحويك يرى أن مصير لبنان وسورية، متعلق بإرادة الدول الثلاث، فرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها فيهما. فللفرنسا مصلحة في حماية لبنان وإعادة بنائه داخل حدوده الطبيعية ـــ نظراً للعلائق التاريخية والدينية بينهما ـــ وبالمقابل فاللبنانيون برأيه متحدون في طلب فرنسا للسبب نفسه، كما أن لفرنسا مصلحة في سورية بالرغم من أخطائها المؤسفة. أما وحدة سورية بما فيها فلسطين ولبنان، فقد كانت برأيه ناتجة عن تأثير الولايات المتحدة، وأخطاء بريطانيا، التي ماتزال تعتبر لبنان من بلاد العدو المحتلة، الأمر الذي لا يقبله اللبنانيون لأن أرضهم حرة(٧٩).

ويبدو أن الوفد اللبناني أراد مقاومة فيصل بسلاحه نفسه، فبينما هو يطلب وحدة سورية مستقلة، مع اعترافه وقبوله باستقلال لبنان الداخلي، إذا بالبطريرك الحويك لا يطلب استقلال لبنان فحسب، وإنما يطلب انتداب فرنسا عليه وعلى سورية

---

(٧٨) D.F.G. No 2913-2915

F.O. 371 /4182/ 25 Aout, P. 227

قال الحويك إلى كبار الموظفين الذين أرسلهم المفوض السامي عام ١٩٢٦ «إذا كنتم تمثلون فرنسا منذ ثلاث سنوات، فأنا أمثلها منذ خمسين سنة، وأنا أخبر منكم بما تحتاج إليه بلادي والوسائل التي يجب التوسل بها لتوطيد أركان نفوذ فرنسا... ماذا تريدوني أن أقول لجميع الوفود من جميع الطوائف والمذاهب، القادمة إلي من جميع أنحاء لبنان، للاحالة علي بالللائمة، على كوني سبب مجيء فرنسا إلى هذه البلاد والقاء تبعة مسؤولية الحاضر علي».

اوجين يونغ، الاسلام وآسيا أمام المطامع الاوروبية، القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٢٨، ص ٩٤.

(٧٩) D.F.G. No 3104-3105 تقرير من مسيو Barrere سفير فرنسا في روما في ٦ أوت / آب/ ١٩١٩. استقبل المسيو غو المفوض فوق العادة في وزارة الخارجية الفرنسية، ممثلا عن الحكومة الفرنسية، ووزير البحرية وأرسل مطران باريس (Archbishop) ممثلين عنه البطريك الحويك. ونشرت جريدة le Temps مقالة لجورج سمنه، تتحدث عن أهمية الحويك وعن علاقة الموارنة بفرنسا. وأقامت Echo de Paris مقابلة مع الحويك، حيث تحدث عن معاناة اللبنانيين في الحرب، وعن عواطفهم نحو فرنسا وطلب منها أن تدعم استقلال لبنان.

F.O. 371 /4182/ (25 Aout) P. 227.

أيضاً، مع رفضه في الوقت نفسه الوحدة بينهما، وبذلك يكون الحويك قد أعطى لنفسه الحق بالتكلم بإسم السوريين ليطلب لهم انتداب فرنسا، رداً على فيصل الذي يطالب بأن يكون لبنان جزءاً من سورية(٨٠). وانْ كان يصح اعتبار جبل لبنان يضم أكثرية مسيحية، فإن لبنان الكبير الذي يطالب به الحويك، يضم مناطق معظم سكانها من المسلمين(٨١)، الذين أبدوا رغبتهم بالانضمام إلى الدولة العربية في دمشق ومقاومتهم للفرنسيين.

وفي باريس في الثاني والعشرين من أوت / آب /، قابل الحويك المسيو (بوانكاريه) رئيس الجمهورية الفرنسية، وكلمنصو، وطلب منهما استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي. وقدم لكلمنصو مذكرة تحمل أماني اللبنانيين في ٢٥ أوت / آب /، ثم بعث بها إلى مؤتمر الصلح في ٢٧ منه، وهذه الأماني هي:

١ ـ الاعتراف باستقلال لبنان بكل سلطاته داخلياً وخارجياً.

٢ ـ إرجاع الحدود التاريخية والطبيعية والإقتصادية له.

٣ ـ مساعدة فرنسا لتحقيق هذه الأماني، في ضوء العلاقات التقليدية للصداقة التي حفظها اللبنانيون دائماً لفرنسا(٨٢).

---

(٨٠) كانت الحكومة البريطانية تقول لفيصل دائماً، ان يبقى متمسكاً بسلاح التكلم باسم السوريين في منطقته، لكنها لم تكن تمنعه من الكلام باسم اللبنانيين والفلسطينيين، وكانت تعلم ان أباه فوضه ليطالب باستقلال العرب، ولم يفوضه بفصل أي جزء أخر عن الوطن الأم.

Tibawi. P. 290

(٨١) لا يشكل الموارنة غالبية في لبنان الكبير، وهم مع بقية المسيحيين يعادلون نصف السكان، ففي احصاء لبنان عام ١٩٢٢ (الذي جرى تحت اشراف فرنسا، وكان يهمها ان يكون عدد المسيحيين كبيراً) ظهر أن عدد الموارنة ١٩٥ الف والمسلمين والشيعة ٢٢٩ الف و ٨٠ الف أرثوذكس و ٥٠ الف دروز و ٤٥ الف كاثوليك (روم) و ١١ الف من الطوائف الأخرى. بينا كان سكان سورية حسب الاحصاء نفسه ٣٫٢٤٥٫٥٠٠ مليون فتكون نسبة الموارنة ٦٪ من سكان سورية. وهكذا يبطل ادعاءها بحمايتهم كقسم كبير من السكان.

حنا خباز، فرنسا وسورية، القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩٢٩، ج ٢، ص ٥١.

(٨٢) Zeine, the Struggle, P. 122

وانظر Revue the Syrian World, New York, vol, 6, N,2, Oct 1913.

لكن لم يكن من رأي فرنسا في تلك المرحلة، فصل لبنان عن سورية من وجهة سياسية، لأنها تريد الانتداب على كل سورية. ولأن ذلك يوافق فيصلاً الذي يطالب بالوحدة السورية، ولأن وجود المسيحيين اللبنانيين في سورية يعطي برأيها نسبة مؤيدة لفرنسا أكثر مما لو تم الانفصال. ولهذا أجاب كلمنصو على الحويك ببعض التحفظ بالنسبة لمسألة فصل لبنان، لأنه لن يستطيع تقرير ذلك قبل أن تعطى فرنسا الانتداب على كل سورية، لكنه أبدى عواطفه الطيبة لأماني اللبنانيين(٨٣).

لم يكن جواب كلمنصو شافياً، ولذا أخذ البطريرك الحويك يواصل سعيه لدى الطرف الآخر المهتم بمسألة سورية وهم الإنكليز، عله يستطيع أن يكسبهم إلى صفه. فقابل الوفد البريطاني الموجود في باريس في ٢٦ سبتمبر / أيلول /، وأعاد المطالبة باستقلال لبنان ـــ باسم الأكثرية المسيحية فيه ـــ ووضعه تحت الإنتداب الفرنسي، ورفض أن يوضع بحال من الأحوال تحت حكم عربي أو مسلم. ولم يقصد بلبنان (لبنان عام ١٨٦١)، بل قصد لبنان الكبير. ويبدو أنه أراد التأثير على الوفد البريطاني بعدم تدخله في مشكلة فلسطين، وهذا يرضي بريطانيا فأبدى خوفه من الوحدة السورية إن ضمت فلسطين أو لم تضمها، لأنه في هذه الحالة سيكون الحكم ـــ برأيه ـــ في دمشق، حكماً عربياً مسلماً(٨٤) وهو لا يريد ذلك، حتى ولو كان تحت الإنتداب الفرنسي. ولذلك طالب مع الوفد المرافق انتدابين منفصلين، واحد للبنان(٨٥) والآخر لسورية. وأعلن أن اللبنانيين ذكروا رغبتهم هذه أمام لجنة

---

(٨٣) Rene Mouterade, S,J, P. 150 و Zein, Ibid.

(٨٤) F.O. 371 /4183/ P. 311

قال البطريرك في مؤتمر الصلح «يفضل لبنان الموت جوعاً في ظل صخوره على ان يكون تابعاً لدمشق».
أحمد طربين، الوحدة العربية، دمشق، مطابع دار الهلال، ١٩٦٣، ج١، ص٥٥.

أصدر حزب لبنان الفتى ٢٢ بياناً في الاسكندرية، بوجوب استقلال لبنان استقلالاً تاماً، وتعيين حاكم وطني، ورفض وضع دستور للبنان من قبل الفرنسيين، وتحت انتدابهم. الخباز ص ٢٠٠.

(٨٥) «كان جماعة الانفصال في لبنان لا يتجاوزون ٥٪ وهؤلاء يطمعون في حلب البقرة وتولية الوظائف، أما السواد الأعظم فكانوا لا يرون بعد الوحدة مخرجاً، وصار بعض الطائفيين يذكرون الاسلام ورسوله بسوء، فمنعهم الفرنسيون من ذلك».

←

(كنغ ــ كرين). وفي الاجتماع مع الوفد الإنكليزي أبلغهم (بلفور) وجوب إبلاغ ذلك للحكومة الفرنسية، فأجابوه بأنهم فعلوا(٨٦). وبقي الحويك والوفد اللبناني في باريس برعاية وحفاوة الحكومة الفرنسية، والصحافة(٨٧) التي رحبت به كثيراً، وخاصة تلك التي تعكس رغبة الفرنسيين الطامعين باحتلال سورية. لكن بقي استقلال لبنان وتوسيع حدوده دون حل، حتى الاحتلال الفرنسي لسورية.

← محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٣، دمشق، ١٩٢٥، ص ٢٤٠.

ويقول كمال صليبي «لم يكن المسيحيون (وخاصة الموارنة) في لبنان، يفضلون ان يعود بهم الامر ويصبحوا تحت حكم اسلامي من جديد داخل الامبراطورية العربية، وكانوا يخافون من ان العرب باسم العروبة، يطبقون عليهم نظاماً شديداً أكثر من الأتراك، ولهذا أخذوا يطالبون باستقلال لبنان من فرنسا الحامية له».

Kamal. S. Salibi, The Modern History of Lebanon, London, 1965, P. 158

كتب (شكري عريشه) من مسيحي لبنان «اعلموا انه إذا كانت القوة ستجبرنا بوجه من الوجوه، لربطنا بدولة سورية حجازية، فاننا نترك هذا القطر بدون أي أسف لمصالحنا وممتلكاتنا وكل ما هو عزيز».

Samnè, P. 563

ونشرت جريدة Gaulais في ١٤ سبتمبر / أيلول / مقالاً للقس الماروني فغالي من حماه، يطالب بتوسيع حدود لبنان ضد ادعاءات فيصل، مع أنه من سورية وليس من لبنان.

F.O. 371 /4182/ P. 516

(٨٦) F.O. 371 /4183/ P. 311

(٨٧) علقت جريدة (Echo de Paris) في ٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩ على فيصل والبطريرك الحويك فقالت «لماذا لا تجعل بريطانيا فيصلاً ملكاً على بغداد، إذا أرادت مكافأته، ويخطىء الرأي العام خطأ عظيماً، إذا اقتنع بأن استبدال الجنود تحت إمرة غورو ستقتصر على هذا الحد، لأنه لا يرضينا على الاطلاق، لكنه الخطوة الأولى، والذي يهمنا الآن هو جلاء الجنود الانكليز. وبهذه المناسبة نشكر غبطة الياس الحويك، المقيم بيننا منذ شهر أوت / آب /، صديق فرنسا، الذي سمعناه يهلل لانتصار فرنسا وكأنه أحد أبنائها، وقد جاء إلينا غير حافل بالمتاعب، بالرغم من كبر سنه. لا ليبلغنا أماني المارونيين وحدهم، بل أماني الدروز والمسلمين في لبنان نحو فرنسا. فليعلم غبطته، أن فرنسا لا تتغاضى طرفة عين عن رقي لبنان».

نقلاً عن جريدة لسان الحال البيروتية (موالية لفرنسا) عدد، ٧٨٧١ ــ ٢٧١، ٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩ وكتبت جريدة المفيد الدمشقية رداً على طلب الوفد اللبناني الانتداب الفرنسي فقالت «الوطنية في عرف حزب السواحل، هي ان ينتدب الانسان دولة فرنسا، وكل لبناني لا ينتدب فرنسا، فهو خائن مارق من الوطنية، وكل لبنان يأتي إلى الشام لتوحيد العلاقات والتفاهم مع امه سورية، هو خائن أيضاً».

نقلاً عن جريدة الحقيقة البيروتية (موالية لفيصل) عدد ١١٥٧، ٣٠ أوت / آب / ١٩١٩.

والجدير بالذكر أن أعضاء الاتحاد العربي (جمعية في بوسطن في أمريكا) أرسلوا برقية إلى رستم حيدر (المندوب العربي في مؤتمر الصلح) في ٢٥ أوت / آب / يحتجون على أن يتحدث البطريرك الحويك باسمهم، ويحتجون أمام مؤتمر الصلح على ذلك(٨٨).

فيصل والصهيونية

ربما يكون فيصل قد أحس بما لاتفاقه مع وايزمن من أثر سيء، لأن الصهيونية فسرته كما تريد حسب مصلحتها. ولأنها لم تقدم له العون السياسي الذي وعدته به، وخاصة لدى الولايات المتحدة، التي تخلت عن التدخل في القضية السورية، ولأن بريطانيا قد تخلت عنه أيضاً، وهي المهتم الأول بالقضية الصهيونية من الدول الأوروبية، ولما لاقاه من مقاومة واعتراض من الوطنيين في سورية ضد الصهيونية ومخاطرها، لكل هذه الأسباب أعلن في جريدة (Jewish Chronicl) الصهيونية في ٣ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩، موقفه الصريح من الحركة الصهيونية بمطالبها في فلسطين، كتصحيح لكل تأويل قد يفسر به اتفاقه مع وايزمن «رفض به فصل فلسطين عن سورية أو إعطاءها إلى حكم غير عربي، لأنها يجب أن تكون موضوعاً لحق وآمال وشعور الفئة المالكة لها، أما حقوق اليهود فيها فهي ليست أكثر من حقوق العرب في إسبانيا، مع أنهم حكموا فيها أكثر من حكم اليهود في فلسطين. ولكن فيصلاً أكد على أن يعامل اليهود في فلسطين كمعاملة العرب، ويضمن لهم الحقوق نفسها والحريات في ديانتهم وثقافتهم، ويوافق على هجرة منظمة لهم إليها، على ألا يكونوا إلا (بقعة) في أرض الامبراطورية العربية»(٨٩).

وبذلك يكون الأطراف الثلاثة، بريطانيا والولايات المتحدة والصهيونية، قد أصبحوا في جانب آخر غير فعال بالنسبة لفيصل، لذلك قرر مغادرة لندن إلى باريس.

---

(٨٨) F.O. 371 /4182/ P. 230

(٨٩) Polk, P. 119 و Tibawi, P. 290

وأيضاً: المقطم، عدد ٩٢٩٠، ٧ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩.

فيصل في باريس

غادر فيصل لندن في العشرين من أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩ إلى باريس. وأرسل كلمنصو له وفداً دبلوماسياً صغيراً لاستقباله، رغم توصيات لويد جورج بوجوب احترامه وإكرامه كحليف. أما الصحافة الفرنسية فاستقبلته بالهجوم الشديد، ونعتته بأنه صنيعة بريطانيا[٩٠]. واستقبله كلمنصو في اليوم التالي لوصوله،

(٩٠) كتب مسيو (موريس باري) المؤلف وعضو البرلمان الفرنسي وعضو الاكاديمية الفرنسية في جريدة Echode Paris) يوم وصول فيصل «لا أحد يشك بحقوق فرنسا في سورية وانتدابها على المدن الأربع، دمشق، حمص، حماه، حلب، ولن يسمح الرأي العام الفرنسي بالبعد عنها. ويجب ان تنتهي مهزلة فيصل. ولا توجد أمة تعامل العرب بلطف وصداقة كفرنسا. وإن الأمير فيصلاً لا يحق له البقاء في دمشق والمدن الأخرى. وإن الحكومة الفرنسية تعرف كيف تعطي هذه المدن حكومة سورية. ومن هو فيصل بالنسبة لنا أو للسوريين؟ رجل من القش، وضعته بريطانيا بلا لقب ولا أثر. وإذا أرادت بريطانيا أن تعطي لهذا الأمير مملكته، فلتضعه في بغداد».

Zeine, The Struggle, P. 119-20

وكتب بارتيناكس في جريدة **Echo de Paris** في ٢٣ أكتوبر / تشرين الأول / (أي بعد ثلاثة أيام من وصول فيصل)، مقالة عن تلاعب فيصل قال فيها، بأن فيصلاً يحاول أن يلعب بين انكلترا وفرنسا، لكنه فشل هذه المرة، وهو سيتصل بالمسيو بولك (عضو الوفد الأمريكي) ليتدخل في الموقف بالنسبة لسورية، فقيل له إنه لا يقدر أن يفعل شيئاً، لأن الاتفاق العسكري الانكليزي — الفرنسي قد وافق عليه المجلس الأعلى للحلفاء. وفرنسا التي خاب أملها بما فيه الكفاية في مارس / آذار / الماضي، لا تحب أن تتفاوض مباشرة مع الأمير، حيث كانت التكتيكات تدعم موقفه في سورية. أما الآن وبعد الضغط عليه وعلى السلطة التي يتمتع بها في مؤتمر الصلح، تظهر على (الحقيقة) شعبيته في سورية.

F.O. 371 /4184/ P. 343

وكتبت جريدة **Daily Telegraph** في نفس اليوم (٢٣ أكتوبر / تشرين الأول /)، مقالة تنتقد موقف فرنسا من فيصل فقالت «إن الحكومة الفرنسية التي كانت لا تشجع بشكل واضح الأمير فيصلاً كي يأتي لباريس، كان موقفها متحفظاً من الأمير ومن اعتباره أنه يمثل الشعب السوري، وكانت تشك بذلك، وكانت لا ترغب في إشراكه كطرف ثالث في أي اتفاق انكليزي — فرنسي. وتبين في مارس / آذار / الماضي، أن الاتفاق معه كان غير مأمول. إلا أن فيصلاً أحس بأن بريطانيا وفرنسا تلعبان به كلاً منهما ضد الآخر.

Ibid, P. 263

وكتبت **Maurice Prax** في ٢٣ أيضاً في إحدى الصحف الفرنسية تحت عنوان الأمير اللغز، **L' enigmatique emir** قال فيها: الأمير فيصل الذي أعطي في الربيع الماضي لقب امبراطور الحجاز، والذي لازال المفاوض الحجازي في مؤتمر الصلح وفي باريس الآن، حيث يقيم بمحض إرادته، فترة عدة أيام، كان قد أتى من لندن حيث سيبقى ضيفاً علينا لعدة أيام.

وكانت مقابلته مجاملة، لم ينتج عنها شيء بالنسبة للقضية السورية، وحتى ولا تأليف لجنة، لبحث انسحاب الجيش البريطاني، كما اقترح فيصل[٩١].

ويبدو أن كلمنصو بعد أن أشعر فيصلاً ببرودة استقباله، أراد أن يظهر له نية فرنسا الطيبة نحوه ونحو سورية، بالرغم مما فعله فيصل من عداء لفرنسا في سورية، وليؤكد له أن فرنسا، ليست كما كان يخوفه منها الضباط الانكليز. ولذا أرسل له مذكرة في ٢ نوفمبر / تشرين الثاني /، رداً على رسالته المؤرخة في ٢٥ أكتوبر / تشرين الأول /[٩٢]، حاول فيها تبديد مخاوفه بشأن إخلاصها ورغبتها للتأكيد لسورية والعراق أيضاً ولبقية الأقطار الشرقية، أن هدفها هو إيجاد تنظيم للحرية والادارة والتقدم مبني على مبدأ سياستها الحرة، التي هيَ مبادىء مؤتمر الصلح. وأن فرنسا ستحافظ على التحالف مع هذه الأقطار حسب رغبات ومصالح سكانها كما كانت أيام الحرب. واستبعد كلمنصو بحث الحالة السياسية لسورية وحدودها، لأن موضوع استبدال القوات الفرنسية بالانكليزية هو الأساس في الوقت الحاضر، وهو حل مؤقت، حتى يتقرر الحل نهائياً في مؤتمر الصلح، وأن مهمة الجنود الفرنسيين الذين سيحلون مكان الجنود الانكليز، هي المحافظة على النظام فقط، ومساعدة فيصل في حفظه في أثناء الاضطرابات[٩٣].

لكن فيصلاً كان يعرف، إن استبدال القوات نتيجة اتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول /، هو في حقيقته تنفيذ لإتفاقية سايكس ــ بيكو، وأن الأمر لن يتوقف عند الاستبدال فقط، بل سيتعداه إلى تغيير سياسي واقتصادي، وبشكل عام فهو تنظيم

---

(٩١) قدري، ص ١٣٩.

(٩٢) مذكرة فيصل بين مجموعة أوراق عوني عبد الهادي.
كتبت جريدة الماتان Matin في ٣١ أكتوبر / تشرين الأول / أي قبل ثلاثة أيام من رسالة كلمنصو المذكورة، مقالة عن وجوب الاتحاد مع فرنسا، وتذليل المصاعب فقالت: الاتحاد مع فرنسا يجب أن يتقوى أمام الصعاب الكبيرة جداً التي ستثار قريباً في الشرق، وحتى ذلك الوقت لنرَ ماذا سيحدث في باريس.
F.O. 371 /4184/.

(٩٣) مذكرة كلمنصو في أرشيف: F.O. 371 /4184/ P. 543

جديد لسورية، حسب مصالح بريطانيا وفرنسا، ولذا فقد اقترح بمذكرة في نوفمبر / تشرين الثاني / تعديل اتفاق (١٣ سبتمبر / أيلول /) بتشكيل لجنة مؤلفة من عربي وفرنسي وبريطاني وأمريكي، لبحث تواجد القوات العسكرية على الحدود بين المنطقتين الداخلية الشرقية (سورية الفيصلية)، وبين الغربية (لبنان)، وأصر أكثر من مرة على تشكيل هذه اللجنة، لأنها ستمنع وقوع الصدام بين القوات السورية والفرنسية، وأكد لكلمنصو أن لويد جورج الذي هو طرف في الاتفاق المذكور، قد وافق على تشكيل هذه اللجنة. ورفض فيصل مساعدة الجنود الفرنسيين في حفظ النظام في سورية، لأنه لا يوجد في السلطة السورية فوضويون كما ادعى كلمنصو، بل إن الشعب هو الذي يحكم فيها، وهو يعرف واجباته وحقوقه، ولا يتخلى عن أهدافه بالحرية والاستقلال، التي سيدافع عنها بالقوة، ويحارب (غزاة اليوم) كما حارب بالأمس اخوانه في الدين[٩٤].

حاول فيصل الذي غرق طيلة هذه الفترة في أوروبا، في دوامة اتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول / من جديد بحث المسألة السورية ككل، لأنها هي التي كانت هدفه الحقيقي في هذه المرحلة، بعد أن أحس بعدم جدوى إلغاء الاتفاق المذكور. ولذا بعث بمذكرة إلى مؤتمر الصلح في ٦ نوفمبر / تشرين الثاني / حدد فيها مطالبه في النقاط التالية:

١ ــ اتفاق ١٣ سبتمبر / أيلول / ليس عسكرياً بحتاً، وإنما يتضمن أموراً سياسية واقتصادية، كالخطوط الحديدية وحدود المناطق.
٢ ــ يرفض العرب تجزيء بلادهم، ويرون في (تقسيم سورية) ضربة قاتلة لهم.
٣ ــ إن انسحاب الجيش الانكليزي، مبني على اتفاقية سرية، لم يعترف بها العرب، ولا الولايات المتحدة. وأن أي اتفاقية بهذا الخصوص تعتبر مرفوضة مالم يوافق عليها مؤتمر الصلح.

---

(٩٤) مذكرة فيصل في Ibid, P. 444-445 بتاريخ نوفمبر / تشرين الثاني /.
و D.F.Aff, Etr, Levant, 20, PP. 256.

٤ ـــ ليس العرب السبب في تأخير الحل النهائي للقضية السورية.
٥ ـــ إن التدخل الأجنبي سيثير القلق والاضطراب في المناطق العربية والاسلامية.

وذكر فيصل أيضاً في مذكرته، أنه يخشى من تفجير ثورة طائفية بين المسلمين والمسيحيين سببها التعصب الذميم، وأنه «طوال الحرب كنت أسعى جاهداً لمحاربة التعصب في كل زمان ومكان، إن وحدتنا تقوم على القومية لا على الدين، وهناك عدد كبير من الأعوان الذين يعملون معي الآن في هذه القضية القومية، لا ينتمون إلى الطائفة الدينية التي أنتمي أنا إليها»(٩٥).

لكنه لم يلق جواباً، لا من مؤتمر الصلح ولا من كلمنصو، وفشل حتى في الوصول إلى اتفاق مع الأخير حول إرسال اللجنة للحدود، حيث تتمركز القوات الانكليزية والفرنسية والعربية، ولذا حاول توسيط لويد جورج من جديد عله يساعده بالوصول ـــ كما وعده ـــ إلى اتفاق مرضٍ مع فرنسا، فأرسل له مذكرة يشرح له كل ما قام به في باريس مع الفرنسيين، ورجاه أخيراً أن يساعده أمام مؤتمر الصلح، ويدعمه على الأقل لإرسال لجنة إلى الحدود، كما روى له قصة اجتماعه بغورو(٩٦).

(٩٥) D.F.Aff. Etr, Levant, 19, P. 16 et F.O. 371 /4184/ P. 444-445
وانظر Tibawi, P. 304
صرح فيصل لمراسل جريدة Le Matin في الرابع من نوفمبر / تشرين الثاني /، «ان المدن الأربع تقع على أطراف الصحراء، والمناطق الممتدة إلى الغرب تقع تحت النفوذ الفرنسي. فاذا كانت فرنسا تريد احتلال مناطق المدن الأربع، وبريطانيا تحتل فلسطين، فماذا يبقى لي من سلطة في منطقة مقسمة إلى ثلاث مناطق محددة بشكل غريب. وليس صحيحاً ـــ كما يقال ـــ اننا غرباء في سورية، فجنودي كلهم سوريون، ولا يوجد حجازيون إلا أنا وأخي وزيد. والوزراء الثمانية سوريون ومنهم أربعة مسيحيون. وأحب أن أتفق مع فرنسا وأتعاون مع الجنرال غورو الذي لم يحصل لي شرف لقائه بعد. واني لا أقبل بتجزئة (سورية) التي وعدنا الحلفاء ان تبقى موحدة. أما الانتداب فليس لي الحق ان أقبل نظاماً يحطم آمال الشعب».
F.O. 371 /4184/ P. 481

(٩٦) حضر فيصل والجنرال غورو مأدبة غداء بدعوة من المسيو برتلو «الذي أبلغ فيصلاً، ان عليه ان يتباحث مع الجنرال غورو، الذي عين مفوضاً سامياً لفرنسا في بيروت. وانسحب المدعوون وبقي فيصل وغورو وحدهما. وذكر غورو لفيصل ان العرب محقون في رفضهم تجزئة بلادهم، وأبدى عواطفه نحوهم، لكنه قال بأنه مضطر لتنفيذ كل الأوامر التي ستصدر إليه من حكومته، بالرغم من عدم موافقته على إراقة الدماء،
←

أما كلمنصو فقد أحس أخيراً بالنصر وراحة النفس، بعد أن وجد فيصلاً بين يديه يرجو ويلح في الرجاء، كما أنه طاب نفساً هذه المرة من لويد جورج، وشكره على سياسة بريطانيا وصداقتها نحو فرنسا، لإرساله فيصلاً له لتمسكه باتفاق سبتمبر / أيلول /، الذي كان يأمل منه كلمنصو أن ينقلب إلى انتداب بريطانيا على العراق وفرنسا على سورية، وكان برأيه أن مؤتمر الصلح سيوافق على ذلك دون مناقشة، كما شكره وأظهر رضاه عن بريطانيا، التي لم تزود فيصلاً بالأسلحة كما أشيع في الفترة الأخيرة(٩٧).

ويبدو أن كلمنصو أخذ مسألة انتداب فرنسا على سورية كأمر واقع، مع أنه لم يصل إلى اتفاق بذلك مع فيصل، ولا أقر ذلك مؤتمر الصلح، وكان يجد ــ على هذا الاعتبار ــ أن الصعوبة التي ستنشأ مع فيصل هي حقوق الحكومة العربية، لكن الحل لذلك ــ برأيه ــ أن مؤتمر الصلح سيحدد هذه الحقوق تحت بنود الانتداب. وكان كلمنصو يعتقد أن فيصلاً سيوافق على الانتداب، أما حقوق (فيصل) من ذلك، فعائد إلى رفض السوريين لهذا الانتداب، وعدم تفهمهم حقيقة مساعدات الدول الكبرى لهم. ولذلك فإن كلمنصو، كان يتوقع أن الصعوبات التي سيضعها فيصل أمام هذا النظام، ستخلق المصاعب لكلا الجانبين الفرنسيين والانكليز، ولهذا أفهمه بوضوح، أن كل محاولة للتفريق بين الحليفتين في الحرب أو في السلم، هي أمر مستحيل(٩٨).

واتخذ كلمنصو طريقة اللعب بفيصل في أثناء إقامته في باريس، التي تجاوزت شهرين ونصفاً، فتارة كان يعامله بمجاملة ويدعوه إلى الحفلات التمثيلية وحفلات البالية الخاصة، ويزوره متعاطفاً.

← لكنه قال بأنه لن يتأخر عن ذلك إذا تطلبت منه الأوامر ذلك. أما فيصل فقد قال له برغم كرهه لاراقة الدماء، ان السوريين سيفعلون كل شيء للدفاع عن وحدتهم واستقلالهم».
F.O. 371-/4188/ P. 543

(٩٧) Ibid, P. 272 رسالة من كلمنصو إلى لويد جورج في ٩ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩.

(٩٨) Ibid.

وكان المسيو برتلو، المدير العام لوزارة الخارجية الفرنسية، والمسيو غو مدير الشؤون الشرقية فيها، يظهران التودد نحوه. وتارة أخرى كان يعامله بجفاء ويرفض مقابلته، لأنه لم يقبل بانتداب فرنسا، واحتلال البقاع، واستبدال القوات الفرنسية بالانكليزية(٩٩). حتى إنه اشتكى إلى اللورد دربي، سفير بريطانيا في فرنسا في ٢١ نوفمبر / تشرين الثاني /، من سوء معاملة الفرنسيين له في فترة انقطاع المفاوضات. وأبلغه أنه لم يأتِ إلى باريس إلا بناءً على رغبة لويد جورج، ومع كل هذا لا يستقبله الفرنسيون عندما يريد ذلك. وأن كلمنصو نفسه رفض أن يقابله، عندما طلب ذلك للمرة الثانية، ولا يتوقع أن يصل إلى حل للمسألة معهم، ولهذا فهو يفضل السفر سريعاً(١٠٠) على سفينة انكليزية، ولا يقبل بسفينة فرنسية، احتجاجاً على معاملتهم له. ويصف (جويس)، وهو عضو في الوفد البريطاني في باريس حالة فيصل في ١٨ نوفمبر / تشرين الثاني /، فيقول إن فيصلاً كان يأمل أن يأخذه كلمنصو بالأحضان هو واقتراحاته، لكن وجوده الآن مهين للكرامة(١٠١).

وقد كانت معاملة الفرنسيين لفيصل بهذه الطريقة اللامبالية، لأنهم ــ حسب اعتقاد فيصل ــ كانوا يعتقدون أن السوريين ليسوا معه، وأنهم (السوريين) سوف يستقبلون الفرنسيين بالزهور، وأن جماعة فيصل قلة متطرفة. وقد صرح مرة الكولونيل تولا لفيصل بهذا الكلام، وقال له إن الحكومة الفرنسية تتلقى تقارير من سورية، تظهر أن القسم الأعظم من السوريين هم (ضدك)، وأنهم لن يقاوموا دخول الفرنسيين(١٠٢). ومن هذه التقارير مثلاً، رسالة من بيكو في ٢٨ أكتوبر / تشرين

(٩٩) عينت الحكومة الفرنسية قدور بن غبريط، وزير التشريفات في البلاط المراكشي، للتأثير على فيصل وإقناعه بوجهة النظر الفرنسية، وكانت مهمته إقناع من تود فرنسا إقناعه من رجالات العرب للاتفاق معها، واستمالتهم إليها.
قدري، ص ١٤٠.

(١٠٠) في هذه الفترة تلقى فيصل برقية من والده بوجوب العودة سريعاً إلى سورية أو لندن.
Kedourie, P. 166 و F.O. 371 /4185/ P. 149

(١٠١) F.O. 371 /4185/ P. 240

(١٠٢) رسالة من فيصل إلى زيد في ٦ نوفمبر / تشرين الثاني / (أوراق الأمير زيد) سليمان موسى، ص ٥٢٣.

الأول /، تقول إن فيصلاً يفقد شعبيته وخاصة لدى المتطرفين «وليس لدينا أي مصلحة بالارتباط بهم»(١٠٣). ومن هذه الرسائل واحدة من الدكتور ثابت، رئيس اللجنة السورية اللبنانية في القاهرة، يوضح فيها «كم هي غير عادلة مواقف فيصل وادعاءاته، بأن السوريين والعرب من أصل واحد»(١٠٤). حتى أن كلمنصو نفسه كان يشك فعلاً بقيمة فيصل في سورية، ولذا أرسل إلى غورو ـــ بعد تعيينه في منصب المفوض السامي الفرنسي في بيروت ـــ في ٣٠ نوفمبر / تشرين الثاني /، يسأل عن مدى إخلاص فيصل، ومقدار قوته أو سلطته، التي تسمح لفرنسا بالاتفاق معه ومع العرب(١٠٥). فأجابه غورو في اليوم الثاني، بأن فيصلاً قد تخلت عنه بريطانيا، أما إخلاصه، فيكون على قدر استطاعته بقبوله انتداب أولئك الذين حاربهم وطردهم (ويعني الفرنسيين)(١٠٦).

وفي هذا الجو المتشائم، كان فيصل يلاحظ أن الفرنسيين لا يعدون أهل سورية شعباً بل قطيعاً من الغنم. وقد دخل الشك في قلب فيصل نفسه، هل حقاً يحارب السوريون كما فعل مصطفى كمال، كان يشك بذلك(١٠٧). لكن يجدر الذكر أن الأديب الفرنسي أناتول فرانس، كان يرحب بفيصل، ويدعوه لمائدته، ويمدحه ويطريه ويعجب به، وكان يطلب من الصحفيين الفرنسيين مساعدته وتأييده بمطالبه الوطنية(١٠٨). وحسب علمنا فلقد وقف واحد من هؤلاء (كتاب الصحف) مع فيصل، لكن لم يذكر اسمه واكتفى بتوقيع (فرنسي) un Français!

---

(١٠٣) D.F.Aff Etr, Levant, 18, P. 252

صرح جورج بيكو لماينر تزهاغن في ١٠ نوفمبر / تشرين الثاني / بقوله «لا يخفي الفرنسيون عدم اكتراثهم بالعرب، وأن عشرة جنود فرنسيين يستطيعون أن يفعلوا كل شيء، وأن يذهبوا إلى أي مكان يريدون في سورية، قبل انسحاب الانكليز أو بعده.

Documents, vol IV, P. 524.

(١٠٤) D.F.Aff, Etr, Levant, 19, P. 123.

(١٠٥) Ibid, PP. 217-222

(١٠٦) Ibid, P. 193

(١٠٧) رسالة فيصل السابقة لزيد.

(١٠٨) أوراق عوني عبد الهادي، ص ٢٧.

وعلى كل، وبرغم ما لقي فيصل من تجاهل، لم يسافر إلى سورية كما هدد بذلك، وأخلف وعده وخالف أباه، ورأى ألا مناص من الوصول إلى اتفاق مع فرنسا، رغم جفاء معاملة المسؤولين له. وكان يحاول استمالة الرأي العام الفرنسي، فصرح بأنه يرغب في اتفاق ودي مع فرنسا، والتعاون مع غورو(١٠٩).

ولهذا عادت المفاوضات من جديد بينه وبين المسيو غو والمسيو برتلو، في وزارة الخارجية الفرنسية حيناً، وفي مقر فيصل حيناً آخر. وكان رستم حيدر وعوني عبد الهادي يفاوضان تحت إشرافه ووفق توجيهاته. وكان يجمع من وقت لآخر أعضاء الوفد، ويبلغهم ما يحدث للاتفاق معهم على الخطة الواجب اتباعها. وكان هم أعضاء الوفد، الحيلولة دون احتلال القوى الفرنسية لأي جزء من المنطقة الشرقية، ولذا فقد كانوا يعدلون من مسودات المذكرات الفرنسية أثناء المفاوضات، حتى تأتي موافقة لمطالبهم. لكن المفاوضين الفرنسيين كانوا يرفضون ذلك، ولذا كانت تكثر المناقشات ويطول الجدل(١١٠).

وبقي فيصل ثابتاً في أثناء المفاوضات على نقطتين، الأولى: إبقاء الوضع الراهن كما هو، والثانية: تعيين لجنة ثنائية للإشراف على الحدود بين المناطق الثلاث. وبناءً على

---

(١٠٩) قدري، ص ١٤٠.

صرح غورو لجريدة **Le Matin** في ٩ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩ بأنه سوف يدرس الرجال، والأشياء، والأماكن خلال شهر أو شهرين، ثم يضع بكل إصرار جميع قواته للتنفيذ. وقال «سأعمل كل جهدي لصالح السوريين، ولصالح فرنسا، وإني من أولئك الذين يفكرون ويسمعون دائماً، وخاصة بعد خوض حرب دامت أكثر من أربع سنين، وكأنها انتهت الآن». وسأله المراسل عن الأمير فيصل، فثبت الجنرال عينيه الصافيتين — كما وصفه المراسل — على المراسل دون أن ينطق، وأخرج من جيبه صورة ناولها له وقد كتب عليها: استراسبورغ، ٧ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٨. وهي صورة تظهر غورو وهو يقدم لفيصل الوسام في ساحة بروغلي في استراسبورغ، وعليها الكتابة «ليدم أثرها زماناً أطول مما تحمله الكلمات».

F.O. 371 /4184/ P. 593

(١١٠) قدري، ص ١٤٠.

هذا المفهوم أرسل في ٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني /، رسالة إلى كلمنصو رجاه فيها أن يقبل الاقتراحين التاليين:

١ ـ بقاء القوات العربية في حدود المنطقة التي احتلتها منذ عقد الهدنة، وكذلك بقاء القوات البريطانية في فلسطين والفرنسية في الساحل، وأن لا تتخذ أي اجراءات في المنطقة حتى يقرر ذلك مؤتمر الصلح.

٢ ـ تسمية لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء، فرنسي وبريطاني وعربي، كل في منطقة احتلاله، وأن تجتمع هذه اللجنة في مدينة سورية واحدة، ومهمتها حل الخلافات التي تقع بين المناطق الثلاث، وإبقاء الادارات المختلفة في المناطق الثلاث على اتصال ببعضها(١١١)، فلم يتلق جواباً.

وفي اليوم التالي، أرسل فيصل نص الرسالة إلى لويد جورج، يوضح له فيها محاولاته الدائمة للوصول إلى اتفاق مع فرنسا، ويطلب منه مساعدته بذلك، وتمنى ألا تتهرب بريطانيا من مسؤوليتها في اتفاقها معه، بشأن إقامة دولة عربية مستقلة(١١٢)، لكنه لم يتلق رداً عليها أيضاً.

وتحت ضغط الظروف والخوف من احتلال الفرنسيين لمنطقة الداخل، والقوات

---

(١١١) F.O. 371 /4185/ P. 278-279

(١١٢) Ibid.

أرسل فيصل لأبيه في نوفمبر / تشرين الثاني /، رسالة يشرح له فيها وضعه ورأيه بعدم إمكانية محاربة فرنسا، لأنه لا توجد الأسلحة والذخائر والجيش، بعد أن تخلت عنه بريطانيا، كما أرسل لأخيه زيد كتباً لاتخاذ كل أسباب القوة وجمع الجند، لأنه يعلم أن الحق هو للقوة وبقدر ما يكون الجند قوياً، بقدر ما تتنازل وتتساهل القوى التي يتفاوض معها...

رسالة فيصل لأبيه في أوراق الأمير زيد (خواطر خصوصية) ورسائله إلى زيد أيضاً في أوراق الأمير زيد.

عن سليمان موسى، الحركة العربية، ص ٥٢٠ ـ ٥٢٣ و ٥٢٦ ـ ٥٣٠.

وانظر F.O. 371 /4184/ (3/11/1919) P. 451-453

وفيها رسالة من زيد عن هياج الشعب في سورية، وجواب فيصل «بأن التشبثات السياسية جارية، والحكومة البريطانية قبلت اقتراحي بتأليف لجنة لدرس مسألة الانسحاب، والحكومة الفرنساوية رفضت ذلك، بحجة أن المسألة شخصية، وقلت بأن السوريين مستعدون للدفاع بقوة السلاح، فما هي حقيقة الموقف عندكم من هذه المهمة، أما الاقتراح فقد تسلمه المجلس الأعلى للحلفاء وانتظر جوابه».

الانكليزية قد بدأ انسحابها، اتفق فيصل مع المسيو برتلو في ٢٥ نوفمبر / تشرين الثاني / اتفاقاً مؤقتاً يتعلق بالحدود بين سورية ولبنان فقط. ويبدو أن برتلو قبل بهذا الاتفاق، على أنه بداية طيبة قد تساعد في تدخل فرنسا في سورية الداخلية أولاً. ولأنه لا يؤثر على استبدال القوات الفرنسية بالانكليزية، وكان نص الاتفاق:

١ ــ تأليف لجنة من فرنسي وعربي وانكليزي لتسوية المشاكل التي قد تحدث بين المناطق.

٢ ــ انسحاب الجنود العربية عن البقاع التابعة للمنطقة المستقلة، ولو أنه كان بمقتضى معاهدة سايكس ــ بيكو ضمن المنطقة الغربية.

٣ ــ يشرف على أعمال الشرطة والدرك الموجودة حالياً بالبقاع، هيئة مختلطة مؤلفة من ضباط فرنسيين، وعرب، يتفق عليها محلياً(١١٣).

وبصدد الاتفاق المذكور نلاحظ أن المذكرات البريطانية تسكت عما جرى خلال العشرين يوماً من ديسمبر / تشرين الأول / التالية له. وكانت الوثيقة الوحيدة المهتمة التي وجدت، هي رسالة من اللورد (دربي) أرسلها في ٢٠ ديسمبر / كانون الأول / إلى كرزون، بصدد المفاوضات بين فيصل والحكومة الفرنسية التي انتهت بعقد اتفاقية بين الطرفين، تتألف من ثماني مواد، وهي ما عرف (باتفاق

(١١٣) هكذا أتت صورة الاتفاق في مذكرات قدري ص ١٤١. أما المذكرات البريطانية، فتذكر ان الاتفاق تعدى مهمة اللجنة إلى نوع من قبول فيصل بالانتداب الفرنسي، كما جاء على لسان سفير فرنسا في بريطانيا إلى وزارة الخارجية البريطانية، بأن انسحاب القوات الفرنسية من بعلبك والبقاع هو جزء من اتفاقية قبل فيصل فيها بالانتداب الفرنسي. وان اللجنة التي اقترحها ستكون تحت رئاسة الجنرال غورو، أو ممثل عنه في بيروت. وفي برقية من بيروت، ان غورو ذكر في ١٠ ديسمبر / كانون الأول / بأن البقاع ستبقى تحت الادارة العربية بشروط هي: ١ ــ يحتل الفرنسيون رياق ويحرسون الخط الحديدي. ٢ ــ يبقى ضابط فرنسي في بعلبك. ٣ ــ كل العصاة يستسلمون له. ٤ ــ يخلي الجنود العرب البقاع. ٥ ــ تبقى التجارة حرة بين المنطقة الفرنسية والعربية. وان هذه الاتفاقية مؤقتة حتى يحلها مؤتمر الصلح نهائياً.
Evans, P. 242

في الأول من ديسمبر / كانون الأول / أعلم الجنرال حداد المستر بولك بالاتفاقية، واعطاه نسخة عنها، كما أرسل مسيو بيشون رسالة إلى غورو عنها. وأبلغ برتلو بتنفيذ بنودها. Ibid

فيصل ــ كلمنصو) الذي سنورده في مكانه، غير أن (Evans) ذكر بأن الحكومة الفرنسية قدمت اقتراحات لفيصل وأنه قد رضخ لها[١١٤].

أما بالنسبة للمصادر العربية، فليس هناك إلا رواية الدكتور أحمد قدري، التي تقول بأن فيصلاً تلقى رسالة من أخيه زيد، يخبره بحوادث بعلبك[١١٥] بين العرب والفرنسيين، فجعلته يشعر بالخطر القريب باحتلال الفرنسيين لسورية، ولم يكن أمامه أي باب يطرقه بعد أن تخلى عنه البريطانيون والأمريكان إلا كلمنصو. فمهد لذلك بمذكرات طويلة بينه وبين غو وبرتلو، واتبعها بتاريخ ٢٢ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ بكتاب إلى كلمنصو نفسه، يبين فيه أن سبب بقائه في فرنسا بعد أن كان قرر مغادرتها، يعود إلى المسيو برتلو، أملاً في الوصول إلى اتفاق بشأن حدود لبنان،

---

(١١٤) زين الصراع، ص ١٢٥ و Evans, P. 242

بعد يومين من توقيع الاتفاق بين فيصل وبرتلو، التقى فيصل بسعد زغلول الذي كان في باريس يعرض القضية المصرية، واشتكى له بمرارة من بريطانيا وتخليها عنه. وكان سعد زغلول قد أرسل رسالة إلى أحد اللبنانيين ــ واستطاعت المخابرات الانكليزية الحصول عليها ــ وفيها يقول سعد «كانت شكوى فيصل أمّر من شكواي من الانكليز، فقد خدعوه، وكان هدفهم احتلال كل المنطقة العربية بالاقتسام مع فرنسا. وان سكرتير فيصل (فؤاد الخطيب) قد نظم أشعاراً يهاجم فيها الانكليز بعنف، وان زملاءه قد أرسلوا إلى (طلعت وزير الداخلية التركية في أثناء الحرب)، في سويسرا وبرلين بقصد توحيد جهود الطرفين العرب والترك في فكرة إسلامية، يأخذ الحسين فيها القيادة، ويوضع الحسد والتنافس جانباً للمصلحة المشتركة بينهما. وأن العرب قد حاربوا الترك للحصول على استقلالهم. وساعدوا بريطانيا. لكنها رفضتهم. وانهم الآن يسألون فرنسا ما يريدونه». وأتى في آخر الوثيقة «ان سعداً مصدر مشكوك فيه»، الا انه توجد بعض الحقيقة في رسالته.

F.O. 371 /4185/ P. 396

(١١٥) حوادث بعلبك، هي المعركة التي جرت بين السكان وبين قوة فرنسية صغيرة، بأمره ضابط ارتباط فرنسي، حسب الاتفاق الجديد، قتل فيها أحد الضباط الفرنسيين، فتذرع الفرنسيون بهذه الحادثة واستقدموا قوة من ثلاثة آلاف جندي احتلت بعلبك والمنطقة المجاورة.

قدري، ص ١٤٤.

أرسل فيصل إلى كرزون في ١٩ ديسمبر / كانون الأول / يعلمه باحتلال الفرنسيين للبقاع، ويطلب مساعدة بريطانيا لاعادة السلم إلى المنطقة.

Zeine, the Struggle, P. 125

بين مجموعة أوراق عبد الهادي توجد مسودة لهذه الرسالة بخط فيصل.

وإلى أنه شخصياً يرغب في الوصول إلى اتفاق مع فرنسا. أما وقد احتل الجيش الفرنسي بأمر من غورو البقاع، فإنه يأمل من كلمنصو أن يسحب القوات الفرنسية من البقاع، وينفذ الاتفاق السابق، حتى يكون له وقع حسن في نفوس الأهلين مما يسهل المهمة أمام فيصل في سورية، لإقناع الناس بفائدة الاتفاق مع فرنسا[١١٦].

ولو نظرنا إلى الفقرة الأخيرة من كتاب فيصل «وقبل أن ننظر في مسألة حدود لبنان التي نعمل على حلها» لاستنتجنا أنه كانت تجري بين فيصل وكلمنصو مفاوضات عامة تدور حول حدود لبنان، ووضع سورية كله، لا حول انسحاب القوات الانكليزية فقط، أو إرسال لجنة للحدود لأن (حدود لبنان) وردت في اتفاقية (فيصل ــ كلمنصو) قبل تاريخ كتاب فيصل أي ٢٢ ديسمبر / كانون الأول /. واستمرت المحادثات بين الطرفين إلى أن تم الاتفاق في ٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠. وقد وافق عليها فيصل والوفد المرافق (ما عدا أحمد قدري)[١١٧]، لأنهم اقتنعوا بأنهم لن يحصلوا على أكثر من ذلك من فرنسا[١١٨]، ولأن كلمنصو نفسه نصح فيصلاً بأن يسرع بعقد الاتفاق، لأن سواه لن يتساهل معه بقدر ما فعل.

---

(١١٦) قدري، ص ١٤٤ ــ ١٤٦. وانظر بالنسبة إلى مسودة الاتفاق ومشروع الاتفاق الفرنسي العربي في ٦ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩.
D.F.Aff. Etr. Levant, 20. PP. 243-244, 249-251

(١١٧) يقول أحمد قدري في مذكراته، بأن الحالة المضطربة في سورية واعتقال ياسين الهاشمي في الثاني والعشرين من نوفمبر / تشرين الثاني / من قبل السلطات البريطانية، كان سبباً في التعجيل بهذا الاتفاق. وعندما عارض قدري الاتفاق، طلب بعض أعضاء الوفد إخراجه من الوفد، وإعادته إلى سورية وحجزه فيها، حتى لا يرى أحداً. ص ١٥٣.

(١١٨) من أهم الأمور التي كانت موضع خلاف بين الفريقين سلطة المستشارين الفرنسيين في سورية، فالفرنسيون يطلبون صلاحيات واسعة، وفيصل يريدهم كموظفين لدى الحكومة السورية. وكذلك حدثت اختلافات على ضم منطقة البقاع وشمالي فلسطين إلى لبنان، لكن فيصلاً رفض ذلك، وطلب من كلمنصو أن يحكما مؤتمر الصلح في ذلك. وكذلك لم يقبل الفرنسيون استفتاء الشعب على المنطقة.
نفس المصدر.

اتفاق فيصل ــ كلمنصو

أصبح الاتفاق جاهزاً ولا يحتاج إلا للتوقيع من قبل فيصل وكلمنصو، حتى يصبح نافذاً. لكن الذي حدث أن زيداً أرسل إلى فيصل برقية في الثاني من جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، يستحثه على العودة لتهدئة الحالة في سورية، لأن غورو لم يبلغه عن اتفاق فيصل ــ برتلو فقرر فيصل العودة سريعاً. ولهذا تقرر توقيع الاتفاقية في ٦ جانفي / كانون الثاني /، وأقامت له وزارة الخارجية الفرنسية حفلة وداع في الخامس منه. وفي هذه الأثناء، وصل الدكتور ثابت نعمان طبيب الملك حسين، إلى باريس، يحمل أمراً تحريرياً من الحسين إلى فيصل، يحظر عليه توقيع أي اتفاق يتنافى والعهود المعطاة له من الحكومة البريطانية قبل الحرب، الخاصة باستقلال بلاد العرب، التي تدور حولها الاتفاقية. وقد رجا الدكتور قدري فيصلاً وهو في السيارة في الطريق إلى توقيع الاتفاقية، بألا يوقعها. بل يكتفي بإخبار كلمنصو شفهياً بقبولها، حتى يعرضها على الشعب. وفعلاً (كما يقول قدري) اكتفى فيصل بوضع الأحرف الأولى مع كلمنصو من اسميهما عليها وبعد موافقة الشعب يعود فيصل لباريس للتوقيع عليها[119].

وقد نصت هذه الاتفاقية التي كانت معدة منذ ٢٨ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، والتي أرخت في ٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ على مايلي:

١ ــ تتعهد الحكومة الفرنسية بتقديم المعونة لسورية وتضمن استقلالها ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر الصلح.

٢ ــ يكون لفيصل ممثل دبلوماسي في باريس، وتتعهد الدولة الفرنسية بتمثيل مصالح سورية في الخارج.

٣ ــ يعترف فيصل باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

٤ ــ يسهل الأمير تشكيل إدارة مستقلة لدروز حوران داخل الدولة السورية.

---

(١١٩) نفس المصدر، ص ١٥٤.
انظر: أمين سعيد، ج ٢، ص ١١٩.

٥ ـــ تقدم سورية إلى فرنسا كل مساعدة عسكرية في جميع الحالات.

٦ ـــ اللغة العربية رسمية، أما اللغة الفرنسية فتدرس إجبارياً وبشكل ممتاز.

٧ ـــ تكون دمشق العاصمة. ويقيم المفوض الفرنسي السامي في حلب.

ويبقى هذا الاتفاق مكتوماً بين الفريقين، حتى توقيع الاتفاق النهائي عند عودة فيصل إلى فرنسا، ثم يعرض على مؤتمر الصلح.

ولهذا الاتفاق ثلاثة ملاحق، الأول خاص بالأقليات في لبنان، وقد تضمن أن الأقليات تستفتى، عند تحديد الحدود. والثاني عن حوران (جبل الدروز)، والثالث عن بيروت والاسكندرون اللتين تقرر أن تكونا مدينتين حرتين[(١٢٠)].

أراد فيصل أن يحدد لهذه الاتفاقية مدة عشر سنوات فقط، لكن الفرنسيين اعتبروها مؤقتة، حتى يتخذ مؤتمر الصلح حلاً نهائياً للمسألة السورية، وعندها يمكنهم أن يطبقوها، عندما يتقرر الانتداب الفرنسي رسمياً على سورية.

وإذا كانت غاية فيصل من رحلته هذه إلى أوروبا الحفاظ على (وحدة سورية) بعد أن تخلى عن الوحدة العربية، فإنه بهذه الاتفاقية تخلى أيضاً عن (الوحدة السورية)، إذ اعترف باستقلال لبنان، وبتحديد حدود (سورية الداخلية) مع لبنان وفلسطين، ويكون قد اعترف بانفصال فلسطين أيضاً عن سورية، ورضي أخيراً بسورية الداخلية

(١٢٠) في النص الانكليزي وردت الفقرة (٧) تنص على مساعدة سورية للحجاز بعد موافقة فرنسا، نظراً لما قدمه من تضحيات، كعرفان له بالجميل، ولأن فيه الاماكن المقدسة للمسلمين، وورد في النص الفرنسي، ان بيروت والاسكندرون ستكونان مينائين لدمشق والموصل. ولم يبق هذا الاتفاق سراً، إذ استطاعت بريطانيا بعد ١٠ أيام ان تحصل على نسخة منه سراً عن طريق حداد باشا في باريس. وهو موجود في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية بالنص الفرنسي، بالاضافة إلى المفاوضات التي جرت بين فيصل وكلمنصو في ٢٣ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ بالنص الفرنسي.

F.O. 371 /5033/ P. 21-24 الملحق.

كما حصلت عليه بريطانيا من مصدر عربي، عن طريق المدير السياسي في المنطقة المحتلة الشرقية في ٢٣ فغريه / شباط / ١٩٢٠.

من أجل نص الاتفاق انظر: Tibawi; P. 304-6

وأيضاً: David, P. 85 و Jeffries, P. 324

ملكاً له، وكذلك يكون قد تخلى عن فكرة الاستقلال بقبوله بشروط الاتفاقية. ولقد فسر الفرنسيون «المساعدة التي سيقدمونها إلى سورية» بالانتداب، لأن فرنسا هي التي تقوم بالتمثيل الدبلوماسي، وهذا نقص كبير في الاستقلال كمبدأ. وفي الواقع لقد كانت سياسة فيصل كما تتضح من تصرفاته، الابقاء على ما يمكن إبقاؤه له ولو قليلاً.

وفي اليوم نفسه الذي وقع فيه الاتفاق، غادر فيصل باريس إلى بيروت مبحراً على السفينة الفرنسية (والدك روسو)[١٢١]، وقد وصل بيروت في ١٣ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠. وقد رجا برتلو أن يبقي معه تولا، فقبل وأرسل لغورو بذلك وأن تولا سيساعده (لغورو) مساعدة ثمينة من أجل العمل لفرنسا، مع أنه يجب أن يلتحق بعمله في الجزائر[١٢٢].

ولابد من كلمة بعد هذه الاتفاقية، عن نشاط شكري غانم، ولجنته المركزية، التي لم يرد ذكر كبير لنشاطها كما حدث من قبل، وذلك كما يبدو أن كلمنصو قد استبعد مثل هذا النشاط، حتى لا يكون له تأثير سلبي على فيصل، ولذا نرى شكري غانم يرسل إلى وزير الخارجية الفرنسية في ٥ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، محتجاً باسم لجنته واللجان الأخرى في مصر والمهجر، على مفاوضات فيصل «وبما أن حل القضية السورية أصبح على الأبواب، فليس لديه إلا الأسف، بأن يرى الحكومة الفرنسية تتفاوض مع الحجازيين فقط، في الوقت نفسه الذي استبعدت فيه كل السوريين»[١٢٣]. وهذا ما عبر عنه أيضاً حقي العظم، في برقية له إلى شكري غانم،

---

(١٢١) أطلق للأمير فيصل ١٧ طلقة مدفع، عند مغادرته ميناء طولون وقد حضر توديعه محافظ البحرية مع حرس شرف، وهو ما يخصص لوزير البحرية (ما عدا الطلقات)، ورفع علم الحجاز أثناء الاطلاق، وكان برفقة فيصل ١٥ شخصاً، ٣ خدم، سيارة، وعفش.

D.F.G. 7N-1640, 19 Dec 1919.

أنفقت فرنسا على مرافقي فيصل والصحفيين والسيارات ٢٥ ألف فرنك خلال إقامته فيها.

D.F.Aff. Etr. Levant, 21, 6 Jan 1920, P. 70

(١٢٢) Ibid, (6 Jan) P. 60

(١٢٣) D.F.Aff.Etr, Levant, 21, P. 41

(كي تدخل فرنسا ثلاثة من السوريين الموجودين في مصر في الوفد السوري عند مناقشة حدود سورية يكون منهم فلسطيني، لأن فرنسا لا تترك فرصة إلا وتدافع عنهم[١٢٤] . وهذا عدم اعتراف من الاثنين ، بأن فيصلاً يمثل سورية ، أو أنه سوري) .

---

(١٢٤) لقب حقي العظم في رسالته هذه شكري غانم، بأنه الزعيم العظيم الذي خدم سورية كثيراً...
Ibid, 22 Dec 1919, P. 77

الفصل السادس

الحالة في سورية
في أثناء غيبة فيصل الثانية

الموقف في دمشق

ماذا كان الوضع في سورية، وفيصل في أوروبا يجري مباحثاته مع انكلترا وفرنسا؟ لقد كان الشعور القومي يتصاعد ضد اتفاق بريطانيا ــ فرنسا (١٣ سبتمبر / أيلول /). فلدى سماع الشعب بمحتوى الاتفاق، ثار وسيطر التوتر على البلاد، وعمت المظاهرات المدن، وبدأت اجتماعات اللجنة الوطنية للدفاع عن البلاد. وكان يشجعها بعض المسؤولين في الحكومة العربية، واستمرت حركة التجنيد والتطوع، التي بدأت قبل رحيل فيصل إلى أوروبا. وظهرت في الصحف بيانات اللجنة الوطنية، التي تحض على التطوع، ووجوب التدريبات العسكرية، التي تولاها ضباط من الجيش العربي، بعد أن كانوا قد استقالوا منه[١]. وقد استطاعت النوادي العربية، والأوساط العسكرية، إدخال الجماهير إلى قلب الحركة السياسية. وفي البداية وقبيل سفر فيصل، تشكلت مجموعات من المتطوعين بلغت من ٤٠٠ ــ ٥٠٠، وكان على رأسهم ــ حسب المصادر الفرنسية ــ الأمير زيد. وأعلن الضباط الصغار في احتفال للنادي العربي في دمشق، أنهم مستعدون أن يرموا الفرنسيين في البحر[٢]! وكانت جموع الناس تصل في تظاهراتها إلى قصر الأمير، هاتفة برفض الانتداب الفرنسي[٣].

(١) جريدة العاصمة عدد ٦٩، ٢٣ أكتوبر / تشرين الأول / وعدد ٧١ (٣ أكتوبر / تشرين الأول /) ١٩١٩.

(٢) D.F.G. Carton 17. 7N-1640 (7 Sep) de Laforcade, Beyrouth.

(٣) Ibid, (6 Sep)

وكان الانكليز والفرنسيون، يحمّلون الهاشمي مسؤولية التدريب العسكري، وإعداد جيش مؤلف من اثني عشر ألفاً من الجنود لمحاربتهما[٤]. وتجمع المصادر العربية والانكليزية والفرنسية على خطورة الموقف في ذلك الوقت في سورية.

وكان من رأي الكولونيل كوس، المعتمد الفرنسي في دمشق (صديق فيصل)، الخروج من الموقف الحرج في سورية، واستبدال حالة العداء الشديد لفرنسا بثقة وحب لها. ويكون ذلك برأي كوس، تحقيق وحدة سورية بما فيها فلسطين، تحت نوع لطيف من الانتداب الفرنسي، يتضمن الاحترام للأديان وخاصة الدين الاسلامي، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية للبلاد، وأن يكون الحكم فدرالياً. وأكد أن (مطاطية) كلمة انتداب، تثير الشكوك في نفوس الناس الذين يكادون لا يصدقون أن يروا سورية، تتحطم تحت الاستعمار بنوع من الحماية، يشبه حالة تونس والمغرب. وأضاف بأن ازدواجية الرغبة الفرنسية، في منح سورية استقلالها، وفي الوقت نفسه في احتلالها واستعمارها، كانت تقودها لخلق نظام رابع من الاحتلال، يختلف عن الأنظمة الثلاثة في شمال إفريقية. لكن يجب أن يصل هذا النظام برأيه إلى صيغة توافق إلى حد ما الأمير فيصلاً، والعرب الذين يقولون «لا نريد انتداباً يساوي العبودية»[٥]. وكان رأي

---

(٤) F.O. 371 /4133/ P. 132

و D.F.G. tel No 6585 (Beyeonth) 16 Sep

أرسل بيكو من بيروت برقية في ٩ أكتوبر / تشرين الأول /، يحدد فيها القوات العربية والأسلحة والذخيرة في المدن الأربع. فذكر أن لكل جندي (٢٥٠) طلقة و (٥٠٠) احتياط ورمانتين، وللرشاشات ١٥٠٠ طلقة ومثلها احتياط. أما المدفعية فلا يعرف شيئاً عنها. إلا أنه يعلم بوجود عشرة آلاف قذيفة مدفع في دمشق، ومثلها في حلب، وقال إن هذه القوات ستشكل خطراً بمساعدة القوات الانكليزية، وإن القوات التي رآها في حلب منظمة بشكل جيد، وجنودها شباب، أما عددها فهو لواء من أربعة كتائب في حلب، وفيها كتائب مدفعية، وفي حمص وحماه كتيبة فرسان، وفي دمشق لواء من ثلاث كتائب، فيها مدفعية، وفي درعا لواء نظامي مثل لواء دمشق.

Ibid, No 7308

وهذه المعلومات تقارب حقيقة ما كان عليه الجيش العربي في سورية.

وانظر: إحسان الهندي، معركة ميسلون، دمشق ١٩٦٧، ص ٩١ــ٩٤.

(٥) D.F.G. Telegramme, 6588 ٢٧ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩.

المعتدلين السوريين من رأي كوس أيضاً . فقد كانوا يفضلون الوصول إلى حل للمسألة السورية بالاتفاق مع فرنسا، وربما كان هذا بالاتفاق بين الطرفين لأن قسماً من هؤلاء المعتدلين كانوا يزورون كوس خفية في بيته خوفاً من نقمة الناس عليهم[٦] .

ووصلت أخبار الاضطرابات إلى فيصل في فرنسا، فأراد تهدئة الحالة حتى يتسنى له التفاهم مع كلمنصو، في جو نفسي مريح، فأرسل إلى أخيه زيد في ٢٤ سبتمبر / أيلول /، ألا يعبأ بأقوال الصحف، ويطمئنه بأن الحالة حسنة، ويطلب منه أن يبقي الشعب هادئاً[٧] . والواقع أن فيصلاً قد أخفى على أخيه ما كان حدث بين لويد جورج وكلمنصو قبل أيام، لأنه كان يدرك أن الشعب سيثور. ومع كل تأكيدات فيصل، بقي الجو متوتراً في سورية والعداء يزداد ضد فرنسا. فقامت مظاهرة في دمشق ضمت الآلاف في ٢٢ أكتوبر / تشرين الأول /، وقدمت إلى زيد عرائض احتجاج عما يساور نفوسهم من قلق على مصيرهم ومصير بلادهم. وطالبوا بالاستقلال التام الناجز، ورفضوا كل ما يخالفه. وأبلغوه أنهم مصممون «قلوباً وألسنة مجموعاً وفرادى» على الدفاع عن الوطن[٨] . وكانوا حتى ذلك الوقت يثقون بفيصل وبما يقوم به في أوروبا[٩] ، وكانو ينتظرون الأخبار التي ترد منه بقلق بالغ.

ولم يكن زيد يخفي عن فيصل حقيقة الموقف، حتى في اللحظات التي لم يعد فيها قادراً على كبح جماح الناس. ولا كانت الحكومة تخفي عنه أيضاً، مع تعرضها

---

(٦) مقابلة شخصية مع صبحي العمري في صيفه ١٩٧٠، وقد دعي شخصياً مرة عند كوس، واطّلع على ذلك.

(٧) Ibid, No 6585 ١٦ سبتمبر / أيلول /.
وأيضاً: جريدة العاصمة، عدد (٦١) ٢٥ سبتمبر / أيلول / وجريدة الحقيقة، بيروت، عدد ١١٨٣، ٢٥ سبتمبر / أيلول /.

(٨) **عن الحقيقة، عدد ١١٨٦، ٣ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩.**

(٩) كتبت جريدة سورية الجديدة الدمشقية «انه (فيصل) الآن قريب من باريس، وأبصارنا تتبعه أينما كان. فهو يحمل آمال أمة بأسرها سلمته كل مقاديرها، ليدافع عنها في مؤتمر الصلح، كما دافع عنها في ساحات الوغى بقلبه وحسامه».
عن الحقيقة، عدد ١١٨٣، ٢٥ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩.

للوصف بالضعف، وعدم القدرة على قيادة الدولة. ففي ٢٧ أكتوبر / تشرين الأول /، أبلغ الجنرال كلايتون زيداً بأن القوات الانكليزية ستنسحب من سورية في الشهر التالي. فأعلم زيد فيصلاً بذلك، وقال إن الانسحاب إنما هو تطبيق لإتفاقية سايكس ــ بيكو، وأن عقول الناس مشوشة، والثورة على الأبواب. وخاصة أن حالة الحرب مازالت قائمة مع تركيا، وربما تجتاح قوات تركية سورية بقيادة مصطفى كمال. وقال زيد إنه لا يستطيع تهدئة الناس حتى يوفر له جواً مريحاً، وأنه لا يتحمل المسؤولية عن الدم الذي سيراق. وأنه أخبر القائد العام اللنبي بذلك. لكن وزارة الخارجية البريطانية، رفضت نقل مثل هذه الرسائل المفتوحة، وطلبت من زيد أن يكتب بالرموز، أو يتصل مباشرة بفيصل في باريس. ولم ترسل الرسالة لفيصل(١٠). وكانت المراسلات العربية تتم بوساطة السلطة البريطانية في دمشق، حتى لا يطلع الفرنسيون على ما فيها إذا أرسلت عن طريقهم، أو أرسلت مباشرة إلى فيصل في باريس.

وكان اتفاق استبدال القوات الفرنسية بالانكليزية في ١٣ سبتمبر / أيلول /، دليلاً لدى الحركة الوطنية على بداية الانتداب الفرنسي، وكان الانتداب يعني بالنسبة للناس، أن سورية ستسقط تحت الاستعمار الفرنسي، أو تحت نوع من الحماية يشبه حالة مراكش وتونس، ولذا فإن كلمة انتداب، كانت تثير وتبرر فعلاً كل عدم الثقة لدى المواطنين، وهذا ما عبر عنه لافروكاد نفسه(١١). وقد انتشرت شائعة ضد فرنسا في سورية لإثارة الرأي العام، وهي أن سورية سوف تنزلق من بين يدي فرنسا كقطعة الصابون(١٢).

وقبيل انسحاب القوات الانكليزية بأيام أصبح الموقف خطيراً في دمشق، وأخذت الصحف تثير الناس لمقاومة الاحتلال. وخاصة جريدة المفيد التي كانت تتحدث عن وجوب الثورة ضد القوى الأجنبية، الفرنسية، والانكليزية، اللتين تعملان

(١٠) F.O. 371 /5032/ PP. 401-404

(١١) D.F.G. 7N-1640, teles (23 Sep) Beyrouth

(١٢) Ibid. (15 Nov)

لإستبعاد الأمة العربية ولتدمير الاسلام، وطالبت بعودة الاتحاد مع الأتراك، حتى يمكن الدفاع بصورة أقوى. ووزع النادي العربي مناشير بذلك، وصرح زيد بوجوب مقاومة الفرنسيين. وزعم بيكو وقوع حوادث اعتداء على بعض أصدقاء فرنسا، دون أن يلقى المعتدون العقاب، وقال في نهاية تقريره «إني أقدِّر كلية، أنه من الضروري، أن تعلن رسمياً العقوبات المقترحة سابقاً، من قبل الضباط الانكليز أنفسهم، من أجل وضع نهاية للحالة التي يتفاقم فيها الخطر أكثر فأكثر، بالنسبة لغير المسلمين وللأجانب»(١٣). وبرغم خطورة الموقف، لكننا نحن لم نعثر على حوادث اعتداء، مثلما جاء في تقرير بيكو، الذي كان يهول ويضخم الموقف، حتى يجعل حكومة تتدخل بسرعة في سورية.

وفي تقرير لمخابرات البحرية الفرنسية في ٢٤ أكتوبر / تشرين الأول /، يتحدث عن الاضطرابات في سورية وخاصة بين المعادين لفرنسا، وأنهم كانوا يهتفون بأن الوقت قد حان للعمل ضدها، وأن النادي العربي (اللجنة الثورية) في دمشق قد أرسل مسدسات وقنابل وبعثة اغتيال، لقتل بعض الشخصيات الصديقة لفرنسا في بيروت (ومن بينهم نقيب الأشراف) ومنعت الحكومة العربية دخول الجرائد الموالية لفرنسا إلى سورية، وفسر التقرير الهياج الوطني ضد فرنسا، بأنه حالة قلق واضطراب بين السكان، بينما كانت تستعد القوات الانكليزية للرحيل عن البلاد، وزعم أنه أنشىء في حلب نادٍ عربي، وبلغ أعضاؤه ١٥٠٠ رجل، وصرحوا ـــ كما يذكر التقرير ـــ بأنهم سوف يفتكون بالموالين لفرنسا في حلب، إذا وضع الانتداب الفرنسي على سورية. ودعت جريدة الراية الحلبية للحرب. ودعا التقرير إلى أن يحتل الفرنسيون حلب حتى لا تحدث المذابح(١٤). وإزاء هذه الأخبار، أصدر بيكو أوامره للجيش الفرنسي لكي يكون على أهبة الاستعداد للتحرك ضد القوات العسكرية العربية، في حالة قيام ما سمعه عن أحداث مرتقبة(١٥). كما قرر بيكو التدخل لدى علي رضا الركابي، ضد

(١٣) Ibid, (25 Oct) Picot, Beyronth

(١٤) Ibid, Note No 6, (24 Oct)

(١٥) Ibid, (24 Oct) Picot

النادي العربي الذي يرتكب أعمالاً (عدائية)، وكذلك ضد ياسين الهاشمي (روح المقاومة ضد كل تدخل أجنبي). واقترح على اللنبي أن يرسل قواته إلى دمشق، حتى يثبت للقادة العسكريين العرب، تضامن الحلفاء، ويجعلهم يكفون عن الأعمال الخطيرة، والفوضى في بلد «سوف يكون بالكامل تحت إدارتنا»(١٦).

وعبرت الصحف الأمريكيةُ كالواشنطن بوست عن خطورة الموقف في سورية، كما أن حكومة الولايات المتحدة كانت ترى أن المستقبل مظلمٌ في سورية، بعد عملية استبدال القوات. وهذا ما عبر عنه وعن خطورة الوضع أيضاً كل من قناصل أمريكا وإسبانيا وإيطاليا في ٢٤ أكتوبر / تشرين الأول / في دمشق، وأرسلوا بذلك إلى اللنبي، يبينون له مدى الخطر الذي سيحدث، مالم تتدخل قواته حالاً في هذه المدينة، ومالم تحل قوات أخرى مكان القوات البريطانية، التي سوف تنسحب. وأرسلوا أيضاً إلى حكوماتهم بذلك(١٧).

عقد المؤتمر السوري جلسة في ٢٧ أكتوبر / تشرين الأول /، قرر فيها انتداب لجنة من أعضائه، لإبلاغ معتمدي الحلفاء في دمشق، احتجاجه على الاتفاقات والقرارات التي تتخذها الدول، وتخالف وحدة واستقلال سورية، اللذين أعلنهما المؤتمر أمام اللجنة الأمريكية(١٨). واجتمع أيضاً ممثلون عن أحياء العاصمة، وتوجهوا إلى دار الامارة وقنصليات إيطاليا، وفرنسا، وأمريكا، وإسبانيا مكررين المطالب نفسها. وأخيراً تجمعوا أمام النادي العربي وألقيت فيهم الخطب الوطنية الحماسية(١٩).

وتتابعت اجتماعات اللجان الوطنية في الأحياء، واحتج المجلس البلدي لدمشق ضد اتفاق لويد جورج ــ كلمنصو. واستمر التطوع في اللجان الوطنية في كل المدن

(١٦) Ibid, (12 Nov)

(١٧) Ibid, (11 Oct) et F.O. 371 /4184/ P. 379

(١٨) جريدة العاصمة، عدد ٧١ (٣٠ أكتوبر / تشرين الأول /) ١٩١٩ والحكيم، العهد الفيصلي، ص ١١٥ ــ ١١٦.

(١٩) العاصمة، عدد ٧٤ (١٦ نوفمبر / تشرين الثاني /) ١٩١٩.

السورية . وقامت مظاهرات في العاشر من نوفمبر / تشرين الثاني / ، قدمت احتجاجاً إلى زيد ليرسله إلى فيصل في باريس ، ضد تجزئة البلاد . وأرسل زيد لفيصل صورة عن الاحتجاج ، وأخبره عن هياج الشعب ، لأن الحلفاء لم يبروا بوعدهم(٢٠) . والحقيقة إن كل هذه الاضطرابات ، والمظاهرات ، واستعداد الشعب للدفاع ، والخطب الحماسية لم تدخل في حساب فيصل ، أو تمنعه من الاتفاق مع كلمنصو ، بل كانت دافعاً للاسراع في عقد الاتفاق معه . لخوفه من غضب كلمنصو من هذه الأحداث ، ومن ثم امتناعه عن الاتفاق معه ، ولهذا أرسل رداً لزيد ، بأن المباحثات مازالت جارية ، وأن بريطانيا قبلت تشكيل لجنة لدرس الانسحاب ، وإن موقف الحكومة الفرنسية المتعنت نأجم عن شعورها بضعف سورية(٢١) . ولم يكن حض فيصل للوطنيين على المقاومة(٢٢) ، إلا تحاشياً من الاصطدام بالشعب .

ورغم كل مظاهر الخطر هذه ، بدأت القوات البريطانية انسحابها في أوائل نوفمبر / تشرين الثاني / ، بالتخلي عن بعض المراكز في طوروس وعينتاب إلى الفرنسيين . وكانت خطة بريطانيا أن تتم عملية الانسحاب دون حوادث(٢٣) .

---

(٢٠) الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ١١٥ — ١١٦ .

(٢١) F.O. 371 /4184/ P. 451.
وأيضاً العاصمة ، عدد (٦١) ٢٥ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩ .

(٢٢) في مقابلة شخصية بين خيرية قاسمية ومحب الدين الخطيب في أبريل / نيسان / ١٩٦٨ ، ان فيصلاً كان قد وجه قبل سفره تعليمات إلى بعض الزعماء ، بأن يقووا الجيش قدر المستطاع . وقال للشيخ كامل القصاب « انني انتظر منك ومن أخوانك الوطنيين ان تقوموا بحركة شعبية ، لتحويل الامة إلى أمة مسلحة وتحولوا الوطن إلى ثكنة عسكرية » .
قاسمية ص ١٦٣ .

(٢٣) القت احدى الطائرات الانكليزية مناشير الوداع على دمشق في ٢٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ، عندما انسحبت القوات الانكليزية من دمشق ، حيت فيه زيداً والهيئة الحاكمة وأهل دمشق ، وشكرت لهم لطفهم الذي أبدوه نحوهم .
العاصمة ، عدد ٧٩ ، ٢٧ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩ .
وجاء في هذه المناشير أيضاً ، أن المجال قد اتسع أمام الأمة العربية ، لتثبت وجودها في العالم ، ولتستعيد حضارتها البائدة ، ولتجدد مجدها الدائر .
الجركسي ، ص ٩٩ .

وفي هذه الأثناء وصل إلى دمشق (أوائل نوفمبر / تشرين الثاني /)، نوري السعيد موفداً من فيصل من باريس، للمداولة مع زعماء الأحزاب والجمعيات الوطنية والحكومة والجيش، والوقوف على آرائهم ومدى تقبلهم الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني. وعقد اجتماع ضم الأمير زيداً والركابي والزعيم مصطفى نعمة من قيادة الجيش، ويوسف العظمة غيرهم، من ضباط الجيش والحكومة، وحضره كذلك زعماء الأحزاب والجمعيات الوطنية. وأبلغهم نوري السعيد بكل ما حدث مع فيصل في أوروبا، وسألهم إن كانت هناك قدرة لمقاومة الجيوش الفرنسية التي ستحل محل الانكليز، فأجمع الحاضرون على المقاومة، ماعدا الركابي وقلة رأوا عدم جدوى المقاومة، ووجوب الاعتماد على السياسة. واقترح زيد سماع رأي المؤتمر السوري(٢٤).

فعقد المؤتمر جلسة في ٢٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩، (وهو يوم اعتقال ياسين الهاشمي) وأبدى الركابي وجهة نظره، بمعارضته لإتفاق الحلفاء الذي تم دون استشارة العرب، والذي هو تنفيذ لإتفاقية سايكس ـ بيكو، إلا أنه لمعرفته بموقف الوطنيين والمؤتمر وتطرفهم، قدم استقالته، لأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية الوضع. لكن زيداً طلب منه الاستمرار برئاسة السلطة العسكرية المؤقتة، على أن يرفع احتجاجاً للحلفاء، وطلب زيد من المؤتمر أن يتخذ قراراً يكون عوناً لفيصل في أوروبا. فأصدر المؤتمر بياناً في ٢٤ منه، يوجب على الأمة الدفاع ضد كل من يحاول الاخلال بوحدة البلاد، واستعمارها، والعبث باستقلالها. وكذلك اتخذ قراراً باتباع سياسة الأمر الواقع وإعلان استقلال سورية بمناطقها الثلاث، على أن يعقب ذلك إعلان الملكية الدستورية. وكانت أكثرية المؤتمر من هذا الرأي، ماعدا قلة لا يتجاوزون العشرين لزموا الصمت أمام حماسة الأكثرية(٢٥).

(٢٤) الحكيم، العهد الفيصلي، ١١٦ ـ ١١٧.
أود أن أذكر أن الحكيم كان من المعتدلين، ولم ينقد أي طرف في الحكم سواء كان الركابي أو المتطرفين، وأنا أحرص على ان أخذ منه الأمور التي يذكرها دون أن يكون لها تأويل آخر، كالتنظيم أو قيام المظاهرات أو الاحتفالات... أما الحصري وقدري فقد كانا يأخذان بجانب الرافضين لأي اتفاق مع فرنسا، وهذا ما أخذته أيضاً بعين الاعتبار.

(٢٥) الحصري، يوم ميسلون، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

←

وهكذا وقف الشعب والمؤتمر وراء وحدة سورية واستقلالها، بعيدين عن التأثر بسياسة فيصل الذي كان على وشك الاتفاق مع كلمنصو. ولعبت العربية الفتاة وحزب الاستقلال، والشيخ كامل القصاب دوراً رئيسياً في اتخاذ القرارات السابقة، وطالبوا أيضاً بتغيير الركابي الذي لا يجاريهم في خطة المقاومة. وتلقى هؤلاء خبراً من أحمد قدري عن قرب اتفاق فيصل مع كلمنصو، فعقدوا اجتماعاً في (دار البارودي) في دمشق في ٢٧ نوفمبر / تشرين الثاني /، طلب فيه القصاب توقيع ميثاق يرفض كل اتفاق يحد من سيادة الأمة ويقيد استقلالها. فوقعه الحاضرون، وأصبحت الكلمة الأولى للقصاب في سورية(٢٦).

وزاد الموقف المتوتر حدة في سورية حادثان، وهما اعتقال ياسين الهاشمي رئيس الشورى العسكرية في الحكومة العربية في ٢٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩، ووصول الجنرال غورو في الثامن عشر منه.

آ ــ اعتقال الهاشمي

ويمكن إرجاع أسباب اعتقاله إلى نقاط أربع وهي:

١ ــ تزعمه الحزب العراقي في سورية

الذي يطالب باستقلال العراق التام، مثله مثل سورية. وهذا أمر خطير ضد

← أراد الحكيم أن يعطي قيمة للقلة العشرين على أنهم المعتدلون، فقال عنهم «لقد ظهرت الحيرة على وجوه بعض النواب، وإشارات الامتعاض والتساؤل على شفاههم عن المصير، لكنهم قلة لا يتجاوزن العشرين، آثروا السكوت أمام حماسة الأكثرية الساحقة، التي كانت راضية عن التظاهرات الشعبية، بانتظار ما يأتيه فيصل من نتائج».

العهد الفيصلي، ١١٨ ــ ١١٩.

ويذكر دروزة «ان قرار الدفاع الذي أصدره المؤتمر، يشبه المثل الساذج الذي تعبر فيه الدجاجة بالصياح ضد الرجل الممسك بها، والذي سيذبحها بالسكين التي بيده الأخرى، لكنها تصيح وتضرب بجناحيها وقدميها دفاعاً عن حياتها».

انظر دروزة: ص ١٠٥.

(٢٦) قدري، ص ١٥٠.

سلطة بريطانيا في العراق. وتبدأ قصة إبعاده عن سورية من شهر يوليو / تموز / ١٩١٩، عندما شعرت القيادة البريطانية بأنه أصبح خطراً على الانكليز. فأرسلت للعراق تسأل المفوض السامي البريطاني، إذا كان يقبل بزيارة الهاشمي لبغداد لبعض الوقت، فأجاب بالرفض، لأنه قد يسبب الاضطراب فيه. وقد وصفه الضابط السياسي البريطاني في العراق، بأنه جندي ممتاز وذكي وطموح ومتعصب، ويطالب بالاستقلال التام، وهو أيضاً خطير. ووصفه المفوض السامي البريطاني في العراق في ١٩ سبتمبر / أيلول /، بأنه رئيس الحزب العراقي الذي يطالب بالاستقلال التام للعراق، وبأنه يثير القبائل العربية في العراق والجزيرة العربية ضد البريطانيين، ولهذا فإن المفوض السامي يرفض دخوله العراق بشكل قاطع[٢٧].

٢ ـ اتصاله بالأتراك وبمصطفى كمال

فبعد بأن يئس العرب من مساعدة بريطانيا لهم، وبعد أن تحققوا أن فرنسا تعمل على احتلال سورية، اتجه العرب والمسلمون بعواطفهم نحو الأتراك، وخاصة بعد ما سمعوا عن انتصارات مصطفى كمال ضد الفرنسيين. وكانت السلطات البريطانية في بغداد تدعي أن ياسين الهاشمي وجعفر العسكري، كانا على اتصال بمصطفى كمال، وأنها التقطت برقيتين مرسلتين منهما إلى مصطفى كمال في ١٩ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩، تحضانه على دعم الموقف السوري في الاستقلال، وأن لا يضيع هذه الفرصة. وجاء في نهاية البرقيتين «نحن لن نخونكم»[٢٨].

---

(٢٧) F.O. 371 /4183/ P. 477, 260

وانظر أيضاً: Kedourie, E, England and The Middle East, London 1956, P. 170

(٢٨) F.O. 371 /4184/ P. 266

انتشرت دعاية مصطفى كمال بين السوريين وخاصة في حلب. وأرسل الرسل ووزعت له المناشير في دمشق، تحض أبناء سورية لوضع يدهم بيد الأتراك، بعد ان خانهم حلفاؤهم. وكانت دعايته تقوم على إعادة العلاقات بين المسلمين العرب والمسلمين الأتراك. حتى إن فيصلاً صار في أوروبا يقول، بأنه قد يضطر لطلب المساعدة من طرف آخر وربما يعني الأتراك. وبلغت دعاية مصطفى كمال حداً، خشي معه الحسين من عودة سورية إليهم، وحذر فيصلاً من مغبة ذلك، لينبه الحلفاء ألا يرتكبوا خطأً جديداً، مثلما فعلوا في حوادث إزمير بين الاتراك واليونان. وكانت السلطة الفرنسية في بيروت تراقب اتصال العرب ←

٣ـ لوقوفه مع (المتطرفين) ضد الاحتلال الفرنسي

إذ لعب الضباط وهو منهم دوراً كبيراً في الموجة العنيفة ضد فرنسا. وكانت الدعايات والاعلانات والخطب في المساجد، واجتماعات الضباط مستمرة، وصارت صفوف المتطوعين ترى في الشوارع آتية ذاهبة إلى التدريب، وكانت السلطة البريطانية في دمشق، تعزى للهاشمي محاولته في تشكيل جيش غير نظامي، بعد أن فشل في تشكيل الجيش النظامي. كما كانت تعزو إليه توزيع الأموال على القبائل العربية بشكل علني، وكذلك توزيعه للأسلحة علناً على المتطوعين في الشوارع. بالأضافة إلى تبنيه مع العربية الفتاة، مشروع التجنيد الاجباري لمقاومة الفرنسيين. وكان الثوار على الحدود الغربية، قد أخذوا يشنون هجمات عنيفة ضد الفرنسيين، مما أشعر هؤلاء أن حرباً حقيقية، لابد أن تقوم ضدهم، وكانوا يعزون كل ذلك إلى المتطرفين الوطنيين في حكومة دمشق، ومنهم ياسين الهاشمي[(٢٩)]. وقد أرسل الجنرال اللنبي كلايتون إلى باريس في ١٠ ديسمبر / كانون الأول /، لإبلاغ فيصل عن سبب اعتقال الهاشمي، يتلخص بأن

← بالأتراك، وتنعت الحزب الشريفي بأنه متفق مع الاتراك، وأن الحكومة العربية هي نفس حكومة دمشق أيام الاتراك.

انظر: المقطم، عدد ٩٣١٨ــ٩٣١٩، ٨، ١٠ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩.

وأيضاً D.F.G. Telegramme, No 8907. 9404

وأيضاً F.O. 371 /4185/ P. 300, 390 و Gontout-Biron, P. 195

وجاء في تقرير بريطاني من سورية، أن دعاية مصطفى كال تزداد، ويزداد الشعور المعادي للعائلة الشريفية في دمشق منذ وقت. وقد حاول الأمير زيد أن يرجع لمكة، وربما كان ذلك بسبب موقفه. وإن النشاط الدائم هو لقادة الموصل (العراقيين)، ومعظمهم من مؤيدي الحركة الاسلامية التي تعني التقرب من مصطفى كال، وتركيا بحالة عامة.

F.O. 371 /4184/ 20 Nov 1919, P. 409

كانت رسالة مصطفى كال لسليمان آغا باشا من وجهاء جبل سمعان، (في منطقة حلب) التي يظهر فيها اتفاقه مع قائد الجيش العربي (ياسين الهاشمي)، الدليل الأول على وجود علاقة بين الترك والعرب. توقيع بيكو.

D.F.G. 7N-1640. 12 Nov 1919

(٢٩) F.O. 371 /4185/ PP. 330-333 و D.F.G. No 8704

الهاشمي كان قد قرر التدخل في لبنان، في الوقت الذي كانت فيه القوة الفرنسية، قليلة لا تستطيع مقاومة الجيش العربي[٣٠]!. وقد كتب لافوركاد تقريراً في ٢٦ سبتمبر / أيلول / جاء فيه، أن ياسين الهاشمي كان عضواً في اللجنة الوطنية العليا في سورية «وكان روحها، وكان على استعداد ليس لمحاربة الأوروبيين فقط، وإنما لقلب فيصل إذا تعاون معهم»[٣١]. وكان من رأي رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في لندن، أن الانكليز أبعدوا ياسين الهاشمي في الأحوال المضطربة، حتى تبقى العلاقات منسجمة طيبة بين فرنسا وبريطانيا[٣٢].

٤ ـ أما السبب الرسمي

الذي أذاعه الجنرال اللنبي عن اعتقال ياسين الهاشمي، فهو ادعاؤه بأنه خالف أوامره كقائد عام للحلفاء في سورية. ففي جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، أرسل اللنبي تقريراً مطولاً إلى وزارة الحربية في لندن يبين فيه أسباب اعتقال الهاشمي. وقد أرجعها إلى رئاسته للحزب الوطني المتطرف، ولأنه تحدى سلطاته بشكل مفضوح، واستمر على دعمه للقوات الشريفية في البقاع، مع أنه منعه من ذلك، بالاضافة إلى أن قبيلة الفضل هاجمت مفرزة بريطانية بجوار القنيطرة، وكانت قليلة حتى اضطرت للانسحاب، وأن هذا الموقف العربي في هذه الفترة كان مدعوماً من قبل ياسين الهاشمي، وباستمرار عصيانه لأوامره التي أرسلها لدمشق. وبتحديه العلني لسلطة اللنبي، قرر توقيفه ونفذه في ١٢ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩[٣٣]، مع العلم أن أوامر وزارة الحرب البريطانية، قد أمرت بإخراجه من سورية في ٢٦ سبتمبر / أيلول /

(٣٠) D.F.G. No 747

كتبت جريدة العقاب الدمشقية «إن جماهير المتطوعين تمر أمامنا عائدة من التعليم، ونحن نكتب هذه الأسطر، عشرة آلاف متطوع من ثلاثة أحياء فقط من دمشق، كان اليوم دورهم في التدريب على الرمي، وكانت تتقدمهم الموسيقى الوطنية والأعلام.

عن الحقيقة، عدد ١١٩١، ٨ نوفمبر / تشرين الثاين / ١٩١٩.

(٣١) D.F.G. 7N-1640 (26 Sep) Laforcade

(٣٢) Ibid, (24 Sep)

(٣٣) F.O. 371 /5032/ P. 159

١٩١٩، وإرساله للحاق بفيصل في أوروبا، بعد موافقة القنصل الفرنسي في القاهرة[٣٤].

واستطاع بيكو الحصول على الأمر الذي أصدره ياسين الهاشمي، وأخذ صورة منه بوساطة أحد عملائه وكان تحت رقم ١٣٣١ في ٢ سبتمبر / أيلول /. ويعتقد بيكو أنه سبب اعتقاله. ونص الأمر «سوف نضطر لمحاربة دولة كبيرة، ويجب أن نستخدم مايلي: اللواء الأول واللواء الثاني Division، مع قوات البدو والدروز، أمام قوات بيروت الفرنسية. واللواء الثالث أمام قوات الاسكندرون، والكتيبة السادسة Brigade الموجودة في حماه، وبطارية المدفعية Une battarie d'artillerie في حمص، وقوات البدو تحت قيادة رضا بك العسكري أخو جعفر، أمام قوات طرابلس مع المجندين. وسوف يسود الأمن في الداخل بوساطة الدرك والشرطة، وعلى كل قائد كتيبة أن يرسم خريطة للجبهة التي تحافظ عليها كتيبته، ويرسم الخرائط والمقاييس الضرورية ويرسل في الحال أي تطور عن كتيبته. ومن حكمة الرأي اتخذت هذا القرار وعدداً آخر مثله لقضايا أخرى، وسوف أبلغ الادارة أن تحفظه بسرية تامة»[٣٥].

وطريقة الاعتقال هي أن ياسين الهاشمي، دعي إلى دار القائد البريطاني في دمشق لتناول الشاي، وهناك أخذته سيارة عسكرية بريطانية إلى الرملة في فلسطين، ونقل إلى حيفا، وبقي معتقلاً فيها، حتى الرابع من ماي / أيار / ١٩٢٠. وكان لإعتقاله أثر سيء على نفس فيصل، الذي طالب بإطلاق سراحه بالحاح، وقد استشار اللنبي (غورو) أكثر من مرة، عن إطلاقه، لكن غورو كان يرفض. وأرسل اللنبي إلى وزارة الحربية رسالة (غريبة) يزعم فيها أن فيصلاً يطالب بتسليمه ياسين الهاشمي،

---

(٣٤) Ibid يذكر لافروكاد في تقريره السابق، أن القائد العام استدعى ياسين الهاشمي إلى القاهرة ليجدد له أوامره (أي اللنبي)، ولم يكن يريد أن يعزله أو يقتله، حسب نصيحة لافروكاد والضابط السياسي البريطاني في دمشق.

D.F.G. 7N-1640, (26 Sep)

(٣٥) D.F.Aff. Etr, Levant, 18 (8 Aout) PP. 89-90

لمحاكمته كمتهم بأموال ومواد الجيش السورية[٣٦]. لكن الهاشمي لم يحاكم بعد إطلاق سراحه بهذه التهمة، بل صرح شخصياً أن لسانه كان السبب في ما أصابه[٣٧]، ولم يوضح السبب. بينما يذكر تقرير فرنسي الرواية المذكورة بشكل مختلف قليلاً، فقد جاء في رد غورو على اقتراح اللنبي عليه بإطلاق سراحه وإرجاعه لدمشق، أن اعتقاله جرى من قبل الانكليز مباشرة، وأنه لأسباب كثيرة قد اعتقل، منها إثارة القلاقل ضد قوات الانكليز. ونظراً للحالة المضطربة في دمشق (ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩) ضد الانكليز والفرنسيين على السواء، فإن رجوعه إلى دمشق الآن خطر، وعلى كل فالانكليز هم الذين اعتقلوه، وهم المسؤولون، وطلب غورو إرسال جوابه هذا إلى لندن[٣٨].

وفي تقرير لماينر تزهاغن، أن إرجاع الهاشمي إلى دمشق في الوقت الحاضر سوف يجعل القوميين العرب يجدون فيه تلك النوعية التي يفقدونها الآن، وسوف يكون رجوعه إشارة لفتح عداء ضد الفرنسيين، وربما يقوم اتحاد بينهم وبين الأتراك[٣٨ب].

أما مطالبة فيصل به فقد جاءت في التقرير الفرنسي كما يلي: قال فيصل، بأن ياسين الهاشمي مذنب بارتكاب أخطاء معينة (se soit en effet rendu coupable de certains mefaits)، لكنه في هذه الحالة فإن فيصلاً وحده هو الذي يحاكمه. وكان السبب هو دوافع عسكرية، قد يكون بها خطر على قوات الحلفاء في سورية، كانت تحركها حركات ياسين الهاشمي، كما أن لعلاقته بمصطفى كمال سبب. واقترح فيصل،

(٣٦) F.O. 371 /5032/ P. 159

(٣٧) أمين سعيد، ج ٢، ص ١٠٤. وأتى في الصحيفة نفسها على لسان الهاشمي «إذا اردتم أن تقوموا بالواجب، فكموا أفواهكم، وإذا أردتم الدفاع عن أوطانكم، والحرية الكاملة لأيديكم، فاتركوا الكلام. إن السبب في ما أصابني هو لساني. ولم يعرف سبب اعتقاله، وربما كان من تدخله بالعراق وبالثورة ضد الانكليز، وربما لتنظيمه جيشاً في سورية ووضعه الخطط لغزو المنطقة الغربية».
عندما عاد فيصل من أوروبا وجد شوارع دمشق مغطاة بعبارة «أين قائد جيشك يا أمير». الجركسي، ص ٨١.

(٣٨) D.F.Aff, Etr, Levant, 20 (18 Dec) P. 83

(٣٨ب) Documents, IV, (13 Jan) P. 613

تشكيل لجنة من ثلاث مندوبين عسكريين، من جنسيات ثلاث، لتقرير مصير الهاشمي، ثم يوضع قرار الاتهام بين يدي فيصل لتقرير مصيره وقال فيصل بأن ليس لأللنبي سلطة حتى يعتقله(٣٩). ونحن لم نجد حقيقة في هذه المزاعم، ولم يحاكم فيصل ياسين بعد إطلاق سراحه.

والجدير بالملاحظة أن التهم التي وجهت للهاشمي، كانت كلها من مصادر بريطانية وفرنسية. وتخلو المصادر العربية من إعطاء الهاشمي أية صفة خاصة، أو عمل قام به ضد الفرنسيين والبريطانيين، حتى أنه شخصياً لم يكن من قيادة العهد العراقي، ولم يكن بارزاً في حزب الفتاة أو موجهاً رئيسياً لها، ولم تذكر الجرائد والخطب في النوادي أية كلمة للهاشمي، حتى أنه لم يلعب دوراً في حوادث دير الزور ضد الانكليز — كما سيمر معنا — ولم يخالف أوامر اللنبي لأنه لم يكن المسؤول الأول في سورية، فهناك اللجان الوطنية وهناك رسمياً زيد والركابي. ولذا يمكن إرجاع اعتقاله، إلى أن فرنسا وبريطانيا لا تريدان شخصاً عراقياً في وزارة سورية، رفضاً لأية وحدة قد تحدث بين العراق وسورية، لأن الهاشمي كان الوزير الوحيد من غير السوريين، ولأن اعتقاله تم بعد اتفاق لويد جورج — كلمنصو.

وعند اعتقال الهاشمي أغلقت دمشق أبوابها، وقامت المظاهرات وصدرت الصحف مطوقة بالسواد، واحتجت الهيئات الوطنية إلى معتمدي الدول على هذا العمل المخالف للأصول الدبلوماسية، لأنه جرى بغير علم الحكومة، ولأنه ضد إرادة الشعب في الوحدة والاستقلال. وكان هذا دليلاً آخر، على تمسك الشعب وإيمانه بالوحدة (العربية).

---

(٣٩) D.F.G. 7N-1640 (7 Dec)

وفي تقرير فرنسي آخر، أن ياسين أصدر أوامره بفرض التجنيد الاجباري في الجيش العربي لـ ١٢ ألف رجل، وأن السلطات البريطانية ألقت عليه القبض لاشعار آخر، وأن المعونة البريطانية ستتوقف عن سورية، وقد اعتقل الهاشمي لاستجوابه. وتفكر (W.O) (وزارة الحرب) بنقله إلى لندن كي يحاسبه فيصل، وفي الحقيقة هذا يعني عدم عودته إلى سورية، ويمكن اعتبار أعمال ياسين من وحي فيصل، لمقاومة الاحتلال الفرنسي.
D.F.Aff. Etr, Levant, 18 (24 Sep) P. 40

ويجدر هنا أن نذكر حادثة خطيرة ضد الانكليز، حدثت في منطقة دير الزور كان لها سبب من أسباب أخرى، يتعلق باعتقال الهاشمي، ونشاط الضباط العراقيين العاملين مع فيصل في سورية، لتحريك ثورة في العراق من دير الزور. وكانت دير الزور أيام الحكم العثماني متصرفية مستقلة، ليست تابعة لسورية أو للعراق، أو بالأحرى لم تتبع حلب أو الموصل. وكانت الحكومة العربية في دمشق قد أرسلت حاكماً لها من حلب، إثر احتلال سورية، لكن الانكليز حكموها مباشرة، وأرسلوا لها قوة مع ضابط سياسي من بغداد، وحكمها على أنها ظلت لا تتبع سورية أو العراق. ورفضت السلطة البريطانية في بغداد أن تتبع دير الزور سورية، ولم تستجب لطلب حكومة دمشق لحكمها، كما رفضت أن تتبع منطقة البوكمال، وهي تابعة لدير الزور، إلى المنطقة (A) سورية، لأنها واقعة وراء الفرات(٣٩ب).

في ١١ ديسمبر / كانون الأول / أي بعد اعتقال الهاشمي، تحرك رمضان شلاش (وهو من دير الزور وكان ضابطاً في الجيش العثماني)، وقاد ثورة من عشائر المنطقة ضد الانكليز في دير الزور، فاحتلها وأسر القوات الانكليزية فيها. وكان سبب ثورته كما صرح به هو نكوص الانكليز للحسين وخيانتهم لعهودهم مع العرب. وبتدخل فيصل والحكومة العربية تحت ضغط الانكليز، انتهت ثورة شلاش، وعاد إلى دمشق وبقي فيها تحت رقابة فيصل، الذي صرح بذلك للانكليز. ولام فيصل أخاه زيداً لتعيينه شلاش في دير الزور، ثم عين بدلاً منه مولود مخلص، وهو ضابط عراقي، فأصبحت دير الزور من جديد مركزاً للعراقيين، حيث ثاروا ضد الانكليز عام ١٩٢٠(٣٩جـ). واعتبرت الحكومة الانكليزية حادثة احتلال دير الزور، كانت بتخطيط من الحزب العربي بقيادة شلاش. لكنها كانت تشك في أن يكون فيصل على علم بها، لكنها كانت تشير لزيد بالاتهام، وأنه وقع تحت تأثير ياسين الهاشمي، وكان على علم بالحادث، هذا إن لم يكن

(٣٩ب) F.O. 371 /3386/ (21 Dec 1919) P. 156, et 3385/ 24 Nov 1918, P. 404. et 4479/ 9 Dec 1919, P. 253.

(٣٩جـ) جريدة الدفاع، دمشق (عدد ٣٤) ٩ فقريه / شباط / ١٩٢٠ والمقطم عدد ٩٣٧٤، ١٦٠ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ وجريدة العاصمة (دمشق) عدد ٨٧، ٢٥ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩.

هو قد أصدر أمراً بذلك. «ولم يعرف حتى الآن من هو المجرم من الادارة العربية» حسب التعبير الذي ورد في النص البريطاني[٣٩د]. وكان من رأي المخابرات العسكرية الفرنسية في سورية، أن حكومة الرقة (مدينة إلى جانب دير الزور) العربية، هاجمت دير الزور، وسجنت الضباط الانكليز، وانسحب البقية إلى عانه في العراق. وكان هذا «ضد اعتقال ياسين الهاشمي، العراقي»[٣٩هـ]. وذكر العمري في كتابه عن مقدارت العراق السياسية، أن رمضان شلاش كان على اتفاق مع الضباط العراقيين في سورية، وأنهم دفعوه للعمل ضد الانكليز تمهيداً لإشعال ثورة في العراق[٣٩و]. كما ذكر علي جودت (ضابط عراقي) في مذكراته، أن ياسين الهاشمي هو الذي حرض شلاش على الثورة[٣٩ز]...

وكانت نتيجة لهذا الحادث، أن تخلت بريطانيا عن دير الزور، وتركتها لسورية، ولم تضمها للعراق خوفاً من الثورة ضدها. وكانت هذه الثورة وإن كانت صغيرة، دليلاً على أن الانكليز كانوا بالفعل يستحقون الثورة ضدهم قبل الفرنسيين، لولا سياسة فيصل وتعلقه بهم.

ب ــ وصول الجنرال غورو إلى بيروت

أما الحادث الثاني فهو وصول الجنرال غورو إلى بيروت في ١٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩، وقد استقبله فيها المسيحيون من أنصار فرنسا استقبالاً حافلاً، إذ عقدوا عليه الآمال العريضة في فصلهم عن سورية. وأعلن في الوفود التي أتت تستقبله، بأنه وإن كان أتى إليهم كأحد أحفاد الصليبيين، فإنه أيضاً من أبناء الثورة الفرنسية[٤٠].

(٣٩د) Documents, vol IV, (12 Dec) P. 591.

(٣٩هـ) D.F.G. 7N-1640, 16 Jan 1920.

(٣٩و) ج ٣، ص ٣٣٦، عن سليمان موسى الحركة العربية، ص ٥٣٢.

(٣٩ز) ذكريات، ص‌ص ٩٠ ــ ٩٦، عن سليمان موسى الحركة العربية، ص ٥٣٢.

(٤٠) Pierre Lyautey, Gouraud, Paris, 1914, P. 193

«أفرح تعيين غورو ووضع كل القوات تحت تصرفه، أصدقاءنا، وأدخل القلق إلى الآخرين».
تقرير من المخابرات البحرية الفرنسية.

←

وكان يحمل في ذهنه صورة واضحة للعداء الذي سوف يقابله به العرب في سورية.

وكان كلمنصو وغورو صديقين منذ معركة (شالون) والجيش الرابع. وقرر كلمنصو أن يعهد إلى صديقه بعمل سياسي منذ تلك الفترة، فاختاره لهذه المهمة في سورية. وفي حفلة وداعه في فرنسا قال له كلمنصو «مهمتك أن تبني في البحر المتوسط مركزاً للاشعاع الفرنسي»، وخاطبه قائلاً «هذا الرجل الذي يلبس الكاكي مثلك، يجب أن يرسل إلى لبنان. ولنضع جندياً شجاعاً من لدنا، في كل مكان يوجد فيه رشاش بريطاني. واني أعرف أنك لم تختر الذهاب هنالك، ولكنْ هناك نوعين من الرجال: هؤلاء الذين يفكرون بأنفسهم قبل التفكير بوطنهم، والآخرون، وأنت منهم، اذهب...». وقال بيشون وزير الخارجية الفرنسية إنه في إرسال واحد من أعظم جنودهم المنتصرين إلى لبنان إظهار لإرادتهم في أن يُري السوريين المنافع التي يحملها إليهم[٤١].

وكان بيكو قد أرسل للحكومة الفرنسية في ٢٥ أكتوبر / تشرين الأول /، يقترح أن يُعيَّن قائد عسكري في المنطقة، حتى يظهر للعسكريين السوريين صلابة الحلفاء، ويجعلهم يعرفون المسؤولية الخطيرة التي يحملونها، إذا مست الأوامر، أو سادت الفوضى في بلد، سوف يكون كلية تحت إدارتهم (الفرنسيين)[٤٢].

أما غورو نفسه، فقد أراد أن يظهر مهمته على أنها مجرد استبدال القوات الفرنسية بانكيزية تساويها في العدد وحسب طلبه. وأخفى مهمته الحقيقية في احتلال سورية. فأعلن أن قواته لن تدخل إلى داخل سورية، وأما انتداب فرنسا على سورية

→ D.F.Aff. Etr, Levant, 18 (15 Oct) P. 146.

وفي تقرير آخر: كان لتعيين غورو وقع حسن، وخاصة في وقت يتسلح فيه العرب من قبل الانكليز، وحتى نواجههم.

D.F.G. 7N-1640, 20 Nov.

(٤١) Ibid

(٤٢) D.F.G. Telegramme, No 8711

فسيكون لطيفاً مرناً ، يعتمد على خصائص الحالة فيها ، وأنه سوف يتبع سياسة العدل التي اتبعها سابقاً في المغرب ، والتي أكسبته عدداً من الأصدقاء في العالم الاسلامي ، مع أنه مسيحي كاثوليكي ، ويرى أن الكاثوليكي يمكن له أن يحمل المسلمين على حبه إذا كان عادلاً . وقال إنه لم ير فيصلاً إلا في استراسبورغ ، حيث قلده وساماً ، ولم يكن يخطر بباله أن الأقدار ستجمع بينهما في سورية . وصرح لجريدة بيتي باريزيان بأنه رأى من الواجب ، أن يقبل بالمهمة التي فوضت له في سورية ، منذ رأى كلمنصو الذي يعتقد أن خدماته نافعة للشرق ، نظراً لصداقته للمسلمين . واختار صحفياً اسمه (روزر تودي كاي) سكرتيراً له ، وهو في الوقت نفسه صديق لفيصل[٤٣] .

لكن مهمته الحقيقية لم تخف على معظم السوريين ، الذين كانوا على علم بأنه انما أتى لاحتلال سورية . وقد قابلت الصحافة في دمشق والمدن الأخرى قدومه ، باستنكار شديد ، واعتبرته انذاراً بالخطر الحقيقي ، الذي سيقدم عليه الفرنسيون في سورية . فكتبت جريدة المفيد الدمشقية ، بأن وصول غورو مع ثلاثين ألف جندي ، يظهر النية السيئة لهذه القوة ، والواجب على الوطنيين اصطياد الأجانب بطلقات الرصاص . ودعت جريدة الطبل الدمشقية في ٢٣ نوفمبر / تشرين الثاني / ، كل الشرق لحمل السلاح . وكتبت جريدة الأردن في ١٥ نوفمبر / تشرين الثاني / ، «بأن الدم سيسيل كالنهر مع الحقد المجنون ، حيث تقوم معركتنا التي سوف تقرر استقلالنا . وقالت : إن الجنرال غورو معروف بنشاطه وقسوته وبسفك الدماء ، لقد أتم ذلك في مراكش ، وان مآثره الواضحة ، تكشف عن اتحاد هذه الصفات المخيفة في شخصه» ،

---

(٤٣) عن جريدة المقطم ، عدد ٩٢٩٧ ، ١٤ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩ .
أرسل كلمنصو إلى بيكو وسفرائه في الدول الأخرى ، كتباً عن سفر غورو إلى بيروت ، في ١١ نوفمبر / تشرين الثاني / ، ومهمته هي تنفيذ قرارات مؤتمر الصلح ، باستبدال القوات . وتؤكد الحكومة الفرنسية لسورية ، والعراق ، وأقطار الشرق المحررة بنصر الحلفاء ، النظام الحر القائم على مبادىء الحرية في سياستها ، والمتفقة مع مبادىء مؤتمر الصلح ، بأنها ستحقق رغبات وإرادات ومصالح الشعوب .
D.F.Aff. Etr. Levant, 19 (10 Nov) PP. 37-38
وانظر Salibi, P. 164

وقالت الجريدة نفسها في ٢١ منه «الكل يشعر بالخوف من بغيه، فلماذا إذن تقرر أن يرسل غورو، ذلك العسكري الدموي، لمهمة مساعدة سياسية؟»[٤٤].

والحقيقة أن خوف السوريين من احتلال الفرنسيين المتوقع لسورية، كان في محله، إذ أثبتت وثائق وزارة الحربية الفرنسية[٤٥]، أن فرنسا قد قررت احتلال سورية قبل عقد الاتفاق بين كلمنصو وفيصل. فسواء أكان فيصل قد قبل بهذا الاتفاق، أو أقنع الشعب بقبوله، أو رفض ذلك، فإن الخطط كافة قد وضعت في قيادة الجيش الفرنسي، لاحتلال سورية وخاصة بعد اتفاق لويد جورج ـ كلمنصو في ١٣ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩. ويبدو أن غاية كلمنصو، كانت إضفاء صفة الشرعية على احتلال سورية عن طريق اتفاقه مع فيصل. ففي السابع من أكتوبر / تشرين الأول / عقد اجتماع حربي برئاسة المارشال فوش، تقرر فيه تحديد عدد القوات الفرنسية اللازمة لتحل محل القوات الانكليزية (ولاحتلال سورية أيضاً). وقد أرسل القرار إلى كلمنصو فوقعه في ٩ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩١٩، (وكان فيصل لا يزال في لندن) وهذه هي القوات التي سترسل إلى سورية: ٢٥ لواء ١٠ ـ ١٢ سرية (كوكبة) خيالة، ١٤ بطارية (سرية) مدفعية، ٥ كتائب هندسة، كتيبة دبابات، مجموعة مدافع محمولة، وحدات خدمات.

وأعطى وزير الحربية الفرنسية أمراً إلى الجنرال (دي سبيري)، ليرسل فوراً إلى لبنان: ٩ ألوية مشاة، ٢ ـ ٤ فرقة خيالة، ٨ بطاريات مدفعية، كتيبتي هندسة، سرب طيران واحد، أربع كواكب خيالة جزائريين حين يتم استعدادها، وخدمات.

---

(٤٤) Gontont-Biron. P. 332

جاء في عدد من جريدة المفيد رقم ٢٣٢، ١٣ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩، كما هي مترجمة بالوثائق الفرنسية، عن وصول غورو مع خمسين ألفاً من الجنود، لاحتلال سورية، ودعت إلى وجوب المقاومة «رغم حبنا للسلام. لكن بذلك، وبتلك الصراحة، نتجنب الخطر الذي يمتد ويتفجر».

D.F.Aff. Etr, Levant, 19, PP. 116-118

وانظر الوصف المخيف لوصول غورو، واجتماع الناس في النادي العربي في دمشق، وإلقاء خطبة «غورو لن تدخلها إلا على هذه الأجساد». علي الطنطاوي، دمشق، ص ٩٩.

(٤٥) D.F.G. Telegramme, No 8563

وتوضع هذه القوات بأمرة الجنرال غورو، وترسل له سريعاً دون تأخير. أما غورو نفسه فكان قد طلب ٩ ألوية، ٣ كواكب خيالة، ٢ ــ ٣ كتائب هندسة، كتيبة آلية، مع عناصر الاتصال والخدمات. وقبلت القيادة الفرنسية إرسال بطاريتين من عيار ١٠٥ بدلاً من عيار ٦٥، وإلحاقهما ببطاريتين جبليتين (مدفعية) بناء على طلب غورو(٤٦).

موقف غورو ودمشق

كان على غورو السيطرة على الموقف، وإنهاء الثورات التي قامت على الحدود الغربية (مع لبنان) ضد القوات الفرنسية، ريثما يستكمل قواته التي طلبها، وريثما يصل الساسة الفرنسيون لغايتهم بعقد اتفاق مع فيصل. وكانت الثورات قد اشتعلت على الحدود الغربية منذ شهر ماي / أيار / ١٩١٩، في انطاكية بزعامة صبحي بركات الذي قام بعدة غارات على الجيش الفرنسي، وظلت ثورته قائمة حتى أوت / آب / ١٩٢٠، حيث رضخ للفرنسيين(٤٧). وشملت الثورات كل المناطق الشمالية والغربية، حتى وصلت الجزيرة الفراتية في منطقة جرابلس على الحدود الشمالية، حيث احتل الثوار محطات السكك الحديدية.

وفي تل كلخ قامت الثورة في أواخر ١٩١٩، احتجاجاً على رفع العلم الفرنسي عليها، وضمها لمنطقة جبل العلويين. وكان الثوار على صلة باللجان الوطنية في دمشق، وعندما اشتدت عليها حملات الفرنسيين اضطروا إلى النزوح إلى دمشق(٤٨).

لكن حوادث (الحولة) التي قادها الأمير محمود القاعور في ١٢ أكتوبر / تشرين الأول / كانت أشد أثراً على العلاقة بين الفرنسيين والحكومة العربية، لأن

---

(٤٦) Ibid والأمران موجودان أيضاً في رقم
D.F.G, 7N-1640, No 9109-9110 BS3

(٤٧) إحسان هندي، ص ٦٩ ومايليها. انظر الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٦٨.

(٤٨) قدري، ص ١٣٤، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٦٩، أمين سعيد، ج ٢، ص ١٠٧، هندي، كفاح، ص ٨٩ ومايليها.

الفاعور عضو في المؤتمر السوري، ومنطقته قريبة من دمشق، وكانت المعارك شاملة لقرى المنطقة، التي قامت خلالها حوادث طائفية، أدت إلى قتل نفوس كثيرة، وإحراق قرى كاملة، ونهب ما فيها(٤٩).

وقامت أيضاً ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين في ماي / أيار / ١٩١٩، وجرت معارك كثيرة بين رجال الشيخ صالح العلي والفرنسيين استمرت حتى سنة ١٩٢٢. وقد ساعدت الحكومة العربية الشيخ صالح بمده بالسلاح والأموال، كما ساعده إبراهيم هنانو وهو عضو في المؤتمر السوري، في أثناء ثورته في جبل الزاوية في شمال سورية، وساعده أيضاً مصطفى كمال عن طريق هنانو(٥٠).

وكان الفرنسيون يتذرعون بهذه الحوادث، وبحجة حماية القرى المسيحية، ويرسلون القوى الكبيرة، ويدمرون القرى ويفرضون الغرامات الكثيرة، ويؤلبون شعور المسيحيين اللبنانيين ضد الحكومة العربية. وقد أصدر السكان المسلمون في المنطقة، بيانات كثيرة عن إخوتهم للمسيحيين، داعين إلى عدم الاستماع للفرنسيين، الذين يثيرون المشاعر الطائفية، حتى يكونوا هم المنتصرين باستعمال مبدأ (فرق تسد)(٥١).

وكانت الخطورة كامنة في منطقة الأقضية الأربعة (البقاع، بعلبك، حاصبيا، راشيا)، التي طالب بها الوفد اللبناني، لضمها إلى لبنان (وهي لسورية)، كما أقرت

(٤٩) هندي، كفاح، ص ١٠٣، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٦٩ وقدري، ص ١٣٤. انظر تقريراً عن حوادث الصدام بين العصابات الوطنية والفرنسيين في:
D.F.Aff. Etr, Levant, 21 (20 Dec) PP. 192-195
وكذلك انظر تقرير ماينر تزهاغن عن هذه الأعمال بشكل متعدد ومطول.
Documents, vol IV, (13 Jun) PP. 613-615

(٥٠) هندي، كفاح، ص ٥٧ والحكيم العهد الفيصلي، ص ١٦٦ وقدري، ص ١٣٣ــ١٣٥ وقاسمية ص ٢٢٨.
و D.F.G. Tel No 3227-8 et 5179

(٥١) أمين سعيد، ص ١١٢
D.F.G, Telegramme, 9655-85, 9723

اتفاقية لويد جورج ـ كلمنصو في ١٣ سبتمبر / أيلول / أن تدخلها القوات الفرنسية ، لذلك كانت منطقة حساسة متنازعاً عليها بين الفرنسيين والسوريين . وفي راشيا جرت محاولة قتل بيكو ، وكان برفقة الأميرال (موريني) قائد الأسطول الفرنسي في أواخر أوت / آب / ١٩١٩ ، إذ هاجمهما نفر من شباب المنطقة بعد علمهم بمحاولة ضمها إلى المنطقة الفرنسية ، فنجا بيكو وجرح موريني جراحاً خطيرة ، لكن السلطة الفرنسية لم تذع الخبر ، حرصاً على إبقاء دعايتها بتعلق اللبنانيين بالفرنسيين ، غير أنها جردت حملة كبيرة على المنطقة(٥٢) ، واعتقلت كثيراً من الناس ، وقتلت عدداً آخر وضربت القرى بالمدافع ، ففر قسم من السكان ، وصلوا إلى الشام بحالة بائسة(٥٣) . ولم تهدأ الثورة هناك حتى عام ١٩٢٢ .

وأراد غورو تطبيق اتفاق استبدال القوات ، فحاول احتلال منطقة البقاع بكاملها ، إلا أن اللنبي طلب منه رسمياً في ٢٦ نوفمبر / تشرين الثاني / ، تأجيل الاحتلال حتى الواحد والعشرين من ديسمبر / كانون الأول / ، حتى لا تحدث اصطدامات مع الجنود العرب . فاعترض غورو وقال ، إن أوامر حكومته تقضي باحتلال كل المنطقة الزرقاء ، فرجاه الجنرال (كونغريف) البريطاني ، أن يؤجل ذلك حتى يتلقى اللنبي جواباً من وزارة الخارجية البريطانية بذلك ، وحتى يعتبر ذلك عملاً طيباً في دمشق ، كما يدعي المصدر الفرنسي . وشكا غورو من عداء فيصل لفرنسا ، وأنه يثير الأعمال العدائية ضدها ، وأن (السلطات الشريفية الغربية) ، تبذل كل جهدها لمنع الفرنسيين من احتلال البقاع(٥٤) .

ودار جدل بالمراسلات البرقية بين اللنبي وغورو على احتلال الفرنسيين للبقاع ، وكان اللنبي لا يزال يعتبر نفسه المسؤول عن أمن المنطقة ، وعن حسم النزاع بين الفرنسيين والعرب ، بينما كان غورو يصر على احتلال كل المنطقة الواقعة غرب خط

---

(٥٢) D.F.G. Telegramme, 9655-58, 9723

(٥٣) انظر قدري ، ص ١٣٤ ، وأيضاً هندي ، كفاح ص ١٠٣ ومايليها .

(٥٤) D.F.G. Telegramme, No 9655-8, 9723

سايكس ــ بيكو . وأرسل غورو لحكومته عن شكه ، بأن اللنبي سيسمح له في وقت من الأوقات باحتلال البقاع ، لكنه أمام الوضع الخطير ، سيكون من المستحيل عليه أن يعمل برأي اللنبي(٥٥) .

ويبدو أن غورو كان مصمماً على احتلال البقاع ، فتجاهل برقية فيصل من باريس في ١٧ نوفمبر / تشرين الثاني / إلى زيد ، حول اتفاقه مع كلمنصو ، القاضي بتشكيل لجنة مشتركة في منطقة البقاع ، وإبقائها تحت الادارة العربية . ويبدو أن هذا الاتفاق لم يرق لغورو ، لأنه سيمنعه من احتلال البقاع مباشرة ، فأخر البرقية التي أرسلت عن طريقه ، ولم يسلمها لزيد إلا في آخر الاسبوع الأول من ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ ، عندما علم في ذلك الوقت باعتراض اللنبي على الاحتلال .

أما اللنبي ، فيبدو أن الأوامر صدرت إليه أخيراً بوجوب إجلاء الجنود العرب عن البقاع ، وتسليمها للفرنسيين ، فأرسل في ٢٨ نوفمبر ضابطاً إلى الأمير زيد ، أبلغه بحضور نوري السعيد ورضا الركابي ويوسف العظمة المعتمد العربي في بيروت والكولونيل كوس ، أن الجيش الفرنسي سيحتل البقاع و (الأقضية الأربعة) ، ولذا طلب منهم بشكل قاطع أن يخلي الجيش العربي المنطقة . وبرر اللنبي أمره بأن الاحتلال مؤقت ، حتى يبت مؤتمر الصلح في مصير البلاد(٥٦) .

فقررت الحكومة السورية إيفاد نوري السعيد لمقابلة غورو في بيروت ، والتفاهم معه على هذه المسألة . وتم الاتفاق بين الطرفين على أن تحتل قوة عسكرية فرنسية

---

(٥٥) Ibid, 9718-9721
و D.F.Aff, Etr, Levant, 19 (30 Nov) PP. 217
رسالة من كلمنصو إلى غورو 222

(٥٦) قدري ، ص ١٤٣ ، والحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ١٢٠ جريدة العاصمة ، عدد ٨٠ ، ١ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ .

(رياق) فقط، وترسل ضابط ارتباط فرنسي مع قوة فرنسية صغيرة رمزية، لكل من المدن الأخرى(٥٧).

وكان تساهل غورو نتيجة لإتفاق فيصل ــ كلمنصو الخاص بمسألة استبدال القوات في الأقضية الأربعة. لكن لم يأت الأول من ديسمبر / كانون الأول /، حتى احتلت القوات الفرنسية الأقضية الأربعة، وأوضح الكولونيل كوس للركابي، بأن هذا الاحتلال تدبير مؤقت، لا يدل على تجزئة البلاد، وتلا عليه قرار غورو القاضي بإبقاء حامية عربية في بعلبك، إلى جانب الحامية الفرنسية، وكذلك في كل المناطق التي يمر بها الخط الحديدي، أما المنطقة الشرقية، فتظل حكومتها مسؤولة عن الأمن داخل حدودها، دون تدخل الجيش الفرنسي، إلا إذا قضت الضرورة مساعدة الحكومة العربية وبطلب منها(٥٨). وكانت ردة الفعل عنيفة في دمشق ضد الاحتلال الفرنسي للبقاع، فاجتمعت اللجان الوطنية، وهاجمت بعنف كل اتفاق يقوم به فيصل مع الفرنسيين، فأرسل له زيد يستحثه على العودة سريعاً، بعد أن وصل الموقف إلى درجة

---

(٥٧) داغر، ص ١١٦ و D.F.Aff. Etr, Levant, 19, (6 Dec) P. 245

يصف داغر في مذكراته نوري السعيد «بأنه كان معجباً وميالاً إلى الانكليز، منذ اتصاله بهم في (رابغ) مدينة على البحر الأحمر، أثناء الثورة العربية، وكان يعجب بكل ما هو أجنبي. وكان الشعب قد عرف ذلك ووصفه بالخيانة، واعتبر كل شر يصيب البلاد ناتجاً عن خيانته. حتى كان الأمر يصل إلى حد التحرش به. وكان على صلة وثيقة بغورو، حتى إن الأخير قرر مقابلة فيصل لتسليم نوري السعيد مقاليد الحكم، لأنه لا يستطيع ان يصبر أكثر على أعمال الحكومة السورية». داغر، ص ١١٣. ويؤكد قول داغر برقية من غورو في ٢٧ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ يقول فيها «إن الجنرال نوري السعيد، هو الوحيد من أعضاء الحكومة العربية الذي يعمل قولاً وفعلاً للتفاهم معنا، وأن رغبته الطيبة بالاتفاق معنا سوف تدوم».
D.F.G. Telegramme, No 1766

(٥٨) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢١، العاصمة عدد (٨٢) ٨ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٢ وأوراق محب الدين الخطيب.
و D.F.Aff. Etr. Levant, 19 (27 Nov) P. 171
وهي رسالة من كلمنصو إلى غورو خاصة بمنطقة البقاع، وحدث قتال بسيط بين الجنود الفرنسيين و (الشريفيين)، في أثناء دخول الفرنسيين لبعلبك، وكان على رأس القوة الكولونيل دولاموت De la Motte
D.F.G. 7N-1640, 20 Dec 1919.

الانفجار[٥٩]. وكان التطوع يمضي سريعاً في سورية، منذ الخامس من سبتمبر / أيلول /[٦٠].

وحاول الركابي تهدئة الحالة، وهو المعروف بالاعتدال وتقدير العواقب، لأنه يعرف عدم جدوى المقاومة أمام القوات الفرنسية. فأذاع بياناً على الشعب في ٥ ديسمبر / كانون الأول /، بين فيه الاتفاق مع غورو الذمكورآنفاً. وأعقبه في اليوم التالي بآخر نشر في جريدة العاصمة، أوضح فيه ان الجنرال غورو صرف النظر عن احتلال الأقضية الأربعة، واكتفى بإرسال ضابط فرنسي واحد، للاشراف على المهمات التي اشتراها الفرنسيون من الجيش الانكليزي في رياق، وآخرين لبعلبك وراشيا، لأن كلمنصو عدل عن خطة احتلالها، أملاً في الوصول إلى اتفاق عن سورية كلها مع فيصل. ولذا لا يريد أن يعكر أحد المفاوضات، باحتلال هذه المدن الصغيرة[٦١].

إلا أن اتفاق الحكومة مع غورو، وموقف الركابي ومن يسانده من المعتدلين لم يلق القبول من الوطنيين القائلين بوجوب الدفاع ضد أي احتلال، وعارضوا الركابي، والتفوا حول زيد لجذبه إلى صفهم وسياستهم. ولم يقف هذا الانقسام بين الحكومة والمتطرفين عند هذا الحد، بل تعداه إلى المؤتمر السوري، الذي يشكل الوطنيون الأكثرية فيه، فأراد (المؤتمر) أن يفرض سيطرته على الحكومة، أو ينزع الثقة منها، إلا

(٥٩) Documents, Ser 1, vol IV, P. 614
الحكيم، العهد الفيصلي، ١٢١ وانظر Yale, P. 338 صور الوضع الكولونيل ماينر تزهاغن في تقرير له من القاهرة في ١٩ ديسمبر / كانون الأول /، إلى اللورد كرزون، بأن النقمة الشعبية ضد الأسرة (الشريفية) قد ازدادت بسرعة، لاعتدالها أمام المطالب الفرنسية، ومحاباتها للبدو الحجازيين، وفشلها في استمالة فئات الشعب، ولم يعد لاسم الحسين وزن في سورية ... كما أن بعض الأعيان قد تقربوا من فرنسا، على أمل تأمين مستقبلهم، إذا جاءت فرنسا إلى البلاد.

عن خيرية قاسمية، ص ١٧٠.

(٦٠) انظر David, P. 85
وأيضاً Longrigg, P. 95

(٦١) العاصمة، عدد (٨٢) ٨ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، أوراق محب الدين الخطيب (لدى قاسمية). انظر الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٠ ـــ ١٢٥ وقدري، ص ١٤٣ ـــ ١٤٤.

أن ذلك لم يتم ولم يكن لقراراته قيمة فعلية، ولم يكن أكثر من شاهد على الأحداث. وكانت قراراته حبراً على ورق[٦٢]. لأن فرض المؤتمر لسيطرته على الحكومة، يعني السيطرة على فيصل، وهذا لم يحدث، لأن فيصلاً بقي المسؤول الأول عن كل شيء في عرف الوطنيين، والانكليز، والفرنسيين.

كما أن اللجنة الوطنية فشلت في إرسال الامدادات إلى (علي جودت)، قائد منطقة البقاع، لمقاومة الاحتلال الفرنسي[٦٣]، ولم تستطع هذه اللجنة الخروج عن الخطب والكلام إلى التنفيذ. وكان الموقف بكليته من جميع الأطراف، لا يدل على ادراك قيمة العمل العسكري الفعلي، والتخطيط الجدي لحماية المفاهيم القومية، التي كانت تنادي بها.

وفي أزمة الاحتلال هذه، التي كانت المحرك الفعلي للحكومة، والمؤتمر والشعب، أراد زيد الخروج من الأزمة عن طريق المؤتمر السوري. فدعاه لاجتماع في الأول من ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، لاتخاذ قرار وطني مناسب، بشأن الاحتلال الفرنسي للبقاع. لكنه لم يستطع أن يوفق بين الأطراف المختلفة، بين قبول الاحتلال ووجوب الدفاع. وكانت الغالبية ضد الركابي واتهمته بالخيانة، وبتسليم البقاع للفرنسيين، كما اتهمته في ماضيه أيام الأتراك، وسرقته للأموال[٦٤]. لذلك نرى أن

(٦٢) داغر، ص ١١٢—١١٨. انظر David, P. 85

(٦٣) داغر، ص ١١٢—١١٨.
طلب أسعد داغر الذي ذهب إلى البقاع، من اللجنة إمداداً لعلي جودة حاكم المنطقة، كما طلب علي جودة نفسه رأي اللجنة لمقاومة الفرنسيين، لأنه لم يكن بنيته تنفيذ الاتفاق بين غورو ونوري السعيد. وكان يعتمد على المتطوعين الذين عنده، حتى لو لم تشأ الحكومة ان تدخل رسمياً في الحرب. الا ان محاولاته للاتصال بالمسؤولين واللجنة فشلت.
قاسمية، ص ١٦٩.

(٦٤) من أوراق محب الدين الخطيب باسم الصرخة الثالثة يهاجم الركابي، ويطالب باسناد المناصب إلى أصحابها، وتنحية من كان سبباً في ذهاب البقاع، ومقاومة الدفاع، ودس الدسائس ليبقى حاكماً عسكرياً.
جاء في تقرير ماينر تزهاغن المذكور، أن الركابي قد أجبر على الاستقالة في ١٤ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، واستبدل بعبد الحميد باشا الذي استقال في الحال، ولا يعرف الآن من هو رئيس الحكومة العربية
←

مصطفى نعمة، خلف الركابي، قد أظهر اهتمامه بمنطقة البقاع، وأرسل إلى ضابط الارتباط الفرنسي كتابين بتاريخ ١٤ و ١٥ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، لدى وصول فيصل، يطلب إخلاء منطقة البقاع التي وعد غورو أنه سيخليها عند وصول فيصل، دلالة على بداية طيبة مع فيصل(٦٤ب).

وفي هذا الموقف المعقد، اتفق زيد مع بعض الأعضاء على تأجيل جلسات المؤتمر، وأذيع ذلك في الرابع من ديسمبر / كانون الأول /.

وتابع الوطنيون من أعضاء اللجنة الوطنية إحاطتهم لزيد، وتأثيرهم عليه، حتى يتخلصوا من الركابي وسياسته المعتدلة تجاه الفرنسيين، فاستجاب لهم زيد، وانحاز إلى صفهم، حتى يتخلصوا من الركابي في العاشر من ديسمبر / كانون الأول /، وأبلغه وجوب اتخاذ القرارات اللازمة للدفاع ضد الفرنسيين، وكان يقصد بذلك إحراجه حتى يصرفه من العمل. فلم يقبل الركابي بذلك، واتهم مستشاري زيد بأنهم أصبحوا حكومة غير مسؤولة، وأنه هو المسؤول، وهو رئيس الحكومة، ولا يستطيع تحمل مثل ذلك. فأصر زيد على موقفه، وإذ ذاك ترك الركابي مكتبه وبقي في بيته، فاعتبره زيد مأذوناً (مستقيلاً). وحاول زيد تشكيل حكومة لها طابع الدفاع، فاختار اللواء عبد الحميد القلطقجي أحد قادة الجيش السوري لرئاستها، وبعد أيام استبدله بالزعيم مصطفى نعمة من قيادة الجيش أيضاً، حسب رغبة الأكثرية، ولأنه أبدى رغبة كبيرة في وجوب

في دمشق، مع أن الأمير زيداً مازال يعتبر رأس الحكومة.

Documents, IV (13 Jan) P. 614.

وفي تقرير فرنسي، أن علي رضا الركابي أقيل لأنه رفض الدفاع عن استقلال سورية بالسلاح.

D.F.Aff. Etr, Levant, 21 (16 Jan 1920) P. 52

كما أرسل غورو في التاريخ نفسه إلى وزارة الخارجية الفرنسية برقية، كي تبلغ زيداً بوجوب توقيف أعمال العصابات في المنطقة الغربية.

Ibid, P. 49

(٦٤ب) انظر صورة الرسالتين من الملحق في D.F.G. 4B3-Colonel Cousse

مقاومة الفرنسيين، وكان اختيار زيد للعسكريين دليلاً على تبنيه سياسة الدفاع(٦٥). وأصدر مصطفى نعمة في ١٥ ديسمبر / كانون الأول / بياناً إلى الشعب، يطلب منه مساعدة الحكومة الوطنية لتوطيد الأمن في «هذه الأيام والمواقف الحرجة». وهاجم المشاغبين الذين تناسوا واجب حميتهم، وسعوا لإقلاق الأفكار في الوقت الذي يستلزم تمام السكينة(٦٥ب).

وخلا الجو للوطنيين بعد خروج الركابي، الذي أسف عليه المعتدلون والحياديون، فاتخذوا قراراً في مجلس المديرين في ١٩ ديسمبر / كانون الأول / بالتجنيد الاجباري، ووافق عليه زيد في ٢١ منه(٦٦). وكان أهم قرار فعلي اتخذ لمقاومة الاحتلال. ومع كل ذلك، لم يكن هؤلاء الوطنيون متهورين كما كان يصفهم المعتدلون. فكانوا يتمنون أن تعدل فرنسا عن خطتها باحتلال سورية، ووجدوا في اتفاق (فيصل ــ برتلو) حول الأقضية الأربعة تفاؤلاً، واعتبروه ملغياً لاتفاق لويد جورج ــ كلمنصو في ١٣ سبتمبر / أيلول /، وأذاعوه على الناس في جريدة العاصمة لتهدئة الحالة المضطربة(٦٧).

لكن كيف تهدأ الحالة وغورو يضع الخطط لاحتلال سورية الداخلية، وخاصة الطرق الرئيسية المؤدية للمدن الأربع، دمشق، حمص، حماه، وحلب؟ فقد طلب من حكومته السماح له باحتلال هذه الطرق، نظراً لأهميتها بعد أن تدفقت القوات الفرنسية عليه إلى لبنان. وقدر تكاليف الحملة بـ (٩٠٠) ألف فرنك، وخمسة أشهر عمل. وزاد قرار إعلان التجنيد في سورية غورو يقيناً باصرار السوريين على المقاومة،

(٦٥) العهد الفيصلي، ص ١٢٣، ص ١٥١، داغر، ص ١٢٥.
أرسل شكري غانم احتجاجاً إلى مسيو بوانكاريه، رئيس الجمهورية الفرنسية، على المعاملة اللانسانية لاقالة الركابي، لأنه لا يريد الحرب حماية لاستقلال سورية.
D.F.Aff. Etr. Levant, 22 (20 Jan 1920)

(٦٥ب) انظر الملحق وفيه صورة النداء.
D.F.G, Carton 4B3 Colonel Cousse

(٦٦) الحكيم العهد الفيصلي، ص ١٢٣ والعاصمة عدد (٨٧) ٢٥ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ وقدري، ص ١٥٢.

(٦٧) العاصمة عدد (٨١) ٤ ديسمبر / كانون الأول / وعدد (٨٢) ٨ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩.

فأراد احتلال المدن الأربع، قبل أن يستكمل السوريون بناء قوتهم الجديدة من المجندين، فأعاد الطلب إلى حكومته في ٢٦ ديسمبر / كانون الأول /، وحدد نوع السلاح وجنسية الجنود (فرنسيين ــ جزائريين ...) الذين سيحتلون المنطقة[٦٨] . لكنه لم يتلق جواباً بالموافقة، لأن الاتفاق مع فيصل كان في مراحله الأخيرة، وهو ذو فائدة كبيرة لفرنسا، إذ سيكون تدخلها مشروعاً حسب الاتفاق، بل تلقى في التاسع من جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، برقية من كلمنصو يعلمه باتفاقه مع فيصل، وطلب منه أن يبقي ذلك سراً حتى عودة فيصل. وطلب منه أن يتفق مع السوريين، نظراً لما في ذلك من فائدة كبيرة، كما طلب منه أن يعامل فيصلاً حين يعود، معاملة الأشراف الكبار، ويمنحه كل الثقة، وهو مقتنع أن فيصلاً سينفذ وعده واتفاقه، نظراً لفائدته الكبيرة له باعتماده على الفرنسيين، الذين سيعترفون له بحقه في الحكم[٦٩] . وكان وزير الخارجية الفرنسية قد أرسل إلى غورو رسالة في ٢٢ ديسمبر / كانون الأول /، عن مقابلة بين كلمنصو وفيصل، جاء فيها أنه بعد الاتفاق مع فيصل، يجب أن يعود فيصل لاتمام الاتفاق، لأنه لا يمكن تنفيذ الاتفاق من بعيد. وقبل الحديث عن قلة إخلاص فيصل من جانبه، وعن مقدرته على فرض سلطته على الفئة القليلة المتطرفة في دمشق، المسؤولة عن أعمال العصابات، «قلت لفيصل بأننا وقعنا اتفاقاً مؤقتاً على مبادىء معينة والتي اتعهدها كلية» لكن ذلك يتعلق بإخلاص فيصل من جهة والاحترام المطلق من جانب حكومته المؤلفة من أشياعه لهذا الاتفاق من جهة أخرى. وإذا ما حدث خلل بهذين الشرطين، فإن الحكومة الفرنسية، تتخلى عن اتفاقها، وتفرض النظام بالقوة[٧٠] .

(٦٨) وضع غورو خطته لاحتلال سورية على الشكل التالي: ١ ــ يحتل اللواء الخامس حلب ومرعش وجرابلس (والأخيرتان على الحدود التركية) ٢ ــ يحتل لواء الخيالة الرابع والفرقة الرابعة حمص وحماه ٣ ــ تحتل دمشق كتيبتان من لواء الرماة الثاني تأتيان من الاسكندرون، وبطارية (سرية) مدفعية قناصة من الجزائريين و (١٥) بطارية محمولة و (١٤) بطارية جبلية ٤ ــ ترسل البطارية الأولى من لواء الرماة إلى طريق حمص ــ حماه من طرابلس.

D.F.G, Telegramme, No 6241

(٦٩) Ibid, Telegramme, No 4862

Ibid, Telegramme, No 735

(٧٠) D.F.Aff. Etr, Levant, 21, P. 85, Clemanceau

الفصل السابع

إعلان استقلال
سورية الفيصلية

الصراع بين فيصل والوطنيين على مشروعه مع كلمنصو

وصل فيصل إلى بيروت في ٤ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ كما سبق، واستقبله الجنرال دولا موط نيابة عن الجنرال غورو ، وأقامت له السلطات الفرنسية في بيروت استقبالاً فخماً ، تمشياً مع رضاها عنه بعد اتفاقه معها. وأعدت له الحكومة العربية ، لجنة من أعضاء المؤتمر العربي لاستقباله . لكن استقباله هذه المرة ، كان أقل روعة من المرة الأولى في ماي / أيار / ١٩١٩[١] . وكان السبب بطبيعة الحال ، الأخبار التي سبقته إلى سورية عن اتفاقه مع كلمنصو ، وقبوله بالانتداب الفرنسي ، برغم اتفاق الطرفين على إبقاء الاتفاق سراً. وأقام له الفرنسيون حفلة ، حاول فيها الجنرال غورو التقدم عليه ، متجاوزاً العرف الدبلوماسي[٢] ، برغم توصية كلمنصو بمعاملته معاملة الكرام. وكانت هذه من غورو غمزة عنف ، كي يعرف فيصل مع من يتعامل. وقد ذكر غورو أن استقبال فيصل كان حاراً من قبل المسلمين ، لكنه أخف من السنة الماضية[٢ب] .

---

(١) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٦ .
كان غورو قد أوصى حكومته ، ألا ترسل في وقت واحد سفينتي فيصل والبطريرك الحويك ، حتى لا يصلا إلى بيروت في وقت واحد ، وفي ذلك الكثير من الاحراج . وفعلاً جُعل يومان ما بين سفر فيصل والحويك.
D.F.G. 7N-1640 (10 Dec 1919)

(٢) قدري، ص ١٦٠ .

(٢ب) D.F.Aff, Etr, Levant, 21 (10 Dec) P. 223

كان فيصل راغباً في تنفيذ الاتفاق مع كلمنصو، وكان يعلم في الوقت نفسه، مدى معارضة جماهير الشعب، واللجنة الوطنية، وحزب الاستقلال، وضباط الجيش. لكنه كان واثقاً أن مصلحة الأمة، تقضي اتفاقه هذا، لأنه أقصى ما يمكن له أن يحققه، لكنه كما صرح في دار الاعتماد السوري في بيروت «سوف يستشير الأمة على ذلك، حتى يعود لأوروبا لاستكمال مهمته في مؤتمر الصلح»[٣].

وانطلاقاً من اتفاقه مع كلمنصو، أبدى ارتياحه الشديد إلى غورو الذي رحب به كثيراً، وذكره بلقائه في الألزاس يوم أهداه الوسام، وأظهر فيصل سروره من غورو، لأنه كان يأمل منه أن يساعده في إعادة السلم والاستقرار في سورية، كما كان غورو يأمل منه أن ينهي كل الثورات والمشاكل بين العرب والفرنسيين. وأبدى فيصل صراحة رأيه، بأنه مستعد للضغط على الشعب حتى يقبل باتفاقه مع كلمنصو، شريطة أن تبقى لسورية وحدتها ولا تجزأ.

ورغم وضوح موقف فيصل مع الفرنسيين، إلا أنه كان يتمنى لو لم يتخل عنه الانكليز، وكان يتأسف بمرارة لأنهم (خانوه) ودفعوه للفرنسيين. فنراه في مقابلة مع

(٣) قدري، ص ١٦٠.

• كان نوري السعيد عارفاً بتردد فيصل، وسرعة تحوله من رأي لآخر، لذلك أراد أن يلقاه وحده على ظهر السفينة، ليطلعه على مقاومة الوطنيين لمشروعه مع كلمنصو، ويشد من عزيمته، ويشجعه على المضي في الاتفاق. وكان نوري السعيد يرى ضرورة الاتفاق مع دولة أجنبية لضعف العرب. انظر داغر، ص ٢١٣.

إلا أن نوري السعيد، نفى محاولة مقابلة فيصل وحده على ظهر السفينة.

جريدة الدفاع، دمشق، عدد (٢١) ٢١ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.

وصف سلطان الأطرش فيصلاً عند عودته هذه فقال «كان منقبض الصدر، حائر الفكر، غير مقتنع بقرارة نفسه، بمشروع الاتفاق الذي حمله للوفود، التي قدمت للسلام عليه من معظم أنحاء سورية، ووقف سلطان في صف المعارضة. وقبل مغادرته بيروت، زارت كل الوفود الجنرال غورو في مقره بقصر سرسق ــ وكان مقراً لجمال باشا ــ، وعندما زاره سلطان وسأله أحد الحاضرين عن مصير سورية، قال بلهجة الواثق المطمئن (إن سورية لنا، ونحن والانكليز متفقون) وقد كان رأي سلطان فيه، من خلال ملامحه وأحاديثه الصارمة الجادة وقوة شخصيته: أننا أمام عدو طاغ قاهر، لا يعرف معنى للتردد أو التراجع، عما صمم عليه وعزم على تنفيذه».

المذكرات في مجلة بيروت المساء عدد ١٠٠ (٣٠ ديسمبر / كانون الأول / ٥ جانفي / كانون الثاني /) ١٩٧٥ــ١٩٧٦، ص ٣٦.

غورو والكولونيل البريطاني (تايلر)[٤]، الذي قدم تقريراً عنها إلى حكومته، يقول لتايلر: «أنتم الانكليز الذين دفعتموني لهذا الموقف» وقال إن الكلمة الوحيدة التي يمكن ان تثير شعبه ضد بريطانيا، هي كلمة (خيانة)، لكنه لن ينطق بها أبداً. ووصف فيصل رحلته إلى أوروبا بأنها كانت رحلة مرّة، بسبب موقف بريطانيا التي تخلت عنه. ورغم خيانة الانكليز له، لم ينطق فيصل بكلمة تهديد واحدة ضدهم، لأنه اعتاد أن يهدد عندما يكون الفرنسيون هم خصومه. لكن الكولونيل (تايلر) لم يقبل بتعبير فيصل (خيانة)، وحذره من خطورة ذلك، وطلب منه أيضاً، أن يراقب كلمات أعوانه وأعمالهم، من مثل هذه التصريحات ضد بريطانيا[٥].

ومع أن بريطانيا وفرنسا قد توصلتا إلى اتفاق سبتمبر / أيلول /، إلا أنه كما ظهر في بيروت لم تزل سياسة التنافس بينهما قائمة على سورية، وكان فيصل موضع هذا التنافس. فقد حاول الفرنسيون، إبعاد الضباط الانكليز عنه، حتى إن الضباط الفرنسيين لم يدعوهم لاستقباله، كما أن غورو رفض أن يرافق الكولونيل البريطاني (ايستون) فيصلاً إلى دمشق، حتى لا يقال بأن الانكليز أحضروا فيصلاً رغماً عن الفرنسيين. أما الكولونيل تايلر، فقد أشعر بدوره فيصلاً، أن الفرنسيين هم الذين لا يقبلون بإطلاق سراح الهاشمي، وكانت غايته من ذلك، أن يخلق سوء التفاهم من جديد بين فيصل والفرنسيين. وهكذا كان فيصل يبدو كالهدف الثمين، يريد أن يحتفظ به لنفسه، كل من الفرنسيين والانكليز. إلا أن الطرفين كانا متفقين على ألا يتعدى أحدهما منطقة الآخر، فغورو لا يتدخل في المنطقة (ب) ويمنع كل دعاية ضد بريطانيا في منطقته، كما أن بريطانيا لا تتدخل في المنطقة (أ) وتمنع كل دعاية ضد فرنسا في منطقتها[٦]. أما تنافسهما على فيصل، فيمكن القول إنه كان يجري في منطقة حرة!

---

(٤) تقرير تايلر رفعه في ٢١ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ في:
F.O. 371 /5032/ P. 93-97

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.
انظر Longrigg, P. 97

وإذا كان من السهل على فيصل أن يقول أمام الفرنسيين، ما يقوله أمام الانكليز وبالعكس، فكيف يتدبر الأمر في دمشق، وقد تفشى خبر اتفاقه مع كلمنصو، ولم يعد من الممكن كتمانه. وكانت أولى بوادر رد الفعل في دمشق على اتفاقه مع كلمنصو، أن كان استقباله فاتراً(٧). وأحس بالجو الثقيل الذي أبداه له الوطنيون، وخاف من جماهير العامة أن تثور عليه، فيما لو اعترف رسمياً أمامها باتفاقه مع كلمنصو، لأن «العامة» مازالت عاطفية ومازال إيمانها ثابتاً لم يتغير، لا بالوحدة السورية بل بالوحدة العربية، ولهذا أنكر الاتفاق أمام المتظاهرين البالغين عشرات الالآف، وقال إن غايته الوحيدة هي «استقلال الامة العربية» ومن أجلها ثار ضد الترك، وأضاف «ولكن بعض الناس يتوهمون أنني عقدت اتفاقاً في باريس، فليس لهذا الوهم ظل من الصحة» وبرر عدم صحته، بأن إنساناً مثله ينتسب لآل النبي، لا يرضى بمثل هذا الاتفاق، فقال «فأنا ابن محمد وأنا ابن الأجداد الكرام. فلن أسير إلا على خطتهم، ولا أرضى ولن أرضى بأي اتفاق كان سوى استقلال البلاد العربية، ولا أسعى فقط لاستقلال سورية، بل لاستقلال البلاد العربية كلها، وهذه هي الغاية التي عاهدت الله عليها، فإذا ظللت وحدي مجاهداً في سبيلها، فسأبقى مجاهداً إلى النهاية، ولو وقف في طريقي مهما وقف من العقبات ومثبطات العزائم»(٨). ولم يحسب حساباً لغضب الفرنسيين من كلامه هذا، أو ربما كان يظن انهم لا يعلقون جدياً على كلامه، في موقف محرج كموقفه هذا.

وبكلمات قليلة انقلب إلى مجاهد عربي وحدوي، وأنكر بالكلمات أيضاً أنه قبل بسورية مجزأة غير مستقلة. وكانت كلماته هذه رداً على تلميحات القصاب له، بقبوله الاتفاق، إذ قال له القصاب «اني واثق أنك لن ترضى، وحاشاك أن ترضى، أن تكون أميراً على بلاد، يظللك فيها علم أجنبي»، وذكر فيصل بكلمة سمعها منه في

---

(٧) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٧.

(٨) العاصمة، عدد (٩٥) ١٩ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.
تجمع عشرات الآلاف من المتظاهرين في ١٧ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ أمام فيصل في اليوم التالي لعودته إلى دمشق، حيث خطب فيهم الخطاب المذكور أعلاه.

الصحراء، وهي «ما أنا إلا فرد من أفراد الأمة، أموت بموتها، وأحيا بحياتها، وغايتي من الثورة هي استقلال الأمة العربية، فإما أن أبلغ هذه الغاية أو أموت دونها ... والجميع يعلمون أنك قمت بتلك الثورة، لاستقلال الأمة العربية لا غير ...»[٩].

وفي الحقيقة لم يكن القصاب ولا الوطنيون جاهلين باتفاق فيصل ـ كلمنصو، لا لأنهم سمعوا به قبل وصول فيصل، بل لأن فيصلاً نفسه، قد أسرَّ به لكثير من الوطنيين في قصره فور عودته، وطلب منهم كتمانه، حتى يناقش به كل ذوي الشأن[١٠].

ولكن لماذا لم يقف القصاب وغيره صراحة ضد فيصل بعد ذلك؟ في الواقع كان الوطنيون يؤملون الاستفادة من فيصل في تحقيق المطالب الوطنية، لأنه كان بنظرهم قائد جيش الثورة العربية الذي حرر سورية، وابن الحسين (ملك العرب)، ولأنه صديق الانكليز ذوي الكلمة الأولى في المنطقة. ولهذا لم يفكر الوطنيون بالتخلص منه، بالرغم من معرفتهم بحقيقة اتفاقه مع كلمنصو. ولم يهاجموه صراحة بشكل عنيف أمام الجماهير. ويجب أن ندرك أن سياسة هؤلاء من فيصل، أصبحت تقوم على أسلوب واحد، وهو دفعه أمامهم في الطريق القومي، وإغراؤه بالاستمرار فيه، ومدحه باعتباره بطلاً من أبطال العرب الشرفاء، وسليل الأجداد الكرام، حتى يمكن الاستفادة منه بدلاً من مقاومته[١١]. وقد يكون فيصل عالماً بخطتهم، ولذا كان يجعلهم يسيرون في اتجاهه نفسه، دون أن يحاول كشف نواياهم ماداموا هم يسيرون معه.

وبدلاً من أن يكون فيصل في المقدمة، أصبح الوطنيون يدفعونه للسير إلى الأمام دفعاً. وإذا كانوا قد قبلوا بسياسته في الوحدة السورية لظروف سياسية، فإنهم لم

---

(٩) جريدة الدفاع، عدد (١٧) ١٧ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ والعاصمة، عدد (٩٤) ١٩ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.

(١٠) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٧.

(١١) في مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم في صيف ١٩٦٩ وعزة دروزة في صيف ١٩٧٠ عن وجود فكرة استبدال فيصل بزعيم آخر لسورية، وهل كان يوجد من يعد نفسه لذلك؟ فنفى الاثنان ذلك في هذه المرحلة.

يتحولوا في ايمانهم عن القومية العربية والوحدة العربية، التي كانت تظهر بأقوالهم بشتى المناسبات. وبطريقة التعامل هذه مع فيصل، رفض الوطنيون اتفاقه مع كلمنصو، وأصدر مؤتمر لجان الدفاع الوطني بياناً إلى فيصل في ١٧ جانفي / كانون الثاني /، باسم جميع الأحزاب، حددوا فيها أهدافهم القومية كما يلي:

١ ــ رفض الحكم الأجنبي، كما رفض والده وأنجاله الأتراك، حرصاً على كرامة العرب واستقلالهم، وأن العرب حاربوا تحت قيادة والده لاستقلال العرب، حسب الوعود المعطاة.
٢ ــ تقديم كل شيء (وهو كثير في هذه الأيام) للذب عن كرامة العرب، وتراث آبائنا العرب الكرام. فإذا انتصرنا يكون قد بلغ الهدى محله، وإن غلبنا فسنترك لأبنائنا ميراثاً وطنياً، لا تزعزعه عواصف الاستعمار.
٣ ــ إن ماضي الأمم عنوان مستقبلها، فلا يؤمل من المستبعد أن يكون منقذاً، ولا من المستعمر أن يكون عادلاً، وكل ما يعمله المستعمرون هو إماتة الوطنية (فرنسا والمغرب الغربي).
٤ ــ الشرق من أوله إلى آخره، يتمخض اليوم منتظراً مولوداً نجيباً، ألا وهو الاستقلال، فمن العار أن نقتل ذلك الجنين في بطن أمه. وإن القائد الذي قاد أبناء جنسه لنيل الاستقلال في الأوقات العصيبة، لن يحجم اليوم عن أن يقوده لأمر فيه نجاحهم، واستقلالهم واستقلاله، وخلاص شرفهم وشرقه، وهو الدفاع عن استقلال الوطن[١٢].

وإزاء هذا الموقف الصلب في رفض الاتفاق، لم يجد فيصل بداً من شرح موقفه بالتفصيل، علّه يغير من موقف الوطنيين شيئاً، وخاصة إذا خاطب عواطفهم. فدعا إلى اجتماع في قصره في ٢٠ جانفي / كانون الثاني /، حضره أعضاء المؤتمر السوري، واللجان الوطنية، والزعماء، وبين لهم أن بريطانيا تخلت عنه في آخر لحظة، إرضاء

(١٢) جريدة الدفاع، عدد (١٨) ١٩ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.

لحليفتها فرنسا ذات المصالح الاقتصادية والثقافية في البلاد السورية، وأن مدافعاته كلها واحتجاجاته أمامها لم تُجدِهِ شيئاً.

وبرر فيصل اتفاقه مع كلمنصو، بأن فرنسا اعترفت باستقلال سورية، وستعترف به عصبة الأمم أيضاً، كما أن فرنسا تضمن وحدة الساحل والداخل، ماعدا جبل لبنان، وتمد سورية بالمال والخبراء وتدريب الجيش العربي، ولا تتدخل بالادارة العربية. وقبل أن يوقع على الاتفاق، فهو يعرض هذا الأمر أمام الأمة. وطلب من الجميع أن يدلوا بآرائهم بحرية، واحداً واحداً. لكنه سألهم ملمحاً، بأنهم إذا لم يوافقوا عليه، فهل هناك إمكانية لمقاومة فرنسا؟ «وهل ستبقى الأمة كريشة في مهب الريح، أم تجني ثمرة جهادها في الحرب، بما قدمت من ضحايا أياً كان حليفتها؟» وختم فيصل خطابه بقوله «الوطن لنا كلنا، لا للبريطانيين ولا للفرنسيين»(١٣).

ويبدو أن كلمته وأسئلته جعلت القوم في حيرة، فلم يجب أحد منهم «وبقوا صامتين كأن على رأسهم الطير»(١٤).

لكن سرعان ما تلاشت حيرتهم، وقرروا رفض الاتفاق، إذ بعد يومين أقام النادي العربي في دمشق حفلة كبرى، خطب فيها الكثيرون من الشباب بحضور فيصل، وكانت كل خطبهم رداً على الأسئلة التي طرحها قبل يومين في قصره. وعارضوا خطته، وطالبوا بالاستقلال التام بدون حماية أو وصاية، كما طالبوا بالدفاع عن هذا الاستقلال بكل غال ورخيص. وطالبوا بتشكيل حكومة دفاعية قوية لهذه الغاية. وبلغ من عنف المعارضة والاحتجاج على اتفاق فيصل ــ كلمنصو، أن توجه الهجوم ولو بشكل مبطن إلى شخص فيصل، كسلطة حاكمة يعتمد في سيادته على نسبه إلى بيت النبي، ذلك الانتساب الذي لم يعد له تلك الهالة المقدسة، في نفوس أبناء الشعب. فوقف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وهو أحد الوطنيين البارزين آنئذ، ورد على فيصل وفخره بأنه ابن محمد، فقال «انني ابن الشعب، وافتخر أن أكون من

---

(١٣) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٧.

(١٤) نفس المصدر.

أبنائه. وقد كنت اليوم وكل يوم في بيت الشعب، والآن آتيكم من بيت الشعب والحمد لله بالشعب، فالشعب لا يريد المذلة والعار ولا يريد الوصاية والحماية أو كل صك يكتب أو اتفاقية تعقد، لأنه يعلم علماً لا يخامره الريب، بأن الاتفاقات السياسية التي من هذا النوع (الوصاية والحماية) لا تنفذ، إلا إذا كان السيف والمدفع من ورائها. وقد مضى علينا نصف قرن، ونحن نقرأ عن العهود والمواثيق، للمصريين والتونسيين والجزائريين والمراكشيين، فهل يتسفل أحد منا فيطلب لوطنه باختياره، مثل هذه العهود والمواثيق»[١٥]. وهاجم الشهبندر الحكومة، لأنها ليست منتخبة من الشعب، وطالب بتشكيل حكومة قوية من الشعب، وضرب مثلاً بالشعب المصري وثورته ضد الانكليز.

وأصبح موقف فيصل حرجاً للغاية، وضيق عليه الوطنيون كثيراً، ولم يتركوا له ما يعتز به. وكان في مفترق الطرق، فإما أن يسير مع الوطنيين ويعتبر موقفهم هذا رفضاً لاتفاقه مع كلمنصو، أو يسير وحده ضد أماني الأمة. فاتخذ الطريق الثاني، وأراد أن يدعمه بقوته واخلاصه، ووطنيته وإيمانه بالوحدة العربية، والاستقلال التام. فرد على هجوم الشهبندر على الحكومة فقال: إن الحكومة مؤقتة وعسكرية، ولأسباب لا يستطيع أن يشرحها يؤخر تشكيل حكومة جديدة حتى يقدم للأمة هدية الاستقلال. وقال إن الحكومة هي هو نفسه. فلا يحق لشخص أو جماعة أو لجنة من الاحزاب، أن تقول بعدم لياقة هذه الحكومة. وأضاف بأنه روح الحركة، والأمة باعتمادها على الحكومة تعتمد عليه حتى تؤلف المجالس. وهو لا يسمح في وقته هذا لشخص أو جماعة، أن يقول إن الحكومة كذا وكذا، أو أن يطلب إبدال حاكم بحاكم. لأنه هو المسؤول عن انعقاد مجلس الأمة، وبعدها يتنصل عن المسؤولية.

واستمر فيصل في دعم موقفه أمام هجوم الوطنيين عليه، فقال إنه لا تثنيه قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات. إنما هو يخاف التاريخ والمستقبل، ويخاف أن يقال عنه، أنه عمل عملاً لا يليق بآبائه وأجداده، الذين كانوا يسعون للاستقلال. وهو لا يتبدل إن

---

(١٥) جريدة الدفاع، عدد (٢٢) ٢٣ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.

كان في الشرق أو في الغرب. فهو عامل لاستقلال بلاده وإعادة مجدها الغابر. ويبدو أن فيصلاً أحس بسياسة الدفع، التي كان يمارسها عليه الوطنيون، فاعترض عليها، لأنه ليس بحاجة لمن يستحثه على العمل، فقال «أنا اعترض على إخواني عندما يقولون افعل كذا، يريدون أن يستثيروا عزائمي، ان عزائمي قوية بعزائم شباب بلادي، بأفكار كل مفكر في بلادي، لأن شخصي يمثل الأمة وسيمثلها دائماً»(١٦).

وفي هذا الجو المتوتر الذي أحاط بفيصل في النادي العربي، واهتمام الشباب اهتماماً كلياً بالسياسة، وهجوم الطبيب الشهبندر عليه، كل هذا جعل فيصلاً يحس بخطر تحول الشباب من العلم إلى السياسة، والطبيب من الطب إلى السياسة، فنهى عن ذلك، وطالب أن ينصرف كل ذي مهنة إلى مهنته. ولو كان طلب فيصل لذلك في غير هذا الوقت، لكان لفتة طيبة منه نحو العلم ومستقبل الشباب. أما وفي مثل هذه الجلسة، فهو تخلص وهروب من العداء السياسي، الذي أظهره له الشباب المثقف.

وبرغم عنف الهجوم عليه، فإنه أراد أن يبين محاسن اتفاقه مع كلمنصو، ووصفه بأنه لا يتعارض مطلقاً مع الاستقلال التام، وانه لا يمكن الاستغناء عن العلاقات مع أوروبا، ومن يقل غير ذلك فهو لا يريد الحياة.

على ان فيصلاً كان على حق، برأيه في الحركة الوطنية القائمة في سورية، بأنها لم تتعد بعد مرحلة الكلام، ولم تتحول إلى عمل حقيقي. فلقد مضت سنة ونصف،

(١٦) قدري، ص ١٦٢ ـ ١٦٩ الحصري يوم ميسلون، ص ٢١٨.
العاصمة، عدد ٩٦، ٢٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، وورد في هذا العدد «ان الصحف المحلية قد نشرت الخطاب بصورة مختلفة، ولكن الصورة في العاصمة هي الصحيحة».
كما وجدت بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب (وكان مديراً لجريدة العاصمة) صورة عن الخطاب رفع إلى مدير الداخلية، ليعرض على فيصل لاجراء التصحيح اللازم، قبل طبعه في الجريدة في ١٩٢٠/١/٢٥.
قاسمية ص ١٨٢.
وبين وثائق وزارة الخارجية البريطانية، ترجمة بالانكليزية للخطاب (دون تاريخ) ورغم اتفاقها مع النسخة الاصلية في المعنى، إلا أنها تختلف في التفاصيل.
نفس المصدر.

وليس للزعماء إلا الخطب والكلام دونما عمل. وكان من المفروض ان يحدث العكس في أمة تريد أن تنهض وتعمل بصمت. وضرب مثلاً على ذلك (محمود الفاعور)، أحد الوطنيين الذين حاربوا فرنسا بعيداً عن جو السياسة والقول، منعزلاً في البادية، وتمنى لو تكون الأمة مثل الفاعور[١٧]، وكان على حق أيضاً، عندما طلب أن تكون الأمة متحدة يداً واحدة، وتنزع الخلاف ما بين بعض الأفراد والطبقات، كما لاحظ، حتى تعيش محترمة[١٨].

الحكومة الجديدة

ومضى فيصل في تنفيذ سياسته، فشكل حكومة معتدلة ووضع أخاه زيداً رئيساً لها، إشعاراً منه بالمسؤولية المباشرة في الحكومة، ولكي يكون فيها هو رمزاً محترماً. وكان فيصل مقتنعاً، بأن زيداً لن يقف ضده إلى جانب المتطرفين. وأعاد الركابي وعينه مديراً للحربية إرضاء للفرنسيين، ولاعتداله وعدم رغبته في معاداتهم. وادخل (علاء الدين الدروبي) كرئيس لمستشاريه، وعبد الرحمن اليوسف، رئيساً لمجلس شورى الدولة، والأخيران من المعتدلين كثيراً. وفي الوقت نفسه أرضى الوطنيين بتعين يوسف

(١٧) جاء في برقية لغورو في ٢٥ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، أن عملاء مصطفى كمال يحضون المسلمين السوريين على الحرب المقدسة، وقد أرسلت رسالتان إلى نوري الشعلان، ومحمود فاعور، الذي حارب مرجعيون في نهاية الشهر الماضي، والذي لم يكف حتى الآن عن معاداته لفرنسا. بيروت.
D.F.Aff. Etr. Levant. 22, P. 180.

(١٨) العاصمة، عدد (٩٦) ٢٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.
استدعى فيصل الركابي، ولامه على ضيق صدره على أخيه زيد، فقدم له الركابي تقريراً مؤرخاً في ١٨ جانفي / كانون الثاني /، أوضح فيه خلافه مع زيد، بأنه كان نتيجة انسياقه مع حزب الفتاة والاستقلال العربي، الذين لا يمثلان الا نفسيهما، وأن رجالهما لا يهمهم إلا أنفسهم، ولا يهمهم الوطن ولا الدفاع عنه، وربما كانوا يعملون ضد الإمارة نفسها، وانه انسحب لأن هؤلاء، شكلوا حكومة سموها دفاعية. لكنه لا يعلم شكل الدفاع الذي أجروه. انظر قدري، ص ١٧٠ ــ ١٧٢ والعاصمة عدد ٩٦، ٢٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠.
تشكلت الحكومة الجديدة من: زيد (وكيل فيصل) للرئاسة، الركابي للحربية، علي جودة مدير الأمن العام، يوسف العظمة رئيس أركان حرب الشورى، رشيد طليع للداخلية، اسكندر عمون للعدلية، ساطع الحصري للمعارف، أحمد حلمي للمالية.
قدري، ص ١٣٠ ــ ١٧٢.

العظمة لرئاسة أركان الحرب، وهو المعروف بتطرفه وتشجيعه لحوادث الثورات ضد الفرنسيين. وأجرى فيصل تعديلات هامة في مناصب المحافظين والدوائر الكبيرة، وكان معظم المعينين الجدد من المعتدلين.

وفتح فيصل باب قصره للجميع، وصار يستقبل الزعماء من كل الأحزاب، لإقناعهم بسياسة التفاهم مع الفرنسيين، ولم يهمل المنطقة الغربية، فمنح رتبه أمير اللواء الفخرية، ولقب باشا، إلى سعيد حماده زعيم الهرمل في لبنان، ولقب (بك) إلى زعماء الدنادشة في حمص و (تل كلخ)(١٩). وكانت هذه المحاولة منه لاستعادة شعبيته، وخاصة أن هؤلاء من زعماء الثورة ضد الفرنسيين.

واستغل الأرستقراطيون التقليديون الخلاف بين فيصل والوطنيين، فألفوا حزباً جديداً اسمه الحزب الوطني السوري، له أهداف حزب الاستقلال نفسها، وقام محمد كرد علي بتنظيم وتنسيق مبادئه. وكانت غايتهم دعم فيصل ضد المعارضة الوطنية. وظن فيصل أنه سوف يحفظ التوازن بين القوى والأحزاب، بالاعتماد على هذا الحزب ودعمه له. لكن بوادر العداء القوية سرعان ما ظهرت من حزب الاستقلال، واللجان الوطنية ضد هذا الحزب، وظهر ضعفه بالجماهير. ويبدو أن فيصلاً قد خدع بقوة هؤلاء الارستقراطيين، فمال إليهم، وأغدق عليهم عطفه، ودخل عمه الشريف ناصر، والأثرياء ممن يريدون مماشاة السلطة في هذا الحزب، إلا أن الأيام الصعبة التالية، أثبتت أن هؤلاء الارستقراطيين، كانوا (انتهازيين) يماشون كل سلطة تحفظ مصالحهم(٢٠).

---

(١٩) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٣٠.

(٢٠) قدري، ص ١٧٣ — ١٧٤ ودروزة، ص ٨٦.
أنكر الشريف ناصر انتسابه للحزب المذكور. جريدة العاصمة عدد ٩٩ (٥ ففريه / شباط /).
كان محمد كرد علي ناقماً بشدة على الوطنيين الملتفين حول فيصل، ووصفهم في مذكراته وصفاً عنيفاً، فقال «وأكثر ما ضر بالملك فيصل وعجل في القضاء عليه، الاعتماد على الصعاليك الأغمار، ومعظمهم أطفال في السياسة يريدون الظهور والانتفاع قبل كل شيء» ووصف القصاب رئيس اللجنة الوطنية «بأنه شيخ كتاب، أملى إرادته على فيصل والأهالي ... وكان بعمله الأخرق سبباً في إزهاق أرواح مئات من الناس، وما كانت غايته إلا الظهور والاستئثار بالمغانم، وكان يزيد في رعونته، كلما رأى آراءه مسموعة، ودعوته في
←

وإتماماً لمهمته، سافر فيصل إلى حلب في ٢٨ جانفي / كانون الثاني /، لاقناع الزعماء بسلامة خطته والوثوق به، وبث روح الطمأنينة في نفوس الأهلين على مستقبل بلادهم، وطلب من زعماء الثورات الذين كانوا على اتصال بمصطفى كمال، الكف عن أي عمل عدائي ضد فرنسا، والاتصال بالأتراك.

وكانت تسود حلب في هذه الفترة دعاية قوية ضد فيصل، بسبب تأثير الثوار الأتراك، حتى إن القنصل الأمريكي في حلب، أرسل برقية إلى وزارة الخارجية الأمريكية في ١٥ جانفي / كانون الثاني /، ذكر فيها أن فيصلاً مهدد بالاغتيال في حلب(٢١). وكان الموقف هناك ناتجاً عن تسلم الوطنيين للسلطة، قبل وصول فيصل من أوروبا، وكانوا على اتصال بالأتراك(٢٢).

← تضليل العقول ناجحة». لكن كرد علي انتهت نقمته، إذ عينه الفرنسيون وزيراً أثناء انتدابهم، بعد زوال هؤلاء الذين ذمهم.

مذكرات كرد علي، ج ١، ص ١٣٥ و ج ٤، ص ١٢٩٢.

وجاء في مذكرات خالد العظم، أن فيصلاً أخبر أباه فوزي العظم (من جماعة المعتدلين والحزب المذكور)، بوجوب دعمه له ودعم المعتدلين أيضاً، انقاذاً لسورية من الفرنسيين. وقال بأنه مضطر لمسايرة الشباب أمثال الدكتور أحمد قدري، حتى لا يسمح لهم بأن يقودوا البلاد كما يريدون، إذا خاصمهم علناً. ويسمي خالد العظم هؤلاء الوطنيين المسيطرين على فيصل، برجال الغيب، ويقول أنهم كانوا معروفين بهذا الاسم أيام فيصل. ولم نجد هذه التسمية إلا عنده.

مذكرات، ص ٩٨، ١٠٧

وهذان مثلان من الصراع بين ما سموا بالمتطرفين، وما سموا بالمعتدلين القابلين للانتداب.

(٢١) Evans. P. 246.

(٢٢) أرسلت الحكومة الوطنية في ١٤ جانفي / كانون الثاني / سعيد حيدر من حزب الفتاة، إلى مصطفى كمال للاتفاق معه على عمل مشترك، وذهب معه (بادي بكداش) وهو ضابط تركي كبير متقاعد، وقابلهما فيصل في بيروت في أثناء عودته، وطلب فيصل من سعيد حيدر العودة إلى دمشق، والتوقف عن هذه المهمة، لكن هذا رفض، وقال إنه لا يستطيع نقض أوامر الحكومة، ولا يستطيع أن يرى سورية مستعمرة فرنسية. وسافر حيدر وقابل مصطفى كمال، واتفق معه على ١ ــ تعديل الحدود الشمالية ٢ ــ قيام جبهة متحدة بينهما ٣ ــ توضع قيادة واحدة للجيش العربي والتركي ٤ ــ إذا انتصر الفريقان تشكل دولتان مستقلتان تكون العلاقة بينهما كعلاقة النمسا ــ بالمجر قبل الحرب، وتحدد هذه العلاقة باتفاقية لمدة خمسين سنة.

انظر Zeine, the Struggle. P. 147 و Documents, IV, P. 567

←

وبرغم الجو المعادي في حلب، استطاع فيصل أن يقنع الوطنيين بسياسته، ولم يلق مقاومة كما لقي في دمشق[٢٣]، لأن زعماء حلب كانوا في دمشق، ولأن حلب كانت بعيدة عن الاجواء الوطنية العارمة التي كانت تعيشها دمشق، بسبب تمركز الوطنيين فيها من جميع الجهات، ولأن فيصلاً كان أملهم في الاستقلال كما كان أمل أهل دمشق.

وبعد أن استطاع فيصل تهدئة الأمور في الداخل، أراد أن ينهي قضية الثورات والمعارك على الحدود اللبنانية ضد الفرنسيين، فذهب إلى بيروت يرافقه نوري السعيد، وقابل غورو في الثالث من ففريه / شباط /، وطلب منه إصدار عفو عن الثوار حتى يتمكن من التأثير عليهم بالتوقف، ويطمئن الطرفان العربي والفرنسي. وأشار بإقامة حكومة وطنية في بيروت، حتى يكون التفاهم تاماً بينه وبين الأهلين. لكن غورو رغم احتفائه به، لم يقطع له العهد بما طلب، لأن وزارة كلمنصو كانت قد سقطت، وخلفتها وزارة برئاسة (ميلران) اليميني المتطرف. وكان كلمنصو يراعي فيصلاً، ويعتبره حليفاً في الحرب بطريقة ما[٢٤]. وأحس فيصل من جديد بالصعوبات التي سيلقاها من الفرنسيين، وخفت حماسته للعودة إلى باريس.

لكنه استمر في دعم موقفه في الداخل، وتيقن أن لا مناص من الاتفاق مع الفتاة وحزب الاستقلال، إذا أراد لسياسته ان تنجح. فعقد اجتماعاً مع الهيئة الادارية للفتاة، وأعاد عليهم مزايا اتفاقه مع كلمنصو، فرفضوه مشافهة وكتابة، وأعلنوا أنهم

← أرسل غورو من بيروت في ٢٥ جانفي / كانون الثاني /، عن منشور يحوي دعوة مصطفى كمال للسوريين للحرب لأن الفرنسيين هم ميكروب الانسانية والحضارة الاسلامية وهم يعذبون المحمديين الأعزاء. لنفجر حرب الحقد والثأر، لنضرب العلم الفرنسي الوحيد، وكل المسلمين في الأناضول وكردستان والروملي معنا. وإن متنورينا قد فعلوا ذلك من قبل. ولا يستطيع الفرنسيون أن يرسلوا مزيداً من القوات، ولن يحصلوا على أية مساعدة من الانكليز، الذين مزقت عصاباتنا قواتهم. وبكم سنهاجم في مارس / آذار / خربوط، مرعش، عينتاب ثم أضنا، وأخيراً سورية. اتحاد الاسلام من أجل الحرب المقدسة.
D.F.Aff, Etr, Levant, 22, No 184/6/ PP. 25-26

(٢٣) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٢٩.

(٢٤) قدري، ص ١٧٤ — ١٧٦.

سيردون أي عدوان فرنسي أو انكليزي بقدر ما يستطيعون، لأن ذلك أفضل من أن تصبح سورية كتونس ومراكش[٢٥]. وبذا أخذت العراقيل والصعوبات تقف أمام اتفاق فيصل ــ كلمنصو، من جانب الوطنيين، ومن جانب الفرنسيين، بعد سقوط وزارة كلمنصو. وبدأت علائم الاخفاق تظهر على هذا المشروع.

وكان يوجد لهذا المشروع بعض المؤيدين، إلا أن أصواتهم كانت خافتة ولم ترتفع إلا بعد انهيار العهد، وكانوا يرون أن التفاهم مع فرنسا، خير وسيلة لضمان الاستقلال، وأن نصوص الاتفاق ليست شديدة على أمة ضعيفة[٢٦].

ومضى معظم شهر ففريه / شباط / دون حوادث تذكر على الحدود، أو في الداخل، وكان ذلك بفضل ما قام به فيصل من جهد، وانتظار ما يأتي به المستقبل. ولم يهمل فيصل الجيش، بل أصدر أوامر صارمة، حتى لا يتهرب أحد من الخدمة الاجبارية، التي أقرتها الحكومة في أثناء غيابه.

علاقة فيصل بالانكليز والفرنسيين في هذه المرحلة

بعد أن لمس فيصل من غورو النية في عدم التعاون معه، وبعد أن أخذ أمله يتضاءل بتنفيذ اتفاقه مع كلمنصو، عاد من جديد يطالب بريطانيا بالوفاء بوعودها للعرب، بعد أن أصبحت هذه العهود شائعة على ألسنة الناس، ويطالبون فيها ويحرجونه بذلك. كما زادت موقفه حرجاً تلك البرقية التي نشرتها الصحف من والده الحسين،

(٢٥) كان من رأي قدري في معارضته لمشروع اتفاق فيصل ــ كلمنصو ــ كما أوضحه لوفد من الصحفيين في دمشق ــ أن الانتداب ليس إلا حماية مقنعة، المصدر نفسه، ص ١٦١.
ويذكر عبد الرحمن الشهبندر، أن فيصلاً قال له في بغداد سنة ١٩٢٦، بشيء من الأسف الصريح، إنه لو تم تنفيذ الاتفاق، لما كانت في سورية تلك الحالة المنكرة.
قاسمية، ص ١٨٤.
ودافع عوني عبد الهادي عن الاتفاق وقال «إن السياسي الماهر يجب أن يفرق بين الممكن وغير الممكن» وخاصة بعد أن احتك بسياسة فرنسا وبريطانيا. المصدر نفسه، وفي مقابلة شخصية بين محي الدين الخطيب وقاسمية، أن فيصلاً قال للناطور (عضو في الفتاة ــ الهيئة الادارية) «أنا لا أقبل أن أكون ملكاً ختاماً»، فقال الناطور إن الامة تعيش في عصر الشورى. وخرجوا من الاجتماع على تنافر». المصدر نفسه.

(٢٦) نفس المصدر.

الذي ينكر عليه أي عمل يقوم به مالم يحقق « وحدة العرب » واستقلالهم . ورأى أن نتائج أعماله أصبحت في ميزان خاسر ، بالنسبة لأبيه والوطنيين والفرنسيين . ولذا توجه إلى (اللنبي) وسأله في ١١ ففريه / شباط /، عن مصير الأمة العربية ، مع العلم أنه يعلم أن اللنبي لايستطيع تقرير مصيرها . لكنه كان يريد تطميناً منه ، حتى يبقى الهدوء شاملاً البلاد ، فيما لو أراد السفر إلى أوروبا[٢٧] .

وكان جواب اللنبي قاسياً عليه ، إذ أعلمه أنه لم يعد لبريطانيا من اهتمام في شؤون سورية ، لأن الأمر متروك لمؤتمر الصلح ، ولذلك فإن بريطانيا لا تستطيع أن تقدم له شيئاً جديداً . وختم اللنبي جوابه قائلاً « ليس عنده زيادة يقولها لفيصل ، عما وجده (فيصل) في لندن ، أما بالنسبة للعراق ، فليس من اختصاص اللنبي ، وأما فلسطين فستحل في مؤتمر الصلح ، وأن فيصلاً يعرف كل ذلك . أما بالنسبة للموقف الحاضر ، فكل المعلومات متوفرة لدى فيصل ، وأخيراً ليس ضرورياً أن يرسل له فيصل تفصيلات أخرى »[٢٨] .

أما موقف فرنسا ، فكان في قسم كبير منه يتعلق هذه المرة بالجنرال غورو ، المفوض السامي الفرنسي في بيروت . فمنذ وصول فيصل من فرنسا إلى سورية ، حاول غورو أن يستفيد من نفوذه (فيصل) ، لإنهاء الأعمال العدائية ضد الفرنسيين في مناطق مختلفة . وكان غورو يأمل بالفعل بأن عودة فيصل قد توقف هذه الأعمال ، ومحاسبة مرتكبيها . ففي اليوم التالي لوصول فيصل أي في ١٥ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ ، أرسل له غورو قائمة بالحوادث التي عارضت فيها الحكومة (الشريفية) بنقل المواد الفرنسية ، على الخطوط الحديدية السورية ، منذ وصول غورو . وكان عددها ما بين أول ديسمبر / كانون الأول / و ٩ جانفي / كانون الثاني /، واحداً وعشرين حادثاً ، كما عدد له أعمال العصابات ضد القرى المسيحية على الحدود اللبنانية[٢٩] .

(٢٧) F.O. P. 76-77

(٢٨) Ibid

(٢٩) D.F.Aff. Etr, Levant, 22, PP. 168-171, et 175

وكان غورو يعتقد أن فيصلاً، لا يستطيع أن يلعب لعبة مزدوجة مع الفرنسيين، لأن ذلك سيكون ضد مصلحته مباشرة، وضد ادعائه بأنه بعيد عن الموقف العدائي ضد فرنسا، برغم وجود حزب متطرف إلى جانبه، يملك السلطة، لكنه يحسب لفيصل حساباً(٣٠). لكن غورو كان له رأي باللجنة الوطنية العليا، ذات التأثير الشعبي الواسع، إذ كان يرى أنها سوف تتفق مع الأتراك، إذا وقع فيصل أخيراً اتفاقاً مع الفرنسيين(٣١). وبرغم كل مداراة فيصل للطرفين، الفرنسيين والعرب، فقد كانت تظهر حيرته وانشغاله في التوفيق بينهما، وهذا ما لمسه الجنرال غورو، عندما قابله فيصل في بيروت في ٦ ففريه / شباط /. وكان انشغاله ناتجاً من السياسة الفرنسية في المنطقة الغربية، وخاصة منها الشؤون الادارية المتعلقة بالمسلمين. وعندما طلب منه فيصل إطلاق سراح الهاشمي، ونقله إلى فرنسا، رفض غورو كما رفض بأي شكل من الأشكال أن يعود لدمشق، واقترح أن يسافر إلى الحجاز(٣٢). وكان غورو بطبيعة الحال يريد أن يخفف من ضغط الوطنيين على فيصل. وكانت الحكومة الفرنسية، تعلم تمام العلم موقف فيصل المحرج في سورية بينها وبين الوطنيين. وحاول وزير الخارجية الفرنسية أن يجد له السبيل السهل للخروج من موقفه، فأرسل لغورو رسالة في ١٠ ففريه / شباط /، بأنه يجب ألا يظهر فيصل تعاوناً مخلصاً بالكلية تجاه فرنسا ـــ اثناء معارضة الوطنيين ـــ لكنه يجب أن يفعل كل شيء حتى يطيعه العرب في كل الظروف. وليس هذا، برأي الوزير، يتعلق بإرادة فيصل فقط كي ينفذ الأمر، وإنما هو أيضاً، وجوب ممارسة سلطته الحتمية، حتى يكون اتفاقه مع فرنسا محترماً بشكل يرضي المصلحة المشتركة(٣٣). وإشعاراً لفيصل بالسياسة الفرنسية الطيبة نحوه، أرسل وزير الخارجية الفرنسية في ١٠ مارس / آذار /، رسالة إلى غورو كي يدفع لفيصل

---

(٣٠) Ibid, (2 Fev) P. 211

(٣١) Ibid. (25 Jan) P. 8

(٣٢) Ibid, Levant, 23, (6 Fev) P. 1 et 7

(٣٣) Ibid, PP. 58-59

المعدل الوسطي من الاعانة الشهرية عن شهر جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، ومقدارها ٢٫٨٥ مليون فرنك(٣٤).

واستمرت قضية تسليم منطقة البقاع إلى الفرنسيين في تعكير الجو بين فيصل وغورو، لأن هذه القضية كانت أبرز حجة ظاهرة على السطح، يتخذها الوطنيون دليلاً على عداوة فرنسا. وكانوا يحرجون بها فيصلاً. وأراد هو بدوره أن يحلها لصالحه، حتى يتمكن من تنفيذ اتفاقه مع كلمنصو، أو حتى يسكت الألسنة الجارحة التي تنتقد سياسته الخاصة بذلك الاتفاق. ولذلك أوفد فيصل نوري السعيد في ٤ مارس / آذار / إلى غورو، وقابله وبحث معه مسألة انسحاب الفرنسيين من البقاع، لكن غورو رفض طلبه، وأجابه بأن فرنسا لا تستطيع الانسحاب من البقاع، لكنها تريد مساعدة سورية فقط، ولا تريد أن تحكمها حكماً مباشراً، وأنها ستقف إلى جانب حقوق لبنان جميعاً ـــ باعتبار البقاع من أراضي لبنان ـــ حسب اتفاق الدولتين (بريطانيا وفرنسا)(٣٥). وهكذا لم يستطع فيصل أن يتقدم خطوة واحدة، بالتوفيق بين المتناقضين، الوطنيين وغورو.

ولم يكن غورو يغفل الناحية العسكرية، والحالة المضطربة داخل سورية، فكان يعلم بمدى المعارضة الشديدة من متطوعي لجنة الدفاع الوطني، وأن فيصلاً لا يقدر منعها، كما تحدث عن مهاجمة الانكليز لمنطقة الصالحية والبوكمال في منطقة دير الزور(٣٦)، كما تأكد غورو من أن فيصلاً يحاول أن يعد جيشاً كبيراً، لأنه طلب ألبسة وأقمشة تكفي لثلاثين ألف رجل(٣٧)، ولا يمكن أن يكون هذا الجيش معداً لمحاربة العرب أو الانكليز. كما لاحظ غورو وصول عملاء شيوعيين إلى سورية وتركيا، للعمل

(٣٤) Ibid, Levant, 22, P. 189

(٣٥) D.F.Aff, Etr, Levant, 24, No 305, P. 150 et No 512, P. 153 et No 513, P, 154, Gouraud, Beyrouth

(٣٦) D.F.G. Levant, 8B2, 9 Fev et 4 Mar

(٣٧) D.F.Aff. Etr, Levant, 24, (26 Fev) P. 38

المشترك ضد الاحتلال الفرنسي[٣٨]. إضافة للحوادث والقتال الذي جرى ضد الفرنسيين على الحدود اللبنانية، وإلى التهديدات المستمرة من دمشق واللجان الوطنية فيها لمحاربة الفرنسيين. وكان لابد من أجل كل هذا، أن يتخذ غورو الاستعداد العسكري اللازم، للسيطرة على الموقف حين يحين الوقت، وهذا ما كان يزيد من خوف فيصل، ويقربه من جديد من الوطنيين، حتى إن فيصلاً رفض طلباً لغورو لنقل القوات الفرنسية على خط رياق ــ حلب ثم إلى تركيا. وقد طلب فيصل مقابل السماح باستعمال الخط، أن تنسحب القوات الفرنسية من منطقة رياق والمعلقة، وهذا ما رفضه غورو. كما أن فيصلاً في حالة تحيره، ومحاولة حفظ سمعته بين الوطنيين، قد أبلغ غورو في ١٧ ففريه / شباط /، أن الحكومة السورية لا تعترف بأي قرارات لمؤتمر الصلح في حالة غيابها[٣٩]، وكان ذلك، بعد أن سمع عما يدور في لندن، بين انكلترا وفرنسا بشأن سورية، وهذا يعطي دليلاً مبدئياً على إمكانية نكوص فيصل باتفاقه مع كلمنصو.

أما رأي المسؤولين الفرنسيين في باريس فقد تبدل وتغير منذ تسليم ميلران رئاسة الوزارة، بدلاً من كلمنصو، وأصبح أعنف وأشد من معاملة غورو لفيصل.

فقد أرسل رئيس الوزراء الفرنسي (ميلران) السيد برتلو إلى لندن، لحضور مؤتمر الصلح الذي عقد ما بين ١٢ ــ ١٧ ففريه/ شباط /. وشرح برتلو فيه اتفاق فيصل ــ كلمنصو، وقال إن فيصلاً غادر فرنسا وهو على أتم الرضى، لكن شخصيته الضعيفة، ستجعل موقفه صعباً، لأنه محاط بمجموعة من الأفراد يحملون شعوراً معادياً لفرنسا في دمشق، فإذا فقد سلطانه بسبب ضعفه، فإن كل الاتفاقات معه تعتبر لاغية[٤٠].

كما أن بعض الصحف الفرنسية، عادت تصف الحالة في سورية بالفوضى،

---

(٣٨) D.F.G. Levant, 8B2, 3 Fev Beyrouth

(٣٩) Ibid, Telegr de Gouraud.

(٤٠) Zeine, The Struggle, P. 136

وتسلط المتطرفين على فيصل، وإعلان عدائهم لفرنسا[٤١]. أما فيصل نفسه فكان لا يزال راغباً في تنفيذ اتفاقه مع كلمنصو، وكان يحاول دائماً أن يلطف الجو مع الفرنسيين، لكنه صار يطالب ببرهانٍ على نية فرنسا الطيبة لمساعدتها إلى سورية، بأن تعلن تأكيداً حقيقياً في ذلك يلمسه كل الناس، ويعبر في الوقت نفسه عن رغبة فرنسا في تنظيم سورية، وإرسال المستشارين الفنيين للمساعدة فقط، في ميدان الثقافة والسياسة والاقتصاد[٤٢]. ولعله كان يظن أن تصريحاً من هذا النوع، قد يغير رأي الناس في رفضهم اتفاقه مع كلمنصو.

لكن الفرنسيين من جهة أخرى، لم يحافظوا على اتفاق الحدود مع فيصل، بين لبنان وسورية، فدخلوا في مناقشة مع الانكليز بين جانفي / كانون الثاني / ومارس / آذار /.

وكان من المفروض أن يؤجلوا المناقشة، حتى عودة فيصل إلى أوروبا. وفي مناقشتهم هذه، كانت بريطانيا تسعى لتحقيق حدود ملائمة اقتصادية واستراتيجية لفلسطين، حتى توفر الشروط الطبيعية للصهيونيين، وكذلك كان موقف فرنسا بتأمين حدود طبيعية واقتصادية للبنان الكبير العازمة على انشائه. وكانت (سورية الداخلية) هي الخاسرة الوحيدة في المناطق الثلاث، إذا تجاوزنا المفهوم القومي. وأصر الانكليز على أن تحقق حدود فلسطين الأمور التالية:

١ ـ رغبة الصهاينة في مياه الأنهار (الأردن، بانياس، الحاصباني، الليطاني).

٢ ـ رغبتهم في شرقي الأردن.

٣ ـ وضع وادي اليرموك تحت تصرف الانكليز، حتى يضمنوا الخط الحديدي الذي

---

(٤١) كتبت جريدة Temps لمراسلها في بيروت «ان المتطرفين في دمشق يحضون الناس على مقاومة الفرنسيين، وأخذوا يتعاونون مع الحزب الوطني التركي، واختلفت الدوائر العمومية في دمشق. والفوضى الكبرى سائدة، واللجنة الوطنية تضج وتتظاهر ضد الفرنسيين، وتنظم جماعات من الوطنيين لمقاومتهم، والحكومة الحاضرة عاجزة عن توطيد الأمن».
نقلاً عن المقطم، عدد ٩٤٠٥، ٢٣ ففريه / شباط / ١٩٢٠.

(٤٢) نفس المصدر.

يصل بين حيفا ودرعا . وأخذ مسافة أمان كافية إلى شماله حتى يكون محمياً ، كما أنه يجب التأكيد بشكل دقيق ، إذا كانت مدينة (القنيطرة) السورية داخلة ضمن الحدود الفلسطينية أم خارجها(٤٣) .

وكان الفرنسيون في هذه المناقشة يراعون الحدود الفاصلة بين لبنان وفلسطين ، فلم يقبل (برتلو) التخلي عن الضفة اليسرى لنهر الليطاني لليهود ، وعللت وزارة الحرب البريطانية ذلك ، بأن الفرنسيين يريدون أن يوجدوا توازناً في المنطقة ، رداً على سورية فيصل . ولذا فهم يرغبون في تكوين لبنان الكبير الذي يضم حوض نهر الليطاني كله . إلا أن برتلو كان مستعداً أن يعقد اتفاقاً اقتصادياً مع الصهيونيين في فلسطين ، يأخذ فيه بعين الاعتبار فائدتهم من استعمال مياه الليطاني ، بشرط أن يبقى المسقط خارج حدود فلسطين . كما أن برتلو قبل بإعطاء القنيطرة والمناطق الجنوبية من جبل الحرمون ووادي اليرموك للانكليز ، حيث يمر خط حديد درعا ــ حيفا ، ومنطقة شمالية أخرى لحمايته ، بصفتهم الدولة المنتدبة في فلسطين . وفي الشمال ، فإن فرنسا تعطي مدينة (دان) وما حولها للصهيونيين ، كما تظهر في خريطة (آدم سميث)(٤٤) . وفي هذا الوقت الذي كان فيه الفرنسيون والانكليز ، يضعون الحلول الملائمة لتحقيق مصالحهم ، كان العرب في سورية يعدون لاعلان استقلالها .

إعلان الاستقلال

ظل الوطنيون ، برغم رفضهم لمشروع اتفاق فيصل ــ كلمنصو ، يحيطون فيصلاً ويدارونه ، كما استمروا في التأثير عليه ، علّه يغير موقفه ويسير إلى جانبهم ، وإن لم يكن في المقدمة . وكانوا يطنبون في مديحه ، بينما هم يبينون له الخط القومي الواجب

(٤٣) F.O. 371 /5032/ P. 154

(٤٤) Ibid

كانت خطة الصهيونيين تقضي بحفر قناة لجر مياه الليطاني إلى الحاصباني ، ليزيدوا الطاقة الكهربائية في فلسطين ، ولغرض السقاية أيضاً . Ibid

اتباعه. وفي الحقيقة إذا أردنا التعرف على الموقف في شهر شباط الهادىء في سورية، نجد خطاب القصاب يرسم صورة واقعيّة له، ولسياسة الوطنيين هذه من فيصل. إذ بدأه بـ «أهلاً ومرحباً بسمو الأمير المعظّم، وأهلاً بخير وافد يحمل راية عقدت له من قبل الأمة العربية، ألا وهي راية الاستقلال العربي عامة (وسورية) خاصة، أهلاً بابن سيد العرب ومنقذها من الضيم، مرحباً برائد الخير وحامل لواء الدفاع، والذي تكن جوانحه قلباً ذكياً تخفق فوقه راية الاستقلال...».

وبعد ذلك ذكر أهداف الشعب في الوحدة والاستقلال، التي يعمل لها فيصل. ونفى عن فيصل كل ما يقال، انه قبل باتفاق ينافي حرية الوطن، لأنه «لم يحد أبداً عن رغائب الأمة الاستقلالية»(٤٥).

وفي هذا الجو أراد الوطنيون التخلص من الوضع الراهن لحكم الحلفاء لسورية —وإن لم يمارس عملياً— لأنهم كانوا مقتنعين أولاً أن مؤتمر الصلح لن يحقق لهم أهدافهم القومية، وخاصة بعد انسحاب ولسن من سياسة أوروبا، وثانياً يضعون مؤتمر الصلح تحت أمر واقع، وثالثاً يتخلصون من تردد فيصل. فإن هم أغروه بالملك (عملياً)، فربما يتخلى نهائياً عن تمسكه بفرنسا وبريطانيا، إذا كان طموحه للحكم يتحقق عن طريق آخر، ورابعاً يحقق الوطنيون هدفهم القومي باستقلال سورية على الأقل. والحوا على فيصل أن يدعو المؤتمر السوري، لعقد جلسة تتعلق باستقلال سورية. أما هو فقد اقتنع بخطة الوطنيين للأسباب السابقة نفسها، مع ما يشعر به من الفتور من تحقيق اتفاقه مع كلمنصو كما مر. لكنه لم يقدم على هذه الخطوة حتى استشار الكولونيل الفرنسي تولا معاون ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق، وصديق

---

(٤٥) القى القصاب خطابه هذا، بمناسبة احتفال اقامته اللجنة الوطنية لفيصل، في معسكر اللواء الأول (للفرسان المتطوعة)، في ضاحية المزة القريبة من دمشق، حيث قدم فيصل علم المشاة إلى قائد اللواء. وكتب على وجه العلم «بسم الله الرحمن الرحيم، وجاهدوا في سبيل الله، ان الله معنا، انا فتحنا لك فتحاً مبيناً، وعلى الوجه الثاني: لا اله إلا الله محمد رسول الله. اللواء الأول مشاة سنة ١٣٣٨». والعلم محفوظ في المتحف الحربي في دمشق.
جريدة الدفاع، عدد (٣٥) ١٦ فبراير / شباط / ١٩٢٠.

فيصل، فأيد تولا رأي فيصل بعد استشارة الكولونيل كوس، ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق. وكلفهما فيصل بأخذ رأي غورو، فلم يمانع[٤٦]. لكن الوثائق الفرنسية لا تذكر أي رأي أو جواب لغورو حول هذا الموضوع، بل ذكرت أن نوري السعيد قابل في ٤ مارس / آذار / الكولونيل كوس والكولونيل تولا، وشرح لهما أن غاية فيصل هي إعلان الاستقلال، ثم المساعدة الفرنسية لسورية. وأصر نوري السعيد على ذلك حتى يمكن فصل سورية عن الحجاز، لأن الحسين سيتخذ بوحي من انكلترا ـــ حسب رواية غورو عن نوري السعيد ـــ التي غيرت علاقتها مع الأمير فيصل، موقفاً معارضاً لفيصل بشأن سورية واستقلالها. وأراد بذلك نوري السعيد، أن يسهل الأمور للفرنسيين، لأنه في حالة قبولهم استقلال سورية، فسوف تصبح قضيتهم بشأنها متعلقة فقط مع فيصل، الذي أعلن قبول مساعدتهم. وهكذا يتخلصون من معارضة الحسين والانكليز معاً. وقد أرسل غورو إلى حكومته ما عرضه نوري السعيد ـــ ولم نجد لغورو رأياً أو جواباً ـــ وإنما ذكر لحكومته أيضاً أن فيصلاً سيصبح ملكاً على سورية من قبل مؤتمر يعقد في دمشق خلال عدة أيام، وكان تاريخ جوابه هذا ٤ مارس / آذار / أي قبل أربعة أيام من تتويج فيصل ملكاً على سورية[٤٧].

واستشار فيصل رضا الركابي، فطلب منه التريث، حتى يستشف رأي الانكليز، لأنه كان على صلة دائمة بالضباط الانكليز بصفته حاكماً عسكرياً. ولم يحبذ الانكليز الاقدام على إعلان الاستقلال، وكان من رأيهم الانتظار حتى يقرر ذلك مؤتمر الصلح. وكان رأيهم عن موقف الفرنسيين من تأييد الاستقلال، هو توريط فيصل لاتخاذ خطوته هذه، حتى يسهل عليهم التدخل في المستقبل، والمساومة من

---

(٤٦) قدري، ص ١٧٧ ـــ ١٧٨.

كان البعض يصف تولا بطيبة القلب، وكانت تجري أمامه اجتماعات وأحاديث كثيرة، وهو يخفي معرفته باللغة العربية (لأنه خدم طويلاً في الجزائر). وكان يسكن ضيفاً على أحد السياسيين في دمشق، ويطلع كثير على الحالة السياسية الداخلية. وقد نبه كرد علي هؤلاء عنه، حتى احتاطوا للأمر.

كرد علي، مذكرات، ج ١، ص ١٣٢.

(٤٧) D.F.Aff, Etr, Levant, 24, 14 Mai, PP. 156-157

و D.F.G. Levant, 8B2 (4 Mai)

جديد على شروط أخرى، حتى يعترفوا بالاستقلال. ووافق الركابي أيضاً، بعد أن علم بموافقة فرنسا، وبأنه سيصبح رئيس الوزراء(٤٨).

وكانت ايطاليا ترغب في استقلال سورية حتى تستفيد منها، لأنها لن تستطيع ذلك مادامت هي بيد الفرنسيين والانكليز. وكان ممثلها الدبلوماسي المسيو (دي باترلو) ذا مرتبة رفيعة، ويتظاهر بصداقته للعرب، ويؤيد السياسة العربية في سورية، منافسة لبريطانيا وفرنسا، فشجع كثيراً على اتخاذ هذه الخطوة الجرئية(٤٩).

وقرر فيصل أخيراً تأجيل سفره إلى أوروبا، ريثما يعلن استقلال سورية، ويتوج ملكاً عليها. فدعا المؤتمر السوري إلى اجتماع في السادس من مارس / آذار / ١٩٢٠، ودارت الأحاديث بين النواب من سبب عقد المؤتمر، مع أن القسم الكبير منهم، كان يعلم لماذا دعا فيصل المؤتمر للانعقاد.

كان الوطنيون وراء هذه الخطوة، وكان الشعب مندفعاً لتحقيق الاستقلال، لأن سكان المنطقة الشرقية عامة، وأهل دمشق خاصة، كانوا يظنون أن استقلال منطقتهم مضمون عملياً، ولا حرج من التحاق المنطقتين الساحلية وفلسطين بها بعدئذ. وأرى من الفائدة تسجيل الحالة العامة في سورية، التي سبقت اعلان الاستقلال، كما سجلها رشيد رضا، الذي أصبح بعدها رئيساً للمؤتمر السوري، وهي الحالة التي مهدت للاستقلال. قال رضا «كان أهل المنطقة الشرقية عامة، وأهل دمشق خاصة، يظنون أن استقلالهم مضمون، فإن فاتهم التحاق المنطقتين الأخريين بهم، فلن يفوتهم التمتع بالسلطان القومي في بلادهم، وازداد شعورهم قوة بهذا بعد جلاء الجيش الانكليزي، وما تلاه من ترك المراقبة على الحكومة، وان كانت لا تزال عسكرية تابعة للقائد العام الجنرال اللنبي. كانت مظاهر هذا الشعور بالاستقلال، تبعث في نفس الشعب السرور وتقوي الآمال. فقد صارت دواوين الحكومة ومصالحها عربية، والتعليم في المدارس الرسمية كغيرها بالعربية، وتلاميذ المدارس كانوا يتعلمون أناشيد

(٤٨) قدري، ص ١٧٧ — ١٨٨ وكرد علي، المذكرات، ج ١، ص ١٣٢.
(٤٩) نفس المصدر.

الاستقلال، فيترنمون بها صباح مساء، وكانت البرقيات المبشرات والمسكنات ترد على الحكومة من الأمير فيصل، أو من مندوبه أحمد رستم حيدر بعد عودته. وكانت الاجتماعات والمظاهرات حارة، تنفخ في هذه الأماني روحاً حياً. كل ذلك كان يبعث السرور في كل نفس لم تستشف شيئاً من ورائه، حتى إن سليم شاهين، أحد أصحاب المقطم قال لي في بيروت: إنني أقمت في دمشق يوماً واحداً، فبعث في روح حياة عربية ووطنية جديدة، ولا أرى هنا (في بيروت) إلا أمارات الذل والموت التي تبعث الحزن والأسى»[٥٠].

وكان من رأي رشيد رضا في تبرير إعلان الاستقلال، بأنه تقوية لحرية العمل، وإخراج الحكومة من مضيق العسكرية التابعة للقيادة البريطانية، إلى فضاء الحرية الوطنية، لتكوين قوة من الجند المنظم ومن العشائر والقبائل، التي يمكن تنظيمها لحفظ الامن، وإقامة الحجة المحترمة لدى الحلفاء، على القدرة على الاستقلال. لكنه لم يكن يرى أحداً من رجال الحكومة أهلاً للنهوض به[٥١] ولذلك بقي صامتاً في تلك الاحتفالات العظيمة، التي أقامتها الحكومة والشعب. ولم يخطب برغم شهرته بالخطابة، في أي من احتفالات إعلان الاستقلال، برغم الحاح رفاقه عليه للسبب الذي ذكره[٥٢].

ومهما كانت أسباب إعلان الاستقلال مختلفة في دوافعها عند الوطنيين، فإن إجماعاً قوياً قد تكون على الاستقلال نفسه آنذاك. وعقد المؤتمر السوري جلسة في ٦ مارس / آذار /، برئاسة هاشم الأتاسي (نائب حمص ومن حزب الاستقلال)، وحضر فيصل الجلسة. وكانت أصوات المتظاهرين خارج المؤتمر تنادي بالاستقلال،

---

(٥٠) مجلة المنار، مجلة ٢٣ ج ٣، ص ٢٣٧ — ٢٣٩.

(٥١) يقول كرد علي في مذكراته ج ١، ص ١٣٥ «قيل ان مبايعة فيصل بملك الشام، كان بفعل جماعته الذين عول عليهم، واصطفاهم لسياسته. وكانوا يعتقدون ان يجعلوا من انكلترا وفرنسا أمام أمر الواقع، إذا هم تقدموا فيما بايعوه. وسواء أكان الانكليز راضين عن هذه المبايعة، أو غير راضين، فقد خذلوه لما جاء دور الرسميات».

(٥٢) مجلة المنار، مجلد ٢٣، ج ٣، ص ٢٣٧ — ٢٣٩، ٢٩ مارس / آذار / ١٩٢٢.

ووجوب الدفاع، وتأليف حكومة ديمقراطية، وان يتوج فيصل ملكاً على سورية، على ان يكون ملكاً دستورياً وديمقراطياً عادلاً[٥٣]. والقى عوني عبد الهادي، أمين سر فيصل، خطاباً باسم فيصل، تضمن النقاط الهامة التالية:

١ ــ تبرير إعلان الاستقلال، بأنه تحقيق للمبادىء السامية التي حارب من أجلها في استقلال الشعوب، والتي أعلنتها انكلترا وفرنسا في منشور ٨ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٨. وأيضاً تحقيق مبادىء ولسن، أو لما لمسه فيصل في أوروبا من حسن نوايا الحلفاء تجاه العرب.

٢ ــ إن استقلال سورية هو من حق العرب، الذين شاركوا الحلفاء بالحرب بكل شجاعة، شهد لهم الغرب فيها. ولذلك فإن العرب يستحقون أن يشاركوا في مغانم الحرب، مثلما شاركوا في الوصول إلى النصر بما اراقوه من دماء.

٣ ــ ستكون سياسة سورية المستقلة سياسة صلح وسلم، مبنية على الثقة المتبادلة والمنافع المتقابلة، مع الأمم المتمدنة، على شرط الصداقة التي لا تمس بكرامة العرب، ولا تخل باستقلالهم.

٤ ــ الدولة المستقلة الجديدة بحاجة إلى وضع دستور، يحقق لها النظام والعمل والتقدم.

٥ ــ التضامن والتعاضد مع العراقيين، الذين شاركوا السوريين في اداء الواجب الوطني[٥٤].

اعتمد فيصل في بيانه باستقلال سورية، على وهم كبير، وحقيقة صغيرة. أما الوهم، فهو اعتقاده أن مؤتمر الصلح، سيقرر مستقبل كل أمة، حسب إرادتها ورغائبها، اعتماداً على سياسة ولسن، وعلى تصريح الحلفاء في ٨ نوفمبر / تشرين

(٥٣) نفس المصدر، مجلد ٢١، ج ٨، ص ٤٣٨، جوان / حزيران / ١٩٢٠.

(٥٤) الحصري يوم ميسلون، ص ٢٢٠ ــ ٢٢٣.

يقول David ص ٩٢ أنه جرى استبدال بعض الأعضاء في المؤتمر بأعضاء جدد بدون انتخاب.

انظر Longrigg, P. 97

وكانت جريدة العاصمة قد نشرت في الأول من مارس / آذار /، دعوة للنواب للحضور إلى جلسة ٦ مارس / آذار /. عدد ١٠٥، ١٩٢٠.

الثاني / ١٩١٨، وعلى وعود بريطانيا لوالده. فهو يقول «وعد مؤتمر الصلح.. وحتم على نفسه أن يقرر مستقبل كل أمة حسب إرادتها... وخطاب ولسن... الذي يقول فيه، يجب أن تحسم كل مسألة أرضية أم سياسية أم اقتصادية أم دولية، على أساس حرية قبول الشعب ذي العلاقة بتلك المسألة... ونشرت حليفتنا انكلترا وفرنسا منشوراً في ٨ نوفمبر / تشرين الثاني /، أكدتا فيه استقلال بلاد العرب»(٥٥).

ولم يكن فيصل بحاجة لمن يذكره، أن مؤتمر الصلح كان معناه بريطانيا وفرنسا، بعد انسحاب الولايات المتحدة، ولا لمن يذكره بالسياسة الأوروبية ووعودها، التي لم تتحق بعد أن خبر بنفسه، في رحلتيه الطويلتين اللتين، دامتا أكثر من عشرة أشهر، وهي تقارب نصف مدة حكمه في سورية، وخرج منها بنتيجة ثلاثية: تخلي بريطانيا عنه، وإصرار فرنسا على الانتداب على سورية، وانسحاب ولسن(٥٦). وأن اتفاقه مع كلمنصو، يذكره بأن مبادىء وعود الزعماء الأوروبيين، لا طائل من ورائها.

لقد كان فيصل، يعتقد أن الامة العربية، ستنال من المغنم، ما ناله غيرها من حلفائها الذين نالوا الظفر على الأعداء في الحرب. إلا أن اعتقاده هذا، كان وهماً أيضاً لأن العرب أنفسهم كانوا منذ البدء مغانم حرب وظلوا كذلك برغم مشاركتهم في الحرب. وفيصل نفسه خير من عرف ذلك في أوروبا، وليس من الضرورة أن نذكر تقسيم سورية والعراق، واتفاقية سايكس ــ بيكو ووعد بلفور. ومع كل هذا يستغرق فيصل في وهمه، ويقول «فرحلاتي الرسمية إلى أوروبا والاحاديث والكتابات التي جرت بيني وبين ساستها، لم تبق في نفسي مجالاً للشبهة والتردد، في نيات حكوماتها الحسنة»(٥٧).

اما الحقيقة التي بنى عليها فيصل رأيه بالاستقلال، فهي أن العرب استحقوا

---

(٥٥) من خطاب فيصل في المؤتمر في ٦ مارس / آذار / ١٩٢٠، الحصري، يوم ميسلون ص ٢٢١، والعاصمة عدد ١٠٧، ٨ مارس / آذار / ١٩٢٠.

(٥٦) انسحبت الولايات المتحدة من أعمال مؤتمر الصلح في ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩.
Colonel House, P. 162

(٥٧) الحصري يوم ميسلون، ص ٢٢٣، والعاصمة عدد (١٠٧) ٨ مارس / آذار / ١٩٢٠.

حريتهم واستقلالهم، بفضل مشاركتهم في الحرب، وقتالهم الذي شهد فيه بعض القادة الأوروبيين، فما يطلبون من الأوروبيين، هو حق وليس منحة، فهو يقول «إننا لا نطلب من أوروبا أن تمنحنا ما ليس لنا به حق، بل نطلب منها أن تصدق على حقنا الصريح، الذي اعترفت لنا به كأمة حية، تريد حياة حرة واستقلالاً تاماً»(٥٨). وكان الفرق كبيراً بين قوة المصالح الأوروبية، والأماني العربية. وكان فيصل يعرف مدى خطورة ذلك على سورية. ولهذا فقد حاول أن تقوم الدولة الجديدة المستقلة، على المنافع المتبادلة للعرب والدول الأخرى، وأن هذه الدول تعترف بالاستقلال، إذا شعرت أن مصالحها مصانة في سورية.

ودام اجتماع المؤتمر السوري في اليوم الثاني (٧ مارس / آذار /)، اتخذ الأعضاء قراراً بالاجتماع بإعلان استقلال سورية، بحدودها الطبيعية بما فيها فلسطين، ورفض وعد بلفور، مبنياً على المبادىء نفسها التي قدمها فيص في اجتماع اليوم السابق. ونص القرار أيضاً على تطبيق مبدأ اللامركزية، واعطاء ضمانات خاصة للنظام في لبنان، وأن تكون الحكومة مسؤولة أمام المؤتمر السوري، الذي اعتبر مجلساً تأسيسياً أيضاً، وإعلان استقلال العراق، مع قيام اتحاد اقتصادي بينه وبين سورية، واعلان الأمير فيصل ملكاً على سورية(٥٩).

وجرى الاحتفال باعلان الاستقلال، في اليوم التالي ٨ مارس / آذار / ١٩٢٠ الساعة الثالثة بعد الظهر، حضره أعضاء المؤتمر، وأعضاء بلدية دمشق، والوجهاء، ومختلف ممثلي فئات الشعب. وحضره ممثلو الدول الأجنبية ماعدا البريطانيين، لعدم اعترافهم بخطوة المؤتمر وفيصل بإعلان الاستقلال. أما الفرنسيون، فقد حضروا بلباس المراسم، لأنهم أعلنوا موافقتهم على خطوة فيصل قبل الاقدام عليها كما مر معنا، وظهرت الابتسامة على وجوههم. وبعد وصول فيصل، تلا عزة دروزة أمين سر المؤتمر،

(٥٨) نفس المصدر، (الحصري والعاصمة)

(٥٩) انظر نص القرار في الحصر يوم ميسلون، ص ٢٧٨ ــ ٢٨١، وأيضاً الحكيم، العهد الفيصلي ١٣٨ ــ ١٤١.

وانظر أيضاً David, P. 100 وقدري، ص ١٨٥ ــ ١٨٦.

قرار الاستقلال، وتتويج فيصل من على شرفة البلدية في ساحة الشهداء (المرجة)، ورفع العلم الجديد الذي هو العلم العربي نفسه، مع وجود نجمة بيضاء في المثلث الأحمر. وكان ذلك يجري وسط هتافات الجماهير، واطلاق المدفعية مائة طلقة وطلقة. ونصبت لوحة كتب عليها «ليحيا جلالة الملك فيصل». ثم بايع الحاضرون بدءاً من زيد الملك فيصلاً.

وبعد إعلان الاستقلال، تقدم ممثلو العراق، وأعلنوا استقلال العراق، وتتويج الأمير عبد الله بن الحسين (أخو فيصل) ملكاً عليه.

وقد عمت البهجة والافراح مختلف أنحاء سورية، وأخذت وفود التهنئة تؤم قصر فيصل تباعاً، مباركة استقلال سورية ووحدتها. وقد كانت هذه الوفود من فلسطين ولبنان وسورية، كما قامت المظاهرات والاحتفالات في القدس والمدن الفلسطينية، مشاركة في فرحة الاستقلال، وأمت جماهير غفيرة دار المعتمد العربي في بيروت، لتقديم تهانئها[٦٠].

وأظهرت الصحف هذه الفرحة بتعليقاتها العديدة على الاستقلال، وتتويج فيصل[٦١].

---

(٦٠) انظر وصف الاحتفال في: العاصمة، عدد ١٠٨، ١١ مارس / آذار / ١٩٢٠ وأيضاً الحكيم العهد الفيصلي، ص ١٤١ــ١٤٣، وقدري، ص ١٨٦.
نفس المصدر، وأيضاً Tibawi, P. 104
وصل وفد فلسطيني إلى دمشق، وبايع فيصلاً باسم جزء من سورية وهو فلسطين، وقال «اننا نفتخر بأن تكون البلاد، التي أنابت هؤلاء الكرام منها، جزءاً لا يتجزأ من الدولة السورية العربية، تحت ملك جلالتكم، ونرجو الله أن نرى أخواننا وأبناءنا جنوداً في الجيش السوري...».
الدفاع، عدد ٧٠، ٣ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ والعاصمة، عدد ١٠٩، ١٥ مارس / آذار / ١٩٢٠.

(٦١) كتبت جريدة الاستقلال العربي الدمشقية في ٦ مارس / آذار / «هذه الوحدة هي أقل ما يجب أن نطالب بها الآن، ونجاهد بسلامة أجزائه. يجب على كل عربي أن لاينام الليل، ولا يسكن له فؤاد، ولا يقر له قرار، حتى يسمع صوته المحق لآذان من بيدهم الحل والعقد، في تكوين هذه الوحدة، ليعرفوا ان العرب شباباً وشيوخاً، لا يقلون عن حكومات البلقان، حينما نالت استقلالها السياسي.
عن جريدة الحقيقة، عدد (١٠٤٧) ٦ مارس / آذار / ١٩٢٠.
وكتبت جريدة حلب الشهباء في ١٠ مارس / آذار / «ان الاستقلال الذي نفرح به اليوم، لم تأت به
←

وقد اعتبر بعض المعتدلين ان إعلان الاستقلال تسرع لا مبرر له، وخاصة فان الساحل السوري وفلسطين مازالا تحت الاحتلال الاجنبي. وانتقد عبد الله بصراحة إعلان الاستقلال، لأنه كان ضد رغبة الحسين الذي كان يفضل تأجيله، حتى توقيع معاهدة السلم، وتخلي تركيا عن كل حقوقها في البلاد العربية. واعتبر عبد الله أن إعلان استقلال سورية والعراق، من أخطاء العرب، لأنها حطمت الوحدة العربية وجلبت الانتداب إلى البلدين، وعزاها إلى تفكير الزعماء العرب، وتأثرهم بالفكرة اللامركزية منذ أيام الاتراك(٦٢).

وفي الواقع كان هذا الاعلان تعبيراً عن إرادة الشعب في الاستقلال، لكنه كان تتويجاً لسياسة فيصل في خلق دولة سورية، وحكمه عليها، وسياسته هذه هي التي أوجدت أيضاً دولة العراق، هذا إذا وضعنا جانباً سياسة الانكليز والفرنسيين. وعلى كل أصبح فيصل ملكاً منتخباً من شعب، ولم يعد يستمد سلطته، لا من والده ولا من القائد العام اللنبي(٦٣).

وبعد أن دخلت سورية طور الاستقلال، قدمت الحكومة برئاسة زيد استقالتها، فطلب فيصل من الركابي تشكيلها استرضاء للحلفاء، وأملاً في الحصول على الاعتراف منهم بالاستقلال. وشكل الركابي الحكومة(٦٤) من المناطق الثلاث. وكانت

← الصدف، ولا أنعم علينا به منعم، ولا تصدق على الأمة متصدق، بل هو حق طبيعي، اكتسبته الأمة بما أراقته من دمائها في هذا السبيل. والفضل الأكبر لجلالة ملك العرب». نفس المصدر، عدد ١٠٤٩، ١٠ مارس / آذار / ١٩٢٠.

بين مجموعة أوراق محب الدين الخطيب، صور البرقيات التي كانت تنهال على جريدة العاصمة من كل مكان، عن الاحتفالات بعيد الاستقلال.

قاسمية، ص ١٩٢.

(٦٢) مذكرات عبد الله بن الحسين، ص ٢٤٤.

(٦٣) Jeffries, P. 327

(٦٤) شكلت الحكومة كمايلي: رضا الصلح للداخلية (لبنان)، اللواء عبد الحميد القلطقجي للحربية (دمشق)، جلال زهدي للعدلية (حلب)، سعيد الحسيني للخارجية (وهو منصب جديد) (فلسطين)، فارس الخوري للمالية (دمشق)، ساطع الحصري للمعارف (حلب)، يوسف الحكيم للنافعة (الاشغال العامة) اللاذقية.

وزارة معتدلة، خلت من أي وزير عراقي بعد اعلان استقلال العراق أيضاً. وجرت تعيينات جديدة في المناصب الادارية، وشكل بلاط ملكي لفيصل، وضع على رئاسته احسان الجابري، الذي كان قد عمل في قصر السلطان محمد الخامس في استانبول.

ومنذ إعلان الاستقلال، أصبحت الوزارة هي المسؤولة عن الحكم في سورية، أمام المؤتمر السوري. ولم يعد فيصل مبدئياً، هو المسؤول الأول عن ذلك. ولذا بدأت الحكومة، إلى جانب فيصل، في مراسلات الحكومات الأخرى، بما يتعلق بسياسة الدولة.

إلا أن فيصلاً لم يقبل أن تصبح الوزارة مسؤولة أمام المؤتمر، واعتبر ذلك انتقاصاً من سلطته، وتقليلاً من مسؤوليته والاعتماد عليه. وشعر أن اصرار المؤتمر، على أن تكون الوزارة مسؤولة أمامه، ووجوب تقديم بيانها له حتى تنال الثقة، موجه ضده وضد سياسته، وخروج على زعامته والثقة به. وكان يعتقد، ان مهمة المؤتمر تنتهي بانتهاء إعلان الاستقلال وتتويجه سلطاناً. ولذا رفض ان يتقدم الركابي ببيانه أمامه، وأبلغه ذلك، كما أبلغ رشيد رضا بأن ليس للمؤتمر الحق في ذلك، لأنه ليس مجلساً تأسيسياً نيابياً. فأجابه رضا بأن المؤتمر أعظم سلطة من المجلس النيابي، لأنه جمعية وطنية تأسيسية، فقال فيصل بأنه هو الذي أوجده، وأنه لا يعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكومة، فأجابه رضا «بل هو الذي أوجدك، فقد كنت قائداً من قواد الحلفاء تحت قيادة الجنرال اللنبي، فجعلك ملكاً لسورية، وان مهمة المؤتمر لا تتعارض مع الوزارة، فكلاهما يسعى بما يتعلق بالاستقلال والاصلاح الاداري، ثم إن أكثر

← العاصمة، عدد (١٠٨) ١١ مارس / آذار /. والحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٤٤.

ذكر محمد جميل بيهم أنه رجا فيصلاً، كي يعين وزيراً لبنانياً، بعد أن فات اللبنانيين رئاسة المؤتمر السوري، فقبل فيصل وعين رضا الصلح وزيراً للداخلية، كما انتخب بيهم عضواً في لجنة الدفاع، برئاسة جعفر العسكري.

العهد المخضرم، ص ١١٢ــ١١٣.

أعضائه وأكثر أعضاء الوزارة، من حزب الاستقلال، فلا تحدث المعارضة»[٦٥]. فوافق فيصل خوفاً من عدم تراجع المؤتمر عن قراره، وأذعن لقرار المؤتمر باشراك الحكومة بمسؤولية الحكم. وبناء على ذلك، قدم الركابي بيان وزارته أمام المؤتمر في ٢٧ مارس / آذار / ١٩٢٠، وكان بيان أول وزارة لسورية المستقلة. وتضمن البيان المحافظة على استقلال سورية ووحدتها، وصداقتها للحلفاء، ومحافظتها على مصالحهم، وطلبها منهم ما تحتاجه دون المساس باستقلالها. كما تضمن الأسس التنظيمية الداخلية، كحفظ الأمن وتقوية الجيش، وإقامة العدل، بين الناس، ونشر المعارف، وتحسين الاقتصاد، وموازنة النفقات والواردات. وتبقى القوانين العثمانية معمولاً بها، حتى يتيسر للحكومة تعديلها أو تبديلها، بما يناسب المدنية الحاضرة وحالة سورية. ونالت الوزارة ثقة المجلس بالاجماع[٦٦].

وانصرفت الوزارة إلى التنظيم والاعمال الادارية بعد ذلك، وبدأ المؤتمر يضع الدستور للدولة السورية، وانصرف فيصل للأعمال الكبيرة كعلاقات سورية مع الحلفاء.

وفي هذه الفترة وما تلاها من جو الحرية السياسية، تشكلت أحزاب جديدة في المؤتمر وخارجه، ولم تختلف في مبادئها الوطنية أو القومية عن الأحزاب الموجودة أو الوحدة السورية. لكن هذه الأحزاب كانت تعرف بأصحابها وسياستهم. ففي ٣١ مارس / آذار / ١٩٢٠ شكل الشيخ كامل القصاب حزباً مع بعض أعوانه سماه، الحزب الديمقراطي[٦٧]، اشترك فيه جميل مردم من حزب الاستقلال وجمعية الفتاة. وكان نشاط هذا الحزب مندمجاً في نشاط اللجان الوطنية التي يتزعمها القصاب نفسه. وكانت الغاية الآتية من خلق جو ديمقراطي دستوري في علاقات الدولة والسلطات ببعضها. لأن القصاب وجماعة اللجان الوطنية كانوا يريدون الحد من سلطة فيصل

(٦٥) مجلة المنار، مجلد ٢٣، ج ٥، ٢٧ ماي / أيار / ١٩٢٠، ص ٣٩٢ــ٣٩٤.

(٦٦) قدري، ص ١٩٧ والحكيم العهد الفيصلي، ص ١٥٠.

(٦٧) جريدة الدفاع، عدد ٦٨، ٣١ مارس / آذار / ١٩٢٠.
انظر Jeffries, P. 322.

وفعاليته ، حتى تبقى الحكومة هي الفعالة ، وفي الوقت نفسه تكون مسؤولة أمام المؤتمر ، الذي يسيطر عليه الوطنيون من حزب الاستقلال ، أو جماعة القصاب . وبذلك يكون مصير سورية بيد الوطنيين ، لا بيد فيصل ، الذي كان الوطنيون يخافون اعتداله ، وميله نحو الاتفاق مع الفرنسيين .

وتأسس في العاصمة في شهر ففريه / شباط / حزب ضم بعض الشباب ، سموه (حزب الشبيبة الوطنية) ، غايته كما جاء في برنامجه ، خدمة الأمة العربية ، واستقلال سورية الموحدة ، وإقامة حكم ديمقراطي عادل تحت قيادة فيصل ، وجمع كلمة الشبيبة وصيانة حقوقها الأدبية ، وتوحيد الجمعيات والاحزاب[٦٨] . لكن الحزب زاد من عدد الأحزاب بدلاً من توحيدها .

كما تشكل حزب في الجزيرة السورية سمي حزب (فتيان الجزيرة) لم يخرج عن مبادىء الأحزاب الأخرى .

وهكذا أصبح في سورية : جمعية الفتاة ، وحزبها الاستقلال ، والحزب الوطني وحزب العهد السوري ، والحزب الديمقراطي ، وحزب الشبيبة الوطنية وحزب فتيان الجزيرة .

أما أعضاء المؤتمر فقد انقسموا إلى كتلتين أو حزبين ، الأكثرية وسميت حزب التقدم ، والأقلية المعتدلة ، التي لم تكن ترى مانعاً من الاتفاق مع الفرنسيين ، والتي كانت تتألف من الشيوخ ، بزعامة عبد الرحمن اليوسف ، الدمشقي الكردي الغني ، ألفت كتلة أو حزباً برلمانياً سمته (الحر المعتدل)[٦٩] .

وإن كثرة الأحزاب في دولة صغيرة كسورية ، تواجه صعوبات بالغة ، وتقتضي توحيد كل الفئات لمواجهة خطر الاحتلال ، لا تدل إلا على التمزق الوطني ، وسيطرة

---

(٦٨) جريدة الدفاع ، عدد ٣٧ ، ١٨ ففريه / شباط / ١٩٢٠ .

(٦٩) نفس المصدر ، عدد ٧١ ، ٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ .

الزعامات الشخصية، والانحلال السياسي(٧٠)، في مواجهة المصاعب الآتية والمرتقبة، وفشل فيصل في توحيد شمل الأمة.

(٧٠) كتبت جريدة الاخاء في حماه عن تعدد الأحزاب، ووصفتها بكلمة ساخرة قالت فيها «اني أراهن ان الشيطان لو جاء إلينا، ومعه صندوق مال لقدر أن ينشىء حزباً جديداً، له أنصار تعززه، وجرائد تنادي به، وخطباء يشيرون إليه شعراً ونثراً. نحتاج قبل كل شيء إلى اخلاص وبصيرة»
عن جريدة البلاغ، بيروت، عدد ١٤٥٢، ١٣ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

الفصل الثامن

ردود الفعل
على إعلان الاستقلال

موقف بريطانيا وفرنسا

يبدو أن الانكليز لم يتأكدوا من نية إعلان الاستقلال، إلا في السادس من مارس / آذار / ١٩٢٠، عندما عقد المؤتمر الوطني جلسة لهذا الغرض. وكان اعلان الاستقلال، برأي اللنبي، أمراً فرضه المتطرفون على فيصل، وأنه (فيصل) قبل به مضطراً، حتى يتلافى ثورة الشعب ضد الانكليز والفرنسيين على السواء. ومع معرفة اللنبي بذلك، فإنه حذر فيصلاً من إعلان الاستقلال، وأبلغه أن ذلك ليس من حقه، بل من حق الحلفاء. وأبلغ اللنبي أيضاً حكومته، وكذلك أبلغ غورو بخطوة فيصل هذه(١). وردت الحكومة البريطانية على اللنبي باستنكار ما يقوم به فيصل، لأن الحلفاء الذين يدرسون قضية المعاهدة مع تركيا، هم الذين يقررون مستقبل سورية. ولذا فإن الحكومتين البريطانية والفرنسية تأملان ألا يتخذ المؤتمر السوري أي قرار بذلك، وإلا فقد فيصل عطفهما، وعدّ مسؤولاً عن كل ذلك. ولذلك فهما تدعوانه لأوروبا للمشاركة في بحث المسألة(٢).

(١) F.O. 371/ 5032/ P.118

(٢) Young; P.305 انظر Ibid, 126-128

سأل النائب البريطاني (اورمبسي غور) رئيس الوزراء في جلسة البرلمان البريطاني في ٨ مارس / آذار / «عن إعلان ملكية فيصل، فأجابه بأن مؤتمراً لا يعرف من أين أتي أعضاؤه، ولا كيف تألف، قد انتخبه. وقال بأن الموضوع سيحله الحلفاء في مؤتمر الصلح، وأن فيصلاً دعي لذلك».
F.O. 371/ 5632/ P.109-110.

لكن هذا الجواب وصل متأخراً إلى اللنبي في ٨ مارس / آذار / يوم إعلان الاستقلال، ولذا لم يستطع عمل شيء في هذا اليوم، إلا مقاطعة الاحتفال. وفعلاً تغيب البريطانيون وحضر الفرنسيون كما ذكرنا في الفصل السابق.

وإزاء هذا الأمر الواقع (اعلان الاستقلال). رأى اللنبي كحل وسط لمسألة سورية، أن يدعى فيصل إلى أوروبا، بصفته ممثلاً لفلسطين وسورية والعراق، على أن يقبل بإقامة الوطن اليهودي في فلسطين. وكان اللنبي يهدف من وراء ذلك إلى ترضية الشعور الوحدوي العربي من جهة، وضمان «حق» اليهود من جهة أخرى. إلا أن الحكومة البريطانية رفضت اقتراحه، بحجة أنه مناقض لحقوق فرنسا في سورية. ثم أبلغت فيصلاً رسمياً، برفضها الاعتراف باستقلال سورية وتتويجه ملكاً عليها(٣). ولم يكن رفضها منبعثاً في الواقع من صيانة حقوق فرنسا في سورية، كما ادعت بذلك إلى اللنبي، فحسب، بل لأن الاستقلال كان يناقض سياستها في فلسطين والعراق.

أما فيصل، فقد أرسل في ٨ مارس / آذار / رسالة مع نوري السعيد، إلى كرزون يطلب فيها الاعتراف باستقلال سورية، الذي لا يضر في نظره بمصالح الحلفاء، والذي كان بناء على وعد بريطانيا للعرب(٤). كما رد على كرزون مستغرباً عدم اعتراف الحكومة البريطانية بقرار المؤتمر السوري، الذي هو نفسه كان قد اتخذ قرارات كثيرة سابقة، كقراره إلى اللجنة الأمريكية، وما اعترضت عليه بريطانيا في ذلك الوقت. وأنه اضطر إلى اتخاذ هذه الخطوة، تنفيذاً لوعده للشعب بالاستقلال، ولذلك فهو يرجوه

(٣) F.O. 371/5032/ P.121

جاء في رد الحكومة البريطانية بالرفض، أن فيصلاً لا يملك الحق باتخاذ قرارات لا لسورية، ولا للعراق، ولا لفلسطين، وهي بلاد حررها الحلفاء، وهم يقررون مصيرها في مؤتمر الصلح، وتعتبر أن قرارات المؤتمر السوري كأنها لاشيء، وأن هذا يعتبر تجاهلاً، بما أبلغته به الحكومتان.

D.F.Aff. Etr, Levant, 25, (13 Mar), P.55.

(٤) Ibid/ 5034/ P.115

انظر صورة للرسالة بخط فيصل في الملحق وبين مجموعة أوراق عوني عبد الهادي رسالة بعث بها فيصل إلى اللنبي بصفة شخصية، يحتج فيها على برقية كرزون، ويبرر الخطوة التي اتخذها المؤتمر السوري. قاسمية ص ٢٠٢. وأيضاً الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٤٨.

الاعتراف بهذا الاستقلال، حتى يسافر إلى لندن لتقديم شكره بذلك لملك بريطانيا، ولتنوير مؤتمر الصلح بما تم[٥].

وكان اللنبي على اطلاع بخطورة الموقف في سورية[٦]، أكثر من وزارة الخارجية البريطانية، ولذا فقد ظل يرى أن اعتراف مؤتمر الصلح باستقلال سورية، واعتبار فيصل ممثلاً للعرب فيها وفي فلسطين، هو الحل الوحيد لتلافي حالة عداء شديد ستقوم في سورية ضد بريطانيا وفرنسا. وكان يرى من الأفضل أن يبعث فيصل ــ في هذه الحالة ــ وفداً إلى مؤتمر الصلح، لأن بقاءه في سورية أمر هام لحفظ الهدوء والأمن فيها. وقد بعث اللنبي بهذا الاقتراح إلى اللورد (كرزون) وزير الخارجية البريطانية في ٢٠ مارس / آذار /[٧]. فرد عليه كرزون بعد يومين، بأنه يمكن الاعتراف بفيصل ممثلاً للشعوب العربية في سورية وفلسطين، إذا اعترف هو بمصالح فرنسا في سورية. وكان من رأي كرزون أيضاً، أن مصالح بريطانيا والقضية الصهيونية، معترف بهما من قبل فيصل، عندما كان في لندن[٨].

وبقي قرار بريطانيا باعترافها باستقلال سورية، أمراً مرهوناً بحضور فيصل إلى لندن. وفي نفس الوقت كانت تبحث أمر الاعتراف مع فرنسا، حتى لا تتعارض سياستهما في سورية بعد سابق الاتفاق.

أما فرنسا فقد أطلعها فيصل على خطوة إعلان الاستقلال، عن طريق الجنرال غورو، وأوضح فيصل له كما فعل مع بريطانيا، عدم تعارض الاستقلال مع مصالح فرنسا في سورية، وذكره بأن قرار الاستقلال مبني على إعلان الحلفاء في ٨ نوفمبر

(٥) العاصمة، عدد (١١٤) ٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.

(٦) أرسل الضابط السياسي في قيادة اللنبي (ماينرتزهاغن) في ١٧ مارس / آذار /، برقية إلى وزارة الحرب، يقول فيها أن رفض بريطانيا وفرنسا الاعتراف بملكية فيصل، ستجعله يقرر الحرب أو السلم مع البلدين. وأن اعترافهما خير ضامن لمصالحها في فلسطين وسورية، وحل للمشاكل التي مضى عليها (١٨) شهراً. F.O.371/5033/ P.26.

(٧) Tibawi, P.105 انظر Ibid, P.154 و D.F.Aff. Etr, Levant. 25 PP.251-253.

(٨) F.O.371/5033/ P.238-239.

/ تشرين الثاني / ، كما أنه يؤيد الصلات مع الحلفاء ، ويطلب مساعدتهم ، ورجاه إبلاغ الحكومة الفرنسية قرار الاستقلال(٩) . فأجاب غورو فيصلاً ببرقية عن طريق اللنبي في ١٨ مارس / آذار / ، بأنه لا يستطيع أن يحدد موقفه من إعلان الاستقلال السوري ، إلا بعد أن يتلقى معلومات من حكومته بهذا الخصوص ، لكنه وعده بأن يمنع خلال ذلك كل الأعمال المعادية له ، مالم يظهر ذلك من طرف سورية أو أنصارها في لبنان(١٠) .

كما أبلغ الكولونيلان الفرنسيان في دمشق (كوس وتولا) ، الجنرال غورو ، بنفس المعلومات والشروط التي يضعها فيصل للذهاب إلى أوروبا ، وهي استقلال العرب في سورية بما فيها فلسطين ، والوحدة السورية ، ورفض مطالب الصهيونيين ، واستقلال العراق . وأنه من الواضح أن فيصلاً ، سيدخل في حسابه احتلال فرنسا للساحل ، تمشياً مع رغبات المؤتمر السوري . كما أبلغاه عن تخوف فيصل من انفجار الموقف في دمشق لو سافر إلى أوروبا . فطمأن غورو فيصلاً ، بألا يخشى شيئاً في أثناء غيابه ، وأن الحكومة الفرنسية ستقدم له كل مظاهر التشريف ، التي لن تجرح كبرياء الشعب السوري ، وإن لم تكن تشريفات ملكية . وأن يفعل الأمير وشعبه كل شيء للحيلولة دون وقوع حرب ، تكون كارثة على الطرفين ، ومن ثم فإن على فيصل أن لا يرفض دعوة مؤتمر الصلح(١١) .

---

(٩) D.F.Aff. Etr, Levant. 24, No 592-595/6 (8 Mar) P.244
وجريدة العاصمة ، عدد (١١٣) ٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ .
انظر Longrigg P.98

(١٠) . F.O.371/5033/ P.154
من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي رسالة (أخرى) من غورو إلى فيصل ، يهنئه فيها ، ويذكره بأنه هو الذي أهداه الوسام في استراسبورغ .

(١١) F.O.371/5034/ P.138-139.
وقد بعث برسالة فيصل إلى غورو عوني عبد الهادي بوساطة كوس .
انظر David P.104 .
وانظر نص رسالة فيصل في الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص١٤٩ .

أبلغ غورو في ١٠ مارس / آذار / حكومته برسالة فيصل المؤرخة في ٨ مارس / آذار /، فأجابه ميلران في اليوم التالي، بأن إعلان فيصل لاستقلال سورية كأنه لاشيء، ولا قيمة دولية له، وأنه لا يعترف بالمؤتمر الذي أعلن ملكية فيصل، ولا يعترف له بأي حق في جزءٍ من تركيا، كانت قد حررته قوات الحلفاء، وسوف يقرر مؤتمر الصلح كل شيء، كما لا يعترف للمؤتمر السوري بأي حق، وخاصة في ما يتعلق بلبنان، والمنطقة الغربية(١٢).

كما أن الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية، أعلنتا يوم إعلان استقلال سورية في ٨ مارس / آذار /، بعد اجتماع برتلو بوزير الخارجية البريطانية، بأنهما لم تستشارا من أجل إعلان استقلال سورية، وملكية فيصل، وأنهما ستقرران قريباً حل المسألة التركية، والقضايا العربية، وهما تدعوان فيصلاً للحضور إلى مؤتمر الصلح، وأن الحكومتين لا تريدان صراعاً، وأن مسؤولية كبرى تقع على فيصل، وأن مستقبل سورية قد يتغير بشكل جوهري، إذا اتخذ المؤتمر أي قرارٍ غير مسؤول. وأُبلغ الجنرال حداد مندوب فيصل في لندن، أن يبلغه بأن أموراً خطيرة جداً قد تحدث، إذا اتخذ المؤتمر السوري قراراً بدون موافقة فرنسا وبريطانيا. ويحمل الخبر الأخير توقيع وزير الخارجية الفرنسية(١٣).

وحاول فيصل مرة أخرى، الحصول على اعتراف فرنسا، باستقلال سورية في ٢٥ مارس / آذار /، وعبر عن شعور الأمة العربية الوليد تجاه فرنسا وبريطانيا، وقال بأنه يحق للعرب اختيار حكامهم... وهو ينتظر رداً كي يسافر إلى أوروبا.

لكن شعور الجنرال غورو ــ دون أن يقدم أي تعهدات للأمير فيصل، والذي يبدو أنه من المستحيل أن يفعل ذلك ــ كان يتمثل بوجوب البحث عن صيغة

---

(١٢) D.F.Aff. Etr, Levant. 25, P.5. et D.F.G. Levant. 8B2

(١٣) D.F.Aff. Etr, Levant. 24, PP.207-208, 509 et 228

للتفاهم، تقدر أن تمنع اللجوء إلى حل عسكري، لقضية عسكرية مستعصية على الحل في ذلك الوقت، لكن مثل هذه الصيغة للتفاهم كانت مستحيلة[١٤].

وظل فيصل مصمماً على رفضه الذهاب إلى أوروبا لحضور مؤتمر الصلح، مالم تتحقق شروطه السابقة. ونظراً لذلك قررت الحكومتان البريطانية والفرنسية حسم الموقف معه، واتخاذ إجراء واحد بالنسبة له. فعقدت وزارة الخارجية البريطانية مع السفير الفرنسي في لندن اجتماعاً في ٣٠ مارس / آذار /، واتخذا القرارات التالية:

١ ــ ابلاغ فيصل ثانية بأن مؤتمر الصلح هو السلطة الوحيدة التي تحسم الموقف في سورية.

٢ ــ سيعقد مؤتمر الصلح ثانية في ١٩ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ في (سان ريمو) في إيطاليا.

٣ ــ يدعى فيصل للحضور، فإذا لم يستطع الحضور شخصياً، فليرسل مندوباً عنه، على ألا يكون نوري السعيد[١٥]، لأنه لا يملك السلطة اللازمة لذلك، ولأنه يحمل وجهة نظر المتطرفين، ومن المرغوب فيه أن يرسل فيصل أحد أخوته، كعبد الله أو آخر.

٤ ــ فإذا حضر فيصل أو أخ له إلى مؤتمر الصلح، فإن الحكومتين البريطانية والفرنسية، مستعدتان للاعتراف به ملكاً على سورية، ضمن بعض الشروط.

٥ ــ أول هذه الشروط أن ينتخب انتخاباً صحيحاً بطريقة دستورية، تثبت أنه ممثل حقيقي للشعب السوري، وليس فقط من قبل مجلس لا سلطة له ولا هو شرعي.

٦ ــ الشرط الثاني هو أن يكون فيصل مستعداً لعقد اتفاقات منفصلة مع فرنسا، بما

---

(١٤) D.F.G. Levant. 8B2.

(١٥) تجدر الملاحظة أن التوصية بعدم إرسال نوري السعيد ممثلاً لسورية، تخالف وجهة نظر غورو السابقة فيه. وكان غورو يعده أكثر المسؤولين في دمشق تفهماً وقبولاً بوجهة نظر فرنسا. ولم يبدُ على سلوك نوري السعيد، أنه انحاز إلى جانب المتطرفين. لكننا نرى أن القصد من رفض بريطانيا وفرنسا لذهابه إلى أوروبا، هو الإصرار على ذهاب فيصل أو أحد إخوته فقط، لأن المسألة تمس العلاقات مع الحسين «الوالد» وأولاده.

يخص سورية ولبنان، ومع بريطانيا بما يخص فلسطين، مع ضمان فرنسا لاقامة حكم ذاتي في لبنان، وإرسال المساعدين إلى سورية. أما بالنسبة لبريطانيا، فعليها أن تضمن تحقيق الوطن القومي لليهود في فلسطين، لوعدها لهم بذلك من قبل. وهو الوعد الذي سبق لفيصل أن قبل به. وإن هذه الضمانات ستكون الطريقة الوحيدة، للاعتراف به ملكاً على سورية، وهي من المواضيع التي يمكن أن تقرر في محادثات شخصية معه.

٧ـــ ليس من الضروري كما اقترح اللنبي في برقيته في ٢٣ مارس / آذار /، أن تناقش مسألة سورية وفلسطين في بحث المسألة التركية، لأن مستقبلهما لا علاقة له بها، وسيقرر ذلك باتفاق بين القوى المهتمة بذلك.

٨ـــ ونظراً للمصاعب في تشكيل نظام الانتداب على البلاد المختلفة، واستحالة ذلك بالنسبة لمعاهدة السلم. فيجب أن تعقد عدة اتفاقات بين الحكومة الفرنسية والانكليزية، والسلطات أو الحكومات العربية، وممثلي الصهيونية، وتوضع بشكل وثائق تحال إلى عصبة الأمم.

٩ـــ كان فيصل يتقاضى مبلغ / ١٠٠ / ألف جنيه، مقسمة بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية حتى نهاية ديسمبر / كانون الأول / الماضي. ومن المعتقد أنه لم يدفع له شيء في ١٩٢٠. ومن غير المرغوب فيه أن يدفع له. لأنه من الواضح أن الدولتين لا تدفعان شيئاً، لأحد مشغول بمحاربة قوات إحداهما، أو اتباع سياسة غير ودية أو مستقلة عنهما. فإن توصل مؤتمر الصلح لحل هذه الصعوبات مع فيصل، فإن الحكومتين مستعدتان لدفع المتأخر منذ أول سنة ١٩٢٠، حتى توضع الاتفاقات موضع التنفيذ(١٦).

(١٦) F.O..371/5034

كتبت جريدة ديلي ميل في ١٣ مارس / آذار / وبأن تتويج فيصل على كل سورية بهذه السرعة تحير، وتعتبر تحدياً للاتفاقات الانكليزية الفرنسية. والذي يظهر أن الأمير فيصلاً قد اشتد عليه التيار فعجز عن مقاومته. والحقيقة التي لم يدركها الجمهور الأوروبي، هو أن أكثرية المسلمين السوريين لم يكونوا مجمعين على أن يكون بيت الملك في الحجاز، ولهذا كانوا ينادون بمملكة متحدة مع دول عربية أخرى كالحجاز. وكان بعضهم يميل إلى انشاء جمهورية. وبينهم جانب من المسيحيين أخصهم البروتستانت، واتباع الكنائس ←

وبذلك فشل فيصل بالحصول على الاعتراف بملكيته وباستقلال سورية من الحليفتين، ولم تجد كل جهوده في ذلك، لأنها لم تتفق مع مصلحة بريطانيا وفرنسا والصهيونية.

موقف الولايات المتحدة

طرأ تغير كبير على سياسة الولايات المتحدة بعد مرض الرئيس ولسون، وانعزالها من جديد عن سياسة ماهو خارج أمريكا، ولذا فقد رفضت مهمة الانتداب، واقتصرت مهمتها في البلاد العربية، على مراقبة الأحداث. وقد احتفظ الرسميون الأمريكيون في المنطقة بعلاقات طيبة مع كل الأطراف، الانكليز والفرنسيين والعرب. لكن العرب بالذات كانوا في قلق، لعدم تمكنهم من الحصول على موقف طيب من الولايات المتحدة نحوهم، بصفتها القوة الوحيدة التي يمكنهم أن يعتمدوا عليها، إذ لم يكن لها آنذاك مطامع استعمارية في المنطقة.

ورغم انعزال الولايات المتحدة، فقد بقي فيصل على اتصال بالقنصل الأمريكي في دمشق، ويطلعه على مايجري من حوادث هامة، علّه يكسب دعم امريكا الأدبي. ولما نشبت المعارك في كيليكيا بين الأتراك والفرنسيين، وفي شمال سورية أيضاً، وقامت حوداث عنيفة بين الأتراك والأرمن الذين كانوا جنوداً في الجيش الفرنسي، وامتدت هذه الحوادث إلى حلب، أرسل المفوض السامي الأمريكي في القسطنطينية في ٦ ففريه / شباط / إلى القنصل الأمريكي في حلب، ليقدم احتجاجاً إلى السلطة المحلية، لما تعرض له المسيحيون والأجانب من غير المسلمين من هجوم، وطلب منه حماية العناصر غير الاسلامية. لكنه أبلغه أن يبقى الموظفون الأمريكيون على الحياد، وألا يتدخلوا في

← الكاثوليكية المحلية، غير المنتمين إلى الكنيسة الرومانية. ولو أنشىء حكم جمهوري، لقضي على آمال فيصل، بإنشاء امبراطورية عربية في المستقبل. وقد رأى أن الزمن حان لنبذ التردد، حتى لا يقضي على مشروعه البعيد، فقبل التاج».

عن المقطم: عدد ٦٤٣٤، ٢٦ مارس / آذار / ١٩٢٠.

القتال بين الفرنسيين والعرب[١٧]، وكان من رأي القنصل الأمريكي في حلب، أن السلطة العربية فيها تتألف من «غزاة» من الحجاز والعراق، ولذا يصعب الطلب منهم حماية المسيحيين، وكان يفضل لو يقوم الفرنسيون بتلك الحماية. أما فيصل وبعض القادة العرب، فقد كانوا (برأي القنصل) يؤمنون إيماناً ساذجاً، بأن الولايات المتحدة سوف تأتي لانقاذهم[١٨].

وعند إعلان استقلال سورية، حاول فيصل وحكومته جاهدين الحصول على الاعتراف به من أمريكا، فلم يحصلوا على طائل. حتى أن القنصل الأمريكي، لم يحضر حفلة إعلان الاستقلال وتتويج فيصل، لأن تعليمات حكومته كانت تقضي عليه بالتغيب، إذا لم يحضر القنصل البريطاني والفرنسي[١٩].

وفي يوم التتويج، بعث الركابي برسالتين (الواحدة رسمية، والثانية ذات صفة إعلامية) إلى وزير خارجية الولايات المتحدة، يعلمه بإعلان الاستقلال، وبأمل العرب في دعم الولايات المتحدة الذي حمله فيصل من علاقته الطيبة، مع الوفد الأمريكي عندما كان في أوروبا. وقال الركابي، بأن سورية لا تطلب اعتراف الولايات المتحدة باستقلالها فحسب، بل هي تنتظر العون والمساعدة منها[٢٠].

وفي ٢٨ مارس / آذار / أرسل فيصل كتاباً إلى الرئيس ولسون، رجاه الاعتراف باستقلال سورية وبين له الأسباب التي دعت لذلك، وذكر في إحداها تعلق السوريين بمبادئه الأربعة عشر، كما رجاه مساعدته لدى الحلفاء، للاعتراف بهذا الاستقلال[٢١]. لكن الولايات المتحدة لم ترد على أي من هذه الكتب، انسجاماً مع سياستها الانعزالية.

---

(١٧) Evans, P.251-252.

(١٨) Ibid.

(١٩) Ibid.

(٢٠) Ibid.

(٢١) العاصمة، عدد ١١٤، ٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠، والحصري يوم ميسلون ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥.

أصبح فيصل إذن أمام عدوين للاستقلال، هما بريطانيا وفرنسا، ونفض يده من أية مساعدة من أمريكا. وبذا بقي موقفه معتمداً على مواطنية العرب فقط، في الحجاز، والعراق، وفلسطين، ولبنان، بالإضافة إلى سورية.

موقف الحجاز

لم يكن إعلان الاستقلال من رأي والده، الذي كان يرفض دائماً تجزئة الأقطار العربية، واستقلال وحدات منها عن الأخرى، وكان من رأيه ـــ كما مر في الفصل السابق ـــ أن يؤجل إعلان الاستقلال، حتى تتنازل تركيا عن حقها في الأقطار العربية لأهلها العرب. كما كان إعلان استقلال سورية والعراق، برأي أخيه عبد الله، أحد الأخطاء التي قضت على الوحدة العربية(٢٢).

ولما أرسل المؤتمر السوري برقية إلى الحسين(٢٣)، بإعلان الاستقلال، أجابهم إجابة غامضة، ليس فيها اعتراف صريح بما عملوا. وأبلغهم حامل الرسالة الجواب التالي «إن إعلانات جلالة مولاي غير مرة، تبين أن مقصده محصور في رغائب الأهالي وأميالهم، فلا يبقى سوى التضرع إلى جوده العميم، أن يختار ما فيه الخير»(٢٤).

أما في الاحتفالات التي قامت في الحجاز بإعلان استقلال سورية، فلم يذكر شيء عن ملكية فيصل(٢٥).

موقف العراق

إن الذي يهمنا من موقف العراق هنا، هو موقف العراقيين وخاصة الضباط منهم، الذين كانوا في الجيش العربي في سورية. لأن العراق نفسه كان واقعاً تحت

---

(٢٢) مذكرات عبد الله بن الحسين، ص ٢٢٤، ٢٤٢ ـــ ٢٤٨.

(٢٣) جاء في البرقية إلى الحسين «بعد أن دخلت سورية في دور الاستقلال الذي فتحتم به جلالتكم بابه». قاسمية ص١٩٣.

(٢٤) العاصمة، عدد ١١٤، ٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.

(٢٥) نفس المصدر، عدد ١١٦، ١٤ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.

السلطة البريطانية، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ولأنه (العراق) لم يشكل قضية بالنسبة لفيصل، بعد أن وضع هدفه الأول في سورية.

وفي الحقيقة كان هؤلاء العراقيون يعملون لصالح سورية، على أنها قضية عربية تؤدي حتماً إلى نفع بلدهم العراق، وتخليصه من الانكليز. ولذلك أعلنوا استقلال العراق في نفس اللحظة التي أعلنّ فيها استقلال سورية، وأعلنوا أيضاً تنصيب عبد الله بن الحسين (أخي فيصل) ملكاً على العراق، دلالة منهم على تثبيت العلائق الأخوية بين البلدين. إلا أن بريطانيا لم تقبل بعملهم هذا في إعلان الاستقلال، وثارت عليه، واحتجت إلى الحسين وابنه عبد الله في أبريل / نيسان /، وأبلغتهما أن تسعة وعشرين عراقياً في سورية، لا يمثلون العراق؛ وأن المسألة العراقية راجعة إلى مؤتمر الصلح، بعد أن يؤخذ رأي الشعب هناك(٢٦).

وليس خافياً أن الحالة في العراق أصبحت تقلق السلطات البريطانية، وكانت شرارتها الأولى في (دير الزور)، على الحدود السورية الشرقية مع العراق، في ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩، واعتبرت بريطانيا أن الضباط العراقيين الذين كانوا في دمشق، هم الذين شجعوا على ثورة (رمضان شلاش)(٢٧) وهم الذين أثروا على زيد، لتعيينه في المنطقة. كما اعتبرت بريطانيا فيصلاً والحكومة العربية مسؤولة عن الثورة في العراق، بشكل غير مباشر. لكن فيصلاً أنكر ذلك، كما أنكر مسؤوليته عن إعلان استقلال العراق، وألقاها على العراقيين انفسهم، حتى لا يقع في صدام مع الانكليز الذين مازال يرجو منهم العون.

---

(٢٦) Documents, XIII, P.239.

(٢٧) نقم العراقيون على فيصل لأنه لم يعمل شيئاً للعراق، بل رضي بملك سورية، وقالوا له صراحة، بأنهم لم يحاربوا معه في الثورة العربية لتخليص سورية أو فلسطين، بل لتحرير كل الأقطار العربية. لكن فيصلاً أبلغهم بأن العراق أصبح من اختصاص أخيه عبد الله، ولم يقبل امدادهم إلا بالقليل من المال. الدفاع، عدد ٣٤، ٩ ففريه / شباط / ١٩٢٠، والمقطم، عدد ٩٣٧٤، ١٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، والعاصمة، عدد ٨٧، ٢٥ ديسمبر / كانون الأول / ١٩٢٠.
و Young, P.306. et F.O.371/5032/ P.93-95
وانظر ملحق التراجم Zeine, the StruggLe, P. 146.

موقف لبنان

أما في لبنان، فقد عرفنا أن البطريرك الماروني إلياس الحويك، كان يترأس حملة استقلال لبنان تحت الإنتداب الفرنسي. وأنه كان في فرنسا في صيف ١٩١٩، وعاد إلى بيروت في أكتوبر / تشرين الأول / من نفس العام. وكانت حوادث الثوار، والهجوم على القرى اللبنانية وخاصة المسيحية منها قد أثارت قلقه البالغ. ويبدو أنه لم يعد يثق بأن فيصلاً، عنده القدرة على السيطرة على الموقف في سورية، وكبح جماح المتطرفين المعادين لفرنسا بعنف، فأرسل وفداً ثانياً إلى باريس في ففريه / شباط / ١٩٢٠، برئاسة الأب عبد الله الخوري وصلها في ١١ منه. وطلب في اليوم الثاني من وزارة الخارجية الفرنسية ضمان استقلال لبنان(٢٨).

وعندما أعلن في المؤتمر السوري الاستقلال في ٨ مارس / آذار /، احتج البطريرك الحويك عليه، وأعلن أن ذلك مخالف لأماني اللبنانيين. فقد أرسل إلى الجنرال غورو الاحتجاج التالي «انتداباً عن الشعب اللبناني، وتمثيله في حق الدفاع عنه لدى مؤتمر الصلح، نحتج بكل قوانا على قرار المؤتمر السوري في دمشق، المخالف لأماني اللبنانيين، ونحن لا نكف عن متابعة المطالبة بكل شدة، بحقوقنا المبينة في اللائحة التي قدمناها إلى مؤتمر الصلح في ٢٥ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩. وإذا كان بعض اللبنانيين قد اشتركوا في المؤتمر السوري، فهؤلاء لا يمثلون قطعياً الأمة اللبنانية، وأننا على ثقة بأن الحلفاء ينصفون اللبنانيين المظلومين، الذين كابدوا كثيراً من العذاب من اخلاصهم وتفانيهم في مصلحة لبنان»(٢٩).

---

(٢٨) Zeine, The Struggle, P.144.

في رسالة لغورو في ١٨ مارس / آذار / تتحدث عن ذهاب وفد لبناني يمثل لبنان الكبير إلى باريس، حيث طالب مؤتمر الصلح ورئيس الجمهورية الفرنسية، ورئيس وزرائها، برفض اعتبار لبنان من مملكة فيصل، وبأن تأخذ فرنسا كل مصالح لبنان تحت رعايتها. وكان من الموقعين على الطلب، عبد الله خوري، ومحمد أرسلان.

D.F.Aff Etr, Levant. 25, PP.121-122.

(٢٩) أمين سعيد، ج٢، ص١٤١، وجريدة الدفاع، عدد ٦١، ٢٣ مارس / آذار / ١٩٢٠.
وأيضاً D.F.Aff. Etr, Levant, 25, (11 Mar), P. I.

وأنكر غورو علمه المسبق باستقلال سورية، برغم تبليغ فيصل له عن طريق كوس وتولا، وأصدر قلم المطبوعات الفرنسي في بيروت، ينكر أي اتفاق بين غورو وفيصل على استقلال سورية، لأن ذلك من مهمة مؤتمر الصلح، وأن أخبار ذلك، ماهي إلا إشاعات ولا نصيب لها من الصحة، كما أنه ذكر في الصحف بعدم كتابة كلمة «ملك» أمام اسم فيصل(٣٠). وكذلك أرسل مجلس إدارة لبنان بوساطة غورو إلى مؤتمر الصلح في ١٢ مارس / آذار /، احتجاجاً رسمياً ضد قرار المؤتمر السوري بالاستقلال، ونصه «إن ما اتخذه المؤتمر السوري يمس بحرية لبنان وحقوقه، وليس للمؤتمر ولا لغيره من الحكومات المحلية، صلاحية البحث أو التدخل في لبنان وإدارته. فيحتج هذا المجلس نيابة عن اللبنانيين، على كل ما ورد في المنشور المذكور، فيما يتعلق بجبل لبنان، ويؤيد استقلاله المطلق المعلن عنه في شهر ماي / أيار / ١٩١٩، راجياً رفع هذا الاحتجاج إلى المؤتمر العام المؤتمن على مصالح الأمم»(٣١).

واستنطقت السلطة الفرنسية في بيروت، أعضاء المؤتمر السوري البيروتيين، عن اشتراكهم في إعلان الاستقلال، وأنكرت عليهم أن يكونوا يمثلون أحداً في لبنان. لكن هؤلاء لم يخشوا السلطة الفرنسية، وأبدوا تمسكهم بالاستقلال، وبملكية فيصل. وأجابوا بأنهم يمثلون الناس الذين انتخبوا المجلس العمومي، الذي يصدر الفرنسيون أنفسهم باسمه، القرارات ويصرفون الأموال بموجبه في لبنان(٣٢). واستمرت السلطة الفرنسية في لبنان في عدائها لإعلان الاستقلال، ومحاربته في كل جهة، وبكل طريقة. ففي طرابلس اجتمع الكومندان (فيميه) حاكم ولاية بيروت بأعيانها، وسألهم إن كانوا يريدون إلحاق مدينتهم بلبنان الكبير أو بقاءها مدينة حرة، فأجابوه بأن المؤتمر السوري قد قرر ضمها لسورية. وقال (سعيد الملا)، أحد أعيانها بأنه ليس لأحد الحق في تقرير مصيرها غير المسلمين. لكن وكيل الطائفة المارونية الذي كان يقوم بالترجمة، قال بأن الأكثرية تطلب ضم طرابلس إلى لبنان الكبير، فاستاء الحاضرون وعلا الصخب

(٣٠) الدفاع عدد ٧١، ٥ أبريل /نيسان/ ١٩٢٠.

(٣١) نفس المصدر، عدد ٦١، ٢٣ مارس / آذار / ١٩٢٠، وأمين سعيد ج ٢. ص ١٤١.

(٣٢) الدفاع، عدد ٦١، ٢٣ مارس / آذار / ١٩٢٠.

وأقفلت المناقشة[٣٣]. لكن الفرنسيين بعد مايئسوا من تغير موقف الطرابلسيين، حملوا مجلس إدارة المدينة، على إصدار قرار يعلن أن مندوبي طرابلس في المؤتمر السوري لا يمثلونها، وأن المؤتمر السوري نفسه، ألف بطريقة غير شرعية، وأن مجلس الإدارة في المدينة، يطلب أن توضع سورية تحت حماية فرنسا[٣٤].

ولم يسلم حتى رجال الدين، من مؤيدي الاستقلال والحكومة العربية، من ملاحقة السلطة الفرنسية في لبنان، لمنعهم من تأييد حكومة دمشق أو الدعاية لها. فقد أراد الكولونيل (نيجر) حاكم لبنان، أن يثني مفتي لبنان (الشيخ النجا) عن قرار الخطباء، بالدعاية لفيصل في الجوامع، فلم يذعن له، ورفض أن يذهب لمقابلته. عندئذ أرسل له متصرف لبنان (نجيب صوان) لتنفيذ أوامر الحكومة، فأجابه الشيخ النجا، بأنه لا يفعل غير ما يرضي المسلمين، وأنه معين في مكانه باسم أمير المؤمنين. لكن ذلك لم يرض السلطة الفرنسية، فطلبت من أئمة الجوامع مباشرة أن يخطبوا باسم الخليفة العثماني (محمد وحيد الدين السادس)، وليس باسم فيصل، فاحتج الخطباء وأنكروا على فرنسا تدخلها في أمور الدين. فنفى الفرنسيون الشيخ محي الدين العكاوي، خطيب جامع المجيدية في بيروت خارجها، فثار المسلمون، واحتج فيصل إلى غورو، واضطر الفرنسيون إلى التراجع، وأصدروا بياناً عن عدم تعرضهم لمسائل الدين[٣٥].

كما أن السلطة الفرنسية منعت الصحف، وحظرت عليها الدعاية للحكومة العربية، واستقلال سورية، حتى إنها أغلقت جريدة (البلاغ) البيروتية، لأنها نشرت خبر وفود أهل بيروت وذهابهم إلى دار الاعتماد العربي فيها، للتهنئة بالاستقلال[٣٦].

---

(٣٣) نفس المصدر.

(٣٤) نفس المصدر. في الوثائق الفرنسية ورد احتجاج فقط من القس الماروني L'archeveque maronite في طرابلس على قرارات دمشق باستقلال سورية.
D.F.Aff. Etr. Levant. 25, (27 Mar) P.210.

(٣٥) أمين سعيد ج ٢، ص ١٤٢.

(٣٦) الدفاع، عدد ٦٩، ٣ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.

وكذلك حاول الفرنسيون منع اللبنانيين المؤيدين لدمشق، من التظاهر احتفالاً بـ ٨ مارس / آذار /، لكن هؤلاء أغلقوا المدينة، وأطلقوا الأسهم النارية رغماً عن الفرنسيين، ورفع المعتمد العربي العلم العربي السوري الجديد على دار الاعتماد(٣٧).

وأبدى غورو سروره لموقف الحكومة الفرنسية من لبنان، والثبات على موقفها القديم بالوقوف إلى جانبه. فقد أرسل الأب عبد الله الخوري (رسول الحويك) إليه في ١٥ مارس / آذار / من باريس، يطلعه على موقف فرنسا الثابت من لبنان، ويؤكد كتاب كلمنصو إلى الحويك، عندما كان الأخير في باريس في ١٠ نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٩(٣٨). وبذلك تكون الحكومة الفرنسية قد طمأنت الطائفة المارونية بممثلها البطريرك الحويك، على رفض الاستقلال السوري ووحدة سورية، ووضع لبنان المستقل عن سورية، تحت الانتداب الفرنسي.

وقامت ضد إعلان استقلال سورية، موجة عارمة من الاحتجاجات من الشخصيات والمنظمات السياسية، وزعماء الطوائف، وجميعاً ممن يسيرون في فلك فرنسا وسياستها في سورية. فقد أرسل ميشيل تويني (وهو من الشخصيات البارزة التي عملت لاستقلال لبنان منذ عهد الأتراك، ولوضعه تحت حماية فرنسا، ومن أجل هذا حكمه جمال باشا بالاعدام) احتجاجاً في ١٦ مارس / آذار / إلى المفوض السامي الفرنسي في بيروت، ضد إعلان فيصل نفسه ملكاً على سورية(٣٩) واحتج الدكتور أيوب ثابت رئيس اللجنة السورية اللبنانية في شمال أمريكا، برسالة إلى الرئيس ولسون في ١٥ مارس / آذار / ضد استقلال سورية، وطالبه بأن يأخذ بعين الاعتبار وجوب انسحاب الحجازيين من سورية، ووجوب إعلان استقلال لبنان بحدوده القديمة في جبل لبنان المسيحي، ووجوب فصله عن الحكم الاسلامي(٤٠). وأعلنت جمعية لبنان الكبير في فرنسا، احتجاجاً في ٢٢ مارس، على إعلان فيصل ملكية سورية. وقد

(٣٧) نفس المصدر، عدد ٥١، ١١ مارس / اذار / ١٩٢٠.

(٣٨) Longrigg, P.99, Zeine, The Struggle P.145.

(٣٩) D.F.Aff. Etr. Levant. 25, P.64, de Rabert de Caix.

(٤٠) Ibid. P.79.

ذكرت أيضاً أن اللجنة المركزية السورية في باريس، واللجنة السورية في نيويورك، تشاركان وتؤيدان هذا الاحتجاج[٤١]. واحتج الاسرائيليون في سنجق طرابلس، ضد قرارات المؤتمر السوري، الذي لم يمثلهم ولم يحضروه، وهم يطالبون بانتداب فرنسا على سورية، وأرسلوا باحتجاجهم إلى مؤتمر الصلح في ٢٥ مارس / آذار /[٤٢]واحتج وجهاء وشيوخ لبنان في بعبدا في ٢٥ مارس / آذار / إلى غورو، ضد قرارات دمشق، وطالبوا بإعلان استقلال لبنان ووضعه تحت الحماية الفرنسية[٤٣]. وأرسلت اللجنة السورية ــ اللبنانية في مصر كتاباً مطولاً من ست صفحات، تطالب بمساعدة دولة أجنبية لسورية ثم يتحقق إعلان استقلالها تحت قوة هذه الدولة، وكان هذا في ٢٨ مارس / آذار /[٤٤]. واحتجت اللجنة المركزية السورية بشدة في ٨ أبريل /نيسان/، ضد إعلان فيصل ملكاً على سورية «من مجلس ليس لرأيه شعبية، وضد كل الأعراف المباشرة وغيرالمباشرة من هذا النوع، من أي شكل تكون فيه هذه الحكومة»[٤٥]. وأرسلت اللجنة السورية اللبنانية في شمال أمريكا في ٣٠ مارس / آذار /، تحتج على قرارات دمشق، وأنها لا تريد أن تكون سورية خطوة لإقامة امبراطورية غربية أو إسلامية[٤٦].

وكتب بولس مسعد، في تاريخه عن سورية ولبنان، رأيه بإعلان ملكية فيصل بعنف بالغ، فكتب «تمادى فيصل في غيه، ومضى في سبيله غير مكترث للعهد الذي قطعه لفرنسا وهو في باريس، بتأييد انتدابها... وبلغ من ازدراء أعوانه بمقام الدولة المنتدبة واحتقارهم لشأنها، أنهم نادوا به ملكاً على سورية»[٤٧].

وعندما حاولت فرنسا ثني اللبنانيين عن انفصالهم عن سورية بعد اتفاقها مع

---

(٤١) Ibid, P.128.

(٤٢) Ibid, P.188 de communauté israe lité du Sandjak tripoli

(٤٣) Ibid, P.195.

(٤٤) Ibid, P.227.

(٤٥) Ibid, Levant. 25, P.97.

(٤٦) توقيع الرئيس: جيرديني، نائب الرئيس حداد المسؤول المالي تادر وس.
Ibid, Levant. 28, P.21.

(٤٧) بولس سعد، سورية ولبنان قبل الانتداب وبعده، ج ١، مصر ١٩٢٩، ص ٧٤.

فيصل وقبوله بالانتداب الفرنسي، كتب بولس مسعد عن ذلك «إلا أن اللبنانيين رفضوا مطالب فيصل بضم لبنان إلى سورية، وقال البطريرك الياس الحويك إلى ممثل الحكومة الفرنسية «إن الموت في ظل صخورنا خير لنا من الانضمام إلى دمشق»(٤٨).

وقال بشارة الخوري في مذكراته بأنه عند إعلان استقلال سورية في ٨ مارس / آذار /، وقع النبأ وقعاً عظيماً في لبنان، وجرت في مركز المتصرفية تظاهرة احتجاج تطالب باستقلال لبنان، ثم تم رفع العلم الفرنسي بأرزةٍ في وسطه على لبنان، وظل حتى عام ١٩٤٣(٤٩).

واعتبر مكتب الخدمة المركزية في البحرية الفرنسية La marine, service central أن المؤتمر السوري غير شرعي، لأنه لا يمثل كل الشعب والطوائف، ولذا فليس له الحق في إصدار قرارات تشريعية دستورية.. وكتب أن المؤتمر السوري قد مثل ٢٠٠ ألف مسلم في المنطقة الغربية، بخمسة عشر نائباً و ١٠٠ ألف شيعي بواحد، و ٥٠٠ ألف مسيحي باثنين، و ٦٠ ألف درزي، و ٢٠ ألف نصيري، و ٦٠٠٠ اسماعيلي بلا تمثيل(٥٠).

على أنه لا يمكن القول، أن غورو لم يكن يلقى مصاعب بالنسبة للبنانيين، إذا استثنينا غالبية (الموارنة) أصدقاء فرنسا، بل كان يلقى مقاومة من أشياع حكومة دمشق، ومن المسلمين، وحتى من المطالبين باستقلال لبنان، ومن مجلس الادارة في لبنان أيضاً(٥١). فقد جاء في تقرير القنصل البريطاني في بيروت في ٢٠ ففريه

(٤٨) نفس المصدر، ص٥٨ ــ ٥٩.

(٤٩) مذكرات بشارة الخوري، ص ١٠٠.

(٥٠) D.F.Aff. Etr, Levant. 26, (19 Mar), P.13.

وكتب المؤلف الفرنسي Jérome أن فيصلاً قد انتخبه في ٨ مارس / آذار / مجلس مؤلف من ١٥ شخصية مجهولة Obscure، واتخذوا علم الحجاز علماً لهم.

Jesome et Jean Tharaud, Le chemin de Damas, Paris 1923, P.93.

(٥١) جاء في جريدة المقطم في ٢٦ مارس / آذار / عدد ٦٤٣٤، انه عندما عقد مجلس ادارة لبنان اجتماعاً لمناقشة قرار المؤتمر السوري في ٨ مارس / آذار / «وأبلغ غورو الأعضاء في أثناء اجتماعهم، وجوب انتظاره لبحث أمر هام معه. وكان الأمر الهام، ان يحتجوا على قرار المؤتمر السوري بإعلان الاستقلال. فأجابه
←

/ شباط /، يصف الحالة في لبنان، بأن اللبنانيين يشعرون بأن الإدارة الفرنسية أحسن قليلاً من الحكم التركي، وأنه لو وجدت مصاعب، فإن سببها السوريون أنفسهم، كما كانوا السبب أيام الأتراك. ويشعر الناس في بيروت أن السوريين هم سبب الفوضى، وبالرغم من هذا فإنه لو أجرى استفتاء في لبنان، فإن الفرنسيين لن يحصلوا على ٥٪ حتى من الموارنة. وأن زيارة الكردينال الفرنسي (دي بوا)، لم تستطع أن تحرك عواطف المسيحيين مع فرنسا، أما المسلمون فقد استقبلوا زيارته بشكل غير سار(٥٢).

الموقف في فلسطين

كان العرب في فلسطين جميعاً، مسلمون ومسيحيون، ضد تجزئة فلسطين عن سورية، وضد جعلها وطناً قومياً لليهود، وأعلنوا بعد ٨ مارس / آذار / تمسكهم بوحدة سورية وبملكية فيصل أيضاً. ومع أنه كان يوجد أعضاء فلسطينيون في المؤتمر السوري الذي اتخذ قرار إعلان الاستقلال، فقد اجتمع النواب الفلسطينيون وحدهم، وقرروا رفض فصل فلسطين عن سورية، وجعل فلسطين وطناً لليهود، وكذلك الانتداب، وطلبوا أن يكون فيصل ملكاً عليهم. وقد وقف المسلمون والمسيحيون ضد الحركة الصهيونية.

وكان إعلان الاستقلال في دمشق، مثيراً للعرب واليهود في فلسطين، إذ أيده العرب، وقاموا بمظاهرات عنيفة في المدن، وخاصة في القدس لهذه الغاية، كما صار أئمة المساجد يدعون باسم الملك فيصل، ولم تتدخل السلطات البريطانية لمنعهم من

← (سليمان كنعان) أحد الأعضاء، بأن كل الشعب اللبناني يرغب في الاستقلال التام ومساعدة فرنسا، كما يريدها اللبنانيون، لا كما تفرضها فرنسا. فاحتج غورو على قوله، فأجابه سليمان بأنه يحتج أيضاً بقوة أكثر، ضد أعمال فرنسا في لبنان، وبأنه يستطيع أن يبرهن لفرنسا، بعدما رأى اللبنانيون ما تفعله في بلادهم ان ٩٠٪ من اللبنانيين لا يرغبون بعد ذلك أن تبقى فرنسا في لبنان، وقال بأنه لو أجري استفتاء بدون ضغط، لوجد كلامه صحيحاً، ثم تدخل أعضاء المجلس بين الطرفين».
انظر أيضاً F.O.371/2/5040/ P.16.

(٥٢) F.O.371/2/5040/ P. 206. ومذكرات بشارة الخوري ص ٩٩.

ذلك، حتى لا تزيد في عدائهم ضدها، وكانت الصحف تصرح علناً بوحدة سورية بما فيها فلسطين، وبملكية فيصل عليها(٥٣)، إلا أن السلطات البريطانية حاولت منع الوفود الفلسطينية من الذهاب إلى دمشق، لتقديم التهنئة(٥٤).

وبدأت تتشكل العصابات الوطنية في فلسطين، كما بدأت الاغارة على المستعمرات الصهيونية في الحولة والأردن، وهوجمت بعض الحاميات البريطانية نفسها، وقطع سير القطارات بنسبب أعمال العصابات الوطنية، بين دمشق وحيفا(٥٥) وكانت الحكومة الانكليزية تعتقد، أن لحكومة دمشق يداً في هذه الحوادث، ولذلك منعت الجنود العرب، من الاقتراب من حدود فلسطين.

أما اليهود فقد عارضوا بالطبع ضم فلسطين لسورية، وبدأوا يشككون بما فعله الفلسطينيون بمناسبة إعلان الاستقلال، وأثاروا قضية الحدود مع بريطانيا، وكان (هربرت صموئيل) الذي عين فيما بعد مفوضاً سامياً لبريطانيا في فلسطين، أكبر دعم لهم. ودخل اليهود في صدام مسلح مع العرب، وخاصة في القدس.

والحقيقة أن الفلسطينيين لم يلقوا العناية الكافية، في صراعهم مع اليهود، من قبل فيصل والحكومة العربية، كما لقيت المنطقة الغربية (لبنان). لذلك قاوم الفلسطينيون

---

(٥٣) Ibid, 5188/ P. 54.

وانظر العرائض التي قدمها مفتي حيفا وآخرون في شهر أبريل / نيسان /، وتنص على رفض فصل فلسطين عن سورية، ووجوب إيقاف الهجرة اليهودية إليها.

D.F.Aff. Etr, Levant, 26, P.51.

كتبت جريدة الاقبال في يافا في فلسطين في ٢٧ مارس /آذار/ ١٩٢٠ ــ عن ترجمة لها في الوثائق البريطانية ــ «برغم انتهاء الحرب، فإن الجشع العالمي يحطم آمالنا في السلم. ونحن نرى الأمم الضعيفة تهجر وتترك .. هل هذا جزاء المسلمين الذين بقوا حياديين، أو مشوا مع الحلفاء في الحرب؟ هل جزاؤهم في اضطهادهم في عاصمة خلافتهم، ومكة آمالهم؟ لماذا يدافع لويد جورج وولسون عن سورية، وكلمنصو فاغر فاه لابتلاع عاصمة الأمويين».

F.O.371/5188/ P. 94.

(٥٤) الدفاع، عدد ٦٨، ٣١ مارس / آذار / ١٩٢٠.

(٥٥) نفس المصدر، عدد ٩٥، ١٤ ماي / أيار / ١٩٢٠. انظر أيضاً Tibawi, P. 111.

وحدهم. وكل مااستطاع أن يعمله فيصل بالنسبة للحوادث الدامية في القدس(٥٦)، هو إظهار أسفه لأللنبي، وبيان أن أسباب ذلك عائد لفكرة وطن يهودي في فلسطين، بينما كان هو (فيصل)، يحاول في سياسته خلق تفاهم بين العرب واليهود(٥٧). ومرد عدم العناية بالفلسطينيين، هو سياسة فيصل والوطنيين في دمشق، الذين كانوا يرون الخطر الحقيقي في فرنسا، بينما كانوا شبه حياديين بالنسبة للانكليز، مع عدم إدراكهم للخطر الصهيوني، مع العلم أن الجنرال غورو، كان من رأيه عدم ربط فلسطين بسورية، أو حسب تعبيره «ألا يمتد حكم فيصل إلى فلسطين»، لأنه يزيد الخطر المتركز في دمشق، بسبب انضمام الخطر المتمثل في المنطقة (ب) أي فلسطين كجزءٍ من سورية، على فيصل الذي كان يعتقد غورو، أنه لا يمكن أن ينفذ اتفاقه مع فرنسا، مابقي تحت الضغط الوطني(٥٨).

الموقف في دمشق حتى مؤتمر سان ريمو

عادت الأمور للتأزم في دمشق نتيجة رفض بريطانيا وفرنسا الاعتراف باستقلال سورية. وشعر العرب فيها بالمرارة والسخط من جديد، على فرنسا وبريطانيا، وعاد

(٥٦) كتبت جريدة الأردن الدمشقية في ١٣ مارس / آذار / ١٩٢٠ (وهي مترجمة من الوثائق البريطانية) «قامت في القدس مظاهرة كبيرة يوم إعلان فيصل ملكاً على سورية، لتظهر العواطف للأمة في أعظم طريقة لا تخطيء، واحتج المتظاهرون بعنف ضد الصهيونية، في وثيقة تثبت أيضاً ملكية فيصل على سورية وفلسطين. وتطالب بعدم فصل فلسطين عن سورية، ومطالبة الحلفاء بأخذ ذلك بعين الاعتبار، تجنباً للحوادث المؤسفة».

.F.O.371/5040/ P.21

(٥٧) قاسمية ص٢١٦.

من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي رسالة من فيصل إلى اللنبي في ١٨ ماي / أيار / يحتج فيها على معاملة الانكليز للمسلمين والمسيحيين، وعلى الأحكام التي صدرت ضدهم، والتي هي أشد بكثير من الأحكام على اليهود. كما يحتج على تسليح اليهود، ومعاقبة المسلمين، الذين يحملون السلاح.

من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي مسودات رسائل بخط فيصل احتجاجاً إلى غورو والحكومة الفرنسية واللنبي، على مالحق الديانة الاسلامية من إهانة بسبب تدخل السلطة العسكرية الفرنسية في لبنان في الأمور الدينية، ومنع الخطباء في الجوامع من الدعاء حسب رغبتهم. انظر ملحق رقم ١٧.

(٥٨) D.F.aff Etr,Levant, 26 (7 April) P.70.

الوطنيون أو المتطرفون كما كان يسميهم الفرنسيون، إلى انتقاد السياسة الممالئة لفرنسا، ويطالبون باتخاذ سياسة حازمة ضدها، وتهيئة البلاد كلها للدفاع عن الاستقلال. وزاد الموقف حرجاً تصرف فرنسا غير الحكيم في لبنان، بمنعها الخطباء في الجوامع من الدعاء لفيصل كما مر، ورفضها رفع العلم العربي الجديد على دار المعتمد العربي السوري في بيروت، وحملة الصحف الفرنسية على فيصل، واتهامه بانصياعه لآراء المتطرفين، وبأنه أصبح آلة بأيدي الحزب الوطني في دمشق وفلسطين. وشبهت جريدة **Le Temps** النادي العربي بنادي الاتحاد والترقي التركي، وقالت إن انشغال معظم القوات الفرنسية في كيليكيا، يشجع الوطنيين السوريين. ووصفت الجريدة المذكورة الحركة الوطنية في سورية، بأنها من صنع أقلية لا تمثل البلاد[٥٩]. كما أن الجرائد اللبنانية الموالية لفرنسا، كانت تهاجم الوطنيين المطالبين بالاستقلال، وتتهدد الحكم القائم في سورية بقرب احتلال القوات الفرنسية لها، وتخليصها من المتطرفين والغرباء[٦٠].

وقابلت الصحافة الوطنية في دمشق الهجوم بهجوم أعنف، وكانت تحض الناس على رفض فرنسا، وتجهيز أنفسهم للدفاع عن استقلال بلادهم، ضد احتلالها المتوقع. فقد كتبت جريدة (الدفاع) في ٢٢ مارس / آذار / ـ ويمكن اعتبارها إحدى النماذج الكثيرة التي كانت تطرق على المنوال نفسه ـ «ليس علينا خوف أن لا يكون لنا أصدقاء في انكلترا، وفرنسا، وأمريكا، وخاصة في أمريكا وانكلترا، وقد قابلنا منهم في بلدنا الكثير وفي باريس أيضاً. فليعلم هؤلاء الأصدقاء، ولتعلم أوروبا أيضاً، أننا نريد الاستقلال التام، وسنضحي من أجله كل شيء»[٦١].

---

(٥٩) المقطم، عدد ٩٤٣٤، ٢٦ مارس / آذار / ١٩٢٠.

(٦٠) نفس المصدر، عدد ٩٤٣٦، ٣٠ مارس / آذار / ١٩٢٠.

«ماذا يحدث لو لم يعترف مؤتمر الصلح بملكية فيصل، وكيف يمكن الجمع بين مااتخذه المؤتمر السوري والمؤتمر اللبناني، نعتقد أن مؤتمر الصلح سيحل ذلك». لسان الحال في ٢٧ مارس / آذار / مترجمة عن **F.O.371/5188/ P.56.**

(٦١) الدفاع، عدد ٦٠، ٢٢ مارس / آذار / ١٩٢٠.

انظر أيضاً **F.O.371/5188/ P.22.**

ومنعت السلطة الفرنسية في المنطقة الغربية التظاهرات، وأغلقت الجرائد، وهددت بمعاقبة المتظاهرين[٦٢]. وقامت ثورة في البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وانسحب الفرنسيون من (جرابلس) إلى (كلس) على الحدود التركية، بعد أن أصبح موقفهم ضعيفاً أمام الأتراك، الذين كان العرب يتعاطفون معهم، ويمنعون عن الفرنسيين الذين يحاربونهم وصول الامدادات من المنطقة الغربية، مما أقلق السلطات الفرنسية، وزاد في نقمتها على حكومة دمشق.

وتابعت الصحف الوطنية حملتها على السياسة الفرنسية، لكن بعضها طرق الحملة بشكل جديد، إذ خرجت عن النطاق الوطني المحدود في سورية أو البلاد العربية الآسيوية إلى النطاق القومي الشامل وأخذت تفتح الأذهان للحذر والحيطة. وبدأت توضح أعمال فرنسا (الوحشية) في المغرب العربي كله، ويعتبر هذا منها تحدياً لفرنسا، التي كانت تسعى إلى الحفاظ على استعمارها في المغرب العربي، باحتلال أقطار عربية إسلامية أخرى في المشرق. فكتبت جريدة الأردن الدمشقية في ١١ مارس / آذار / ١٩٢٠ «ليعلم السوريون أن فرنسا تحارب المراكشيين بالجزائريين، وهؤلاء بالتونسيين، وهؤلاء بالسنغال. وفرنسا الآن تستعمل هذه الشعوب ضدنا، فإذا رضخنا لها، فسوف ترسلنا لنقاتل أخوتنا العرب في إفريقية، بعيداً عن الحرب ضد ألمانيا، وإن كنا لا نستطيع أن نهرب من الموت، دعونا نمتْ في الدفاع عن عائلاتنا وأطفالنا. وها هي فرنسا قد أرسلت ٩٠ ألف تونسي إلى المقابر في فرنسا»[٦٣].

أما فيصل والحكومة العربية، فلم يسلكا سلوكاً معادياً لفرنسا أو بريطانيا في المنطقة منذ التتويج، لكن فيصلاً بقي مسايراً للشعور الوطني المطالب بالاستقلال التام، وبقي على اتفاق مع اللجان الوطنية للدفاع عن البلاد. وكان زعماء هذه اللجان، قد الحوا على فيصل ألا يعقد أي اتفاق مع أي دولة أجنبية، مالم تعترف أولاً باستقلال سورية التام، وبحدودها الطبيعية بدون قيد ولا شرط. وكان حزب الاستقلال قد قرر

(٦٢) الدفاع، عدد ٥١، ١١ مارس / آذار / ١٩٢٠.

(٦٣) F.O.371/499/5188/ P.7.

ذلك أيضاً، بالاتفاق مع اللجان الوطنية(٦٤). لكن ذلك لا يمنع أن يقبل الوطنيون باتفاق مع الحلفاء، إذا هم قبلوا استقلال سورية. وبذلك يضمون مصالحهم فيها. حتى أن يوسف العظمة وهو من أشد المتطرفين، كان يأمل تسوية طيبة مع الحلفاء. ففي أواخر مارس / آذار / ١٩٢٠، كثرت الشائعات عن قرب وقوع القتال مع الفرنسيين، لكن يوسف العظمة صرح لجريدة الدفاع، بأنه لا يعتقد بنشوب الحرب مع الحلفاء وهو حسن الظن بهم، ويعتقد أنهم مسالمون، لكنه أكد على حركة التجنيد، وقال إنها سائرة على مايرام، وإن الجيش يجري استعراضاً مستمراً، يحضره الملك فيصل بنفسه ويشرف عليه(٦٥).

وكان هم فيصل الأكبر، هو الوصول مع الحلفاء إلى حل للمسألة السورية، والاعتراف باستقلالها. وكان في رأيه، أن الابطاء في حلها، هو الذي أدى إلى الهياج الشديد في الرأي العام، وقيام الأمة قومة واحدة، بإعلان استقلالها، مما جعل وقوفه في وجه التيار العام متعذراً(٦٦).

عودة التوتر بين فيصل والفرنسيين

وحاول فيصل عبثاً من جديد، الحصول على اعتراف باستقلال سورية من غورو، وأرسل له عدة رسائل وبرقيات، ويؤكد رغبته في مراعاة اتفاقه مع كلمنصو، وباستعداده لحضور مؤتمر الصلح إذا اعترف رسمياً باستقلال بلاده، ويؤكد رغبته في حفظ الصداقة الدائمة لفرنسا، وعبر أيضاً عن رغبته في تنفيذ اتفاق ٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ مع كلمنصو بلهجة معتدلة ــ حسب تعبير غورو ــ وأن العرب في سورية والعراق دون تمييز ديني، يطالبون باستقلال. كما كان فيصل يعلل له أحياناً، أن سبب إعلان الاستقلال ناتج عن خوفه من عودة الأتراك إلى سورية. وأيضاً

(٦٤) المقطم، عدد ٩٤٠٩، ٣٧ ففريه / شباط / ١٩٢٠ نقلاً عن جريدة القصاب الدمشقية.
(٦٥) نفس المصدر، عدد ٩٤٤٠، ٣ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.
(٦٦) جريدة الصفاء، بيروت، عدد ٦٩٦، أبريل / نيسان / ١٩٢٠.

من خوف قيام الاضطرابات في سورية(٦٧) . لكنه لم يلق جواباً من غورو ، لأن الحكومة الفرنسية التي ترأسها (ميلران) ، قد صممت على التعامل مع فيصل بشكل يختلف عما كان أيام كلمنصو . وقد لقيت سياسة ميلران صدى مستحباً في بيروت ، لوضع حد لسياسة التطرف في دمشق(٦٨) . وكان رأي غورو في المسألة السورية في هذه الفترة أبريل / نيسان / ١٩٢٠ ، أن يؤخر إرسال المعونة الشهرية لفيصل ، حتى

(٦٧) برقيات من السفارة الفرنسية ، بيروت ، ٣ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ تحت الأرقام ٧٥٥ حتى ٧٦٣ .
D.F.Aff. Etr, Levant, 26, P.27, 31.
أجاب فيصل مراسل جريدة Petit Parisien في ٢٩ مارس / آذار / ١٩٢٠ بما يلي :
س : أليس إعلان الاستقلال أتى قبل أوانه ، وكذلك تتويجكم ملكاً على سورية وفلسطين ؟
ج : إن مرور الزمن وتغيير سياسة القوى بالنسبة للبلاد ، وإعطاء فلسطين لليهود ، وانتداب فرنسا على سورية الذي قد ينقلب إلى حماية ، ورغبات الشعب في الاستقلال ، لم تسمح لي بتأخير ذلك أكثر .
س : وان لم تعترف أوروبا بالاستقلال والتتويج ؟
ج : إني أرفض هذه الفرضية ، فلست أنا وشعبي مسؤولين عما يحدث من حوادث في المستقبل .
س : ما رأيكم في رحلة أخرى لأوروبا ؟
ج : توجد حوادث في كيليكيا ، والبلاد معرضة لخطر حرب العصبات ، وعملي أن أنهي ذلك قبل ، حتى أؤكد صداقتي لفرنسا .
س : كيف تفسرون التحدث عن الحاضر وليس عن الماضي ، وإعلان الاستقلال فيه مادة تقول بسحب القوات الفرنسية ؟
ج : أردنا أن نظهر رغبتنا في رؤية بلدنا حراً من القوات الأجنبية ، ونأمل أن تكون فرنسا وانكلترا واثقتين من اخلاصنا .
س : إذا اعترف باستقلالكم ، كيف تكون العلاقات بينكم وبين فرنسا ؟
ج : تأسيس الحكومة في بلد غير ناضج ، ومحتاج إلى بعض الأشياء لتأسيس نظام متكامل ، يحتاج إلى مساعدة وخبرة ، وسوف نطلبها من فرنسا .
F.O.371/5034/P.100.

(٦٨) كتبت جريدة البرق البيروتية في ٢٠ مارس / آذار / (مترجمة عن الوثائق البريطانية) «أخر لويد جورج الاتفاق مع تركيا (١٥) شهراً ، حتى يستعيد مصطفى كمال قوته لمحاربة فرنسا . وكان كلمنصو خاضعاً له ، ولم يتكلم عن سورية . بينما كان يرى بيشون أن حكم الملك حسين لسورية ، هو طرد الحرية منها ، والسماح للصهيونية بالتجول خارج فلسطين ، لأن حكم الحجاز معناه الحماية الانكليزية والسيطرة الصهيونية . وشجع صمت كلمنصو الانكليز لصالح فيصل والاستقلاليين ، الذين خدعوا بالمظاهر ، وأخذوا يظهرون العداء لفرنسا ، ونرجو ألا يكون (ميلران) كسلفه ، لأن غورو لا يستطيع أن يعمل إلا من باريس» .
Ibid, 5188/ P.25.

يتفاهم كلية مع فرنسا وبريطانيا، لأنه يستعمل النقود لإثارة المتاعب والقلاقل. أما بالنسبة لانتخابات حرة في سورية، فكان غورو ضدها وضد إرسال أي لجنة كاللجنة الأمريكية، لأنها ستعبر عن روح معادية لفرنسا، وكان غورو يرى أيضاً، أنه لا يمكن إيجاد مؤتمر ينتخب ملكاً لسورية واحدة (موحدة)، لأنها هي غير موجودة. أما بالنسبة للموقف في لبنان، فإن اتفاق ٦ جانفي / كانون الثاني / بين فيصل وكلمنصو كان قد حدده. وقد أرسل غورو مجموعة الآراء هذه إلى حكومته في ٦ و ٧ أبريل / نيسان /(٦٩)، ولم يدر فيصل شيئاً عنها.

واستمر الجو المتوتر في دمشق ضد الفرنسيين خلال شهر نيسان، وتعرضت الوزارة السورية إلى نقد شديد في المؤتمر السوري، واتهموها بالتساهل مع الفرنسيين (حادثة انزال العلم العربي في بيروت)، وبأنها لم تتخذ الاجراءات الضرورية للدفاع ضد التحشدات الفرنسية على الحدود الغربية. فكان الركابي يجيب بكل اعتدال، بعدم قدرة سورية على محاربة دولة عظمى، خرجت منتصرة من الحرب، وأن الموقف لم يصل إلى حد الحرب. كما صار الزعماء الوطنيون وقادة العصابات الوطنية، يشكون من اهمال الحكومة أمرهم، فهي لا تمدهم بالمال ولا السلاح(٧٠). فلقيت هذه الشكاوي الأذن الصاغية من قبل الوطنيين في المؤتمر، الذين لم يكونوا راضين أصلاً عن خطة الوزارة المعتدلة، ولا عن الركابي، لأنهم قد يئسوا منه عندما كان حاكماً عسكرياً، ويئسوا من ضمهم له لصفوفهم في مسألة الدفاع، ومحاربة فرنسا. وكان الركابي يلجأ إلى إرسال وزير يهدىء ثائرة المؤتمر، كلما استعصت مشكلة بينه وبين أعضائه.

---

(٦٩) D.F.Aff. Etr, Levant. 26, P. 67-73, No 683, 788.793.

(٧٠) قدري، ص ٢٠٤ والحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٥٥.

كتبت الأهرام في ٢٨ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ (مترجمة عن الوثائق البريطانية) «العلاقة بين السوريين وملكهم، ليست عرقية ولا دينية، وكل ما يهمهم هو التخلص من الاحتلال. وذهب الأمير محمود الفاعور وأحمد مريود لفيصل، وأبلغاه بأن ينتهج سياسة السلم مع فرنسا، ليبني قوته ويعطي الحرية للقبائل. والأمير الفاعور يتطوع لاحتلال صيدا وصور وبيروت، ويطلب فقط معاونته بضباط سريين لذلك» والمعروف أن محمود الفاعور هو رأس العصابات الوطنية في منطقة الجولان والحولة.

F.O.371/5188/ P.70-71.

ولم يكن ممثلو اللجان الوطنية أقل حماسة من أعضاء المؤتمر، وخاصة الشيخ كامل القصاب، المحرك الأول للجماهير، والذي كان يستغل كل مناسبة، لحث فيصل على السير لتحقيق الأهداف الوطنية في الاستقلال الكامل، إذ قال في أحد اجتماعات اللجان الوطنية «ليضمنوا ما ثبتت عليه الحكومة السورية قواعدها، وليحققوا العمل العظيم الموضوع على أكتافهم، عندما نهضوا يطالبون بالاستقلال الكامل، وأقاموا العرش الذي كان ينتظر فيصلاً منذ بدء الثورة العربية، وأن النواب سيفون بآمال الأمة التي انتخبتهم لذلك، للحفاظ على الاستقلال الذي أعلنوه. ووجه كلامه إلى فيصل يبثه روح العزيمة والفخر قائلاً «عندما يذكر اسمكم، يذكر بالاحترام والتبجيل... وإن حضوركم أمام الشعب كملك عربي من الملوك الأوائل، هو نبوءه للمستقبل، ولأن العرب أكثر الأمم ديمقراطية ومساواة، وبك تتمثل روح جدك علي بن أبي طالب»(٧١).

وكان القصاب يستثير الشعب أيضاً للوقوف إلى جانب أهدافه الوطنية، وفي الاستقلال والوحدة، ويذكره بأنه قادر على حكم نفسه «يجب أن تعلم الأمم، أننا قادرون على حكم أنفسنا، وحفظ حقوقنا، وتمثيل شخصيتها في المجتمع». وكان القصاب على علم بحقيقة هامة، وهي أن حفظ الاستقلال أصعب من إعلانه، وأشد منه خطراً، ولذا فقد كان يدعو الجميع للعمل بدون كلل، لتشجيع التجنيد والاتحاد بين جميع الطبقات والأفراد(٧٢). لكن القصاب لم يخرج عن نطاق الخطب والكلام.

وكان الوطنيون، ومنهم القصاب، يعلمون أن فيصلاً ما زال راغباً في الاتفاق مع

---

(٧١) الدفاع، عدد ١٢،٧٦ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.
F.O.371/5188/ P.57.

(٧٢) جريدة الدفاع، عدد ٧٦، ١٢ أبريل / نيسان / ١٩٢٠. وأيضاً في F.O.P.57.
كتبت جريدة الحقيقة البيروتية (موالية لدمشق) في ١٥ أبريل / نيسان / ١٩٢٠.
«ما زالت دمشق تعطي الشواهد على شعور المواطنين، ولا يمر يوم بدون مظاهرات وخطابات، والمظهر العظيم هو هذه الوحدة بين مختلف الفئات، والاقتناع الكامل بالأخوة في صوت العقيدة... واللجنة الوطنية تتألف من الرأسماليين والعمال والقساوسة والشيوخ والأدباء وغيرهم، وهذا يدل على الخط الديمقراطي، وتجنب الظلم» مترجمة عن F.O.371/5188/ P.47.

فرنسا، رغم تتويجه ملكاً وإعلان استقلال سورية، لكنه لم يخطر ببالهم حتى في هذه المرحلة الاستغناء عنه، بينما كان أنصار سياسة الرضى بفرنسا، يرغبون في تعيين أحدهم رئيساً لسورية بدلاً من فيصل، لكنهم لم يكونوا يجرؤون على الافصاح عنه(٧٣).

(٧٣) هذا رأي يوسف الحكيم في مقابلة شخصية معه في صيف ١٩٦٩، عزة دروزة في صيف ١٩٧٠، وصبحي العمري في أوائل ١٩٧٢، والمقابلات الثلاث جرت في دمشق.

كان سعيد الجزائري يعد نفسه كي يكون رئيس سورية بدلاً من فيصل، وقد نشرت الصحف اللبنانية الموالية لفرنسا في بيروت دعاية واسعة له، أثناء إقامته في بيروت، وفضلته على فيصل (الغريب عن سورية). وكانت تجنده لقبوله بانتداب فرنسا على سورية، ورفض اعطاء فلسطين لليهود. ثم انتقل سعيد إلى فرنسا بزعامة وحراسة الحكومة الفرنسية في سبتمبر / أيلول / ١٩١٩ ونافسه في بيروت على رئاسة سورية أحمد نامي بك الجركسي المصري الجنسية، وصار كل منهما يحشد حوله المؤيدين والأنصار «وصار مثلهما ــ على حد قول جميل بيهم ــ كاللذين اقتتلا على جلد دب قبل صيده».

العهد المخضرم، ص ٩٤، ٩٨.

و D.F.G.7N-1640, Lafarcade (Part Said) 16 Aout, 13 Sep, 20 Sep.

وأوصى لافرو كاد بأن يستقبل الأمير خالد بن عبد القادر الجزائري، ابن عمه سعيداً في مرسيليا عند وصوله من بور سعيد التي قدم إليها من بيروت بعد إطلاق الانكليز سراحه من الاعتقال في حيفا. Ibid.

الفصل التاسع

فيصل وقرار مؤتمر سان ريمو بالانتداب الفرنسي على سورية

مؤتمر سان ريمو

عقد المجلس الأعلى للحلفاء اجتماعاً في سان ريمو San Remo في إيطاليا من ١٩ ــ ٢٦ أبريل / نيسان ١٩٢٠، وحضره لويد جورج عن بريطانيا، وميلران عن فرنسا وحضره ممثلون عن إيطاليا واليابان، ولم تمثل فيه الولايات المتحدة. وكانت غاية الاجتماع وضع اتفاقية خاصة بتركيا. وفي ٢٤ من الشهر المذكور، وضعت اتفاقية سيفر Sévres، ونصت المادة (٩٤) منها بشأن سورية والعراق، على مايلي:

«يوافق الطرفان الساميان، على أن تكون سورية والعراق، وفقاً للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين، الجزء الأول من ميثاق (عصبة الأمم)، بلدين مستقلين معترفاً بهما اعترافاً مؤقتاً، على أن تتلقيا العون والمشورة في الإدارة، من قبل دولة منتدبة، إلى الوقت الذي تجد فيه الدولتان، أنهما بغنى عن مثل هذا العون والمشورة». وفي اليوم التالي، وزع الانتداب على العراق وفلسطين وسورية، وأوصى بتطبيق الانتداب من الفئة (أ) عليها. وحددت فرنسا لتكون المنتدبة على سورية بما فيها لبنان. وبريطانيا على العراق وفلسطين[1].

وفي اليوم نفسه تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا، على بترول العراق، تعطي

---

(١) D.F.Aff. Etr. Levant. 27.PP. 17-19 et 7.

و Paperes relating to the foreign relations of U.S.A, vol XIII, P.95.

بموجبه بريطانيا لفرنسا ٢٥ ٪، وبالمقابل، تسمح فرنسا، بمد انبوبين للنفط، عبر سورية حتى البحر المتوسط[٢].

وبهذا الاتفاق، تكون اتفاقية سايكس ــ بيكو، قد أقرت رسمياً في مؤتمر المجلس الأعلى للحلفاء، مع بعض التعديلات الخاصة بالبترول، الذي كان أهمَّ هدف اقتصادي للانتداب. أما الاستقلال الذي أقره سان ريمو، وربطه بالانتداب، فلم يكن في الحقيقة إلا استقلالاً صورياً زائفاً، لأن الانتداب في الواقع، هو شكل آخر من أشكال الاستعمار. وباعتراف لويد جورج نفسه، فإن نظام الانتداب، هو نتيجة للأمبريالية القديمة[٣]. وعبر اللورد كرزون بصراحة في مجلس اللوردات، على أن انتدابات عصبة الأمم حديث خرافة، لأنها ليست سوى وسيلة لتوزيع البلدان بين المنتصرين. وقال «إنه من الخطأ أن نفترض، أن يبقى الانتداب تحت إشراف عصبة الأمم، إنه ليس كذلك، إنه يبقى مع القوى التي احتلت البلاد، والتي سقطت تحت حكمها وسلطتها. وعلى هذا الأساس، قبلت بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين، وفرنسا على سورية»[٤].

وفي ٢٧ أبريل / نيسان / أبلغ اللنبي، فيصلاً قرار الحلفاء في سان ريمو، باستقلال سورية المؤقت تحت الانتداب الفرنسي، واستقلال العراق تحت الانتداب البريطاني، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وسعي بريطانيا لتحقيق وعد بلفور لليهود فيها. وأبلغه أن هذه القرارات، ستحال إلى عصبة الأمم للتصديق عليها. كما أبلغه، أن الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف به مبدئياً، رئيساً لدولة سورية

(٢) Papers relations, vol.2, (24 April 1920) PP. 655-657.
و D.F.Aff. Etr. Levant. 27. PP.17-19.

(٣) زين، الصراع، ص ١٦.

(٤) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة بينه فارس ومنير البعلبكي، بيروت، ١٩٦٨، ص ٧٦٢.
وأيضاً Philip Willard Ireland, Iraq, London, 1937, P.263.

المستقلة، أما مسألة ملكيته، فيبت فيها مؤتمر الصلح، لأن الانكليز والفرنسيين يعتبرون أن المؤتمر السوري الذي انتخبه ملكاً، هيئة غير شرعية. وحمل اللنبي فيصلاً، مسؤولية عدم الاعتراف باستقلال سورية وبملكيته، لرفضه الدعوة للحضور إلى مؤتمر الصلح. وكان اللنبي قد وجه دعوة لفيصل، باسم بريطانيا وفرنسا، للحضور إلى أوروبا في ٢٠ أبريل / نيسان /، ومع كل هذا، فقد أبلغه من جديد دعوة مؤتمر الصلح له، لحضور جلسته القادمة في العاشر من ماي / أيار / ١٩٢٠، في باريس، لعرض قضيته، وبحث مسألة الحدود السورية. أما بالنسبة لفلسطين، فقد أبلغه اللنبي أن بريطانيا لا تستطيع الاعتراف به ملكاً عليها، لأنها مجبرة على وفاء وعدها لليهود، ولم يكن للعراق قضية مطروحة مع فيصل، لأنه لم يطالب به أصلاً، وإن فعل فسترفض بريطانيا ذلك(٥).

والحقيقة أن قرار الانتداب(٦) في سان ريمو، لم يكن إلا تطبيقاً لاتفاقية سايكس ـــ بيكو، وإصراراً قديماً من فرنسا على احتلال سورية، ولم يكن حضور فيصل ليؤثر على سياسة الدولتين، فقد سبق له أن بقي عشرة أشهر لم يحصل بها على طائل، إلا اتفاقاً مع فرنسا فيه الانتداب نفسه، كما كان الانتداب أحد الشروط التي وضعتها بريطانيا وفرنسا، للاعتراف بملكية فيصل، واستقلال سورية في حالة حضوره. ولم تكن قرارات الانتداب قد وضعت نكاية بفيصل، لأنه لم يحضر حتى يحمله اللنبي مسؤولية قرار الانتداب، مع العلم أن مندوب الحجاز محمد رستم، وموفد فيصل نوري

---

(٥) D.F.Aff. Etr, Levant.28, PP.143-144. et F.O.371/5035/ P.5-7.
وأيضاً الحصري، يوم ميسلون، ص ٢٧٥ ـــ ٢٧٦.
وانظر Tibawi, P.108

(٦) المفروض أن الانتداب، هو العمل على ارشاد السلطات المحلية، وبالتوافق مع حاجات السكان، لكن هذا لم يحدث في لبنان قبل ١٩٢٦ ولا قبل ١٩٣٠ في سورية.
Nicola A.Ziaden, Syria and Lebanon, London, 1956, P.50
وصف نهرو الانتداب فقال: اخترعت الحكومتان الانكليزية والفرنسية نظام الانتداب، وهو النظام الاستعماري الجديد، الذي ابتكروه لاستعمار أقطار جديدة، بموافقة عصبة الأمم.
نهرو لمحات من تاريخ العالم، ص ٣١٠.

السعيد، كانا في سان ريمو، ومن المفروض أن وجود الممثل يسقط حجة غياب الأصيل. وتكفي كلمات لويد جورج وكرزون السابقة عن الانتداب، واعتباره استعماراً من نوع آخر، حتى ندرك أن حضور فيصل وغيابه سواء.

وبعد ثلاثة أيام (أي في ٣٠ أبريل / نيسان /)، أرسل ميلران برقية إلى فيصل، يؤكد فيها عزم فرنسا على تنفيذ المهمة التي أوكلها لها مؤتمر الصلح، بتقديم المساعدة والمشورة ــ ولم يذكر الانتداب صراحة ــ واعتبر ميلران أن سكان سورية متكلمون بالعربية، (أي ليسوا عرباً بالأصل). تقول البرقية «ان الحكومة الفرنسية مشيرة من جهة إلى بلاغاتها السابقة، ومن جهة إلى المبادىء العمومية لتحرير الشعوب، والمعاونة التي أعلنها مؤتمر الصلح، تؤكد اعترافها بأن للأهالي المتكلمين باللغة العربية من جميع المذاهب، الساكنين في القطر السوري، الحق في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم بصفة شعوب مستقلة. وهي ترى من واجبها أن تقبل المهمة التي عهد بها إليها مؤتمر الصلح، لاعطاء هؤلاء الأهالي مساعدتها ومشورتها، لتحقيق أمانيهم المشروعة. وهذه المساعدة لابد منها بعد استعباد طويل، وخروج من حرب تركت البلاد خراباً. وستضمن استقلالهم ضد كل اعتداء ضمن الحدود التي يعينها مؤتمر الصلح، ناظرة بعين الاعتبار إلى الإدارات الذاتية اللازمة»[٧].

(٧) الحصري، يوم ميسلون، ص٢٧٤، والعاصمة، عدد ١٢٢، ٣ ماي / أيار / ١٩٢٠.
وأيضاً F.O.371/2/5036/ P.42 و D.F.Aff. Etr, Levant. 27, P.20.
وكان ميلران قد أرسل لفيصل برقية عن طريق غورو في ٢١ أبريل / نيسان / جواباً على رسالة فيصل، التي يعترف بها باتفاقه مع كلمنصو، وشكره ميلران على اعترافه هذا، وأبلغه أنه سيدعم هذه الاتفاقية أمام الحلفاء في مؤتمر الصلح، وسيدعم استقلال سورية في حدودها الجغرافية، كما سيقرر مؤتمر الصلح، والاعتراف بحق الشعوب الناطقة باللغة العربية، على الأرض السورية بكامل الاعتراف لحكم أنفسهم، تحت اسم الأمة المستقلة. كما تلقى فيصل رسالة من ميلران أيضاً في ٢٦ أبريل / نيسان / يدعوه فيها لحضور مؤتمر الصلح، لمناقشة الانتداب الفرنسي على سورية، والبريطاني على العراق وفلسطين، الذي اتخذ حسب رغبات الشعوب والحلفاء، وحدد له نهاية شهر مايو / أيار / كحد أقصى لحضوره مؤتمر الصلح. وربما تكون هذه البرقية الأخيرة، هي التي تلقاها فيصل في ٣٠ أبريل / نيسان /، ونشرتها جريدة العاصمة في ٣ مايو / أيار /.
D.F.Aff. Etr, Levant.26. PP.244-245.

رد الفعل في دمشق على قرار سان ريمو

كان قرار سان ريمو ضربة شديدة لآمال الشعب في استقلال سورية ووحدتها، وقامت المظاهرات والاحتجاجات، وأجمع الرأي العام على رفض ما جاء به، وبدأت الاجتماعات بين زعماء اللجنة الوطنية والملك فيصل، وأبلغوه عن تصميم الشعب، على مقاومة كل اعتداء على حدود البلاد واستقلالها، حتى النفس الأخير، وطلبوا منه تغيير الحكومة بأخرى جديدة، تؤيد الاتجاه الوطني المصمم على الدفاع[٨].

كما أن المؤتمر الوطني، قد حجب الثقة عن الوزارة في الثاني من ماي / أيار /، وأخذ يطالب بحضورها أمامه، لكن الركابي كان يعلم سلفاً ما ينتظره، ولذلك أرسل يوسف الحكيم بدلاً منه، لتلاوة قرار الوزارة وخطتها المعتدلة مع الفرنسيين، وعدم تسليحها العصابات الوطنية لمحاربتهم، وعدم اقتناعها بجدوى محاربتهم، حتى بعد مؤتمر سان ريمو. فرفض الأعضاء إلا حضور الركابي نفسه، وعندها ترك الركابي مكتبه في رئاسة الوزراء، وذهب إلى بيته. غير أن فيصلاً حاول إصلاح الأمر بينه وبين المؤتمر، لكن الركابي أبلغه قائلاً «لا يسعني الصبر على ما أشاهده في العاصمة، والمؤتمر السوري خاصة، من تهور وإفراط في المطاليب، مما قد يؤدي إلى فقد النظام وإلى الاضطراب على الحدود، وهذا ينذر بسوء المصير»[٩]. وعندها قبل فيصل استقالته نزولاً عند رأي الوطنيين، بتأليف وزارة دفاعية. فكلف في ١٣ ماي / أيار / هاشم الأتاسي رئيس المؤتمر السوري، بتشكيل الوزارة بالاتفاق مع اللجان الوطنية. لكن فيصلاً الذي كان ميالاً للتفاهم مع الفرنسيين حتى ذلك الوقت، أدخل (جرجي رزق الله) صديق الكولونيل كوس في الوزارة، مما جعل الأفواه تهمس عن قبول فيصل بالانتداب، والانحراف عن خط الوطنيين، الذين أسرعوا إلى قصره بزعامة القصاب

(٨) الحكيم، العهد الفيصلي ١٥٦ ـــ ١٥٧ والدفاع، عدد ١٠٦، ٩ ماي / أيار / ١٩٢٠ (كتبت جريدة البرق في ٢٩ أبريل / نيسان / ١٩٢٠ «إن مؤتمر سان ريمو أظهر لنا عبرة أكثر من باريس ولندن، ولكن إذا كان الانتداب بالقوة، فعليه أن يستعمل الدبابات والمدافع والسيوف، لقهر الشعوب على قبولها». مترجمة عن F.O.371/5188/ P.95.

(٩) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٥٦ ـــ ١٥٧.

ليسألوه الخبر، وعندها تراجع فيصل وأعلمهم أن أمر تشكيل الوزارة لم ينته بعد، واستبعد رزق الله[10] تحت ضغطهم. ثم شكلت الوزارة[11] من جديد برئاسة الأتاسي. وعين الشيخ رشيد رضا رئيساً للمؤتمر، ودعاس الجرجس نائباً له، وكلاهما من المنطقة الغربية، كما عين جميل مردم مستشاراً للوزارة لتأمين الانسجام فيها[12].

ويلاحظ أن خمسة وزراء من الثمانية كانوا في الوزارة الأولى. أما الجدد فهما يوسف العظمة، وعبد الرحمن الشهبندر، وهما من الموثوق بهم لدى المؤتمر واللجان الوطنية، ويحملان فكرة المقاومة ضد أي احتلال. كما يلاحظ خلو الوزارة من وزير فلسطيني ــ وكان الحسيني من القدس في الوزارة الأولى ــ رغبة من فيصل في عدم إثارة بريطانيا، التي نقمت على سورية بسبب قرار الاستقلال، القاضي باعتبار فلسطين جزءاً من سورية[13].

وقدمت الوزارة بيانها في ٨ ماي / أيار / وكان يتضمن:

١ ــ تأييد الاستقلال التام الناجز بما في ذلك حق التمثيل الخارجي.

٢ ــ المطالبة بوحدة سورية بحدودها الطبيعية، بما فيها فلسطين، ورفض الوطن اليهودي فيها.

٣ ــ رفض كل مداخلة أجنبية تمس بالسيادة القومية (إشارة إلى الانتداب).

---

(١٠) جاء في مذكرات حسن الحكيم، ويوسف الحكيم، وساطع الحصري، أن الوزارة التي دخل فيها رزق الله بقيت يومين، ثم استقالت رسمياً وشكلت أخرى استبعد فيها رزق الله، مما يؤكد تراجع فيصل عن نيته السابقة بالتفاهم مع الفرنسيين. مذكرات حسن الحكيم الخطية ص٦، العهد الفيصلي، ص١٥٦ ــ ١٥٧. ويوم ميسلون، ص٢٥٦.

(١١) الوزارة: هاشم الأتاسي للرئاسة، رضا الصلح لرئاسة مجلس الشورى، علاء الدين الدروبي للداخلية، عبد الرحمن الشهبندر للخارجية، يوسف العظمة للحربية، مع ترفيعه لرتبة (العميد) الفخرية، تقديراً له وتعزيزاً لمهمته. فارس الخوري للمالية، جلال زهدي للعدلية، ساطع الحصري للمعارف، يوسف الحكيم للأشغال العامة والنافعة والزراعة والتجارة. الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٥٦ ــ ١٥٧.

(١٢) انظر ملحق التراجم.

(١٣) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٥٩.

٤ ــ قبول قرار سان ريمو الخاص باعترافه باستقلال سورية، واعتبار ذلك أساساً للحقوق الأخرى، وقبول تصريح بريطانيا باستعدادها للاعتراف بفيصل كرئيس لدولة مستقلة. أما القرار الخاص بالانتداب فستسعى الوزارة لإزالته.

وجاء في خاتمة البيان «لا شك أن المؤتمر الذي سيعقد في أواخر هذا الشهر في باريس، سيعيد نظره في مقرراته السابقة، ولنا الأمل أن يعود فينصفنا ولا يهمل وعود حلفائنا لنا، على أننا إن لم ننصف، فلنا بقوة شعبنا وعزمه الثابت أكبر ضامن لتأييد حقنا.... ونحن قوم لا نطلب إلا حقاً ولا نريد التعدي على غيرنا، بل نريد أن نعيش أحراراً في عقر دارنا، مسالمين من يسالمنا، ومحترمين من يحترم منافعنا»(١٤).

ومنذ تأليف هذه الوزارة، أصبح الاتجاه العام للدولة واضحاً، وهو الاصرار على الاعتراف باستقلال سورية ووحدتها، وملكية فيصل، ومقاومة مادون ذلك. وكان هذا الاتجاه عاماً وشاملاً لمختلف الفئات المهتمة بالقضايا الوطنية، التي تعبر عن الشعب. فقد أصدر النادي العربي في دمشق في السادس من ماي / أيار /، بياناً إلى الشعب، يحض الشعب على مقاومة الاستعمار، الذي يريد استعباد الأمة وسلخ فلسطين عنها، وإعطاء إدارة سورية للأجنبي، وبذلك تصبح لغتها وجنسيتها مزدوجة، كما سيؤخذ جنودها للمحاربة من أجل الأجنبي. كما جاء فيه «أجدادك يدعونك كي تحفظ حقهم وتدافع عن شرفهم، أقدم على الموت توهب لك الحياة.

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود

ليعش الاستقلال والحرية، ولتعش الوحدة السورية، وجلالة ملكها فيصل الأول»(١٥).

واستأنف اللجان الوطنية نشاطها، مع جميع الأوساط الوطنية في سائر أنحاء سورية، وأعلنت احتجاجها على مؤتمر سان ريمو، وصارت تحض الناس على الاستعداد للدفاع عن البلاد.

---

(١٤) الحصري، يوم ميسلون، ص٢٤٢ ــ ٢٤٤، والعاصمة، عدد ١٢٤، ٣ ماي / أيار / ١٩٢٠.

(١٥) عن جريدة الكنانة الدمشقية في F.O.371/499/5188/ P.108.

وبذا أصبحت كل الأطراف معادية للانتداب، الحكومة الجديدة، والمؤتمر السوري(١٦)، واللجان الوطنية. ولم يبق إلّا الملك فيصل، يحاول التوفيق بين الوطنيين والحلفاء، ويجهد في الوصول إلى مخرج من الموقف الصعب، الذي وصلت إليه الحالة في سورية. وكان سلوكه هو اتباع التأثير الأقوى الواقع عليه.

فيصل والانكليز والفرنسيون

وتحت تأثير الضغط الوطني، رفض فيصل بدوره قرار مؤتمر سان ريمو، وبعث بذلك إلى اللنبي رداً على رسالته في ٢٧ أبريل / نيسان / ١٩٢٠. وبنى رفضه على مخالفة هذا القرار، لأماني الشعب في الوحدة السورية والاستقلال، ولفصل فلسطين عن سورية، ومخالفته أيضاً وعد بريطانيا واتفاقها مع أبيه الحسين، الذي ينص على مشاورته في نوع الحكم في فلسطين. ولذا فقد رفض فيصل السفر إلى أوروبا، مالم يقرر مؤتمر الصلح عدم فصل فلسطين عن سورية. لكنه شكر اللنبي على الاعتراف المبدئي باستقلال سورية، وبرئاسته لدولتها(١٧).

ثم أتبعها فيصل برسالة أخرى مباشرة إلى لويد جورج في ٢٠ ماي / أيار /، أكد فيها إخلاصه لبريطانيا، وأعاد مطالبه التي ذكرها لاللنبي، لكنه احتج على سياسة الفرنسيين وتسليحهم المسيحيين، اتباعاً للفرقة الدينية. وأبلغه أنه إذا كان مؤتمر الصلح يريد أن يعم السلام في المنطقة، فيجب أخذ نصائحه بعين الاعتبار، في المسائل الإدارية في المنطقة الغربية. وإذا كان مؤتمر سان ريمو قد اعترف باستقلال سورية، فإن فيصلاً يستغرب لماذا لا يتخذ مؤتمر الصلح نفس القرار. وربط سفره إلى

(١٦) اتخذت الحكومة قرارات من أجل الدفاع، بتمديد الخدمة الاجبارية من ستة أشهر إلى سنة كاملة، وجعله شاملاً لأبناء الأمة. كما أصدرت قرضاً وطنياً بمبلغ نصف مليون دينار، على أن يرهن لقاء ذلك مليونا دونم من أراضي الدولة، في حلب وحمص وحماه. وحثت الناس على الاشتراك فيه واعتبرته عملاً قومياً.
العاصمة، عدد ١٢٥، ٧ ماي / أيار / ١٩٢٠.

(١٧) D.F.Aff. Etr, Levant, 28, PP.145-147 et F.O.371/5035/P.106.
من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي مسودة رسالة بخط فيصل أرسلها إلى اللنبي بتاريخ ١٥ ماي / أيار / ١٩٢٠.

أوروبا بنوع الجواب على رسالتيه (لاللنبي ولويد جورج)، وحذره من امكانية امتداد الاضطرابات إلى سورية كلها[١٨].

وفعل فيصل الشيء نفسه بالنسبة لفرنسا، فأرسل إلى ميلران في ١٣ ماي / أيار / رداً على رسالته، واحتج لديه أيضاً على قرار مؤتمر سان ريمو، الذي يجزىء سورية. إلا أن احتجاجه لميلران كان أشد، لأن ميلران لم يعترف أصلاً أن سكان سورية هم عرب، بل يتكلمون العربية، ولذا فقد أعلمه فيصل، بمدى الأثر السيء الذي تركته رسالته في الشعب. حتى إن الاستقلال الذي اعترفت به رسالة ميلران، لم تُعطِ لسورية حقاً جديداً برأي فيصل، لأن السوريين ليسوا أمماً مختلفة، وإنما أمة واحدة تسكن في سورية منذ أكثر من ألف سنة، كما أن تاريخها ومشاعرها متشابهة. وكان فيصل يأمل من فرنسا أن تساعده بمسألة فلسطين، كما وعده كلمنصو من قبل، لأن الشعب لا يعترف بما تنفذه بريطانيا في فلسطين، بجعلها يهودية، وبفصلها عن سورية.

ومهما يكن فإن فيصلاً أبدى استعداده لميلران، أن يطلب المساعدة من فرنسا لسورية، لكن إذا كانت هذه المساعدة ستجلب له المخاطر، فإنه يرفض هذه الصيغة من المساعدة أو الانتداب. فإذا اعترفت فرنسا بوحدة سورية واستقلالها، فإن فيصلاً مستعد للتفاهم مع فرنسا على موضوع المساعدة، وحفظ مصالح البلدين، وبناء على جواب فرنسا، سيكون قراره بالسفر لأوروبا[١٩].

وقد وضع موقف فيصل برفضه الذهاب إلى أوروبا، مالم تتحقق شروطه في الاعتراف باستقلال سورية، بما فيها فلسطين، الحكومتين الانكليزية والفرنسية، أمام مسؤولية واحدة، في اتخاذ موقف موحد معه نهائياً. ودارت مراسلات بهذا الخصوص بين كرزون وكامبون وزير الخارجية الفرنسية في ١٠، ١٢، ١٨ ماي / أيار / ١٩٢٠، كان من رأي كرزون في رده على كامبون، أنه يجب منذ الآن توحيد الاتصالات مع

(١٨) F.O.371/5036/ P.12-13.

(١٩) Ibid, P.43-44 و D.F.G. Levant, 8B2. وانظر أيضاً Tibawi, P.104

فيصل، حتى لا يستغل إحدى الدولتين ضد الأخرى، (لأن اللنبي وغورو كانا يتبادلان رسائل فيصل بينهما). ولذا يجب أن تتخذ الحكومتان حلاً سريعاً للقضية السورية، بما فيها لبنان وفلسطين. إلا أن كرزون كان يرى أن محاولة الفرنسيين لاحتلال الخط الحديدي (حمص ــ حلب)، تؤدي إلى أزمة تقود في النهاية إلى ضياع مقاصد الحكومتين وتجعل فيصلاً يرتمي في أحضان الوطنيين والأتراك، الذين هم على صلة بالبلاشفة في القوقاز. وهذا يسبب خطراً عظيماً للانكليز والفرنسيين على السواء. ولذا فهو يفضل أن يصل الفرنسيون إلى اتفاق مع فيصل، خوفاً من ذلك، كما أن كرزون لا يرى رأي الفرنسيين، في الاعتراض على كون فيصل مندوباً عن الحجاز، وأميراً على سورية، لأن ذلك سيسبب علاقات سيئة مع ملك الحجاز، وهذا مالا ترغبه الحكومتان. واقترح كرزون أن تدعو الحكومتان فيصلاً إلى أوروبا، لحضور مؤتمر الصلح في نهاية جوان / حزيران /، وإفهامه أن وضعه في سورية يتعلق بحضوره إلى أوروبا، وأنه إذا لم يحضر لاتُجَدّد له الدعوة، وعندها عليه مواجهة الأمور التالية:

١ ــ لا يعترف به بعد الآن ممثلاً للحجاز في مؤتمر الصلح.
٢ ــ توقف الحكومتان المعونة المالية له.
٣ ــ تكون الحكومة الفرنسية حرة في احتلال خط حديد (حمص ــ حلب) لأغراضها الخاصة وفي النهاية رجا كرزون كامبون أن يؤخر احتلال الخط الحديدي المذكور، حتى يبلغ فيصل بالاقتراح السابق. ووعده بمعاونة بريطانيا لفرنسا في سورية[٢٠].

(٢٠) D.F.Aff. Etr. Levant. 28, (18 Mai) P.138 et F.O.371/5035/ P.103.
وصلت إلى الحكومة البريطانية معلومات عن اتصال الروس بالأتراك ومحاولتهم الاتصال بالعرب. فقد أرسل البلشفيك رسالة إلى فيصل، يتحدثون فيها عن احتلال المستعمر للبلاد العربية الاسلامية، وعن تجزئتها واحتلال القسطنطينية، وتجزيء البلاد العربية. وقالوا إن الحكومة الروسية مستعدة لمساعدة المسلمين. وقد أبلغ فيصل هذا النداء إلى الشعب السوري. Ibid.
لكن فيصلاً لم يقبل إعلان البلشفية، وانتهر (حقي الأتاسي)، لأنه اقترح ذلك إذا رفضت الدول المصادقة على الاستقلال. عن لسان الحال، بيروت، عدد ٣٥٩ ــ ٨٠٠٩، ١٥ مارس / آذار / ١٩٢٠.

فأجابه ميلران في ٢٥ ماي / أيار / بأن تصريح بريطانيا، باستعدادها للإعتراف بفيصل كرئيس للدولة السورية، يعتبر من قبيل التدخل، لأن شؤون سورية أصبحت تابعة لفرنسا بعد قرار الانتداب، وتدعي الحكومة الفرنسية بأنها حاولت الاتفاق مع فيصل لإخراجه من المأزق الذي كان فيه، لكنه اتخذ موقفاً متصاعداً في عدائه لها. وهو السبب في كل الهجمات، التي قامت بها العصابات (الشريفية) ضد القوات الفرنسية. ولم ير ميلران فائدة من دعوة فيصل للسفر إلى أوروبا، لأنه قد حدد شروطاً لذلك لا تقبل بها فرنسا، كرفضه الانتداب الذي وقعه مع كلمنصو، واحتقاره قرارات مؤتمر الصلح، وكذلك الاتفاق مع الأتراك ورفضه استعمال الفرنسيين للخط الحديدي، ولذا فلم يبق هناك متسع من الوقت لتوقي الخطر منه. ومن مصلحة فرنسا كشف أساليبه المخادعة. لكنه مع كل هذا، يوافق (ميلران) على دعوته المشتركة بشرط أن يقوم بها غورو. وذكر ميلران الحكومة البريطانية، بأن مطالبة فيصل بفلسطين كجزء من سورية، يعد خطراً عليها أكثر مما هو على فرنسا. أما عدم اعتراف فرنسا به كممثل للحجاز والعرب، فلا يسيء بنظر ميلران إلى أبيه الحسين، لأن الحسين نفسه قد أنكر على فيصل ذلك، وقد أبلغ الحكومة الانكليزية بهذا الخصوص[٢١].

ونتيجة لاتفاق الحليفتين على التعامل مع فيصل بطريقة واحدة، أتاحتا له فرصة أخيرة، لحضور مؤتمر الصلح وإنهاء القضية معه. ولذلك أبلغه ميلران باسم

---

(٢١) F.O.371/5036/ P.127.

أرسل الحسين رسالة إلى اللنبي في ٢٥ ماي / أيار / يصحح، ما جاء في رسالته إلى لويد جورج وميلران، التي قال فيها بأنه ليست لفيصل صلاحية التمثيل في مؤتمر الصلح، وقال إن قصده منها، انه لم تعد هنالك فائدة من سفره، بعد أن غير الحلفاء هدفهم، ولم يحققوا رغبات الشعب. وان الشعب السوري منح فيصلاً لقباً آخر (ملك) لا يسمح له بالاشتراك في المؤتمرات، ومن حق السوريين والعراقيين تعيين مندوبيهم. وقال أيضاً إذا كان الانكليز لا يهتمون بفهم رسائله، فلن يهتم برسائلهم بالمقابل. أما ما قاله البريطانيون لفيصل، بأنهم مجبرون على تنفيذ وعدهم لليهود، فلماذا لا يكونون مجبرين على تنفيذ وعودهم للعرب، مع العلم أن الحكومة البريطانية هي وشرفها ومجدها لم يتغيرا، وما من شك انها مع العرب كما هي مع غيرهم، وختم رسالة «فكروا بهذا والله معنا جميعاً» Ibid. P. 19-20.

الحكومتين في ٢٦ ماي / أيار /، وجوب الحضور إلى مؤتمر الصلح، وذكره بقرار سان ريمو وبتصميم الحكومتين على تنفيذه[٢٢].

فيصل والوطنيون

لم يدع هذا الموقف الصارم للحليفتين أي شك، في أنهما عازمتان على تنفيذ قرار سان ريمو، وأنهما لن تتساهلا بعد ذلك مع فيصل. وأحس هو بذلك، وخاف من سوء المصير، وخاصة أن بريطانيا قد اشتركت مع فرنسا في الموقف الأخير، وعلى الرغم من قبول فيصل موافقة الوطنيين في خطتهم المتطرفة[٢٢ب]، فإنه كان مقتنعاً بعدم جدوى محاربة الحلفاء، وكأن خوفه من العاقبة السيئة التي تنتظر البلاد، كان يرجعه إلى رأيه السابق بوجوب الاتفاق مع الفرنسيين، وتبعده عن أحضان المتطرفين. ولم تصل علاقته في أي يوم مع الوطنيين إلى الوضوح الكامل، فلا هو كان يوافقهم من كل قلبه، على كل ما يقولون، بوجوب محاربة الفرنسيين، ولا هم كانوا يتخذون منه موقفاً ثابتاً واضحاً، وبقيت هذه العلاقة بين الطرفين مائعة بين أخذ ورد. ولذلك كان من السهل إيجاد الحجج، للخروج من الالتزام بالمواقف السابقة، وخاصة بالنسبة لفيصل الذي كان يبدّل مواقفه كثيراً، من باب المناورات السياسية.

وإزاء هذا الموقف الأخير للحليفتين، عاد فيصل لخطته المألوفة وأراد إحياء اتفاقه

---

(٢٢) Ibid, P.178. احتج وفد الحجاز احتجاجاً خاصاً على قرارات سان ريمو، وقال إنه لم يأخذ رأي الشعب ورغباته. وإن سورية قد قسمت وفصلت عنها فلسطين. وما أعلن الحجاز الحرب على تركيا، إلا ليحصل على استقلال كل البلاد العربية من السلطة الأجنبية، وقد اعترض ميلران على هذا الاحتجاج في رسالته الأخيرة لفيصل. Ibid, P.66. و Levant 8B2, telg. No 832-837.

(٢٢ب) عقد المؤتمر السوري اجتماعاً في ٢٦ مايو / أيار /، رفض فيه أن يكون لأي الحق في الاتفاق مع الصهاينة كما رفض الانتداب، ورفض فصل فلسطين عن سورية. جريدة الكنانة دمشق، عدد ٢٧٣، ٢٦ ماي / أيار / ١٩٢٠. وكتبت نفس الجريدة في اليوم السابق ٢٥ مايو / أيار ٪ عدد ٢٧٢، تؤيد فيصلاً ـ الوقوف مع الوطنيين وتدافع عنه ـ أمام منتقديه فقالت «إن لفيصل المكانة الأولى في قلوبنا فهو رب النهضة العربية العملية، وهو المدافع عن ديارنا مع الغرب» وطالبت الجريدة بتعيين زيد ولياً للعهد، ثم بعده غازي الصغير ابن فيصل». واحتفل النادي العربي بتكريم الهاشمي «بطل العرب» بعد اطلاق سراحه. نفس المصدر.

مع كلمنصو من جديد، ولم يكن يعارضه في الحكومة، إلا الوزيران عبد الرحمن الشهبندر، ويوسف العظمة. فاستدعى فيصل الشهبندر، وأعطاه صورة واضحة عن ميزات اتفاقه المذكورة وقال له «أمعن يا دكتور النظر إلى دراسته، ثم باحث أخوانك بشأنه في مجلس الوزراء»[٢٣].

وفعلاً درسه الشهبندر، ثم عرضه على مجلس الوزراء، وأبدى رأيه بصراحة، بأنه عدل عن خطته السابقة التي رفض بها اتفاق فيصل كلمنصو، وأنه صار يرى فيه بداية استقلال يصبح عما قريب استقلالاً كاملاً، إذا خلصت النيات وحسنت الأعمال. ويبدو أن الشهبندر قد فعل ذلك، لأنه لم يكن في قلب المسؤولية عندما رفضه. فأصبح الآن وزيراً بعد أن كان معارضاً، كما أنه قد يكون لحب السلطة وتسلم المناصب العالية دخل في ذلك. أما السبب الذي أعلنه الشهبندر نفسه عن عدوله عن خطته السابقة أمام مجلس الوزراء، فهو أن فيصلاً قد أطلعه على المفاوضات والمخابرات التي جرت بين فيصل ورئيس الوزراء البريطانية، وما أعقبها من حالة الموقف الراهن. مما جعله يقتنع بخطة فيصل[٢٤]. وكان عدول الشهبندر نجاحاً لفيصل الذي استبشر به خيراً، ونتيجة لذلك ظهر على قسماته بوادر الارتياح، وأصبح الوزراء بصفه ما عدا العظمة. وتابع فيصل خطته لإعادة التفاهم مع الفرنسيين منطلقاً من مبدأ سياسي هام، وهو أن مؤتمر سان ريمو لم يقض على استقلال البلاد، وأن الأمر مازال قابلاً للحل بالاتفاق مع الحلفاء. وأعلن في آخر خطاب عام له في ٢٥ ماي / أيار /، بمناسبة حلول شهر رمضان، حيث أقام مأدبة إفطار، أنه حدد الموقف السياسي على الوجه التالي:

١ ــ انقسم الناس بالنسبة لقرار سان ريمو إلى فريقين، الأول يائس وظن أنه قضي على البلاد، ولا فائدة ترجى بعد ذلك، والثاني طلب الدفاع حتى الموت، لكن كلا الفريقين على غير حق، لأنه لم يُقضَ على البلاد، ولم تُستعمر.

(٢٣) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٦٢.

(٢٤) نفس المصدر.

٢ ـــ الانتداب مجهول، ولا يعرف إن كان يقضي على استقلال البلاد أم لا، وهو كلمة مطاطة، تفسر طوراً بأشد أنواع الاستعمار، وتارة بأخف ضروب المعاونة الدولية التي لا تمس الاستقلال، ومع ذلك فقبولها عار على كل أمة تريد الحياة.

٣ ـــ لازال باب المذكرات مفتوحاً بين العرب، الذين قرروا استقلالهم، وبين الحلفاء الذين قرروا الانتداب في سان ريمو، وكلّ قرر ما يصلح له.

٤ ـــ إن رئيس الأمة أو حاكمها أو ملكها الذي انتخبته، هو على مبدأ الاستقلال التام، الذي يؤخذ ولا يعطى.

٥ ـــ على الأمة أن تهيء الجيش ووسائل الدفاع من الرجال والمال، حتى تحفظ الاستقلال، ولذلك أصدر قرضاً وطنياً مضموناً، حتى يتم بناء القوة للدفاع عن الوطن.

٦ ـــ لم يصدر حكم الموت على الأمة ولن يصدر، وإذا حدث فسوف يكون من أول المضحين بأنفسهم[٢٥].

وفي الحقيقة كان خطاب فيصل هذا يعبر تماماً عن سياسته، فهو لا يقطع الصلة بالحلفاء، وفي نفس الوقت يرضي الوطنيين، ولم يحدد موقفه من الانتداب، فلا هو معه ولا هو ضده. وهذا يعني أنه ليس ضد قرار سان ريمو، لكن لا يوافق عليه كلية، وهو أمر ينسجم مع خطته بإحياء التفاهم مع الفرنسيين.

وحتى هذا التاريخ كان فيصل واثقاً، من أن شيئاً لن يحدث في سورية، ويؤثر على احتلال سورية. ولذلك كان متفائلاً كثيراً بالرغم من قرار سان ريمو، ورد فعل الشعب ضده. وكان يرجو أن «نكون في العام القادم حول هذه المائدة، وقد نسينا هذه الأيام العصيبة»[٢٦]. لكن هذا التفاؤل وهذا التطمين لم يقدّما حلاً للمشكلة المستعصية بين الوطنيين، طالبي الاستقلال التام، والوحدة ـــ ولو في الخطب والكلام ـــ وبين الحلفاء، فارضي الانتداب والاستعمار ـــ بالقوة عند اللزوم ـــ وذهبت

(٢٥) الحصري يوم ميسلون، ص٢٢٣ ـــ ٢٢٧، وقدري، ص٢١٣ ـــ ٢١٧. انظر نص الخطاب في الملحق.
(٢٦) الحصري، يوم ميسلون، ص٢٢٣ ـــ ٢٢٧، وقدري ص٢١٣ ـــ ٢١٧.

جهود فيصل أدراج الرياح، في محاولة الجمع بين الماء والنار في يد واحدة. فقد جرت الحوادث على غير ما يشتهي، ولم يفرض نفسه عليها ولا على الوطنيين، الذين كانوا يقودون الحكم باندفاع غير مسؤول نحو المصير المحتوم، الذي لم يعد خافياً على أحد. ولم يكن هؤلاء بحاجة إلى من يذكرهم بمدى قوة الفرنسيين، وإصرارهم على تنفيذ خطتهم في سورية، ومدى قوة سورية العسكرية(٢٧)، إلا أنهم كانوا لا يزالوان تحت تأثير صدمة الحلفاء لهم، وحنثهم بوعدهم للعرب، ولا يزالون تحت تأثير فكرة مبدئية في الاستقلال والوحدة، التي قامت عليها الثورة العربية، ولم يستطيعوا الفهم، أن السياسة لا تنطبق تماماً مع العقائد في كل الظروف. ولقد حجب عنهم إيمانهم القوي بالوحدة والاستقلال، عاقبة المصير الحقيقي. ولهذا كان الوطنيون في المؤتمر وخارجه، يرفضون سفر فيصل إلى أوروبا، مالم يعترف الحلفاء باستقلال سورية، بدعوى أن البلاد العربية لا تستغني عنه في الأيام العصيبة، وأن الحلفاء لم يقبلوا حتى ذلك التاريخ، بشروطه للحضور إلى أوروبا، وأن والده رفض ذلك، مع العلم أن فيصلاً كان يرغب في الذهاب إلى أوروبا(٢٨). وقد يكون رفض الوطنيين لسفره، هو خشيتهم من أن يعقد اتفاقاً مع الحلفاء، وهو في أوروبا بعيداً عن تأثيرهم(٢٩).

---

(٢٧) في احدى المداولات في قصر فيصل، قال العظمة مرة لفيصل «لو سمحت جلالتك، لأمكننا أن نرمي الفرنسيين في البحر بقدمي هذه.. فسأله رضا الركابي وكان حاضراً: وماذا تملك، قال: ٤٠٠٠ جندي و ١٢ مدفعاً و ٣٦ قنبلة، فرد الركابي: أخشى أن تثقب قدمك، قبل أن تلقي الفرنسيين في البحر...». قاسمية، ص ١٦٤.

(٢٨) زين، الصراع، ص ١٦٤.

نشرت جريدة الكنانة، مقالاً عن مهمة الوفد السوري إلى أوروبا برئاسة فيصل، بأنها تتلخص بطلب الاستقلال ورفض المادة (٢٢) الخاصة بالانتداب من نظام عصبة الأمم، ورفض أي علاقة لفرنسا في هذه البلاد، وإعطاء الضمانات للأوروبيين بحفظ مصالحهم الاقتصادية في سورية، وتقرر سفر فيصل في ٢٧ جوان / حزيران / ١٩٢٠، عدد ٢٩٢، ٢٤ جوان / حزيران /.

(٢٩) داغر، ص ١٢٢ ـــ ١٢٤. يذكر الشهبندر «أن الدعاية الخبيثة التي كانت تبثها بعض الأوساط السورية، لزرع بذور الشك والريبة حول عودة فيصل إلى أوروبا. تقول هذه الدعاية أن فيصلاً سيبيع سورية إلى فرنسا، بموجب اتفاقية سرية» من مقال عبد الرحمن الشهبندر، عن «فيصل بن الحسين» في مجلة المقتطف، المجلد ٧٣، ج ٣، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٢٥٧ ـــ ٢٦٧.

وتقرر أخيراً أن يرسل وفد إلى أوروبا بدلاً من فيصل، وأرسل فيصل يعتذر للويد جورج عن تأخره، نظراً لصعوبة الموقف في دمشق، ورجاه أن يقبل وفداً بدلاً عنه، وأن يبلغ السلطات الفرنسية في حالة قبوله ذلك. لكن لم يتلق جواباً[(٣٠)].

وظهرت لدى الوطنيين فكرة التحالف مع الأتراك، استبعاداً منهم لكل من بريطانيا وفرنسا، فسافر يوسف العظمة لهذه الغاية إلى حلب، واجتمع بوفد تركي أرسله مصطفى كمال، ورجع إلى دمشق بعد يومين وأطلع، فيصلاً على ما جرى[(٣١)] حتى يتم فيصل خطة الاتفاق. إلا أن فيصلاً الذي سافر إلى حلب في ١٥ جوان / حزيران /، لم يقابل الوفد التركي، حتى يحصل على مساعدة مصطفى كمال كما وعد العظمة[(٣٢)]، لأن فيصلاً لم يكن يرغب أصلاً في الاتفاق مع الأتراك، وكان ميالاً للتفاهم مع الفرنسيين حتى ذلك الوقت، ولهذا فشلت خطة الوطنيين بالاتفاق مع الأتراك. وكان سفره إلى حلب، من باب مماشاة الوطنيين، أو إيهام الفرنسيين باتفاقه مع الأتراك.

فيصل وغورو

كان الجنرال غورو يعد قواته في لبنان، حتى تصل إلى درجة عالية من القوة، لاستعمالها المرتقب في سورية، إزاء الأوضاع المعادية لفرنسا فيها. وبناءً على برقياته لحكومته بزيادة القوة العسكرية الفرنسية في سورية، طلب ميلران رئيس الوزراء الفرنسي في ٩ مارس / آذار / من وزير حربيته، أن يمد فوراً غورو بسبعة أفواج Bataillons حتى يغطي الضعف في قواته، وطلب منه أيضاً أن يفعل كل شيء حتى يجعل غورو مكتفياً[(٣٣)]. وفي ٢٣ أبريل / نيسان / طلب غورو أيضاً إرسال اللواء Division

---

(٣٠) F.O.371/5035/ P.209.

(٣١) جريدة لسان الحال، عدد ٤٢٢ـــ٨٠٧٣، ١٦ جوان / حزيران / ١٩٢٠ وقدري، ص ٢١١.

(٣٢) جريدة البرق، بيروت، عدد ١٠٢٦، ١٥ جوان / حزيران / ١٩٢٠. وانظر F.O.371/5035/ P.246. وزين، الصراع، ص١٦٢، و Jeffries, P.324. و D.F.G. Levant. 8B2, tel No (21 Jui) 1981-1982.

(٣٣) D.F.G. Levant 1919-1932, No 3670. No 668.

الرابع لاحتمال قيام مصاعب في سورية، وقبل قلْبِ المفاوضات مع فيصل، كما طلب نقل اللواء Division ١٢٢ بأفواجه السبعةَ Bataillons ومدفعيته حالاً، من استانبول إلى المشرق، على أية سفينة تصل إلى استانبول(٣٤). وفي ٢٥ أبريل / نيسان /، أبلغ وزير الحربية الفرنسية رئيس وزرائه في سان ريمو، أن ثلاثة أفواج من الفرقة الجزائرية، هي في طريقها إلى لبنان، حيث تعسكر فيه، وطلب أن يقدم لغورو كل متطلباته حتى يواجه الأحداث التي «تسيء إلى مكانتنا، وقد يكون لها رد الفعل على معنويات جنودنا، وعلى المسلمين التابعين لنا»(٣٥)، وبذلك أصبحت قوات جيش المشرق (الفرنسي) ـ بعد أن زادت وحداته، عما كان قد قرره كلمنصو ـ تتألف من الوحدات التالية في سورية وكيليكيا:

ـ ٤٠ فوجاً: منها ٩ فرنسية و ٢٦ مسلمون و ٤ سنغال.

ـ ١٦ فوج خيالة: منها ٩ مسلمون.

ـ ٢٠ بطارية مدفعية.

ـ ٣ أسراب طائرات تضم ٥٥ طائرة، مقسمة على أربعة أقسام.

ـ **قوات دعم مازالت في طريقها تتألف من:**

ـ ٣ أفواج سنغال، تصل في ٢٥/٥.

ـ ١ بطارية مدفعية.

ـ **قوات دعم تدارك نقلها:**

ـ ٥ أفواج.

ـ ٤ أفواج خيالة.

ـ استكمال الطائرات إلى ستة أسراب(٣٦).

وكان غورو يعتقد أن احتلال دمشق وحلب، يحتاج إلى فرقتين دون حساب ما يحتاجه الساحل ومرجعيون.

---

(٣٤) Ibid. 8B2.

(٣٥) Ibid. 8B2.

(٣٦) Ibid. 8B2.

وفي ٢٠ ماي / أيار / وضعت قيادة الأركان الفرنسية ـــ الشعبة الثالثة للشرق ـــ (Etat-Major de L'armée, 3° Bureau, section d'orient) ملاحظات حول الموقف في المشرق، جاء فيها أن القوات أصبحت جاهزة لاحتلال دمشق وحلب، أما بالنسبة لاحتلال حمص وحماه فيجب اعداد الوسائط اللازمة(٣٧).

وكان غورو بحاجة لكل القوات الفرنسية العاملة في المشرق، (لبنان وكيليكيا)، كي يستخدمها في سورية، وكانت وجهة نظره السياسية كما أرسلها إلى ميلران في ١١ ماي / أيار /، بأن «وسائلنا العسكرية لا تسمح بالمواجهة مرة واحدة ضد الترك والشريفيين (السوريين). يجب الاختيار، ولقد تخلت الحكومة بالغالبية عن إدخال منطقة كيليكيا تحت الانتداب الفرنسي. لكن السيد دو فرانس، اعتبر أنه من غير المحتمل كلية، أن الوطنيين الترك سينحنون أمام قوة الدبابات التي تهاجم عينتاب، أورفا، ماردين، وجزيرة ابن عمر».

«وبأسف كبير، فأنا أقدر أن تضحيات جديدة، يجب أن تبذل، في سبيل الوصول إلى الصلح مع الوطنيين الأتراك....».

«وإن هذه التضحيات ضرورية، لأنه يجب أن أنقل القوات العسكرية من كيليكيا إلى سورية (راشيا)، حتى أكبح جماح الاضطراب الذي يقلقنا، وحتى أتمكن من المفاوضة مع الحكومة «الشريفية»، على أساس يحقق مصلحة فرنسا والفرنسيين»(٣٨).

ولهذا اقترح غورو إرسال نائبه De Caix إلى أنقره لعقد اتفاق مع الأتراك(٣٩).

وفي (٤ ماي / أيار /) تلقى غورو رسالة مطولة من ميلران، شرح له فيها القضية السورية، واتفاقية سايكس ـــ بيكو، وتضحيات فرنسا في الحرب، والاتفاق

(٣٧) Ibid.

(٣٨) Ibid. Levant 1917-1939. 8B2, Diplomtie 1920

(٣٩) Ibid. telegr, No 987, (8 Mai).

مع الانكليز، واتفاق فيصل مع كلمنصو، ومحاولات الاتفاق مع الأتراك، ومؤتمر الصلح وقراراته بالانتداب الفرنسي على سورية. وذكر له عن القوات العسكرية التي أمده فيها، وجاء في نهاية رسالة ميلران عن خطة فرنسا وهدفها في سورية، قوله «لقد أعدت الحكومة أيضاً كل الامكانات لتنفيذ العمل في سورية، والذي يمكن أن تواجهه، وقياساً على ذلك، ستكون سياستنا في خدمة هذه الامكانات.

وفي هذه الظروف، أطلب منك أن تعلمني بمقاصدك وترتيباتك، التي تأخذها بعين الاعتبار من وجهة نظر عسكرية، وكذلك أن تبلغني سواء بسواء، من وجهة نظرك السياسية، ورأيك عن الموقف في سورية، وخطة العمل التي تبدو لك أكثر ملاءمة، لاعطاء فرنسا الدور والسلطة اللذين تبررهما لها تقاليدها، وتضحياتها، وقرارات مؤتمر الصلح»[٤٠].

نشر غورو قواته العسكرية التي تكاثر عددها على الساحل السوري، وخاصة في منطقة اللاذقية والاسكندرون، لمحاربة العصابات الوطنية. وأخذ يقاوم أعمال هذه العصابات في صور، وصيدا، والنبطية، وطرطوس، ومرجعيون، ومنطقة حارم، وغيرها. وكان غورو يعتبر أن حكومة فيصل مسؤولة عن هذه الأعمال العدائية ضد فرنسا، وأنها تشجعها[٤١]. وذكر غورو في تقرير له في ٢ ماي / أيار /، أنه برغم كل تأكيدات الحكومة «الشريفية» بالتوقف عن إطلاق النار على القوات الفرنسية، فإن العصابات في الشمال تتعاون مع القوات التركية الكمالية، التي يتزايد ضغطها، حتى أن هذه العصابات قطعت الاتصال مع لواء Division دولا موت، واعتقد الشعب أننا أصبحنا غير أقوياء «سيكون موافقاً للحكومة الفرنسية، في حالة عدم إخلاص فيصل، وموقفه الذي ينقض التأكيدات التي أعطاها إلى مسيو كلمنصو، أن تأخذ كل حريتها في العمل»[٤٢].

(٤٠) Ibid. 8B2, No 426-435 Telerammes, Paris 4 Mai.

(٤١) Ibid, Levant 1917-1939. 8B2 diplomatie 1920. 16 Mai.

(٤٢) Ibid.

وكانت أعمال العصابات سبباً في رفض غورو لطلب فيصل بالذهاب إلى أوروبا، إذ أجابه غورو في ٢٨ ماي / أيار /، أن عليه أولاً إيقاف الأعمال العدائية ضد فرنسا، وأن يسمح لفرنسا باستعمال الخط الحديدي رياق ـــ حلب. كما كان غورو يرى أنه إذا بقيت أعمال العصابات، فإنه لا يمكن تنفيذ اتفاق ٦ جانفي / كانون الثاني / (فيصل مع كلمنصو)، حتى لو ذهب فيصل إلى أوروبا، لأنه من المستحيل أن تقبل باريس بذلك، وكان فيصل قد كرر لغورو مرات كثيرة طلبه بالسفر(٤٣).

وعندما اشتد ضغط القوات التركية على الجيش الفرنسي في كيليكيا، اضطر غورو إلى إرسال الامدادات سريعاً عن طريق سكة حديد (رياق ـــ حمص ـــ حلب)، فطلب من فيصل أن يسمح له باستعمال الخط المذكور. فأراد فيصل أن يستفيد من هذا الظرف، فقبل بالسماح لغورو باستعماله، على شرط أن تدفع فرنسا حصة سورية في إيرادات الجمارك، وفقاً لاتفاق حيفا، وقدره ١٥٠ ألف جنيه، ومثلها عن بيروت وطرابلس تدفع شهرياً، ثم الاعتراف باستقلال سورية التام. فرفض غورو ذلك، وأجابه بأنه لا يمكن أن يوافق على شيء ينافي تصريحات حكومته، وغضب غضباً شديداً حفظه في نفسه، وأرسل قواته إلى الاسكندرون عن طريق البحر، وأصدر أوامر بتجهيز قوة من ١٢ فوجاً مع المدفعية والخدمات كحد أدنى، لحفظ استعمال الفرنسيين للخط الحديدي المذكور، ولمقابلة الأعمال العدائية ضد حكومة فيصل، التي لابد أن تندلع الحرب ضدها بشكل حتمي(٤٤).

وإذا كان موقف فيصل هذا لم يرض الفرنسيين، فإنه لم يدعم الأتراك، ولم يرض الوطنيين أيضاً، لأنهم رفضوا بشكل مطلق على لسان العظمة استعمال الفرنسيين للخط، لأن ذلك حسب رأيهم يضر بمصلحة سورية المجاهدة في سبيل حريتها

(٤٣) Ibid.

(٤٤) D.F.G. 8B2. teles No 1014-1019 (19 Mai) de Gouraud.
وأمين سعيد، ص ١٤٩، وقدري، ص ٢١٠، والحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٧١.
وأيضاً F.O.371/5036/ P.107.

واستقلالها، ولأنه ليس من حسن السياسة أيضاً، إغضاب تركيا الجارة الشمالية. وانحاز الحصري والشهبندر من الوزراء لرأي العظمة، بينما وقف رئيس الوزراء وبقية الوزراء في صف فيصل، وكانت حجتهم «إذا رددنا طلب الجنرال غورو، ألا يستطيع تنفيذه واستخدام السكة بالقوة؟ وخاصة فإن بريطانيا لم تعد وراءنا تشد ظهرنا»(٤٥). لكنهم لم يستطيعوا أن يعملوا شيئاً في هذه القضية، التي دخلت بعد ذلك في مناقشات المؤتمر الوطني(٤٦)، ووقوف الجمعيات الوطنية والرأي العام ضد فرنسا.

ومن نتائج سياسة الوطنيين أيضاً، أن عادت أعمال العصابات الوطنية على الحدود الغربية مع لبنان، وتجاوزتها واحتلت عدة قرى منها، ودمرتها، وهاجمت بعض المفارز التابعة للجيش الفرنسي، المتمركزة في هذه المنطقة أيضاً، فجمع الفرنسيون قوات كبيرة، وضربوا المناطق التي يتمركز فيها رجال العصابات الوطنية بعنف بالغ، واستعملوا المدافع والطائرات، حتى اضطر كثير من سكان (الحولة) إلى ترك قراهم، وقام المسلمون الموالون لدمشق في (صور) التابعة للمنطقة الغربية بهجوم على القرى المجاورة لهم وحصل صدام بين الطرفين(٤٧). وحدث مثل ذلك في جبل عامل،

---

(٤٥) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٧١.

(٤٦) كشف الجنود الفدائيون في حمص العملية (مرور الأسلحة الفرنسية بالقطارات) في ٩ جوان / حزيران / ١٩٢٠، فاحتجوا على الحكومة وتجمع الناس في محطة القطار في حماه، عندما رأوا الأسلحة الفرنسية مرسلة إلى حلب، وحاولوا منعها. ويبدو أن ذلك كان دون علم الحكومة العربية، ولذلك عندما استفسر أعضاء المؤتمر عن القضية، أجابتهم الحكومة بعنف على اتهامهم لها، وجرت ملاسنة سيئة بين الطرفين، ذهبت بهيبة المجلس، نفس المصدر.

في أوراق عوني عبد الهادي مذكرة من غورو بالفرنسية بتاريخ ١٥ ماي / أيار /، يعدد فيها الاتهامات للسلطة العربية، لأنها لم تقبل بنقل الأسلحة والذخيرة على السكة الحديدية السورية، وإيقاف المواد الحربية المحملة بالأعتدة، من قبل العصابات الوطنية.

انظر أيضاً العاصمة، عدد ١٣٥، ٢٨ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

والبرق، عدد ١٠٢٦، ١٥ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

(٤٧) كتبت جريدة البرق عدد ١٠٢٢، في ٩ جوان / حزيران / وقامت حوادث صور بين المتاولة والمسيحيين وحصل الذبح والقتل، وقد قتل أهالي بنت جبيل ٨٣ شخصاً من قرية عين إبل المسيحية. وانظر هندي أيضاً، كفاح، ص ١٠٤.

وهاجم الفرنسيون قرى المنطقة فيه، حتى نزح عنها أكثر من ثلاثين ألفاً[٤٨] . واحتج فيصل على تسليح الفرنسيين لأنصارهم في المنطقة الغربية، والتحريض على الحرب بين المسلمين والمسيحيين. وعزا الاضطرابات في المنطقة الغربية، إلى الإدارة الفرنسية، وطالب بإعادة المنطقة الساحلية كي تكون تحت الإدارة العربية، حسب قرار مؤتمر سان ريمو، الذي اعترف باستقلال سورية. لكن غورو حمل فيصلاً مسؤولية كل الأعمال العدائية، وحمله إثارة الناس والعشائر ضد الفرنسيين، وحمله خاصة «مأساة» القرية المسيحية «عين إبل» القريبة من صور، التي هاجمها (كما قال غورو) المتاولة بتشجيع من دمشق، وكذب كل ادعاءات فيصل، ونفى أن يكون الفرنسيون قد سلحوا القرى المسيحية دون المسلمين في منطقة جبل عامل. وأرسل بكل ذلك إلى النبي حتى لا يسمح لفيصل بعد الآن أن يستمر «في مناوراته وألاعيبه بين الحليفتين»[٤٨ب] .

لم يخف الوطنيون في سورية علاقتهم بهذه العصابات، بل كانوا يستقبلونهم في دمشق، ويقيمون لهم الاستقبالات والاحتفالات، كما فعلوا بالنسبة (لكامل الأسعد) زعيم المتاولة، وكان رمضات شلاش أحد المحتفى بهم أيضاً. ولم تقصر الصحف السورية

(٤٨) جريدة لسان الحال، بيروت، عدد ٤٢١ ــ ٨٠٧١، ١٥ جوان / حزيران / ١٩٢٠ نقلاً عن جريدة الكنانة الدمشقية. وكتبت جريدة الدفاع «في جبل عامل الآن يد قوية عاملة تدعو جميع القرى إلى القيام بوجه المحتلين وإخراجهم، وهي تقدم للقائمين كل ما يلزمهم من ذخيرة وأرزاق، كما أنها تهدد القرى التي لا تستجيب للدعوة، أو تستكين للاحتلال الفرنسي» عن جريدة البشير، بيروت، عدد ٢٥٨٠، ٥ جوان / حزيران /.

وجريدة الدفاع، عدد ١٣٠، ١٦ جوان / حزيران / ١٩٢٠، وانظر الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٦٩ ــ ١٧٠.

(٤٨ب) F.O.371/5036/ P.71 et D.F.G. Levant, 8B2 (5 Jui)

وانظر جريدة الكنانة عدد ٢٧٣، ٢٦ ماي / أيار / ١٩٢٠. وفي العدد ٢٧٤، ٢٧ ماي / أيار / ذكرت هذه الجريدة اتهام المؤتمر السوري للحكومة، لأنها لم تدافع عن جبل عامل ضد الفرنسيين، الذي دمروه، مع أن الحكومة ادعت أنها وزارة دفاع. وأجابت الحكومة في ٦ جوان / حزيران /، بأنها تعير مسألة جبل عامل ما تستحقه من الاهتمام وتواصل السعي بهذا الشأن. الكنانة، عدد ٢٨١، ٦ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

بهجومها على السلطة الفرنسية(٤٩) وضربها للقرى بحجة حماية المسيحيين في لبنان.

أما فرنسا فيبدو أنها قررت حسم الموقف نهائياً مع فيصل، ولذلك أنهت تورطها مع مصطفى كمال، وتوصلت إلى اتفاق تتخلى به عن كيليكيا(٥٠)، وبذلك تخلت أيضاً عن ثروتها الاقتصادية وعن حماية المسيحيين الأرمن فيها، وفضلت أن تتخلى عن كل هذا، مقابل وجودها في سورية، وحفظ علاقاتها وادعاءاتها التاريخية معها. وبذلك ضيعت الفرصة على الوطنيين في سورية، بالاتفاق مع مصطفى كمال، كما أنها سحبت قواتها العسكرية من كيليكيا، وحشدتها على الحدود السورية(٥١).

وأدخل خبر اتفاق الهدنة بين الفرنسيين ومصطفى كمال، الذعر إلى قلب فيصل، لأن الأتراك ـــ حسب رواية غورو ـــ لا يريدون التدخل في سورية. وشعوراً من فيصل بخطر الموقف الذي أخذ يهدد بلاده، فإنه «يقترح علينا أن تقدم له كل العون، حتى نحترم حدود مملكته التي يجب أن تمتد، كما يدعي، لتشمل كل المنطقة غير العربية الواقعة في الشمال». وكان جواب غورو، بأن المساعدة الأولى التي ينتظرها دليلاً على إخلاصه، كانت هي الاستخدام الطبيعي للخط الحديدي، الذي يصل إلى

(٤٩) كتبت جريدة العقاب الدمشقية «اتبعت فرنسا سياسة في الشرق، تؤدي إلى الفشل الكامل، وتحارب العرب والأتراك، وتفرض استعمارها. وتحاول الاتفاق مع الفاتيكان، حتى يتسنى لها حماية الكاثوليك في الشرق، ولكنها بحمايتها لهم، أضاعت عواطف العرب، ودفعتهم إلى الأتراك، وحطمت خططها في سورية والأناضول، وليست لديها القوة لمقاومة العاصفة...» مترجمة عن الوثائق البريطانية F.O.371/5188/ P.125.

وكتبت جريدة الكنانة عن غورو، وعن سوء إدارته السياسية «وأنه سياسي غير ناجح كما كان ضابطاً غير ناجح» عدد ٢٨٤، ١٠ جوان /حزيران/ ١٩٢٠.

(٥٠) كسب الأتراك بموجب هذا الاتفاق أراضي كبيرة واقعة بين سورية وتركيا، وتتراوح مساحتها بين ٩ ـــ ١٨ ألف كيلو متر مربع، كانت قد احتلت من قبل الحلفاء عند نهاية الحرب. الخباز، ص٦٦ ـــ ٦٩.

(٥١) أعلن غورو عن قيام هدنة مع مصطفى كمال، مقابل إخلاء بعض المناطق التركية (كيليكيا) وتبادل الأسرى، وقد وعد مصطفى كمال الفرنسيين، بوقف الأعمال العدائية ضدهم.
D.F.G. Levant. 8B2 (28 Mai).

قال روبرت دوكي: قررنا التخلي عن كيليكيا وخسرنا اقتصادياً، وهذا خير من أن نخسر سورية ونخسر معنوياً، ونخسر الروابط والتقاليد والمصالح. ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص٦٧ ـــ ٦٨.

حلب الذي مازال استخدامه مستحيلاً، على الرغم من تأكيداته (فيصل)[٥٢].
واتهم غورو فيصلاً، بأنه يقيم اتصالات مع مجموعات من العناصر المقيمين في مصر، حتى يثير معهم ضد فرنسا الدعايات، التي ستكون مادتها العمل الاسلامي المشترك، وأنه يريد أن يضخم الأشياء حتى يستطيع أن يحصل من فرنسا في الحال، على اعتراف بملكيته، مع تحقيق آني للوحدة السورية، من أجل مصلحته الخاصة. لكن الجنرال غورو رفض أن يجيبه على هذه المطالب. لكن هل من الرأي أن أجيب على رسالته بكتاب متساهل، يسمح لنا كسب الوقت، الذي يستحيل فيه الآن القيام بعمل عسكري، حيث «سيكون علينا مواجهة تصدع سريع مع فيصل»[٥٣].

وأعاد فيصل في هذا الشهر بجوان / حزيران / وهو الشهر ماقبل الأخير لحكمه في سورية، قصة المخاطر الناجمة عن الهدنة بين فرنسا والأتراك، ليس فقط على مكانة فرنسا في الشرق، لكن لأنها تعتبر إشارة لموت سورية المؤكد، بسبب الفوضى المحتملة الوقوع فيها من قبل الأتراك. أرسل بهذا إلى رئيس الوزراء الفرنسي في ٩ جوان / حزيران /، وكان رأي غورو، أن فيصلاً يتجاهل العداء الموجه لشخصه، وتلك الدعاية الكبيرة له بين موظفي المنطقة الساحلية، لدعمه والاعتراف به ملكاً على سورية، وهذا مالا يقبله غورو[٥٤]. كما أرسل غورو في ١١ منه برقية إلى حكومته، عن مزاعم فيصل الذي ادعى بأن كلمنصو وعده بحكم كيليكيا وأضنه، فيما إذا ساعد هو القوات الفرنسية ضد القوميين الأتراك، ويعجب غورو من ذلك، وهل أن الجنود الفرنسيين يقتلون في كيليكيا من أجل إقامة سلطة لدولة سورية فيها، وهذا وضع لا يحتمل، لأنه حتى الآن (في ذلك الوقت) لم يسمح فيصل للفرنسيين باستعمال خط رياق ـــ حلب، ويرى غورو أنه من الضروري الوصول إلى اتفاق مع الأتراك، لأنه إذا عادت الحرب معهم، فإن هذه الحرب سوف تبتلع، على الأقل قسماً من الدعم العسكري الذي وصل له، وعندها لايستطيع أن يفرض إرادته على فيصل. وقرر غورو

(٥٢) D.F.G. Levant 8B2, tels 1177-1182/6 (8 Jui).

(٥٣) Ibid. tels No 1185-1186/6 (8 Jui).

(٥٤) Ibid. tels No 1192-1195/6 (9 Jui).

أن تكثيفاً للقوات الفرنسية أمام حلب ــ للقوات القادمة من تركيا ــ سيجعل الحكومة السورية، أقل عنفاً، ومعارضة لاستعمال الخط الحديدي رياق ــ حلب. لكن من أجل أن تكون القواتُ حرة حرية كاملة، يجب احتلال هذا الخط، وهذا معناه الحرب. ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن الشعب في سورية «سيقاومنا لدى دخولنا المنطقة الشرقية». ولا يمكننا الاكتفاء باحتلال محور واحد فقط، ويجب احتلال دمشق، لكن هل لدينا القوات الكافية لذلك؟ وجاء في آخر برقيات غورو هذه، أنه بالتأكيد لن «يهاجمنا فيصل، مادمنا نحن نحترم حدود المنطقة الشرقية»(٥٥) وكان بذلك يقصد، أن يرمي إلى أن يستمهله حتى يتم لغورو الوسائل الكافية لاحتلال سورية.

وفي مسلسل الأيام الصعبة لشهر جوان / حزيران / أرسل غورو ومجموعة أخبار جديدة لحكومته، حسب توصية ميلران له، تدل كلها على الاعتداءات الوطنية، وأعمال العصابات ضد الفرنسيين على حدود لبنان مع سورية، في صور والجديدة والنبطية ومنطقة العلويين وطرطوس والقدموس فيما بين ٧ و ٢٣ جوان / حزيران /، وكانت بالطبع، تبعة هذه الأعمال، تقع على الحكومة العربية، حسب رأي الجنرال غورو(٥٦).

وفي ٢٤ منه احتج غورو لدى فيصل، لاعتقال السلطات العربية في حلب الأمير أحمد مختار، الذي أرسله غورو ليعمل إلى جانب الضابط السياسي الفرنسي في حلب. وكان يحمل معه أسماء أصدقاء فرنسا المحميين فيها من قبلها، واعتبر غورو ذلك من فيصل دليلاً من أدلة كثيرة، على مسلك الحكومة «الشريفية» ضد فرنسا(٥٧).

وكان آخر يوم من شهر جوان / حزيران / حسب تقارير الجنرال غورو يدل

---

(٥٥) Ibid, tels No 1220-1221/6 (11 Jui),

(٥٦) Ibid, tels No 3343. (21 Jui) de L'Amiral de Bou

(٥٧) Ibid. tels No 1246-1250 (24 Jui).

على الهدوء في كيليكيا، ويدل كذلك على الهدوء في المنطقة الشرقية(٥٨)، لكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

وعمل غورو أيضاً على تقوية مركز فرنسا في لبنان، تهيئة لليوم الحاسم مع سورية، فشكل وفداً يتألف من سبعة موارنة، واثنين من الروم الأرثوذكس، وواحد من الروم الكاثوليك، ومسلم سني واحد، وآخر متوالي، ليتفقوا مع مجلس إدارة لبنان. وكان عمله هذا رداً على اعتراض المسلمين وبعض المسيحيين على انتداب فرنسا على لبنان، إذ كما قال القنصل البريطاني في تقريره في ٢١ جوان / حزيران /، بأن الذين يقفون مع فرنسا لو جرى استفتاء حر، هم الكاثوليك فقط(٥٩).

وكانت الصحف الموالية لفرنسا في لبنان تشن بالمقابل هجوماً على فيصل، وكذلك كانت تفعل الجمعيات والشخصيات الموالية لفرنسا، في فرنسا ومصر(٦٠).

---

(٥٨) Ibid, tels No 1325, (30 Jui).

(٥٩) F.O.371/5046/ P.122. كتبت جريدة الكنانة بأنه حضر وفد مسيحي من راشيا، مؤلف من الأرشمندريت ميخائيل أبو عسلي، وعبد الله مالك، وتوما الخوري، وسالم مالك، ونجيب عز قول ونصار أبو سمر، ويوسف أبو ديب، وعرضوا لفيصل إخلاصهم. عدد ٢٧٤، ٢٧ ماي / أيار / ١٩٢٠.

(٦٠) كتبت جريدة الجامعة السورية (البيروتية)، وهي موالية لفرنسا في ١٨ ماي / أيار / ١٩٢٠ هجوماً شديداً على فيصل جاء فيه «من باع فلسطين، يُطرحُ سؤال الآن، من باع فلسطين؟ أقر مؤتمر سان ريمو الوطن القومي لليهود في فلسطين، وأخذها من سورية، كل هذا والانكليز متفقون مع أحد (قادتنا)، ينفذون الاتفاق بالقوة، ربما يظن الانكليز أننا نهنئهم على قرارهم ونتمنى لهم حظاً سعيداً، أما بالنسبة للذي باع فلسطين سراً، دون أن يقول كلمة للشعب، يجب أن يوضع في مكانه وأن يعرفه الشعب، ويعمم الحقائق، لأن الفرد لا يمكن احتفاؤه بشكل غير محدد، خاصة في المسائل الوطنية». مترجمة عن الوثائق البريطانية. F.O.471/5188/ P.117.

وكتبت جريدة البشير الكاثوليكية البيروتية في ٢٠ ماي / أيار / ١٩٢٠ «كتب حسين عبد الهادي أحد المحامين الفلسطينيين، وكان مؤيداً للفرنسيين وداعية لسعيد الجزائري، موجهاً كلامه لفيصل «فلتعلمْ حضرتك، وليعلم كل حجازي، أننا نرمي الآن وسنرمي في الاستقبال، إلى إبعاد الصهيونيين ومن شايعهم، سواء أكان حجازياً مثلكم أو غير حجازي، يشترك في أفكارهم ... وليتأكد الصهيونيون، أن ما يقوله لهم الشريف فيصل هو كلام حجازي، ماله أدنى علاقة بفلسطين، مالم يثب عما صدر منه من التقرب للصهيونية ضد المسلمين». عدد ٢٥٧١.

←

وأكدت الحكومة الفرنسية للوفد اللبناني، الذي استاء من قرار سان ريمو، لأنه لم يذكر صراحة فصل لبنان عن سورية، إنها باقية على عهدها للبنانيين، ولم تتغير بوضع لبنان المستقل عن سورية تحت انتدابها. وأكد ميلّران هذا ببرقيته في ١٩ ماي / أيار / إلى الوفد اللبناني[٦١].

ثم عرضت الحكومة الفرنسية قضية سورية على المجلس النيابي الفرنسي، وطلبت رصد مبلغ (٥٠٠ — ٦٠٠) مليون فرنك فرنسي، لتجهيز حملة ضد سورية، وإرسال مائة ألف جندي فرنسي لهذه الغاية. وكان الحزب اليميني الفرنسي، هو الذي يطالب بالحاح لاحتلال سورية، وكان يشبه فيصلاً تارة بشخصية «بلشفي تائه في الصحراء» وتارة بشخصية «ولسون ذي عمامة» وتارة أخرى بشخصية «فارس من فوارس أسطورة سان جورج». وعارض الحزب الاشتراكي إرسال حملة لاحتلال سورية، وقال أحد أعضائه (دالاديه)، بأن الفرنسيين سيمحون الصداقة التي يكنها العالم الاسلامي نحو فرنسا، إذا فعلوا ذلك، وأنه لن يصوت لرصد اعتمادات باهظة،

← وكان من رأي غورو أن عودة سعيد الجزائري إلى بيروت مفيدة، في حال قيام عمل ضد فيصل.
. D.F.G. Levant, 8B2, tels No 1172-1177 (9 Jui)

وكتبت جريدة الكنانة ذماً شديداً لسعيد الجزائري، واعتبرته خائناً للمسلمين والمغاربة. عدد ٢٩٠، ٢٢ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

احتجت اللجنة المركزية السورية، واللجنة اللبنانية السورية في مصر، على الادعاء الشريفي الملكي في سورية، ورفعت طلباً إلى مجلس الحلفاء، لوضع حد للحكم الشريفي، وطالبت بتنفيذ قرار مؤتمر سان ريمو، بانتداب فرنسا على سورية «وهذا يحقق أمانينا».
D.F.Aff. Etr, Levant. 27 (29 Apr).

وطالبت مارغريت سرسق، القاطنة في باريس (وهي من بيروت)، بألا تتخلى فرنسا عن سورية، وإذا تخلت عاد الترك، وعندها سيذبح ضعف المسيحيين الذين تحت حكم فيصل، «هل ستترك فرنسا بقية أصدقائها يذبحون؟ سورية أخت فرنسا، وهي للسوريين وليس للبدو».
Ibid. Levant. 29 (31 Mai) PP.77-78.

(٦١) جاء في برقية ميلران «أنه بفضل المجلس الأعلى، فقد منحت الدول الحليفة العظمى الحق في الانتداب على سورية، التي لم تغير قط من عزمها على منح لبنان استقلاله، تحت الانتداب الفرنسي». زين، الصراع، ص٢٥٦. انظر الريحاني ملوك العرب ج١، ص٣١١.

لتجهيز حملة خطيرة ومشؤومة ضد سورية . لكن كان رأي الحكومة والحزب اليميني هو الغالب(٦٢) .

وقبل أن تقدم الحكومة الفرنسية على خطوتها الأخيرة باحتلال سورية ، أرادت أن تستوثق نهائياً ، من عدم تدخل بريطانيا في سورية ، عندما تحتلها فرنسا . ولذلك طلبت من الحكومة البريطانية في ٢٩ جوان / حزيران / ، وجوب التعامل بالمثل فيما بينهما . فكما أن فرنسا لم تتدخل في انتداب بريطانيا على فلسطين والعراق ، فإنها تتوقع منها نفس الشيء في سورية ، على أساس أن زمن اشتراكها بالتعامل مع فيصل قد انتهى(٦٣) . ويجب منذ الآن أن تكون الاتصالات معه عن طريق الفرنسيين فقط ، إن أراد الانكليز الاتصال به بعد ذلك . ويقول (برتلو) مرسل هذه المذكرة ، إن فيصلاً يريد أن يرمي الفرنسيين في البحر ، كما أنه لم يأت إلى مؤتمر الصلح ، ولذا فإن الحكومة الفرنسية لم تعد مرتبطة باعترافها به ، ولا يقبل بفرضه عليها من قبل الانكليز(٦٤) . وكان ميلران قد قال في ٢١ جوان / حزيران / مهدداً « سوف أتدبر أمر فيصل »(٦٥) .

فيصل والانكليز

لم يعد من شك أن فرنسا قررت احتلال سورية ، وهي على وشك التنفيذ ، وظهرت نواياها بذلك ، كما أن موقف الوطنيين المسيطرين في دمشق ، أصبح واضحاً من الفرنسيين ، فماذا يستطيع أن يفعله فيصل بين الطرفين ؟ فالفرنسيون نفضوا أيديهم منه نهائياً ، وهو لم يقدر أن يفرض سياسته في دمشق ، أو لم يحاول ذلك ، ولذا لم يكن أمامه في هذه الفترة الحاسمة إلا الانكليز ، يشتكي إليهم من نية الفرنسيين العدائية ، ومن تدميرهم القرى وتهجيرهم لسكانها ، وتساوي القتل على المسلمين وغير المسلمين ... وكان هذا في رسالة بعث بها في أول جوان / حزيران / إلى لويد

(٦٢) الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٥ .
(٦٣) F.O.371/5036/ P.71.
(٦٤) Ibid.
(٦٥) Document. XIII, (26 Jui), P.297.

جورج[٦٦]، ثم اتبعها بأخرى له بعد ثلاثة أيام، يحتج فيها على سياسة فرنسا «فرق تسد»، بين الديانات المختلفة، ويطلب منه التدخل لايقاف أعمال الفرنسيين في التدمير... ويعتذر له عن تأخرهُ عن حضوره لأوروبا، بسبب المشاكل التي يثيرها الفرنسيون[٦٧]. ثم أرسل رسالة أخرى في ١٠ جوان / حزيران / إلى اللنبي، يستغرب فيها سياسة بريطانيا التي تتبعها في إرضاء الفرنسيين، الذين لا يعرفون كيف يستفيدون من صداقة العرب، والذين يحطمون مصالح الجميع... وأنهم (الفرنسيين) باتفاقهم مع الأتراك، أنزلوا بالعرب «ذعراً كالصاعقة»، في الوقت الذي رفض هو الاتفاق مع الأتراك والبلشفيك.... وطلب منه أن تعلمه بريطانيا، إذا أرادت أن تضحي بمصالح العرب الخاصة، حتى يستطيع أن يتصرف بما فيه السلامة. ورجاه أن يبلغ حكومته بالأخطار القريبة، قبل أن يفوت الأوان. وأنه (فيصلاً) مازال ذلك الصديق الذي تعرفه، والذي يفعل ما يجب عليه، وما يتوقع منه. وختم رسالة برجائه، أن يتدخل بينه وبين الفرنسيين «لحفظ شرف أصدقائه، والوعود لهم، ولحفظ مصالح بريطانيا في الشرق»[٦٨].

لكن لم يرد على فيصل، لا لويد جورج، ولا اللنبي، حسب اتفاق بريطانيا مع فرنسا، القاضي بأن لا يتدخل أي طرف منهما في شؤون الآخر (البلد المنتدب عليه)، كما لم يرد لويد جورج على رسالتين من الحسين عن نفس الموضوع. وفي نفس الوقت، كانت بريطانيا منشغلة في تأمين مصالح الصهيونيين، على حساب سورية، وتوسيع حدود فلسطين حتى تمتد إلى شرقي نهر الأردن (شرقي خط حديد الحجاز)،

---

(٦٦) F.O.371/5035/ P.194.

(٦٧) Ibid, P.204 من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي مسودة لهذه الرسالة.
وانظر D.F.G. Levant, 8B2, tel No 31 (8 Jui).

(٦٨) D.F.G. Levant, 8B2, tel No 1212-1213 (11 Jui) et F.O.371/5036/ P.105-106.
أرسلت الحكومة البريطانية رسالة إلى الحكومة الفرنسية، تظهر فيها قلقها من اتفاقها مع الأتراك، وتسأل فيما إذا كانت قد أخذت بعين الاعتبار حماية الأرمن المسيحيين في كيليكيا، وهل تركتهم هكذا يدافعون عن أنفسهم، وهل أخذت ضمانات من الحكم العسكري التركي بما يخصهم.
D.F.Aff. Etr, Levant 30, (24 Jui), P.144.

بشكل تشمل كل الوادي، لأن ذلك يؤمن الدفاع لفلسطين من غارات قبائل العرب البدو، ولأنه يضيف ثروة بغناه (وادي الأردن) إلى فلسطين بعد تنظيفه من الملاريا، بحيث يؤمن الاقتصاد الكافي لإسكان مهاجرين أكثر من اليهود. والحدود برأي (كرزون)، يجب أن تمتد حتى تضم البتراء لأغراض السياحة، وإلى العقبة حتى يكون فيها ميناء مهم على البحر الأحمر، بحيث لا تدفع فلسطين تكاليف باهظة بامرار تجارتها في قناة السويس(٦٩).

وبالرغم من إهمال المسؤولين الانكليز الإجابة على رسائل فيصل، فلم ييأس من مساعدتهم له. وظل يحمل أملاً ولو ضعيفاً بذلك. فأرسل جعفر العسكري إلى هربرت صموئيل(٧٠)، المندوب السامي البريطاني الجديد في فلسطين في ٢١ جوان / حزيران /، طالباً مساعدته الشخصية، وتدخله إلى جانبه لدى الفرنسيين، الذين كانوا يحشدون جنودهم على الحدود مع لبنان، لاحتلال سورية. وأبلغه جعفر، أن فيصلاً أوقف كل المسؤولين عن حوادث الثورات ضد الفرنسيين، حتى لا يدع لهم حجة في احتلال سورية. لكن صموئيل لم يكن أفضل لفيصل، من لويد جورج أو اللنبي، فقد اكتفى بشكر فيصل، على عقاب المسؤولين عن حوادث الحدود، ضد الفرنسيين وأبلغه أنه (صموئيل) متأكد، من أن فيصلاً لن يسيء إلى علاقته بغورو(٧١).

وذكر غورو، أن الأمير عادل أرسلان، مستشار فيصل، قد أرسل رسالة إلى اللنبي، تدل على أن السلطات البريطانية مازالت تهتم بأمور الحكومة العربية في دمشق، وقد استنتج غورو ذلك من مجرد إرسال رسالة إلى اللنبي، مع العلم أنه لم يذكر أي رد لألنبي عليها، ولم يذكر أي شيء عن محتواها(٧٢).

(٦٩) F.O.371/5036/ P.192.

(٧٠) كان فيصل قد تقدم باحتجاج إلى بريطانيا، لتعيينها صموئيل مفوضاً سامياً في فلسطين، لأنه صهيوني. من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي، مسودة رسالة فيصل في ١٨ ماي / أيار / ١٩٢٠. و Tibawi, P.20.

(٧١) F.O.371/5036/ P.122.

(٧٢) D.F.G. Levant. 8B2, tel No 1284-1285/6 (8 Jui).

وقد تكون الرسالة الوحيدة التي رد عليها اللنبي، هي رسالة فيصل التي طلب فيها حصته في المعونة المالية، وكان رده بأنه لا يستطيع أن يعطي شيئاً، دون أوامر حكومته، ونصح المندوب الشريفي حامل الرسالة، أن يعود لدمشق(٧٣).

وكانت الضائقة المالية قد حلت بسورية بسبب وقف المعونة، فأصدر فيصل أمراً بفتح قرض وطني، مقابل أراضي الدولة، وقد اعتبر هذا القرض عملاً قومياً لشد أزر الدولة، لمحاربة المستعمرين(٧٤).

وهكذا ضاعت جهود فيصل سدى مع الانكليز، وفقد أمله في أن يرد غورو على الرسالة التي بعث بها إليه في أوائل حزيران، لوضع حد للحالة العصيبة بين الطرفين(٧٥). لأن غورو كان بصدد وضع إنذاره إلى فيصل.

الموقف في دمشق

وبينما كان الأمر كذلك بالنسبة للعلاقة مع الانكليز والفرنسيين، كان الشعور الوطني في دمشق بالغاً دروته حنقاً على الفرنسيين، نظراً للحالة الخطيرة التي وضعهم الفرنسيون فيها، ولذا تقرر أن يثابر المؤتمر السوري على عقد جلساته، لأهمية الظروف التي كانت تمر بها البلاد. وأصدر فيصل أمراً في ٨ جوان / حزيران /، لتأليف لجنة من المؤتمر تتمثل فيها مختلف الأحزاب، عله يستطيع إشراكهم معه بوضع خطة

(٧٣) Ibid. tel no 34.c.4. (23 Juil) de Colonel de Meru.

(٧٤) كتبت جريدة الكنانة عن هذا القرض قائلة، تخاطب المواطنين : هل أنت شرقي، هل أنت عربي، هل أنت سوري، هل تريد الحياة الحرة، هل تريد الاستقلال التام، هل تريد الخلاص من سلطة الأجنبي، هل تريد أن تكون حراً في بلادك، هل تريد أن تحافظ على وديعة محمد العربي، هل تريد أن تحتفظ بملك معاوية وهارون الرشيد، هل تريد أن تحفظ القطر الحجازي العربي المقدس من خطر الأجانب، هل تريد أن تحتفظ ببيت المقدس، اشترك بالقرض الوطني السوري، تشبه بالبلغاري، تشبه بالصربي، تشبه باليوناني، تشبه بالروماني، تشبه بالمصري، تشبه بالأفغاني، تشبه بالتركي، لا حياة إلا بالاستقلال، ولا استقلال إلا بالمال. عدد ١٩، ٢٢ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

(٧٥) F.O.371/5036/ PP. 58-60.

حكيمة، تجنب البلاد الأخطاء المحيطة بها[٧٦]. ويبدو أن اليأس وصل به حداً، عندما لم يستطع أن يغير موقف الوطنيين للخروج من الموقف العصيب، حتى أنه قال أمام هذه اللجنة، عندما اجتمع بها «إنكم أهل هذه البلاد، فإذا رأيتم أن وجودي بينكم غير مفيد، وأنكم في غنى عني، فلا أتردد لحظة في العودة»[٧٧]. وبرغم تزايد عدد المؤيدين له في المؤتمر والحكومة، بقي الوحيد الذي يستطيع أن يفصح عن رأيه، بوجوب التفاهم مع الفرنسيين. إلا أنه لم يستطيع تنفيذ رأيه بسبب إصرار الوطنيين «أصحاب البلاد»، على رفضهم الاتفاق مع فرنسا[٧٨]. وكل مااستطاع أن يفعله، هو إصدار أمر باستمرار العمل بالقوانيين العرفية في البلاد، التي لم تلغ من قبل، وأذاع يوسف العظمة هذا الأمر بوساطة الصحف على الأهالي، منع فيه إثارة الفوضى وإطلاق الرصاص وحمل السلاح[٧٩].

وقرر مجلس الوزراء أن يرأس عبد الرحمن الشهبندر الوفد السوري لأوروبا، بعد أن اعتذر زيد، الذي اقترحه فيصل لذلك، وأعلم به اللنبي. لكن الأخير لم يرد عليه. وكانت مهمة الشهبندر والوفد لن تخرج لو تمت، عن سياسة هؤلاء الوطنيين في دمشق، وهي المطالبة بتنفيذ قرار المؤتمر السوري في الاستقلال، ورفض المادة (٢٢) من قرار عصبة الأمم الخاص بالانتداب، ورفض ادعاء فرنسا بعلاقاتها مع سورية، وإعطاء ضمانات للدول الأجنبية بحفظ مصالحها الاقتصادية[٨٠]. إلا أن الوفد لم يسافر، بسبب التطورات السريعة التي جرت بعد ذلك.

(٧٦) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٦٦، وداغر، ص١٢٢ — ١٢٤.

(٧٧) داغر، ص١٢٢ — ١٢٤.

(٧٨) نشرت جريدة الأوبنيون الفرنسية، حديثاً لفيصل في أواخر جوان / حزيران /، قال فيه «بأنه لا يشك في رغبة فرنسا في مساعدة سورية، ولكن الذين لا يظهرون الرضى عن ذلك — وهم عدد كبير — لا يهدأون، مالم تصرح فرنسا رسمياً باعترافها. وقال بأنه يريد سورية مستقلة وغير مجزأة، ويقبل بمعاونة فرنسا، ويعترف بحقوقها الاقتصادية والمالية. لكنه ذكر عن الصلح الذي جرى بين فرنسا وتركيا، وما سبب من ضرر كبير لسورية». عن المقطم، عدد ٩٥١٠، ٣٠ جوان / حزيران / ١٩٢٠.

(٧٩) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٦٦.

(٨٠) لسان الحال، عدد ٤٢٨ — ٨٠٧٨، ٢٦ جوان / حزيران / ١٩٢٠. وأضاف فيصل اسم ميشيل لطف ←

ويبدو أن الجو العام أثر على الدول الأخرى في تعاملها مع سورية، بعد قرار الانتداب عليها، وربما تحت ضغط فرنسا، بعدم التعامل مع سورية كدولة مستقلة. فطلب القنصل الأمريكي باسم القناصل الأجانب في دمشق، أن يكون اتصالهم وتعاملهم، مع مديرية الشؤون السياسية، لا مع وزارة الخارجية، بناء على التقيد بأمر حكوماتهم، ورجوا أن يعلن ذلك في الجرائد، حتى يزول الالتباس(٨١). لأنّ التعامل مع وزارة الخارجية يعتبر بنظرهم اعترافاً بالاستقلال، بينما لا يعني ذلك بالتعامل مع دائرة سياسية.

ويمكن وصف حالة سورية في تلك الفترة، بكلمات جريدة الراية الحلبية في ٥ جوان / حزيران /، إذ كتبت «لمن نشتكي؟ لحليفتنا انكلترا، بينما إخواننا في فلسطين، والعراق، ومصر يقاسون الظلم نفسه على يديها، كما نقاسي على يد فرنسا. ومن سوء الحظ الذي نقاسيه، أن الساسة الانكليز يحبون أنفسهم على حساب بؤس الآخرين. أو نشتكي لايطاليا؟ وما تزال مدافعها تولول في طرابلس وصحراء ليبيا، وفوق ذلك هي ضعيفة سياسياً، وعسكرياً، وموالية للحلفاء، والألمان. وهل نشتكي ونرمي شكوانا بين يدي ولسون، الذي هو أحد اثنين: إما سياسي يضع نفسه وأمته بيد الانكليز، وبعد ذلك ينسحب من السلام، أو أنه رجل طيب القلب، خدعته السياسة الانكليزية، وحصلت على كل ما تريد منه. ولن نضيع بين ذكاء ولسون وضعفه. وإذن علينا أن نعتمد على التسليح، والسلاح، وحب الوطن، والله لا يخيب المظلومين. ومهما كنا ضعفاء أمام فرنسا، فإننا بعونه ننتصر»(٨٢).

← الله، رئيس الاتحاد السوري للوفد، برئاسة زيد مع عدد من الضباط. F.O.371/2/5036/ P.82.
وقال النائب البريطاني (هارمس وورث) في مجلس العموم البريطاني، بأن فيصلاً دعي شخصياً إلى مؤتمر الصلح، لكن لم يطلب منه أن يرسل وفداً عنه.
The Parliamentary Debates, vol. 120, P.2203 (23 June).

(٨١) جريدة البرق، عدد ١٠١٦، ٣١ ماي / أيار / ١٩٢٠.

(٨٢) ترجمة عن الوثائق البريطانية F.O.371/499/5188/ P.171. رفض القنصل البريطاني في بيروت، طلب السوريين شراء الأسلحة والذخيرة، عن طريق أحد تجار الأسلحة اللبنانيين، (فكتور شميل). قال له القنصل، بأن هذا ليس وقت تزويد الحكومة العربية بالسلاح. أما إذا أراد فليذهب إلى المفوض السامي في مصر. وإذا فعل ذلك في لبنان فستصيبه المشاكل. Ibid,/5035/ P.237 (15 June).

الفصل العاشر

الاحتلال الفرنسي لسورية
وسقوط فيصل

أطل شهر تموز من عام ١٩٢٠، والتوتر في ذروته بين الفرنسيين والوطنيين في دمشق. ووصلت معه أنباء التحشد الفرنسي على الحدود الغربية، وصار واضحاً، أن غورو يريد احتلال سورية، خلال وقت قصير. وقابلت الحكومة السورية الحشد الفرنسي، بإرسال قوات من الجيش العربي، لترابط على الحدود أيضاً. وأبلغ فيصل اللنبي بتحشد القوات الفرنسية، لاحتلال سورية، ووضع الحلفاء تحت الأمر الواقع، كي «يحصل غورو على مجد عسكري، يرضي به شعوره الشخصي، وينفذ في نفس الوقت مهمة سياسية». وأبلغه أيضاً ثقته ببريطانيا، وأنها وحدها القادرة على منع الاحتلال الفرنسي، وحفظ السلام[١].

الموقف قبل الانذار الفرنسي

ومنذ هذه اللحظة، أخذ فيصل يعتمد على تدخل بريطانيا، أكثر من اعتماده على الدفاع والمقاومة، أو الاعتماد على الوطنيين والجيش العربي، لأنه يعلم، أن لا قبل لهما بمقابلة الجيش الفرنسي، ولذلك تخلى عن شروطه (بالاعتراف بوحدة سورية بما فيها فلسطين)، حتى يسافر لأوروبا، بعد أن يتيقن من وجود الخطر الحقيقي، وأرسل نوري السعيد في ٥ جوييه / تموز /، لمقابلة غورو وتأمين سفره رغم معارضة الوطنيين. لكن غورو رفض الموافقة، إلا إذا قبل فيصل بالشروط الآتية:

(١) Tibawi, P.115. وانظر F.O.371/5038/ P.79.

١ ــ أن يقبل هو وحكومته بالانتداب الفرنسي رسمياً .
٢ ــ إعادة الجيش إلى ما كان عليه قبل إعلان الملكية، وكذلك الغاء التجنيد .
٣ ــ قبول التعامل بالنقد الورقي ، الذي أصدره مصرف سورية ولبنان (الفرنسي) .
٤ ــ الموافقة على احتلال القوات الفرنسية ، لمحطات سكة الحديد في رياق ــ حمص ــ حماه ــ حلب .
٥ ــ معاقبة (المجرمين) الذين استرسلوا في معاداة فرنسا . (ويقصد الثوار) .

وأضاف غورو بأنه أعد انذاراً رسمياً ، سيرسله إلى فيصل بعد بضعة أيام . وأبلغ السعيد أيضاً ، أنه إذا سافر فيصل عن طريق حيفا ، فلن تعترف الحكومة الفرنسية به ، ولن تستقبله[٢] .

عاد نوري السعيد حاملاً شروط غورو إلى فيصل . فوقع عليه الخبر كالصاعقة ، ثم انتشر هذا الخبر بين الناس، فأثار هياجاً وقلقاً شديداً .

عدل فيصل عندئذ عن السفر ، وحاول أن يثني الجنرال غورو عن إرسال الانذار ، كما حاول تأليف لجنة دولية مختلطة لحسم الخلافات الموجودة . فأرسل لذلك نوري السعيد إلى بيروت . لكن غورو لم يتغير عن موقفه . لا بل كانت قد احتلت قواته محطة رياق في البقاع ، وجرابلس شمال حلب[٣] . فاحتج فيصل إلى غورو احتجاجاً شديداً على ذلك ، لأنه يخالف مذكرة ١٣ سبتمبر / أيلول / الخاصة بجلاء الجيش البريطاني ، واتفاقه مع كلمنصو ، وحتى قرار مؤتمر سان ريمو . وأبدى فيصل استعداده أن يعمل ضمن الخطة التي يرسمها له غورو ، ويمنحه حق استعمال سكة حديد حمص ــ حلب ، اجتناباً لسوء التفاهم بينهما . وطالب بإنزال العلم الفرنسي عن رياق ، أسوة بتنزيل الفرنسيين للعلم العربي عنها[٤] .

---

(٢) الحصري ، يوم ميسلون ، ص١٠٤ ، وقدري ، ص ٢٢٠ ، والحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ٢٧٥ .
وانظر D.F.Aff, Levant. 30 (9 Juil) P.144. et Longrigg, P.104.

(٣) قدري ، ص ٢٢١ ، F.O.371/5036/ p.193.

(٤) قدري ، ص ٢٢٢ ، و D.F.G. Levant. 4B3 No 1078 (3/7/920) .

وأرسل أيضاً برقيات احتجاج إلى لويد جورج[٥]، وقناصل الدول الأجنبية بدمشق[٦] وإلى حكومات بريطانيا وإيطاليا وبلجيكا وأمريكا وعصبة الأمم، كي يتدخلوا ويحولوا دون سقوط الشعب السوري أمام القوة، ويمنعوا سفك الدماء، ويصونوا البلاد من الخراب، وهي التي ضحت كثيراً في سبيل الحلفاء. وطلب منهم تأليف لجنة دولية للتحكيم، يتعهد هو وشعبه بقبول قراراتها. ويحافظ على قرارات مؤتمر سان ريمو، ويطلب السماح له بالذهاب إلى أوروبا، تلبية لنداء مؤتمر الصلح وبريطانيا المتكرر[٧].

وبذلك تنازل فيصل عن رفضه لقرار سان ريمو، وتنازل عن موافقته للوطنيين وقبول سياستهم، حتى يتلافى الاحتلال الفرنسي.

وأعاد فيصل طلبه إلى بريطانيا، لتدخلها ومنع غورو من تنفيذ خطته باحتلال سورية، فقد كتب هذه المرة إلى اللورد كرزون في ١١ جوييه / تموز / عن طريق اللنبي. رسالة جاء في آخرها «أدعوكم باسم الانسانية، ومصالحكم، ومصالح حلفائكم، التدخل حالاً، كما تدخلتم من قبل لمنع الخطر وإراقة الدماء، وقبل أن يلهب غورو النار في المنطقة المسالمة، حيث لم يأخذ بعين الاعتبار ما يترتب على حربه الجديدة من نتائج. والعالم كل شاهد على إخلاص العرب وعلى ما عملوه لحفظ السلام». وفي الرسالة نفسها رجا اللنبي أن يساعد شخصياً «سورية، المنكودة الحظ، وهي تتوقع منه، لصفاته الكريمة، وكصديق كريم، وأن يحمي الانسانية والصداقة من الغزو المجرم»[٨].

لكن فيصلاً لم يتلق رداً على استغاثاته، ماعدا رد كرزون الذي أبلغه في ١٣ جوييه / تموز /، أنه قد فات الأوان على سفره. ولم يذكر له شيئاً عن رأي بريطانيا

---

(٥) F.O.371/5036/ P.200.

(٦) الحصري، يوم ميسلون، ص٢٧٧ — ٢٨٠.

(٧) نفس المصدر، ص ٢٨٠.

(٨) F.O.371/5038/ P.73. وكان فيصل قد تقدم بطلب سابق إلى الحكومة البريطانية، كي تؤمن سفره، وتحافظ على سورية من الاحتلال الفرنسي، أثناء غيابه. Ibid.

وموقفها تجاه الخطر، الذي أعلمه به فيصل أكثر من مرة. وكان موقف بريطانيا غير المبالي، ناتجاً عن اتفاقها مع فرنسا، بأن لا تتدخل أي منهما في مناطق الدولة الأخرى. وبذلك تركت سورية وفيصلاً وجهاً لوجه، أمام الحملة الفرنسية. وهذا ما طلبته الحكومة الفرنسية من بريطانيا فعلاً في نفس اليوم ١٣ جوييه / تموز /(٩).

أما غورو فيبدو أنه قد اتخذ خطة عسكرية، يحاول أن يكسب بموجبها أكبر قدر من الأرض والنقاط الاستراتيجية الهامة، الواقعة على الطريق إلى دمشق، دون قتال. فأبلغ فيصلاً بوساطة كوس في ١٢ جوييه / تموز /، رداً على احتجاجه باحتلال رياق وجرابلس، أن ذلك كان مجرد تبديل جنود في جرابلس، أما احتلال رياق، فكان رداً على احتلال القوات السورية (لمجدل عنجر) المطلة على سهل البقاع(١٠). فوثق فيصل بكلام غورو، وأبلغه استعداده لسحب القوات السورية من مجدل عنجر «إذ دللتم على شعوركم الودي، بالجلاء عن رياق، والمعلقة المحتلة بجيوشكم»(١١).

لكن غورو لم يسحب قواته من رياق، التي هي عقدة مواصلات حديدية بين لبنان وسورية، بل كان يعد فيها العدة العسكرية للانطلاق نحو دمشق.

وفي ١٤ جوييه / تموز / أبلغ فيصل رستم حيدر، المندوب العربي الثاني في مؤتمر الصلح، عن نية غورو، وخاصة بعد احتلاله رياق، وأنه لم يقاومه تجنباً للحرب، ويحمل غورو مسؤولية كل ما يقع من حوادث، لأنه يخالف بذلك قرارات مؤتمر الصلح «سان ريمو»(١٢).

---

(٩) D.F.G. Levant. 8B2, No 19-12 (13 Juil) Gouraud

(١٠) قدري، ص٢٢٣ .D.F.G. Levant. 8B2, tel No 1420-1421 (13 Juil). يذكر غورو أن فيصلاً اقترح عليه ــ لم يذكر برسالة أو بوساطة شخص ــ في ١٢ جوييه / تموز /، أن يوقع الاثنان تعهداً مشتركاً بإيقاف الأعمال العدائية العسكرية والسياسية في المنطقتين الشرقية والغربية، ويتعهد أيضاً بالسفر حال التوقيع. فأجابه غورو بأنه سيرجع إلى حكومته لاخبارها برغبته، التي عبر عنها بشكل مباغت للغاية. لكن غورو كان يشك في أن الحكومة الفرنسية، تشاركه هذه الرغبة. .Ibid. (12 Juil).

(١١) نفس المصدر، ص٢٢٤.

(١٢) نفس المصدر.

وبذلك يكون فيصل قد أبلغ جميع الأطراف بقصة غورو، واستعداده لاحتلال سورية، لكنها بقيت مجرد تبليغات، ولم يتحرك أحد لمساعدة سورية في موقفها العصيب، إلا الحكومة العربية والشعب.

انذار غورو

كان المؤتمر السوري في حالة انعقاد دائم كما ذكرنا من قبل، فدعا الحكومة لبيان موقفها إزاء التهديد الفرنسي. وبقي الأعضاء المتطرفون فيه على موقفهم السابق، الرافض للاتفاق مع الفرنسيين، ولذلك طبعوا منشوراً (وكان عددهم أربعين)، دعوا فيه للدفاع عن البلاد واستقلالها التام، ووزعوه على الأعضاء، وأقسموا اليمين على ما تعاهدوا عليه. حتى تلك اللحظة، كانوا لا يزالون يعارضون فيصلاً في سفره، حتى لا يتفق مع فرنسا(١٣). وحضرت الحكومة أمام المؤتمر في ١٣ جوييه / تموز /، وألقى يوسف العظمة خطة الحكومة أمام الوضع الراهن. وكان في خطة الوزارة تراجع عن رفضها السابق لقرار مؤتمر سان ريمو، وتقارب مع وجهة نظر فيصل التي ذكرناها من قبل، وتتلخص بالنقاط التالية:

١ ــ لا تريد الحكومة إلا السلام، والمحافظة على شرف البلاد واستقلالها.
٢ ــ ترفض الحكومة كل تهمة بإخلالها بعلاقاتها مع الحلفاء.
٣ ــ الحكومة لا ترفض المفاوضات، والوفد برئاسة فيصل، مستعد للسفر إلى أوروبا.
٤ ــ الاستعداد والتصميم على الدفاع بكل ما أعطاها الله من قوة(١٤).

وتبدو روح المسالمة من التفسير لقرار سان ريمو، الذي جاء في نهاية البيان، والذي لا يذكر إلا الاستقلال ويتحاشى ذكر الانتداب، «فلقينا ما تعلمونه من قرارات

(١٣) لسان الحال، عدد ٤٣٩ ــ ٨٠٨٩، ١٣ جوييه / تموز / ١٩٢٠.

(١٤) العاصمة، عدد ١٤٠ ــ ١٤١، ١٥ و ١٩ جوييه / تموز / ١٩٢٠ كتبت جريدة الكنانة عن هذا الدفاع في نفس اليوم ١٣ جوييه / تموز /، مقالة عنيفة بشكل خاص، وقد أرسل كوس ترجمتها إلى غورو، ونحن نسجلها عنه «لقد علم الجنرال غورو وأكثر من مرة، أنه لا يمكن مقارنة سورية بمراكش. لاحظ هذه العبارة: الله فوق الكاثوليكية، والحزب الديني، والاستعماريين، والساسة الذين يطمحون جميعاً، بغزو غورو لسورية، لكن سورية الفتية، لن تخضع لفرنسا العجوز». D.F.G. 4B3.

مؤتمر سان ريمو، القائل بالاعتراف بسورية دولة مستقلة، ومن التبليغات غير الرسمية من حليفتنا بريطانيا العظمى، التي تشير إلى الاعتراف بجلالة مليكنا المعظم ملكاً على سورية، علاوة على تأييد الاستقلال المذكور»[١٥].

لكن لم يكن لموقف فيصل المهادن، وخطة الحكومة وقبولها بقرار سان ريمو، أي تأثير على موقف غورو، ونيته باحتلال سورية. ويبدو أن ما حدث في لبنان، هو الذي دفع غورو للاسراع بحسم الموقف. فقد اتخذ مجلس إدارة لبنان، تحت تأثير أعوان فيصل، قراراً بنسبة (١٢ من ١٣) في ١٠ جوييه / تموز / باستقلال لبنان، وتأسيس حكومة وطنية، ووقوفه على الحياد، وقيام اتفاق اقتصادي بينه وبين سورية، وتعاون الفريقين (السوري واللبناني)[١٦]. وكان هذا القرار ناتجاً أيضاً، عن سوء معاملة الفرنسيين للبنانيين، وخاصة من قبل «الكومندان لابرو». وعندما حاول بعض أعضاء مجلس الإدارة، السفر (سراً) إلى دمشق، حيث تؤمن لهم حكومة دمشق السفر إلى أوروبا، عن طريق حيفا لعرض قضيتهم، ألقت السلطة الفرنسية عليهم القبض[١٧]، وحكمت عليهم بالسجن والنفي والغرامات الكبيرة[١٨]. ثم أصدر غورو قراراً بحل مجلس الإدارة في لبنان[١٩]. ومن الصدف، أن يكون سعد الله الحويك شقيق

---

(١٥) نفس المصدر.

(١٦) ابراهيم الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، بيروت ١٩٣٠، ج٣، ص١٠٢، والخباز، ص١٨٦.

(١٧) ذكر صبحي العمري في مقابلة شخصية في صيف ١٩٧٠ أن (جميل الإلشي)، المعتمد العربي في بيروت، هو الذي وشى بمجلس إدارة لبنان إلى السلطات الفرنسية، لأنه كان ضالعاً معها وسراً. وقد عينه الفرنسيون وزيراً للدفاع في حكومة الانتداب الأولى.

(١٨) جاء في مذكرات بشارة الخوري، أن الحاكم الفرنسي اتهم أعضاء مجلس إدارة لبنان، الذين كانوا في طريقهم إلى دمشق، بالخيانة، وحاكمهم في جو رهيب لا يمت إلى حرمة القضاء بسبب، وقد تفوه رئيس المحكمة الكولونيل ديفوكريسون، والنائب العام، بألفاظ التحقير والإهانة للأعضاء المحاكمين، وعنّفوا شهود الدفاع وذعروهم، وتملقوا شهود الحق العام وهنأوهم على حب فرنسا. ص١٠٦.

(١٩) يقول الخباز، ص١٧٩، «إن غورو حل مجلس لبنان الاداري الذي عمل مدة ٦٢ سنة، متحججاً بعدم استطاعته القيام بوكالته».

وصف غورو حادثة سفر أعضاء مجلس إدارة لبنان، كما يلي «تحت تأثير الدعاية الكبيرة للحكومة العربية، من أجل إزالة المودة التي تربط لبنان بفرنسا، فقد تم اكتشاف مؤامرة ثمانية أعضاء من ١٢ من هذا المجلس، لتنفيذ دعاية دمشق، وقد أوقف غورو هؤلاء الأشخاص، وأعلن حل مجلس إدارة لبنان».

←

البطريرك الياس الحويك، وأيضاً ابن أخيه الياس، من بين الموقعين على القرار، مما جعل لهذا القرار أثراً عميقاً ضد ادعاءات فرنسا بتعليق اللبنانيين، وخاصة الموازنة بها، ومما زاد من غضب غورو على الحكم في دمشق، فأرسل انذاره في ١٤ جوييه / تموز /. ويبدو أنه أخره لهذا اليوم (عيد الثورة الفرنسية والحرية)، لأنه يعتبره تحريراً لسوريا من المخربين، ويعتبره في نفس الوقت عملاً مجيداً لفرنسا[٢٠]. أرفق غورو انذاره بكتاب إلى فيصل، أظهر فيها ثقته وأمله بحكمته أن يقيله، ونحا باللائمة على المتطرفين، الذين يقودون البلاد إلى الخراب.

أما الإنذار، فقد حدد أن فيصلاً هو الذي طلب مساعدة فرنسا، وأنها قبلت به، ثم عدد الأعمال العدائية التي قامت في سورية ضد فرنسا وهي: عدم السماح للقوات الفرنسية باستعمال سكة حديد حمص ــ حلب، وسياسة حكومة دمشق العدائية، التي منعت فيصلاً من السفر لأوروبا، ورفض النقد السوري الذي أصدرته السلطة الفرنسية، والمعاملة السيئة للموالين لفرنسا في دمشق، وإهانة صحافة دمشق للفرنسيين، والاعتداء على الحقوق الدولية بإعلان الاستقلال، الذي هو من اختصاص مؤتمر الصلح فقط، والأضرار التي أصابت سورية لعدم تمكن فرنسا من تنظيمها. ولهذا

D.F.G. Levant. 8B2, tels No 1403-1405/6(12 Juil) Gouraud.

← وفي رسالة أخرى من غورو إلى البطريرك الياس الحويك في ١٢ جوييه / تموز /، اتهم به هؤلاء الأعضاء، ومنهم أخو الحويك سعد، بأنهم باعوا أنفسهم لفيصل بـ ٤٠ ألف ليرة، وأبدى غورو أسفه لوجود أخي البطريرك بينهم، وطلب منه أن يرسل إلى رئيس وزارة فرنسا برقية على غرار برقية البطريرك مارك، فأرسل له الحويك في ١٤ جوييه / تموز / رسالة، عبر بها عن دهشة متصرف مجلس إدارة لبنان، لكنه وصف الحادث بأنه لا يتعدى كونه مزعجاً ومحزناً، وأبدى تمسكه باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي، وناشده الحكمة والرأفة في معالجة القضية. وقد حكمت المحكمة العسكرية على هؤلاء بالنفي إلى أرواد، ثم كورسيكا، ثم باريس، وأطلق سراحهم بعد ثلاث سنوات. عن زين زين، الصراع، ص١٦٧ ــ ٢٥٨.

(٢٠) قال غورو في مجلس النواب الفرنسي في ١١ ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ «ان تعلق السوريين بفرنسا شديد، وأنهم سيساعدونها في عملها المجيد». نفس المصدر. ص١٣٣. وقال غورو أيضاً للمؤلفة في ففريه / شباط / ١٩٢٠ «انها مسؤولية من أدق المسؤوليات في بيروت، التي هي محطتي قبل دمشق، وهذا ما ذكرني حالاً بقاعة المكتبة، حيث كنت اسمع مناقشة المشاكل الحاضرة، وآراء فيصل في حل المسألة».

Mme, B,G. Gaulis, La Qestion Arabe, Paris, 1930. P.107.

فإن فرنسا تطلب الضمانات التالية، حفظاً لسلامة جنودها، وسلامة السكان، الذين انتدبت عليهم وهي:

١ ــ التصرف بسكة رياق ــ حلب الحديدية.

٢ ــ الغاء التجنيد الاجباري في سورية.

٣ ــ قبول الانتداب الفرنسي.

٤ ــ قبول العملة الورقية السورية التي أصدرتها فرنسا.

٥ ــ تأديب «المجرمين» الذين كانوا أشد عداء لفرنسا (ويقصد الثوار).

وطلب غورو قبولها جملة أو رفضها جملة، وكذلك وحدد مهلة لإنذاره، تنتهي في ١٨ جوييه / تموز / عند منتصف الليل. فإذا قبل فيصل بهذه الشروط، فيجب أن ينتهي من تنفيذها كلها قبل ٣١ منه عند منتصف الليل، «وإذا لم يقبل فيصل بالإنذار، فالعاقبة لن تقع على فرنسا، وتتحمل حكومة دمشق كل المسؤولية، التي لا ينظر إليها غورو إلا آسفاً، لكنه مستعد لها بعزم لا يتزعزع»[٢١].

وفي الحقيقة كان إنذار غورو، حجة لتطبيق الانتداب الفرنسي بالقوة، لأن الشروط التي ذكرها، كان قد وافق على بعضها فيصل، قبل تقديم انذاره، كالتصرف بالسكة الحديدية، وقبول قرار سان ريمو. أما التعامل بالورق السوري فلم يكن يشكل مشكلة كبيرة بين الطرفين. ولو وافق فيصل والحكومة العربية على كل ما طلبه غورو

(٢١) انظر نص الإنذار Pierre Lyautey, Guoraud, Paris, 1949. P.201. الحصري، يوم ميسلون، ص٢٨٣ ــ ٢٩٢. انظر انطونيوس. ص٤٢٢ ــ ٤٢٤. وانظر نص الإنذار في برقيات غورو وأرقام ١٤١٣ ــ ١٤١٤ ــ ١٤٣٤ في D.F.G. 8B2. ذكرت جريدة Times في ١٨ جوييه / تموز / لمراسلها من باريس، ان السلطات الفرنسية قد انكرت تحرك القوات العسكرية الفرنسية في لبنان نحو سورية، أو انها وجهت إنذاراً. وأن كل ما طلبته من فيصل، هو اتخاذ خطوات لمنع الدعاية المعادية لفرنسا في سورية، وأنه كان في نية فرنسا التفاهم معه، حسب اتفاق ديسمبر / كانون الأول / ١٩١٩ (فيصل ــ كلمنصو)، بينما اتبع الأمير وأعوانه سياسة مخالفة. قاسمية، ص٢٣٦. «إن غورو لم يعلم الحكومة الفرنسية بإنذاره، خوفاً من معارضة بعض الوزراء فيها، الذين كانوا يفضلون الاعتدال، ولأنه يريد أن يضيف مجداً عسكرياً، ويدخل دمشق على حصان أبيض، تحيط به الدبابات، ومن فوقه الطائرات».
Zeine, The Struggle, P.175.

من قبل، فهل كانت تمتنع فرنسا عن فرض الانتداب بالقوة؟ إن الأحداث التي جرت فيما بعد، تثبت العكس، لأن الفرنسيين كانوا مصممين على فرض الانتداب. فقد قبل فيصل والحكومة العربية بكل إنذار غورو، ومع ذلك أصر على احتلال سورية.

وصل الإنذار في نفس الوقت، الذي كانت فيه برقية فيصل في طريقها إلى غورو، بتهنئته بمناسبة العيد الوطني الفرنسي، وهي البرقية التي جاء فيها «بمناسبة حلول العيد الوطني، أكرر أدعيتي لسعادة فرنسا، وأقدم لفخامتكم أخلص تهانيَّ». فأجابه غورو وكأن الانذار لم يكن (تأثرت لبرقية سموكم الملكي، وإني أشكركم جداً على أدعيتكم وتهانيكم الخاصة، بمناسبة حلول العيد الوطني لفرنسا»[٢٢].

قبول فيصل بالإنذار

ولدى وصول أخبار الإنذار، اضطربت العاصمة حكومة وشعباً، وانفجرت حماسة الشعب والجمعيات الوطنية والأحزاب على تعددها. وأقبل الناس على التطوع، فغصت بهم الثكنات العسكرية في كل مكان، وامتلأت دمشق برؤساء القبائل وزعماء المناطق، جاءوا ليتلقوا الأوامر. واشتد إقبال الناس على شراء الأسلحة والذخائر، من فلسطين والعراق والجزيرة، وبدأت الأحياء تنظم قوات محلية للحفاظ على الأمن. وعاشت سورية أياماً عصيبة، وشبح الحرب مخيم، وكان الاعتقاد السائد، أنها ستكون حرباً هائلة طويلة الأجل[٢٣].

(٢٢) جريدة البرق، عدد ١٠٤٧، ١٧ جوييه / تموز / ١٩٢٠.

(٢٣) طه الهاشمي، المذكرات، دمشق ١٩٥٨، ص٦١، وداغر، ص١٣٥ ـ ١٣٦ وانظر الملحق وفيه دعوة لحضور اجتماع اللجنة الوطنية.
كتبت الكنانة مقالاً في ١٤ جوييه / تموز /، تحدثت فيه عن استقلال سورية وقارنت ثورة فرنسا من أجل الحرية في نفس اليوم، وهجوم غورو على الحدود الغربية لسورية، للقضاء على استقلالها. وجاء فيها أيضاً أنه حضر عند فيصل ٢٨ عضواً من الأحزاب السياسية السبعة، المؤسسة في العاصمة (اللجنة الوطنية، الحزب الديمقراطي التابع للقصاب، حزب الاتحاد السوري، النادي العربي، حزب فتيان الجزيرة والحزب الوطني العربي)، وقد أبلغهم فيصل وجوب الثقة بالحكومة، كما تجمع أكثر من ثلاثمائة شاب في النادي العربي «لا كما يدعي الفرنسيون بأنهم ثمانية أو سبعة»، ثم خرجوا يتقدمهم شباب حزب فتيان الجزيرة، ثم
←

واحتج المؤتمر السوري على الانذار، وعقد جلسة صاخبة في ١٥ جوييه / تموز /، وطلب من الحكومة إقرار الاقتراحات التالية:

١ ـــ الاستقلال التام، والوحدة السورية، ورفض الهجرة الصهيونية.

٢ ـــ ملكية الملك فيصل على الأساس النيابي الدستوري.

٣ ـــ إبقاء المؤتمر منعقداً لمراقبة أعمال الحكومة.

وأعلن المؤتمر باسم الأمة السورية، أنه لا يعترف بأية معاهدة أو اتفاقية تتعلق بمصير البلاد، مالم يصادق عليها(٢٤).

واجتمع فيصل بالوزراء في بيته في ١٦ جوييه / تموز /، حتى يقرر الجميع الخطة الواجب اتباعها قبل انقضاء مهلة الإنذار. وكان من رأي العظمة في هذا الاجتماع، أنه توجد لدى الجيش الأعتده والذخيرة الكافية لمقاومة الفرنسيين، لمدة من الزمن وربما لدحرهم. وعندما طلب منه الوزراء تقديم بيان خطي عن الأسلحة، أجابهم قائلاً «ألا تثقون بكلامي وأنا زميلكم المسؤول عن أمور الجيش». لكن العظمة

← ذهبوا إلى مئذنة الشحم (حي في دمشق)، حيث كان يجتمع الحزب الديمقراطي، وألقى القصاب كلمة تحض على الحماسة والدفاع. عدد ٣٠٦.

والجدير بالذكر أن حزب الاتحاد السوري حاول أن يلعب دوراً وسيطياً بين فيصل وفرنسا، رغم اعتراضه على تقسيم سورية، حسب الانتداب، فأرسل رسالة إلى الحكومة الفرنسية في ٢٩ جوان / حزيران /، بتوقيع حبيب لطف الله، جاء فيها أن السوريين يحبون فرنسا كوطن ثانٍ، وقد رفع العرب لواء الحرب مع الحلفاء ضد الترك، وليس فيصل رجل انكلترا، وهذه دعاية لا صحة لها، فهو يريد التعاون مع فرنسا، لاعلاء شأن سورية، وأنه سوف يعتمد فعلياً على حزب الاتحاد السوري، ذلك الحزب الذي يريد وحدة الوطن، والاستقلال، والاتفاق مع الحلفاء «والأكثر بالطبع مع فرنسا التي نحبها».

D.F.Aff, Etr. Levant. 30, P.237.

وأرسل الكولونيل كوس، تقريراً عن نشاط الحركة الوطنية في دمشق، فذكر أن الناس فيها ذاهبون عائدون إلى بيت فيصل، وكان القول السائد، أن العالم مع سورية، وسوف تتحمل فرنسا مسؤوليتها أمام التاريخ، بهجومها على سورية، وأن الجنود السود المسلمين لا يذبحون إخوانهم في الدين، وأن المواطنين الأتراك أجبروا فرنسا على إخلاء كيليكيا «فلماذا لا نحصل على نفس النتيجة».

D.F.G. Levant, 4B3 (13 Juil).

(٢٤) قدري، ص ٢٤١.

اضطر إلى دعوة قادة الجيش، لتقديم بيان عن الموجود من الأسلحة والذخيرة، وتضمن البيان أن العتاد الحربي لا يزيد عن مئتين وسبعين طلقة لكل بندقية، وثمانين قنبلة لكل مدفع من المدافع السبعين، وأنها لا تكفي لمعركة صغيرة، لكنهم (القادة) أبدوا استعدادهم للقتال عندما يؤمرون بذلك[٢٥]. وحضر ياسين الهاشمي الاجتماع، بناء على طلب فيصل، لأنه كان رئيس الشورى العسكرية. وكان من رأيه أيضاً أنه لايمكن الصمود لأكثر من خمس دقائق، نظراً لضعف الجيش الذي لم يزود بالسلاح منذ كان مسؤولاً عنه، بينما زادت القوات الفرنسية أضعافاً مضاعفة[٢٦]. وصدمت هذه الحقيقة فيصلاً الذي كان من المفروض أن يعرف قوة الجيش، وهو الملك والقائد الأعلى. ومال أكثر لقبول الإنذار، ووافقه الوزراء إلا يوسف العظمة الذي ظل مصراً على القتال. وحاول فيصل أن يقنع العظمة، بوجوب تأييد زملائه الوزراء، بقبول الانذار، فرفض واستقال من الحكومة. وتأزم الموقف، وقدر فيصل ما سوف يحدث في دمشق، لو بقي العظمة مصراً على استقالته. ولذلك أخذه بالعواطف وقال له «إنك يا يوسف تحرج مركزنا بعملك إلى آخر حد، وتعرض البلاد للثورة والفوضى، فمن حقي عليك، وحق الوطن، أن تضحي بشخصك، وتخرجنا من هذا المأزق، بموافقتك على رأي الوزارة». وعندها قبل العظمة[٢٧].

وبقي أمام فيصل أخذ موافقة المؤتمر السوري على قبول الإنذار. فدعا أعضاء المؤتمر للاجتماع به في بيته، وشرح لهم الوضع الخطير وضعف الجيش، وسألهم رأيهم في أحد أمرين، إما المجازفة بمصير البلاد في حالة حرب أمام جيش قوي، وإما المسالمة؟

---

(٢٥) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٨١.

(٢٦) قال ساطع الحصري انه كان على علم بقوة الجيش، من الهاشمي نفسه قبل الاجتماع، وكان أيضاً قد قابل مصطفى نعمة، أحد قادة الجيش، وسأله رأيه في قوة الجيش، فأجابه «نحن نحارب عندما نؤمر بالحرب، دون أن نفكر إذا كنا سنكسب المعركة أو نخسرها. فسأله الحصري عن العتاد فقال: الحق ليس لدينا مقدار كاف منه، ولكن الله سبحانه وتعالى قد يسهل علينا الأمر، ويقدر لنا الاستيلاء على عتاد العدو في أول صدام، وعندئذ نحاربه بالعتاد الذي نأخذه منه، كما حدث في حروب طرابلس الغرب» يوم ميسلون ص ١٠٩.

(٢٧) داغر، ص ١٣٨، ويقول داغر أن العظمة خرج دامع العينين بعد موافقته على الإنذار.

وتبين أن الأعضاء مختلفون في رأيهم ، فالفلسطينيون وسكان الساحل ، رفضوا الإنذار ، لأنه سواء عليهم احتلت سورية أم لم تحتل ، فإن مناطقهم محتلة ، أما سكان دمشق وسورية الداخلية ، فكانوا ميالين إلى قبول الانذار . وخرج النواب من قصر فيصل دون الوصول إلى نتيجة(٢٨) .

وعندها عقد فيصل اجتماعاً آخر لمجلس الوزراء في ١٨ جوييه / تموز / برئاسته ، وقرروا قبول الانذار بالاجماع ، ووقع فيصل على البرقية بقبول الانذار إلى غورو ، وحضر الكولونيل (تولا) التوقيع ، وقد نصح فيصلاً بقبول الانذار ، لأن غورو برأيه يرغب في دخول دمشق دخول الظافرين(٢٩) ، كما كان لنصيحة اللنبي لفيصل بقبول الإنذار أثر في اتخاذه(٣٠) . ورجا فيصل غورو كي يؤخر احتلاله لحلب ، مدة (٤٨ ساعة) .

وفي صباح اليوم التالي (١٩ جوييه / تموز /) ، تلقى فيصل جواباً من غورو ، يشكره لقبوله الانذار ، لكنه ذكره بأن الغاية هي تنفيذه قبل ٣١ منه ، ولذلك فقد مدد مهلة تحرك الجيش الفرنسي ، حتى الواحد والعشرين منه ، إذا لم يتم تنفيذ الإنذار بكامله(٣١) .

ولدى علم أعضاء المؤتمر ، بموافقة الوزارة على الإنذار ، ثاروا وعقدوا اجتماعاً في ١٩ جوييه / تموز / ، وطلبوا من الحكومة تقديم إيضاح عما حدث . فاعتذرت الحكومة ، وزاد هياج الأعضاء ، مما اضطر رئيس الوزراء ووزير الدفاع للحضور . وتلا عليهم العظمة قرار الملك بتأجيل انعقاد المؤتمر لمدة شهرين ، بعد أن فشل في إلزامه

(٢٨) دروزة ، ص١٢٨ والحكيم ، العهد الفيصلي ، ١٨٢ ، وقدري ، ص٢٤٢ ــ ٢٤٣ . وانظر أيضاً المنار ، مجلد ٢٢ ، ج١٠ ، ٣١ اكتوبر / تشرين الأول / ص٧٩٢ ــ ٧٩٤ .

(٢٩) قدري ، ص٢٤٤ ــ ٢٤٥ ، و D.F.G. Levant. 8B2, tel, No 1447.

(٣٠) أرسل فيصل نوري السعيد وعادل ارسلان ، لأخذ رأي اللنبي بخصوص الإنذار ، فنصح بأن يقبله فيصل . وكان من رأي عادل أرسلان رفض الإنذار ، لأنه كان يعتقد أن الانكليز سيغيرون موقفهم ، إذا دامت الحرب أسبوعين . داغر ، ص١٣٨ . والحكيم ، العهد الفيصلي ، ١٨٢ .

(٣١) الحصري ، يوم ميسلون ، ص٢٩٣ ، و D.F.G. Ibid.

بقبول الانذار . فضج الأعضاء وهموا بالخطابة، فطلب منهم عندئذ العظمة وجوب الانصراف ، فانصرفوا امتثالاً للأوامر(٣٢) ، وكان العظمة قوي التأثير في تلك الفترة ، واستفاد منه فيصل بالتخلص من معارضة المؤتمر ، وبقي فيصل والوزارة هم المسؤولين رسمياً عما يجري .

واجتمعت الوزارة في ٢٠ جوييه / تموز / برئاسة الملك لاتخاذ قرار بتنفيذ إنذار غورو ، ووقع فيصل برقية إلى غورو ، واشترك تولا بترجمتها ، وهي تفيد قبول الحكومة والملك ببدء تنفيذ الإنذار . وأرسلت البرقية قبل ست ساعات من نهاية مهلة الإنذار ، كما سلمت المذكرة التفصيلية بذلك إلى الكولونيل كوس . وجاء في خاتمة المذكرة « ولن يطول الوقت ، حتى تدرك حكومة الجمهورية ، أن هذه الأزمة الشديدة التي اجتزناها ، لم تكن سوى نتيجة سوء تفاهم واسع النطاق ، بين الشعب السوري الذي قاتل جنباً إلى جنب مع الحلفاء ، وضحى في سبيلهم »(٣٣) .

وكان أول عمل قامت به الحكومة تنفيذاً لإنذار غورو ، هو تسريح الجيش في ١٩ منه ، وإرجاع القطعات العسكرية من (مجدل عنجر) إلى دمشق ، حتى تسرح أيضاً(٣٤) . وبلغ اليأس بالعظمة أن أصدر أمراً بالتسريح ، دون أن يفكر بالتدابير الاحتياطية ، التي يجب اتخاذها في مثل هذه الحالات . ولذلك خرج الجنود من ثكناتهم بعد أن تلقوا الأوامر بتسريحهم ، ومعهم أسلحتهم . واختلطوا بالجماهير المحتشدة الغاضبة من قبول الحكومة بالإنذار ، وملأت الإشاعات الأسماع ، بأن الحكومة اعتقلت الشيخ كامل القصاب ، لأنه قاومها ورفض تسليم البلاد للفرنسيين ، واتجهت الجموع نحو قلعة

---

(٣٢) المنار ، مجلد ٢٣ ، ج ٤ ، ٢٧ أبريل / نيسان / ١٩٢٢ ، ص٣١٦ــ٣١٧ .

(٣٣) نفس المصدر .

(٣٤) بدأ انسحاب القوات من مجدل عنجر عبر وادي الحرير ... بعد أن قرأ قائد الفرقة الأولى على الجند ، قرار التسريح . وكان الوضع محزناً بالغ السوء ، كما وصفه بعض العسكريين الذين عاشوا تلك الأحداث ... وأدرك كل جندي وضابط ، أن أيامه في الجيش أصبحت معدودة ، وتركت الأسلحة والذخائر على طول الطريق ، وفي مستودعات مجدل عنجر والمصنع ، لعدم توفر وسائط النقل . ووقعت بسهولة في يد العدو . قاسمية ص٢٤٢ .

دمشق، لإطلاق سراح القصاب من هناك كما ادعت الاشاعات، فاحتلوها وأطلقوا سراح المساجين، وبدأ النهب في المدينة، ولم تستطع قوات الشرطة صد الغوغاء عن المخازن، مما اضطر فيصل أن يرسل قوة بأمرة أخيه زيد وياسين الهاشمي، واصطدمت هذه القوة بالجماهير وسقط فيها كثير من القتلى[٣٥].

وكان بعض المتظاهرين يهتفون بسقوط فيصل وحكومته، ويتهمونهما بالتآمر مع الفرنسيين، وسبوا فيصلاً وأباه، واتهموهما بالخيانة، وكان لفريق من الأحزاب الوطنية، دور في إثارة الرأي العام ضد فيصل[٣٦]. ووصلت الأخبار إلى مسامع فيصل، فتألم كثيراً وكان يقول لخاصته في القصر «أهذه هي مكافأتي على جهودي، التي طالما بذلتها في سبيل بلادي؟ فأهدد بالقتل وأوصم بوصمات، يعلم الله أني بريء منها. ألا ليت زعماء المتظاهرين الآن، كانوا قد أصغوا إلى نصائحي واتبعوها، مهتمين بإعداد المعدات للدفاع والكفاح، إذن لما تورطنا في موقفنا الحرج، ولما انتهينا إلى هذه العاقبة الأليمة»[٣٧].

والحقيقة أن هذا الموقف الصعب، كان نتيجة سياسة فيصل والحكومة، فلا هي سياسة مع الفرنسيين ولا هي ضدهم، ولا هي مع الوطنيين ولا هي ضدهم، ولذلك كانت النقمة عليها من كلا الجانبين.

شروط جديدة لغورو

وكانت ثالثة الأثافي، أن وصلت الأخبار إلى دمشق، بتقدم الجيش الفرنسي في

---

(٣٥) الهاشمي، ص ٦١ ــ ٦٢، وداغر، ص ١٤٠ ــ ١٤١. يذكر الهاشمي أن عدد القتلى بلغ ٢٥. بينما يذكر داغر أنهم أكثر من مائتين، ويذكر رضا أنهم بين ٥٠ ــ ٧٥. المنار، مجلد ٢١، ج ٦، ص ٤٦٨ ــ ٤٧٠. وانظر الكنانة عدد ٣٠٩، ١٨ جوييه / تموز /.

(٣٦) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٩٣. كتبت الكنانة مقالاً في ٢٠ جوييه / تموز / عدد ٣١٠، تهاجم الحكومة لقبول الإنذار قائلة «ليفهموا إن كانوا بشراً، ابكوا مثل النساء، ملكاً لم تحافظوا عليه، مثل الرجال».

(٣٧) قدري، ص ٢٤٩، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ١٩٠، الحصري، يوم ميسلون، ص ١١٣، والمنار، مجلد ٢١، ج ٦، ص ٤٧١.

٢١ منه نحو دمشق، بعد انسحاب الجيش العربي. وثارت أعصاب الجميع وبقي فيصل محافظاً على هدوئه. فاستوضح من كوس عن الخبر، فأنكر علمه وأبدى استغرابه(٣٨).

ونزل الملك والحكومة عند رأي العظمة، وأوقف تسريح الجيش، وأعيد المنسحب إلى مراكز جديدة مقابل الجيش الفرنسي. وأرسل فيصل برقية إلى غورو لسحب جيشه بسرعة، بعد أن نفذ كل ماجاء في الإنذار. وأرسل البرقية أيضاً، إلى الكولونيل البريطاني ايستون، وإلى قناصل الدول في دمشق، لإبلاغ حكوماتهم(٣٩).

وكانت حجة غورو في تقدم جيشه، أن البرقية التي أرسلها فيصل عن تنفيذ الإنذار لم تصل، بسبب انقطاع أسلاك البرق، من قبل العصابات السورية، ولذا فإن سورية الآن تجني ثمار ما فعلت. وأبلغ غورو فيصلاً عن طريق كوس أيضاً، أن الجيش الفرنسي سيواصل تقدمه نحو حلب ودمشق، لاحتلال محطات السكك الحديدية، وحلب نفسها. فإذا لم يلق مقاومة، وانسحب الجيش الشريفي، فلن يدخل دمشق، وكان هذا في ٢٢ منه(٤٠).

---

(٣٨) قدري، ص٢٤٩.

كان غورو قد وزع بوساطة الطائرات مناشير في ٢٠ منه، موجهة إلى السوريين يسألهم لماذا يحاربون فرنسا؟ وأوضح لهم فيها عن نيات فرنسا الطيبة، لمساعدة سورية تحت الانتداب، الذي ليس هو استعمار، كما يقول خصوم فرنسا، وذكر لهم عن سوء علاقة حكومة دمشق بفرنسا، وعدد من ماطلبه من فيصل بإنذاره، ووعدهم وتوعدهم في الوقت نفسه. وانظر صورة لهذا المنشور في الملحق.

D.F.Aff. Etr. 31.P.211.

كما وزع منشوراً آخر إلى اللبنانيين في نفس الوقت، يعتبر الذين وقفوا منهم ضد فرنسا خونة أرادوا تشويه تاريخ البلاد، ثم يمجد فرنسا وتصريحاتها عن حرية واستقلال وسيادة لبنان. **Ibid, P.212.**

(٣٩) نفس المصدر، ٢٤٩ ـــ ٢٥٠. جاء في برقية فيصل «... ولقد دهشت حينما علمت أن جيوشكم تزحف إلى دمشق، برغم قبولي جميع الشروط الواردة في الانذار بلا قيد ولا شرط، مما يعد انتهاكاً للعهود المقطوعة، وخرقاً للحقوق الخاصة، وللروح الأدبي العام. فكل نتيجة تنجم عن هذا العمل الغريب، تقع على مسببها، واطلب منكم في الختام اتخاذ التدابير اللازمة لسحب جيوشكم بسرعة».

(٤٠) قدري، ص ٢٥٠، والحكيم، والعهد الفيصلي، ص١٨٤.

و **D.F.G. Ibid, tel No 1467-1470 (22 Juil).**

وكانت هذه الخطوة الثانية في خطة غورو العسكرية، للتقرب من دمشق أكثر ما يمكن دون قتال، لأن المنطقة التي أنسحب منها الجيش العربي، منطقة استراتيجية لا يمكن اختراقها إلا من وادي الحرير، الذي احتلته الآن الجيوش الفرنسية. وبالتأكيد كانت تتكبد فيها خسائر جسيمة حتى تحتلها. وكانت حجته عن قطع الأسلاك باطلة، لأن الأسلاك في الواقع لم تقطع، وإن الضابط الفرنسي المسؤول عن استلام البرقية، تأخر عن استلامها عن سابق عمد. وظهر هذا في محاكمة حسن الحكيم مدير البريد في ذلك الوقت، وتبرئته من تأخير إرسال البرقية، بعد أن أثبت أنها أرسلت قبل انتهاء مدة الانذار.

وقد حاول علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء في عهد الانتداب، وجميل الإلشي وزير الدفاع، إثبات تأخير البرقية، حتى يبررا دخول فرنسا بالقوة إلى سورية، وعدم نكوث غورو بوعده لفيصل(٤١).

وأن غورو الذي وصفه أحد الكتاب بخشونة الطبع والذي لم يخفف من ذلك فقده لذراعه في الدردنيل لم يقبل تأجيل زحف جيشه بسبب تأخير وصول البرقية لمدة نصف ساعة(٤٢).

ورغم كل ما حدث، كان فيصل والحكومة العربية يأملان بأن يقف غورو عند حد، وطلب منه فيصل أن يوقف جيشه، حتى يرسل أحد مندوبيه للتفاهم معه حقناً للدماء، وقرر الوزراء برئاسة فيصل، إرسال ساطع الحصري لهذه المهمة، ثم أردف بجميل الإلشي بناء على طلب الوزراء. لكن فيصلاً طلب من الحصري، أن لا يسمح للإلشي أن يخلو بغورو. وكان شكه في محله، إذ كان الإلشي يسأل على طول الطريق عن عدد القوات العربية أمام تولا، برغم تحذير الحصري له باللغة التركية، حتى لا يفهم تولا حقيقة هذه القوات(٤٣). وكان ذلك في ليل ٢٢ منه أيضاً.

(٤١) حسن الحكيم، مذكراتي، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٥ ــ ٢٩.
(٤٢) Yale, P.339.
(٤٣) الحصري، يوم ميسلون، ص ١١٥ ــ ١١٧.

وجرى حوار طويل بين غورو والحصري، كانت حجة غورو فيه عن زحف الجيش الفرنسي، هي تأخر وصول البرقية نصف ساعة، وبما أن الجيش الفرنسي تحرك فلا يستطيع برأيه التوقف، إلا في نقطة جديدة آمنة. وأظهر غورو عدم ثقته بالمسؤولين في دمشق، ولهذا طلب ضمانات جديدة، ما هي في حقيقتها إلا تعجيزاً لفيصل والحكومة العربية، من جهة واقتراباً من دمشق بدون قتال بالنسبة للفرنسيين، من جهة أخرى. أما هذه الضمانات الجديدة فتتلخص، في أن تنشر الحكومة العربية في دمشق بياناً يبرر زحف الجيش الفرنسي، وأن يبقى الجيش الفرنسي في مكانه الجديد، حتى تنفذ الضمانات الجديدة، وأن يستعمل الجيش سكة جديد الزبداني ــ دمشق، وأن تتراجع القوات «الشريفية» نحو دمشق، وأن تقطع الحكومة العربية مساعداتها عن رجال العصابات، وأن يسلم الجنود المسرحون أسلحتهم إلى المستودعات، وينزع السلاح من الأهالي، وأن تعين في دمشق بعثة عسكرية فرنسية، تشرف على تنفيذ الشروط التي قبلتها الحكومة وأن تدرس طرق تطبيق الانتداب الفرنسي كتنظيم تسيير الوزارات والإدارات، وتتألف لجنة تحت إمرة الكولونيل كوس تضم، الفروع العسكرية والإدارية والاقتصادية والعدلية والمعارف العامة...

»وفي حالة عدم تنفيذ مادة من هذه المواد، أو في حالة خصومة على الجيش الفرنسي في أي مكان، تسترد الحملة حريتها المطلقة في الحركات»(٤٤). لكن حقيقة تأخير وصول البرقية نصف ساعة، ظهرت الآن بعد فتح الوثائق الفرنسية التي تدل على أنها، كانت حجة من غورو لا صحة لها، لأن غورو نفسه أرسل برقية رقم ١٤٧٧ ــ الساعة ١٣ من يوم ٢٣ جوييه / تموز / أي بعد مقابلة الحصري ــ إلى وزارة الحربية الفرنسية يقول فيها بأن القوات الفرنسية تزحف إلى دمشق، رغم قبول الحكومة الشريفية بكل الشروط التي وضعها غورو ــ كما أن غورو في البرقية التالية رقم ١٤٧٨، التي أرسلها مع الأولى ذكر قدوم وزير شريفي إليه (ساطع الحصري ولم يذكر غورو اسمه)، برفقة الكولونيل تولا، وهذا يعني أنه عرف بقبول الإنذار قبل قدوم

(٤٤) نفس المصدر، ص ١٢٥ ــ ١٢٧. و D.F.G. Ibid, No 1429/3(22 Juil).

الحصري إليه، وجرى بينهما الحوار الذي ذكره الحصري أيضاً، لكن لم يكن في برقية غورو أي ذكر لتأخير إرسال الجواب نصف ساعة وإن كان جواب غورو يذكر عدم ثقته بحكومة دمشق، وطلب الشروط الجديدة التي ذكرناها أيضاً(٤٤ب). وإن مذكرة ميلران إلى غورو ــ سنذكرها بعد قليل ــ في ٢٤ جوييه / تموز / بوجوب إنهاء حكم فيصل ودخول دمشق، تكشف بطلان حجة غورو ــ التي لم تحدث بالفعل ــ سواء وصل الجواب في حينه أم لم يصل. وقد أظهر فيها ميلران رفضه لتوقف غورو، وأمره بالزحف واحتلال دمشق.

رفض شروط غورو الجديدة

استمعت الوزارة برئاسة فيصل إلى شروط غورو الجديدة، من الحصري يوم ٢٣ جوييه / تموز /، وتم الاتفاق على تشكيل وزارة عسكرية نظراً لحراجة الموقف. فاستدعى فيصل رضا الركابي، وكلفه بتشكيل وزارة جديدة فاعتذر، «لأن الحالة برأيه أصبحت وخيمة العاقبة، نتيجة للتهور الذي سلكه الشبان المهووسون، فعليهم أن يتولوا الحكم ويتحملوا تبعة ما بدأوه»(٤٥). لكنه وضع نفسه بصفته عسكرياً تحت تصرف فيصل للقتال في أي مكان. وساد الوجوم، ثم استدعى فيصل ياسين الهاشمي، وكلفه بتأليف الوزارة، فاعتذر أيضاً ووضع نفسه تحت تصرف فيصل كالركابي. فانفجر العظمة غضباً عليه، لأنه أفشى أسرار الجيش حتى أضعف الروح المعنوية، فرد الهاشمي بأنه فعل ذلك، حتى لا تساق البلاد إلى حرب خاسرة، وحمل من أتى بعده مسؤولية ضعف الجيش. لكن فيصلاً حمله المسؤولية أيضاً، لأنه لم يعتن بالجيش مدة (١٠ أشهر). وإذا كان الركابي منسجماً في موقفه هذا مع اعتداله السابق، فلم يكن الهاشمي كذلك، لأن حجته بوجوب احتمال النصر كمبرر للحرب باطله، فإنه نفسه قد حارب إلى آخر لحظة مع الأتراك، وهو يعلم أنهم لن ينتصروا. أما العظمة فقد

(٤٤ب) D.F.G. Levant 1919-32, No 3670 (operations contre Faycal) (عمليات ضد فيصل) teles No: ,1477-1480. (23 Juil). وانظر صورة هذه الوثيقة في الملحق.

(٤٥) يذكر الشهبندر أن الركابي كان يعني العظمة بنظراته له عندما قال الشبان، أو بتعبير الشهبندر «هؤلاء الأولاد سيهوروننا». المقتطف ٨٣٠٣، ٢٩٣٣، ص ٢٦٤ وفيه مقال للشهبندر عن «فيصل بن الحسين».

تقدم بحماسة من فيصل وأبدى استعداده للدفاع عن الوطن، إذا أولاه الثقة. عندئذ عينه نائباً للقائد العام للقوات السورية (الذي هو فيصل)، وبقيت الوزارة[٤٦].

وبينما كانت هذه المذكراة جارية، كانت تجري بين شباب اللجنة الوطنية وبعض أعضاء المؤتمر، مشاورات لمبايعة زيد ملكاً على سورية، بدلاً من فيصل «المتفق مع الفرنسيين»، وانتخبوا ستة أشخاص أتوا إلى قصر فيصل، وقابلهم فوراً. وطلبوا منه وجوب الدفاع مهما كانت الظروف. إلا أن أحدهم أضاف «يا صاحب الجلالة، إن الأمة لا ترضى عن التفاهم مع الفرنسيين، وستحاسب المسؤولين عنه حساباً قاسياً». فغضب غضباً شديداً، وقال بصوت عال سمعه الوزراء في الغرف الأخرى «أنا لا أهدد، أنا أقدر منكم على خدمة بلادي التي هي بلادكم، أتريدون الحرب مع دولة قوية، وليس لديكم قوة تقف في وجهها». فانسحبوا وخرجوا من القصر، وبعد فترة قصيرة، سمعت أصوات الجماهير قادمة نحو القصر، تهتف ضد فيصل والحكومة، فأمر فيصل بصدهم بحرسه الحجازيين والبدو، ولم يحدث اصطدام بين الطرفين[٤٧]. وبينما كانت الوزارة، مجتمعة برئاسة فيصل، لترد على ضمانات غورو الجديدة، إذ بالكولونيل كوس يدخل ويبلغهم برقية من غورو، بأن الجيش الفرنسي سيتقدم حتى ميسلون، لنقص الماء في مكان تجمعه وتبقى الشروط الأخرى كما هي[٤٨]. فأيقن فيصل والحكومة، أن

---

(٤٦) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٢ــ١٩٣. يذكر الحصري أنه كان في النية تكليف الهاشمي بتأليف الوزراء قبل ٢٠ جوييه / تموز /، لتقبل الوزارة الجديدة شروط الانذار، إلا أن الهاشمي استشار الفرنسيين الذين أصبحوا أصحاب الكلمة في سورية عن ذلك. ولما لم يتوصل إلى النتيجة التي يرغب بها، اعتذر عن تأليف الوزارة. يوم ميسلون، ص ١١١ــ١١٢. انظر أيضاً المنار، مجلد ٢٣، ٢٧ أبريل / نيسان / ١٩٢٢، ص٣١٦ــ٣١٧.

(٤٧) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٢ــ١٩٤. يذكر الحصري في مذكراته «يوم ميسلون» ص١١٣، أن حادثة المتظاهرين أمام القصر، حدثت قبل سفر الحصري إلى غورو لا بعده، كما ذكر الحكيم، ويقول الحصري بأن الوزراء بقوا في القصر حتى بعد منتصف الليل، يهدئون من ثائرة الملك فيصل وألمه من هذه الحادثة.

(٤٨) نفس المصدر، ص١٤٠، والعهد الفيصلي، ص١٩٤، وقدري، ص٢٥٨. و D.F.Aff, Etr. Levant. 31/25 Juil. P.177.

غورو لن يقف حتى يدخل دمشق، ويظهر واضحاً أن غورو بطلبه الجديد، كان يحاول قطع المنطقة الصعبة الأخيرة، لأنه عندما يصل إلى ميسلون، تصبح دمشق مكشوفة أمامه. وهذا ما عبر عنه غورو في برقية له إلى وزارة الحربية، يوم ٢٤ منه الساعة ٢٢، أي بعد نهاية معركة ميسلون، قال فيها أنه حدثت معركة شديدة للاستيلاء على مضيق طوله ٨ كيلومترات، يفصل الجيش الفرنسي عن خان ميسلون(٤٨ب). وهذا ما كان يود غورو الوصول إليه دون حرب.

وقد أتى يقين فيصل والحكومة متأخراً، بعد أن سمحا لغورو بترددهما وتخاذلهما، الانتقال من البقاع إلى مجدل عنجر، ومن هذه إلى التكية، ومنها إلى ميسلون، حيث كان يمكن لقوة قليلة أن تدافع دفاعاً مجدياً في هذه الأماكن الصعبة.

إعلان الجهاد ضد الفرنسيين

وأرسلت الحكومة برئاسة فيصل استغاثة إلى الدول واجتمع الحصري بالقناصل الأجانب في دمشق(٤٩)، إذ لم يعد بمقدور فيصل أن يعمل شيئاً أمام الخطر المحقق. وكانت المظاهرات ماتزال تملأ دمشق، بتأثير اللجان الوطنية، مطالبة بوجوب الدفاع مهما كان. وعندها نزل فيصل عند إرادة الشعب، وأعلن الجهاد ضد الفرنسيين، وعلى الأثر انقلب الغليان إلى الدعاء له، والمناداة بحياته، وإلى حماسة وطنية جامحة. ودخل القصاب على فيصل وقال له «مادمت أعلنت الدفاع، فإني أعدك بتجنيد عشرة آلاف رجل مع بنادقهم». وبدأ الناس يزحفون باتجاه (دُمَّر) على طريق ميسلون(٥٠).

وفي مساء ٢٣ جويليه / تموز /، حضر كوس لأخذ جواب الحكومة على ضمانات غورو، فلم يجده جاهزاً، فكتب بنفسه ورقتين في إحداهما القبول، وفي

(٤٨ب) D.F.G. Levant. N-3670, tel No1493.

(٤٩) استنكر قنصل اسبانيا وإيطاليا موقف غورو، أما قنصل الولايات المتحدة، فقال بأن حكومته لا تتدخل، بينما أكد قنصل إيران قول الفرنسيين، بأن العصابات السورية هي التي قطعت أسلاك البرق. الحصري، يوم ميسلون، ص ١٤١ ــ ١٤٣.

(٥٠) نفس المصدر، ص١٤٣، والحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٦.

الأخرى الرفض، وطلب توقيع إحداهما. إلا أن فيصلاً والحكومة وجدا من الأفضل إرسال رد آخر إلى غورو، وهو استعدادهم لتنفيذ انذاره المؤرخ في ١٤ جوييه / تموز / الذي نفذ منه ٤ بنود، والوعد بتنفيذ الباقي بإخلاص، إذا ما جلا الجيش الفرنسي عن مواقعه الجديدة(٥١). ثم أصدر فيصل منشوراً يحض الناس على الدفاع قال في آخره «فإلى معاضدة هؤلاء الأبطال، الذين يعرضون مهجهم للدفاع عن الوطن المقدس، ندعو كل فرد من أفراد الأمة، إلى السير إلى الأمام، حيث الشرف والمجد والدين والوطن»(٥٢). ثم زار وزارة الدفاع، وخطب في جمهور المتطوعين، وكان فيهم الزعماء ورؤساء الأحزاب. ثم صلى الجمعة في الجامع الأموي وحث الناس فيه على الجهاد لحماية الدين والوطن(٥٣). وكانت هذه آخر محاولة لانقاذ سمعته، واستعادة مكانته بين الجماهير. كما أصدرت الحكومة والقيادة العامة للجيش، بيانين للدفاع عن الوطن. ونبهت القيادة ألا يخاف الناس من الطائرات، لأنه لا هي، ولا المدافع، ولا البنادق، تقضي على آمال الأمة(٥٤).

هذا ما كان يحدث في دمشق، أما في بقية سورية، فكان الموقف مختلفاً، لأن فيصلاً والحكومة لم يهتما بها لانشغالهما بدمشق. وكان الموقف في حلب وحمص بعيداً عن تأثير فيصل والحكومة، وواقعاً تحت تأثير القادة المحليين. فرفض (يحيى حياتي) قائد القوات السورية في حمص وحماه، تسريح الجيش وهاجمت وحدة من هذه القوات (تل كلخ) التي أحتج عليها غورو في ٢٢ جوييه / تموز / ١٩٢٠(٥٥). واعتبرها خرقاً لشروطه الثانية، مما أحله منها لدخول دمشق(٥٦).

(٥١) قدري، ص٢٥٩.

(٥٢) السفرجلاني، ص٢٤٥، وأمين سعيد، ج٢، ص١٩٣.

(٥٣) ذكر محب الدين الخطيب، أن فيصلاً صعد المنبر وخطب قائلاً «اردت أن أرد عنكم زحف جيش الأعداء باجابة مطالبهم فلم يرتدوا... فان كنتم بحاجة إلى بلدكم، فاخرجوا للدفاع عنه». قاسمية، ص٢٤٣. والمنار، مجلد ٢١، ج٦، ص٤٦٨ ــ ٤٧٠.

(٥٤) السفرجلاني، ص٢٤٨ ــ ٢٤٩، وأمين سعيد ج٢، ص١٩٣، والريحاني ملوك العرب، ج١، ص٣٢٨.

(٥٥) قدري، ص٢٤٦، وانظر Lyautey, P.201. و D.F.G. Levant. 8B2. No 1445/6 (24 Juil).

(٥٦) Ibid, No 1477.

أما حلب فقد صدرت إليها الأوامر متناقضة، مرة بالمقاومة وجمع المتطوعين، ومرة بالتسليم وعدم المقاومة، حسب ردود فعل فيصل والحكومة على تصرفات غورو. ولهذا عقد محافظ حلب كامل القدسي (وهو عسكري) مجلساً مع أعيان المدينة، ورأى الجميع أن المقاومة تضر المدينة، فضلاً عن أنها لا تؤدي الغرض المطلوب منها، ولذا قرروا التسليم. وألقت الطائرات الفرنسية مناشير باللغة العربية تطمئن الناس على حياتهم ووظائفهم، وتحذرهم من الضرر البالغ في حالة المقاومة. ودخل الجيش الفرنسي حلب في ٢٣ جوييه / تموز /، آتياً من مكان تحشده في جرابلس بقيادة الجنراك (دولا موط) دون قتال[٥٧].

أما في دمشق ليلة ٢٣ جوييه / تموز /، فقد كان فيصل والوزراء في القصر موزعين بين الغرف، يستعرضون ما حدث وما يمكن أن يحدث، وكان يوسف العظمة يبدو ممتقع الوجه. وكلمه رشيد رضا، ولامه على ادعائه بقدرة الجيش العربي على مقاومة الفرنسيين، بينما تبين العكس باعتراف العظمة نفسه. فأجابه العظمة بأنه مذنب ويتحمل تبعة عمله، وقال «كدت البارحة انتحر من الغم فلا تزد علي»[٥٨].

---

(٥٧) الغزي، ص٧٤٦—٧٤٨ وجاء في وثائق حلب في ٢٢ جوييه / تموز / أنه اجتمع أعيان المسلمين والمسيحيين في درك العزيزية في حلب، بحضور الشريف ناصر قائد الفرقة العربية، وقرروا عزل الوالي ومدير الشرطة، وتأمين الأهالي على حياتهم، وأرسلوا المعتمدين من قبلهم إلى الجنرال دولا موط المقيم في المسلمية، يسلمون إليه البلاد بغير حرب وقام محمد اسماعيل بك، قائد الفرقة الثالثة، ورؤوف بك قائد الجندرمة بتأمين أحياء المسيحيين من الاعتداء، وإعادة الأمن. ص١١٦. وانظر D.F.G. Levant,9N-3670 No32.
جاء في مذكرات مخطوطة لابراهيم الشغوري عن ثورة ابراهيم هنانو، أنه الأخير تلقى من زيد في ٢٥ جوييه / تموز /، برقية من حماه يقول فيها «داوموا على أعمالكم السابقة، ولا تصغوا لأوامر حلب» وقد فهم منها، أن ثورة ستقوم ضد الفرنسيين في دمشق، لكن لم يحدث شيء، القسم الخاص رقم ٢٠/٢٠ مركز الوثائق التاريخية بدمشق، ص٦٧.
وكتب أيضاً يوسف السعدون في مذكراته المخطوطة عن حلب فقال «إن صبحي بركات جهز ٧٥٠ مجاهداً في ١٨ جوييه / تموز / ١٩٢٠ للدفاع عن حلب، لكن القوات الفرنسية دخلتها دون قتال، مع أنه كان فيها جيش منظم، ومستودعات للأسلحة والذخيرة مما خلفه الأتراك وانتهبها الأهلون، حتى لم يبق بيت دون سلاح. وقد دخل الفرنسيون آمنين مطمئنين، وختم كلامه «قاتل الله الخونة وأهل النفوس الصغيرة الذين يخونون دينهم وأمتهم وبلادهم» القسم الخاص، مركز الوثائق التاريخية بدمشق رقم ٢١.
(٥٨) المنار، مجلد ٢١، ج٦. جوان / حزيران / ١٩٢١، ص٤٧١.

وكذلك قال لداغر وهو دامع العين «كان الفوز مكفولاً لنا، فأضعته بيدي، وإني أعرف ما يجب علي وسأقوم بواجبي، ولست آسفاً على نفسي، بل أسفي على الأمة التي ستظل سنوات كثيرة أو قليلة، هدفاً لكل أنواع المحن والمصائب، وإني مطمئن إلى مستقبل الأمة، لما رأيته وخبرته بنفسي، من قوة الحياة الكامنه فيها، وواثق من عطف أصدقائي على طفلتي، فسأذهب مستريح البال، مطمئن القلب في طريق الواجب المفروض علي»(٥٩). ثم انتحى جانباً بالحصري وأوصاه بابنته (باللغة التركية). وكانت زوجته وابنته قد وصلتا من تركيا قبل أسبوعين(٦٠).

ثم دخل إلى غرفة فيصل وجرى بينهما الحوار التالي:

العظمة: أتيت أتلقى أوامر جلالتكم.

فيصل: بارك الله فيك، إذن أنت مسافر لميسلون.

العظمة: نعم يا مولاي، إذا كنتم لا تودون قبول الانذار الأخير.

فيصل: ولماذا كنت تصر على الدفاع بشدة.

العظمة: لأنني لم أكن أعتقد، بأن الفرنسيين يتمكنون من دوس جميع الحقوق الدولية والإنسانية، ويقدمون على احتلال دمشق. وكنت أتظاهر بمناورة للمقابلة بالمثل.

فيصل: وهل يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم؟

العظمة: إذن فهل يأذن لي جلالة الملك أن أموت؟

فيصل: بعد أن انتهت الأمور إلى هذا الحد، يجب علينا أن نموت جميعاً، وننقذ البلاد من حرب أهلية أيضاً.

---

(٥٩) داغر، ص١٤٢.

(٦٠) يروي الحصري أن فيصلاً ظل يرسل ٢٠ ديناراً شهرياً لليلى ابنة العظمة بوساطته حتى وفاة فيصل. توفيت ابنة يوسف العظمة ليلى فقيرة عمياء في تركيا، عند زوج أمها بمرض السل، وقد تقدم المجاهدون إلى المجلس النيابي سنة ١٩٥٦ لاعطاء راتب أبيها إليها لكنها سبقتهم بالموت. جريدة صوت العرب رقم ٥٥٥، ٢٢ ففريه / شباط / ١٩٥٦، بين أوراق نزيه المؤيد العظم رقم ٨٤/٨٤، في دمشق مركز الوثائق التاريخية.

العظمة : إذن فأنا أترك ابنتي الوحيدة أمانة لدى جلالتكم[٦١] .

وسلم وخرج. ثم ذهب لبيته، ولبس ملابسه الرسمية العسكرية، وودع زوجته وابنته، وخرج بالسيارة، ومر أمام القصر، وتابع سيره إلى ميسلون.

أما القصاب الذي وعد بتطويع عشرة آلاف رجل مع بنادقهم، والذي كان يقيم الدنيا ويقعدها على فيصل، بوجوب الدفاع، ورفض كل اتفاق مع الفرنسيين، فقد أتى إلى القصر حاملاً بطرف عباءته، عدة مئات من طلقات الرصاص المختلفة، وقال لفيصل «خذ ما تبرع به الشعب» فضحك الهاشمي وقال: أبمثل هذه الطلقات يدخل القصاب الحرب.... وقدم القصاب أيضاً (٣٠٠) ليرة ذهبية لقدري لشراء الأسلحة[٦٢] .

معركة ميسلون

اختلفت المصادر العربية والفرنسية عن عدد القوات العربية التي اشتركت في معركة ميسلون. واختلف الضباط العرب أنفسهم، الذين اشتركوا في المعركة بعددها، فيذكر (جميل البرهاني) أنها كانت (٢٣٠٠) رجل أغلبهم مجندون، بينما يذكرها تحسين الفقير بـ (٦٧٤) من الجند النظاميين[٦٣] . ويذكر فيصل في مذكرته إلى لويد جورج التي أرسلها من إيطاليا بتاريخ ١١ سبتمبر / أيلول /، بأن عدد المتطوعين كان (٢٠٠٠) من السوريين، مع مئتين من البدو، اشتركوا في معركة ميسلون[٦٤] . ويذكر

(٦١) روى هذا الحوار قدري عن الضابط ياسين الجابي مرافق العظمة الذي حضر المقابلة بين فيصل والعظمة، قدري، ص ٢٦١ ــ ٢٦٢.

في مقابلة مع فريد البديوي في ربيع ١٩٧٨، ذكر أن يوسف العظمة بعد ذهابه إلى بيته بعد قبول الحكومة لإنذار غورو، صوب المسدس إلى رأسه يريد الانتحار، فدخلت ابنته ليلى الصغيرة، فتوقف عن تنفيذ الانتحار. تحدث بهذا بالتلفون باللغة الألمانية إلى ابن خالته العقيد شريف الحجار قائد الشعبة الثالثة في قيادة الجيش العربي وهذا روى الخبر إلى البديوي.

(٦٢) الحصري، يوم ميسلون، ص١٤٣.

(٦٣) احسان هندي، معركة ميسلون، دمشق، ١٩٦٧، ص١٣٩.

(٦٤) سامي الشمعة، مذكرات فيصل عن القضية السورية، دمشق، بلا تا، ص٤٦. وانظر زين، الصراع، ص٢٦٥.

الريحاني أن العظمة خرج بـ (٤٠٠٠) جندي و (١٠٠) هجان ، وتبعهم جيش من الأهالي والعربان ما بين ٤ ــ ٥ آلاف[٦٥] . ويذكر قدري أنه عندما ذهب لميسلون ، لم يجد أكثر من ألف متطوع مسلحين بأسلحة مختلفة ينقصها العتاد[٦٦] . أما الحصري فلم يذكر عدداً إلا أنه ، كان قليلاً برأيه إذ قال « بعد أن علمت ما علمت من أحوال جيشنا وما شاهدت من عدد الجيوش الفرنسية ... إن كل ما أمكن جمعه من الجنود والعدد ، ما كان يصمد أكثر من بضع ساعات »[٦٧] . أما الحكيم فلم يذكر أيضاً عدداً بل قال « كانت قوى الفريقين غير متكافئة في العدد والعدة »[٦٨] . وما قدر زين زين الذي بحث الموضوع العدد . أما الجنرال غوابيه Goybet قائد الحملة الفرنسية ، فذكر أنه لا يمكن معرفة عدد الجيش العربي بالضبط لانعدام الوثائق[٦٩] .

وقدر (إحسان هندي) بدراسة له عن معركة ميسلون أن العدد (٣٠٠٠) تقريباً ، بين مدني وعسكري ، وضمت الوحدات التالية « بقية فرقة المشاة الأولى بقيادة تحسين الفقير ، وتضم بقية اللواء بقيادة حسن الهندي ، الذي لم يعد يتألف إلا من فوجين . ومن اللواء الثاني بقيادة توفيق العاقل ، وأصبح يتألف من فوج واحد فقط معزز . بالمدفعية . وثلاثة بطاريات ونصف مدفعية ، بقيادة أحمد صدقي الكيلاني ، وبطارية صحراوية . وبطارية ونصف ، مدافع جبلية (٦ مدافع سريعة) وبطارية صحراوية ، من لواء درعا ونصف بطارية مدفعية ، ومدفع انكليزي واحد ، وأربع سرايا ، ومفرزتين . والمتطوعين المدنيين وعلى رأسهم (٢٧٢) من الميدان في دمشق ، و

(٦٥) الريحاني ، ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٦٦) قدري ، ص ٢٥١ .

(٦٧) الحصري ، يوم ميسلون ، ص ١٦١ .

(٦٨) الحكيم ، العهد الفيصلي ، ص ١٩٧ .

(٦٩) جاء في مجلة عسكرية فرنسية « ان القوات العربية كانت تتألف من عدة آلاف من الجنود النظاميين ، من جميع الصفوف ، ممن تخرجوا من استانبول وحاربوا في صفوف الترك والألمان ، وآلاف من غير النظاميين وخاصة البدو المتعصبين .. » . Revue des Troupes du Levant, No5, Janvier, 1937, P.22.
أما التقرير الرسمي الفرنسي عن القوات العربية فقد ذكر « كانت قوة العرب تقدر بفرقة مشاة وبطاريتي مدفعية من عيار/١٠٥/ مع ٢٥ رشاشاً ... وهناك بطاريات مدفعية خلف الخطوط الأولى » .
Le Liver d'Or des Toupes de Levant, 1918, 1936, P.64.

(١٥٠) من دوما بجانب دمشق. ولم تضم القوات السورية دبابات أو طائرات أو ناقلات أو تجهيزات ثقيلة، وكانت البنادق من مختلف الصنوف (عثمانية، فرنسية، انكليزية، ألمانية). وكانت الذخيرة لا تطابق هذه الأسلحة، مما جعلها عديمة الفائدة وخاصة مع المتطوعين»[٧٠].

أما القوات الفرنسية التي اشتركت في معركة ميسلون، فقد بلغ عددها تسعة آلاف جندي بقيادة الجنرال (غوابيه)، ويعاونه الكولونيل (بتيلا) رئيس أركان جيش الشرق الفرنسي. وتألفت القوة الفرنسية من (اللواء السنغالي واللواء الثاني، وكتيبة الصباهيين الفرسان، وكوكبتين من كتيبة الخيالة الأولى، ووحدات مدفعية تتألف من بطارية ثقيلة عيار (١٥٥)، وأربع بطاريات عيار (٧٥)، وبطاريتين ونصف عيار (٦٥). وست سرايا ودبابات، وسرية هندسة، وأربع سيارات (رشاشات)، وكتيبة سيارات نقل (١٠٠ سيارة)، وأربع أسراب طائرات[٧١] أما غورو فقد ذكر أن القوات الفرنسية كانت تتألف بالاجمال من ١٠ ألوية، وسبع سرايا (كواكب) فرسان، وسبع بطاريات مدفعية، وكتيبة دبابات، ولم يذكر عدد الجنود[٧٢].

اعتمد العظمة على خطة دفاعية هجومية، ألقاها شفاهاً على الضباط صباح ٢٣ جوييه / تموز /. وكان قلب قواته متمركزاً على محور الوادي لمنع تقدم الفرنسيين.

---

(٧٠) هندي المعركة، ص١٤١ ــ ١٤٤.

(٧١) Revue de Troupes du Levant, No5. P.23-26. وانظر برقية غورو عن اشتراك هذه القوات.

D.F.G. Levant 8B2 tele No 1446.

يذكر النشاشيبي، ص٣٧٣، أن مجموع القوات الفرنسية التي حشدها غورو «في سورية» ٩٠ ألفاً، وربما يعني كل القوات الفرنسية في لبنان. إن القوات الفرنسية التي حشدت على الحدود، واشتركت في ميسلون، لم تكن إلا جزءاً قليلاً من مجموع القوات الفرنسية في لبنان، والذي بلغ عددها ٧٥ ألفاً حسب رواية القنصل الايطالي في دمشق لأحمد قدري، ص٢٤٠، وقد ذكر أحد الكولونيلات الفرنسيين، بأن الجيش الفرنسي كان يتألف في لبنان من ٦٠ ألف جندي و ١٢٠ مدفعاً عيار ٧٥، و ١٢ مدفعاً عيار ١٥٠، وخمسين دبابة، وأربعين مصفحة، و ١٥٠ طائرة. انظر الخباز، ص٣٢. بينما كان الجيش العربي الذي اشترك في ميسلون يؤلف معظم القوات السورية.

(٧٢) Lyautey, P.201.

وكانت مهمة الجناح الأيسر الدفاع ضد الجناح الأيمن الفرنسي، وإذا أمكن، فالالتفاف من ورائه، والهجوم على مركز القيادة الفرنسية، في الخلف في جديدة يابوس. أما الجناح الأيمن فلم يعمل شيئاً، لأنه لم يأخذ أماكنه ما بين ميسلون والزبداني حتى انتهت المعركة. واختيرت أماكن الجيش العربي بدقة شهد بها الضباط الفرنسيون الذين حضروا المعركة. وقال عنها غوابيه «أن العظمة خصم لا يستهان به، عرف كيف يختار مكان دفاعه وحصنه أحسن تحصين. وكان يعتقد أن المعركة ستكون شديدة»[٧٣]. وذكر لي حديثاً أحد ضباط الجيش السوري، أن بعض كبار الضباط الروس الذين يشرفون على تدريب الجيش السوري، في المنطقة التي جرت فيها معركة ميسلون شهدوا بأنه لا يمكن لقائد حتى في هذه الأيام، أن ينظم الدفاع عنها خيراً مما فعله العظمة.

بدأت المعركة في صباح ٢٤ جوييه / تموز / ــ في ميسلون[٧٤] ــ وبدأها الفرنسيون بالهجوم بالدبابات والمشاة. وصمدت القوات العربية حتى نفذت الذخيرة. وتقدمت القوات الفرنسية، ولم تعقها الألغام، وكان العظمة يعول كثيراً عليها، واقتربت القوات الفرنسية كثيراً من القلب، حتى شاهد أحد رماة الدبابات الفرنسية العظمة وقد لمعت شاراته الصفراء من وهج الشمس، (لأنه كان يرتدي لباس المراسم)، وهو يهم بالانتقال إلى جانب مدفع لإصلاحه، فأطلق عليه النار وأصابه برأسه وصدره، وسقط قتيلاً، وكان ذلك حوالي العاشرة والنصف[٧٥]. وبذلك انهارت مقاومة القلب بعد انتشار خبر مقتله، أما الجناح الأيسر فقد صمد ولم يتمكن الفرنسيون من دحره، حتى استعملوا الحيلة، وأرسلوا خمسين رجلاً من قرية (حلوى) المجاورة، وخدعوا ضباط الجناح الأيسر واشتركوا معهم في هجوم على الفرنسيين، وفي منتصف المعركة انسحب هؤلاء إلى خلف الجناح الأيسر، وأصلوه ناراً، وكان الفرنسيون يهاجمونه من الأمام، حتى قضي على مقاومته. وانسحب البقية بعد سماع مقتل العظمة.

(٧٣) جريدة ألف باء، دمشق، عدد ٩، ١٠ سبتمبر / أيلول / ١٩٢٠.

(٧٤) Lyautey, P.201.

(٧٥) مقابلة شخصية مع صبحي العمري في صيف ١٩٧٠ وكان أحد ضباط الميسرة وقد روى الضباط والجنود له مقتل العظمة.

وذكر Lammense أن يوسف العظمة قد أصيب برشقة على مركز قيادته P.262.

لكنهم أعدموا كثيراً من الذين خانوهم بعد الانسحاب من المعركة[٧٦]. وأجهز الفرنسيون على الجرحى بالسلاح الأبيض ويذكر كرد علي أن أحد الضباط السنغاليين، أقسم بالله أن الجنود السود لم يقتلوا عربياً واحداً[٧٧] وكانت القيادة قد وزعت منشوراً في الجبهة للمغاربة والجزائريين والمسلمين، أن لا يقاتلوا إخوانهم العرب المسلمين[٧٨].

أما الجناح الأيمن فكما ذكرنا لم يشترك بالمعركة، لتأخره ولسطو عصابة (الشماط) من سكان سرغايا قرب الزبداني على أسلحته، مما اضطر جنوده للانسحاب ليلاً بأنفسهم[٧٩].

وفشلت الجهود في إقامة خط دفاعي آخر، لقلة الجنود والمؤن، وعدم وجود تحصينات جاهزة، ولهجوم عصابات الأهالي في المنطقة على الجنود المنسحبين وسلبهم أسلحتهم[٨٠]. وتحليق الطائرات الفرنسية على ارتفاع منخفض منهم. ولهذا تابع الضباط والجنود العرب انسحابهم حتى دمشق.

---

(٧٦) مقابلة شخصية مع صبحي العمري في صيف ١٩٧٠، وقد قاتل في الجناح نفسه السفرجلاني، ص٢٦٧ — ٢٧١. هندي كفاح، ص١٥٩ — ١٦١.

(٧٧) كرد علي خطط الشام، ج٣، ص١٨١ — ١٨٢. يذكر (هندي) أن السنغاليين قد ذبحوا الجرحى بالسلاح الأبيض. كفاح ص١٦١.

(٧٨) جاء في منشور «إلى اخواننا أهل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، رزقكم الله الهداية ...» ويحض المنشور هؤلاء للفرار من الفرنسيين والقدوم إلى السوريين، الذين هم اخوانهم في الدين. من أوراق محب الدين الخطيب، انظر الملحق.

(٧٩) السفرجلاني، ص٢٦٧ — ٢٧١. هندي، كفاح، ص١٧١.

(٨٠) يذكر السفرجلاني «ثم صار أهالي القرى يتعدون على متفرقات الجنود، وكانوا يسلبون الضباط والجنود مالديهم من السلاح والعتاد والدراهم. ومن يتلكأ يقتل بلا شفقة ولا هوادة... ولعبت عصابة حسين الشماط في الزبداني، دوراً قذراً آخر، ضد الجيش السوري واعتدائه على الجنود السوريين وسلبهم وقتلهم.. ولعب خائن اسمه أبو داؤود، صاحب حلوى، دوراً قذراً في اتفاقه مع الفرنسيين وخداعه للسوريين... وسعى بعض وجوه دمشق وأعيانها، إلى اذكاء نار الفتنة والعصيان، فشكلوا عصابات قطعت الهاتف عن دمشق والجبهة، حتى صارت دمشق والجبهة معزولتان». ص٢٦٧ — ٢٧١.

خان نوري الشعلان ولم يرسل رجاله للحرب، كما اتفق مع فيصل، وجهز رجاله لسلب سرية القاوقجي، والجيش العربي بعد انهزامه، لكن القاوقجي أصلاهم ناراً حامية، وقتل عدداً كبيراً منهم، ثم إن ابنه نواف، كان على رأس فرسانه لدى استقبال غورو، وقد استبدل العلم العربي بفرنسي، وكان فرسانه أولئك ممن ذهبوا لميسلون. مذكرات القاوقجي، ص٦٩ — ٧١.

وقد أتى وصف قصير لهذه المعركة في كتاب Gouraud على لسانه «أرسل الجنرال غورو الكولونيل (بتيلا) رئيس أركان جيش الشرق، ومعه أمر بالزحف إلى دمشق، لتسليمه إلى الجنرال (غوابيه) الذي قاد المعركة في ذلك النهار. وحدثت معركة خطيرة في صبيحة ٢٤ جوييه / تموز /، على طول وادي خان ميسلون، وفي التاسعة والنصف اقتلعنا العدو من مواقعه بالحراب. وانتهت المعركة حوالي الساعة الحادية عشرة، بهروب الجيش الشريفي، وقد ترك على أرض المعركة (١٥) مدفعاً و (٤٠) رشاشاً، وكميات كبيرة من الذخيرة، وجنرالاً قديماً متخرجاً من أكاديمية كريغ، هو يوسف العظمة بك، الذي مات جندياً بشجاعة في أرض المعركة»(٨١). لكن تقرير غورو عن المعركة في اليوم نفسه ٢٤ تموز الساعة ٢٢ الذي ذكرناه، يذكر أن الفرنسيين وجدوا على أرض المعركة ٩ مدافع، و ٢٥ رشاشاً، وكمية كبيرة من الذخيرة، وعدداً من العربات، ومواد أخرى كثيرة، ووجد يوسف بك العظمة وزير الحرب الشريفي قتيلاً في المعركة.

ولم أجد في كل التقارير الفرنسية ذكراً للجملة التي شاعت، عن موت يوسف العظمة «مات بشجاعة». وذكر غورو في تقريره المذكور، أن المعركة حامية دامت ثماني ساعات، وكان استعمال المدفعية يكاد يكون مستحيلاً في الأرض الوعرة، لكن الدبابات والطائرات والرشاشات، قصفت وكأنها في معركة من الحرب العالمية، وكان لها الدور الكبير في النصر. وانتهت المعركة الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، بهزيمة الأعداء الذين خسروا خسارة كبيرة»(٨٢).

وإذا كان من الصعب أن نطلق اسم معركة حقيقية على ما حدث في ميسلون، نظراً للفرق الكبير بين القوتين، فإن يوسف العظمة الذي كان يعلم بالنتيجة مسبقاً، أراد أن لا يدخل الفرنسيون دمشق إلا بقتال مشرف للعرب. ومن الصدف أن يكون

---

(٨١) Lyautay, P.202.

(٨٢) D.F.G. Levant, No 3670, tel, No 1446/6.

العظمة وزير الدفاع، هو الضابط الوحيد بين قتلى ميسلون. إذ لم يرد اسم ضابط قتيل آخر، نتيجة المعركة في كل المصادر التي تحدثت عنها.

وكما ذكر غورو أن المعركة كانت خطيرة، فقد صدر بلاغ فرنسي رسمي في بيروت في نفس اليوم، يصف المعركة بأنها «دامت ثماني ساعات على مضيق طوله ٨ كيلومترات. وان الدبابات والطائرات قامت بالضرب بشكل باهر، كما وقع في أعظم المعارك في الحرب الكبرى، وإن المعركة انتهت في الساعة (١٣ والنصف)، واندحرت فيها القوات الشريفية، وتركت وراءها (٩) مدافع و (٢٥) رشاشاً، وكمية كبيرة من الذخيرة وعتاداً حربياً وافراً»[٨٣].

أما الخسائر فقد اختلفت فيها المصادر أيضاً بالنسبة للطرفين. فقد حددها القنصل البريطاني في بيروت بألفين بين قتيل وجريح ومفقود، بالنسبة للسوريين، و(٨٠٠) بالنسبة للفرنسيين[٨٤] ويذكر فيصل في مذكرته إلى كرزون في ٢٧ جوييه / تموز /، أن الفرنسيين «أقاموا مجزرة استعملوا فيها كل أدوات الحرب الحديثة والدبابات والطائرات وزهقوا أرواح ١٥٠٠ رجل»[٨٥]، ويحددها هندي بناء على آراء القادة السوريين بـ (٤٠٠) قتيل وأسر ١٢٥ ـــ ١٥٠ شخصاً[٨٦]. أما المصادر الفرنسية، كما جاء في كتاب «الكتاب الذهبي لجيش الشرق»، فتذكر أن عدد القتلى الفرنسيين بلغ (٤٢) قتيلاً و(١٥٢) جريحاً منهم ضابطان و (١٤) مفقوداً[٨٧]، ويذكر (غوابيه) في مذكراته، أن عدد القتلى الفرنسيين بلغ (٥٢) قتيلاً والجرحى (٢٠٠) منهم ثلاثة ضباط. وذكر غورو في تقريره السابق، بأن خسائر الفرنسيين كانت ١٤٥ رجلاً[٨٨].

---

(٨٣) Zeine, The Struggle, P.183. انظر الحصري، يوم ميسلون، ص ٣٢٤.

(٨٤) F.O.371/5036/ P.5.

(٨٥) السفرجلاني، ص ٢٨٧.

(٨٦) هندي، كفاح، ص ١٧٦.

(٨٧) L'Livre d'or des Troupes du Levant, P.68.

(٨٨) Revue des Troupes du Levant, No5, P.32. et D.F.G. tel 1446/6.

ويرى القادمون على طريق بيروت ــ دمشق ضريح يوسف العظمة في ميسلون، في المكان الذي قتل فيه على بعد بضعة أمتار من الطريق. وقد سمح الفرنسيون لزوجته بعد دفنه، أن تكتب على قبره، وعلى لوحة خشبية العبارة التالية «هذا وزير حربية الحكومة الشريفية، مات جندياً بشجاعة»(٨٩).

انتقال فيصل إلى الكسوة

كان فيصل ينتظر أخبار المعركة في قرية (الهامة) بين دمشق وميسلون. وعندما علم بمقتل العظمة وهزيمة الجيش العربي، انتقل إلى (الكسوة) وهي بلدة تبعد ٩ كيلومترات جنوب دمشق، مع أفرادِ الحكومة، ماعدا الدروبي والخوري اللذين تخلفا للتفاهم مع الفرنسيين(٩٠). ولعله اختار الكسوة لأنها تقع في الطرف البعيد عن الجيش الفرنسي، ولأنها تؤدي إلى فلسطين والحجاز.

وسافر إلى الكسوة كذلك، أكثر من خمسين رجلاً من الجمعيات الوطنية، على رأسهم القصاب والشهبندر. ولم ينتظروا فيها مع فيصل، بل تابعوا إلى فلسطين(٩١) خوفاً من الفرنسيين. وكان من المفروض أن يبقوا إلى جانب فيصل، وفاء

(٨٩) السفرجلاني، ص٢٧٨. نشر حسن الحكيم (رئيس وزراء في سورية) مقالاً في جريدة الأيام سنة ١٩٥٧ عن معركة ميسلون جمع فيه أقوال بعض القادة في يوسف العظمة، فكتب «قال فيصل عن يوسف العظمة بأنه سيكون له شأن كبير بين الرجال، وسيمثل على مسرح السياسة دوراً خطيراً. وقال عنه المارشال ماكنزن الألماني قائد جبهة رومانيا في الحرب العالمية الأولى، حيث كان العظمة يشغل منصب رئيس أركان حرب الفيلق العثماني في هذه الجبهة: ما كان يخطر ببالي أن يكون في الجيش العثماني مثل يوسف العظمة. وقال كاظم أورباي أكبر ركن من أركان الحرب في جيش تركيا الحديثة، عندما أتى إلى دمشق بدعوة من حسني الزعيم: إن الشهيد يوسف العظمة كان أعظم ركن حرب في الدولة العثمانية، وأنه كان الفائز الأول في صفه أيام الدراسة العسكرية، بينما كان هو الثاني، وأنه نال النوط الذهبي مكافأة له على تفوقه في حين لم ينل هو إلا النوط الفضي. وقال الجنرال غورو للملك فيصل عنه بالرغم من معاكسته له أيام كان معتمداً للحكومة العربية في بيروت: تمسكوا بيوسف بكلتا يديكم فهو وحيد في الأمة العربية. وقال الجنرال غوابيه قائد حملة ميسلون الفرنسي في كتاب له «إن الخطط والتعبئة التي أقرها وزير الحربية يوسف العظمة، لم أجد لها مثيلاً، إلا في الحرب بين فرنسا وألمانيا». عدد ٦١٧٢، ٢٤ جوييه / تموز /.

(٩٠) قدري، ص٢٦٥، الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٨.

(٩١) قدري، ص٢٦٥، الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٨.

له أولاً، ولاستمرار الحرب ضد الفرنسيين في حوران ثانياً، ولم يكن لاسراعهم بمغادرة البلاد بعيداً من المعركة، مبرر كوطنيين، وكانت لهم اليد الطولى فيما حدث لسورية، وتقع عليهم مسؤولية جسيمة بذلك. ولم يفعل رشيد رضا مثلهم، بل بقي ينتظر على الأقل تحرك ضمير العالم ضد تجاوز الفرنسيين حقوق البلاد(٩٢).

وكانت الحكومة قد قررت نشر بيان على الشعب، قبل رحيلها من دمشق، تعلن مواصلة الدفاع عن استقلال البلاد وكلفت الدروبي بنشره. لكنه لم يفعل، لأنه كان من مؤيدي التعاون مع الفرنسيين، كما ظهر فعلاً بعد ذلك(٩٣). لكن رحيل الوطنيين، وموقف ياسين الهاشمي في تجريد القوات المنسحبة من أسلحتها(٩٤)، لم يدلا على نية استمرار الدفاع. بل كانا يدلان على اعتبار معركة ميسلون هي الفاصلة، ولا أمل في الحرب بعد ذلك.

وبالرغم من كل ما حدث، ظل فيصل يتوهم إمكان التفاهم مع الفرنسيين، ولذلك أرسل نوري السعيد الذي عينه محافظاً لدمشق، ليتصل بالكولونيل كوس حتى يعرف نوايا الفرنسيين النهائية. كما أن كوس طلب ألا يبتعد فيصل كثيراً حتى يمكن الاتصال به(٩٥).

أما في دمشق نفسها ــ في أثناء معركة ميسلون ــ فقد كانت تسير فيها مظاهرة كبيرة تهتف هتافات وطنية مثيرة، ويتقدمها بعض الشيوخ، وعلى رأسهم تاج الدين الحسيني، الذي أصبح رئيس دولة سورية أيام الفرنسيين فيما بعد، وعندما علموا نتيجة المعركة تفرق الجميع، ولم يبق أثر لأحد استسلاماً للمصير المحتوم(٩٦).

(٩٢) قدري، ص ٢٦٥.

(٩٣) نفس المصدر، والحصري، يوم ميسلون، ص ١٤٨.

(٩٤) كان ياسين الهاشمي واقفاً في الشارع أمام باب الثكنة على طريق بيروت، يأمر القوات المنسحبة بإدخال أسلحتها إلى الثكنة. وكأنه كان يجمعها حتى يتسلمها الفرنسيون بسهولة.

(٩٥) قدري، ص ٢٦٤.

(٩٦) نفس المصدر، ص ٢٦٤.

وبعد ظهر ٢٤ جوييه / تموز / أبلغ نوري السعيد الجنرال (غوابيه)، أن دمشق «مدينة مفتوحة» حتى يتفاهم مع الفرنسيين، كما أوصاه فيصل، إلا أن غوابيه فرض شروطاً أخرى وهي: تقديم التموين اللازم للجيش الفرنسي وإلى المستشفيات، ودخول القوات العسكرية الفرنسية دمشق والقيام، باستعراض فيها، فقبل نوري السعيد بها، وأبلغه أن بإمكان الجيش الفرنسي دخول دمشق في أي وقت شاء(٩٧). ويذكر غورو في تقريره أن كولونيلاً شريفياً برفقة الكولونيل كوس أتى إلى معسكر غوابيه، وأعلن باسم الحكومة الشريفية أنه لن تحدث أية مقاومة حتى دمشق، وأن المدينة ستؤمن المواد التموينية للجيش الفرنسي، حتى يعود الخط الحديدي صالحاً للعمل. «وسوف تدخل القوات الفرنسية دمشق غداً»(٩٨).

ودخلت القوات الفرنسية ما بين الساعة الخامسة والسادسة من مساء ٢٥ جوييه / تموز /، يتقدمها غوابيه على حصان أبيض، ووراءه الكولونيل بتيلا، وجرى استعراض الجيش الفرنسي في شوارع دمشق الرئيسية(٩٩).

وادعى غوابيه، أن الشعب السوري لم يكن غاضباً من الفرنسيين، عندما دخلوا دمشق ولم تحدث أية بادرة معادية، وكانت الوجوه تتطلع بفضول أكثر مما تتطلع بحقد(١٠٠). لكن الحقيقة أن دمشق كانت في حزن عميق، فأسواقها مقفلة، ووجوه الذين خرجوا إلى الشوارع عابسة واجمة، وبدت دمشق مقفرة، حتى لا يرى الناس ذل التجبر الفرنسي باستعراض قواتهم في دمشق. وقد وصفت الكاتبة الفرنسية V. De. Saint Point دخول غوابيه فقالت «وفي اليوم التالي دخل الجنرال غوابيه دمشق، وكان

---

(٩٧) هندي كفاح، ص١٩٢.

(٩٨) تقرير غورو السابق رقم ١٤٤٦/٦.

(٩٩) Revue des Troupes du Levant No5, P.33.

(١٠٠) Ibid. وانظر تقرير غورو في ٢٦ جوييه / تموز / رقم ١٦٤٠ إلى وزارة الخارجية الفرنسية. ورقم ١٥٠١/٢ إلى وزارة الحربية، وجاء فيه الوصف التالي: لقد تقدمت قواتنا في نظام بديع وسط حشد كبير. وتمركزت في معسكر تحت جدران المدينة، واحتلت دون حوادث المحطات الحديدية والأبنية العامة.
D.F.G Levant, 7N-3670.

الصمت مطبقاً في الشوارع، بينما كان السوريون يبكون استقلالهم المذبوح»[١٠١].

أما في الكسوة، فقد وصلها فيصل بالسيارة بعد وصول القطار الذي حمل الوطنيين، وكانت سيارته خالية من أي مظهر رسمي، وبدت على وجهه علائم الإعياء والحزن. وعندما مر ذكر يوسف العظمة اغرورقت عيناه بالدموع. واتخذ إحدى عربات القطار مقاماً له[١٠٢].

وانقسم من بقي من الوطنيين في الكسوة إلى فريقين، وفيهم الوزراء الأربعة (هاشم الأتاسي وساطع الحصري ويوسف الحكيم وجلال زهدي). الفريق الأول وهم السوريون، وكانوا يفضلون عودة فيصل إلى دمشق للتفاهم مع الفرنسيين، حتى لا يبتعدوا عن بلادهم، فإن قبل الفرنسيون كان به، وإلا يغادر فيصل إلى أوروبا للدفاع عن سورية، بصفته الحاكم الشرعي. والفريق الثاني، وهم العراقيون وكانوا لا يثقون بالفرنسيين ويفضلون قيام حرب في حوران ضد الفرنسيين، لأنه سواء بالنسبة لهم، ماداموا بعيدين عن بلدهم العراق، وربما تفيد الحرب قضية العراق نفسه.

واقتنع فيصل برأي الفريق السوري، وكان يود الاتفاق مع الفرنسيين على أساس اتفاقه مع كلمنصو، كما نصحه يوسف الحكيم، حتى إنه من شدة اقتناعه، نادى (جعفر): تعالى أنت ورفاقك واسمعوا كلام يوسف، لكن العراقيين لم يقتنعوا[١٠٣].

وأعاد فيصل على أسماع هؤلاء قصته كلها، وأبدى رأيه الصريح في كل ما حدث في سورية ولهذا فهو لا يلوم (أصدقاءه) من الأجانب في تقلباتهم السياسية، لأنهم كانوا يفتشون عن مصالحهم، وأن بريطانيا تخلت عنه في منتصف الطريق، برغم رغبتها في الاتفاق مع الفرنسيين. ولم يلم الشعب لموقفه المتطرف ضد الفرنسيين بل لام المتهورين الذين ضللوه وقادوه إلى الخراب والدمار. وامتدح وجهاء سورية وتبصرهم

(١٠١) Saint Point. V. De, La Veritè sur la Syrie Paris, 1926, P.23.

(١٠٢) الحكيم، العهد الفيصلي، ص١٩٩.

(١٠٣) نفس المصدر، ص٢٠١.

بالأمور، لكنهم لقلتهم لم يجرؤوا على رفع صوتهم. وكان فيصل يفضل التفاهم مع الفرنسيين على قاعدة «خذ وطالب». واعترف فيصل أن تنازله عن الوحدة العربية إلى الوحدة السورية، ومنها إلى الانتداب، كان ناتجاً عن ضغط السياسة الدولية. وبرر رفضه لفرنسا الذي جره إلى النهاية، بأنه كان بإيعاز من بريطانيا نفسها(١٠٤). وإذن فهو يشترك بالمسؤولية، عما حدث مع المتطرفين.

وشجعت فيصلاً على العودة إلى دمشق برقية من نوري السعيد مساء (٢٥) جوييه / تموز /، تتضمن اتفاقه مع الفرنسيين على أن يبقوا خارج دمشق، وأن تعلن الحكومة السورية أن ما حدث كان رغماً عنها(١٠٥). وكانت غاية فرنسا، أن تحصل من الحكومة السورية على اعتراف بعدم مقاومتها، تحسباً للمستقبل. كما جاء رسول من عند (إحسان الجابري) كبير أمناء فيصل، يحثه على العودة بناء على رأي قنصل إيطاليا، حتى يكون موقفه أقوى في أوروبا باعتباره شرعياً لم يخرج من البلاد هرباً، وحتى يقطع الطريق على بعض وجهاء دمشق، الذين كانوا يعملون على الاستغناء عنه، بالاتفاق مع الفرنسيين، وكانوا يوقعون لذلك العرائض(١٠٦).

وفي الليلة نفسها قدم إحسان الجابري إلى الكسوة، يحمل قائمة بأسماء الوزارة الجديدة للتوقيع عليها من فيصل، واعتبار وزارة الأتاسي مستقيلة، وكان رئيس الوزارة الجديدة علاء الدين الدروبي، وجميل الإلشي للحربية، اللذين ظهرت نواياهما من قبل للاتفاق مع الفرنسيين. وأبلغ فيصلاً أن عودته إلى دمشق مشروطة من قبل الفرنسيين بتشكيل هذه الوزارة، التي وضعوها بالاتفاق مع الوجهاء المذكورين(١٠٧). ووصف غورو أعضاء الوزارة بأنهم من أشياع فرنسا(١٠٨).

(١٠٤) الحكيم، العهد الفيصلي، ص٢٠٢.

(١٠٥) قدري، ص٢٦٦.

(١٠٦) نفس المصدر، ص٢٦٨، يبدو أن اسم سعيد الجزائري كان مطروحاً بدلاً من فيصل، لكن كرزون رفضه لأنه معادٍ لبريطانيا. D.F.Aff. Etr, Levant 31 (27 Juil) P.189.

(١٠٧) الحكيم، العهد الفيصلي، ص٢٠٥.

(١٠٨) «Un nouveau gouvernemeut Composé de nos partisans» تقرير غورو في ٢٦ رقم ١٤٦٠ المذكور سابقاً. D.F.G. (3670).

وأتى في كتاب Gouraud أنه بعد هروب فيصل والحكومة والمؤتمر، أرسل وجهاء دمشق رسولاً إلى غورو يخبره بقبولهم كل شروطه، وأولها نزع السلاح من السكان، ودفع الغرامة الحربية. وبدأ وارجاءهم بعبارة «انتهى حكم فيصل». كما جاء في الكتاب المذكور «وتلاشت ذات صباح قوة فيصل، التي كانت لندن وباريس تتخيلانها»(١٠٩).

عودة فيصل إلى دمشق

وتردد فيصل بالتوقيع تردد الراضي ضمناً، تعلقاً بالملك، ثم وقع الوثيقة، ولم يكن يدري أن الفرنسيين أرادوا بذلك، استغلاله لآخر نقطة من وجوده الشرعي في سورية، ليقولوا له أخيراً، أخرج وهذا ما قد حدث فعلاً، إذ جمع غوابيه أعضاء الوزارة، وأبلغهم قراره بإنهاء حكم فيصل، لأنه جر البلاد إلى شفا الهاوية، وهو المسؤول عن كل الاضطرابات الدموية التي حدثت(١١٠). وكان هذا في الساعة العاشرة من صباح ٢٦ جوييه / تموز /، كما جاء في برقية غورو رقم ١٤٦٠ (١١٠ب).

أما فيصل الذي كان قد استقر في قصره، فقد علم بقرار غوابيه قبل وصول الوزراء إليه، «واعتبره مفاجئاً وانقلاباً بأذهان رجال فرنسا». لكنه بقي هادئاً، وأبلغ الوزراء الاستمرار بأعمالهم خدمة للشعب، بانتظار ما تقرره السياسة الأوروبية. ولم يكن من رأي رشيد رضا أن يعود فيصل من الكسوة، ولا من رأي نوري السعيد أيضاً. واعتبر رشيد رضا عودته من الغرائب، وحمل مسؤولية عودته لجماعة (الدكتور فلان)(١١١) ولم يذكر اسمه. وربما عنى إحسان الجابري كبير أمناء فيصل، الذي لعب دوراً بذلك.

وزيادة على البيان السابق، أرسل غوابيه بياناً إضافياً إلى رئيس الوزراء السوري،

(١٠٩) Lyautey, P.202.

(١١٠) قدري، ص ٢٦٩، الحصري، يوم ميسلون، ص ١٥١، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٢٠٨.

(١١٠ب) D.F.G.)N-3670.

(١١١) المنار، مجلد ٢١، ج ٦، ص ٤٦٨ ــ ٤٧٠.

يحمل فيصلاً مسؤولية ما حدث، ووجوب تركه الحكم، وفرض غرامة (٢٠٠) ألف ليرة ذهبية على سورية و (١٠) ملايين فرنك ومحاكمة (المجرمين) ورؤساء العصابات، ومنع التظاهرات، ونزع السلاح من الأهلين[١١٢]. فاحتج فيصل بشدة على بيان غوابيه إلى الجنرال غورو، ونفى المسؤولية عن نفسه، وتمسك بحقه الشرعي كملك للبلاد، واعتبر كل أوامر الحكومة الفرنسية عن غير طريقه، لاغية وغير شرعية، أمام عصبة الأمم. لكن غورو أرسل له في نفس اليوم ٢٧ جوييه / تموز / كتاباً مع (صديقه) تولا[١١٣]، يطلب منه فيه مغادرة البلاد، وهذا نصه «اتشرف بإبلاغ سموكم الملكي قرار حكومة الجمهورية الفرنسية، بأنها ترجو منكم أن تغادروا دمشق بأسرع ما يستطاع بسكة حديد الحجاز، مع عائلتكم وحاشيتكم. وسيكون تحت تصرفكم والذين معكم، قطار خاص يتحرك من محطة الحجاز غداً في ٢٨ جوييه / تموز /، في الساعة الخامسة صباحاً»[١١٤].

فاحتج فيصل بشدة، لأن القرار المذكور بنظره يخالف اتفاقية سايكس — بيكو، ومؤتمر سان ريمو، واتفاقه مع كلمنصو، ومعاهدة الصلح مع تركيا، واتفاق والده مع الانكليز، والمادة (٢٢) الخاصة بالانتداب، ويخالف في النهاية القوانين العامة، ومبادىء الأخلاق الدولية. ومن الغريب أن يتمسك فيصل بهذه الاتفاقات، التي رفضها والده، والعرب، كما رفضها هو أيضاً من قبل، واعتبروها مساً باستقلال العرب ووحدتهم. واحتج فيصل أيضاً على نزع لقب منحه إياه الشعب

(١١٢) الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٢٠٩.

(١١٣) في مركز قيادة غوابيه وقبل الزحف الأخير على دمشق، جرت مكالمة تلفونية بين غورو وتولا جاء فيها «أجاب تولا أنه لا يكتم ان توقيف زحفنا على دمشق، يقضي على نفوذنا المعنوي في الشرق قضاء مبرماً». مذكرات غوابيه في Revue des Troupes du Levant, No5, P.33.

(١١٤) الحصري، يوم ميسلون، ص ١٥٢، قدري ٢٧٠، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٢١٠.
D.F.Aff, Etr, Levant 31 (28 Juil) P. 259.

كتب الجركسي، بأن الفرنسيين اعتمدوا في طردهم فيصلاً، على جماعة من الشوام، زعموا أنفسهم يمثلون سورية، وطالبوا بإبعاده كي يحلوا محله تحت رعاية فرنسا، بينما فيصل لا يحقق لهم ذلك، لأنه غريب عن دمشق، وعامل انكليزي. ص ٣٦.

وجاء في كتاب تاريخ سورية «Petite Histoire» أن سقوط فيصل كان نهاية المغامرة الشريفية P.136.

السوري، وأن القوة هي التي تستطيع ذلك[115]. وفعلاً طبق الفرنسيون القوة، فأذعن فيصل دون مقاومة، ولم يغير من خطته ولو بما يتعلق بشخصه، وهي الاحتجاج ثم التنفيذ.

وأتى الأوفياء إليه يود عونه في قصره، الذي كانت تحرسه الشرطة، ووصفه رشيد رضا، برغم ما حدث بينهما من جفاء، بسبب قبول إنذار غورو، وكانت تربطه به المودة، بعد أن جلس عنده نصف ساعة فقال «أعجبني فيها صبره وأمله»[116]. أما فيصل نفسه فقد قال في هذا الموقف الحزين «ليس من شيمتي أن أعمل ما عمل الخديوي توفيق، فاتفق مع الفرنسيين واستعين بهم على كبح جماح المواطنين». وقال إنه «عندما عاين الخطر، أشار بسياسة الاعتدال، لكن لم يسمع إليه أحد، وذهب رأيه أدراج الرياح، ولكن لا بأس فقد يجعل الله من العسر يسرا»[117].

إخراج فيصل من دمشق نهائياً

غادر فيصل إلى درعا في الموعد المحدد، ورافقه ساطع الحصري من الوزراء، وعوني عبد الهادي سكرتيره الخاص، وإحسان الجابري كبير أمنائه، وتحسين قدري مرافقه، وطبيبه أحمد قدري[118].

ولم يأبه به أحد من الرسميين في درعا، حسب أوامر جميل الإلشي، وعندما احتاجت سيارات فيصل إلى (البنزين)، رفض اسماعيل الصفار البغدادي، قائد الفرقة العسكرية امدادها بالبنزين، لكنه لم يمانع من أخذه بالقوة، كما رفض من قبل، ابن عم فيصل (جميل)، محافظ درعا، استقبال الوطنيين الذين غادروا إلى حيفا[118ب].

(١١٥) الحصري، يوم ميسلون، ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢.

(١١٦) المنار، مجلد ٢١، ج٦، ص٤٦٧ ــ ٤٧٠.

(١١٧) قدري، ص٢٧٣، الحكيم، العهد الفيصلي، ص ٢١٠.

(١١٨) جيمس موريس، الملوك الهاشميون، ص٧٦. جاء في هذا المصدر أنه خرج مع فيصل أخوه زيد، و ٢٧ جندياً، و ٧٢ تابعاً، و ٢٥ سيدة، و ٢٥ جواداً، و ٧ سيارات، وعربة واحدة.

(١١٨ب) داغر، ص١٤٦.

لكن الأهالي ورجال العشائر، الذين اشتركوا في محاربة الفرنسيين في وادي (بردى)، في أثناء معركة ميسلون، تجمعوا حول قطاره الذي اتخذه مقراً له، فأكرمهم فيصل ووزع عليهم (٧٠٠٠) جنيه، وهي آخر ما كان معه[١١٩].

كانت درعا مفترق طرق مادية ومعنوية، كما يقول الحصري، فيتفرع منها ثلاثة خطوط حديدية. أحدهما لدمشق وقد أصبح ممنوعاً، والثاني للحجاز عن طريق عمان، التي هي جزء من سورية، وهو يعني بقاء فيصل في سورية واتصاله بالحجاز، والثالث إلى الغرب، إلى فلسطين، ومن ثم لأوروبا، حيث يمكن القيام بعمل سياسي فيها[١٢٠]. وتضاربت آراء من حوله على اتباع أحد الاثنين، فمن قائل بالمقاومة في حوران، نظراً لاستعداد أهلها للثورة، ومن قائل بعدم جدوى الثورة، إذا لم يؤيدها الانكليز. ولذلك أرسل فيصل عادل أرسلان، وجعفر العسكري، للاتصال بصموئيل واللنبي. لكن الفرنسيين لم يمهلوه، فأرسل علاء الدين الدروبي، برقية لفيصل يرجوه متابعة السفر وعدم التوقف بدرعا. وفي نفس اليوم ٢٩ جوييه / تموز /، ألقت الطائرات الفرنسية مناشير على سكان حوران، تنذرهم بالشر إذا لم يخرجوا فيصلاً من أرضهم خلال عشر ساعات، لأنه بدأ يخادعهم، وقرر فيصل عندها السفر في الأول من أوت / آب /. وأبلغه الدروبي مرة أخرى، بأن السلطة الفرنسية ستكون حرة التصرف، إذا تأخر عن الموعد الذي حدده[١٢١].

وبقي فيصل على رأيه الدائم بالعمل السياسي، والابتعاد عن الثورة والمقاومة العنيفة، فاختار خط حيفا، وبذلك اختار ملاحقة بريطانيا، عله يحصل على شيء من جديد. وكان في المحطة في درعا يردد أبياتاً من الشعر أحدها:

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد[١٢٢]

(١١٩) قدري، ص٢٧٣.
(١٢٠) الحصري، يوم ميسلون، ص١٥٣ ــ ١٥٤.
(١٢١) نفس المصدر، ص١٥٤ ــ ١٥٦. و D.F.Aff. Etr, Levant.32, 2 Aout, P.8.
(١٢٢) داغر، ص١٤٩.

وغادر درعا في أول أوت / آب / ١٩٢٠، وبذا يكون قد أمضى في سورية سنة واحدة وعشرة أشهر، هي عمر الدولة العربية، أو ما عرف بالعهد الفيصلي.

والآن ماذا كان موقف الحكومة الفرنسية من كل هذه الأحداث، التي انتهت بدخول القوات الفرنسية إلى دمشق، وبقية المناطق الأخرى، والتي كان الجنرال غورو هو القائد والمنفذ لها، والذي أنهى أيضاً حكم فيصل، وهل كان عمله هذا من تلقاء نفسه، دون الرجوع إلى حكومته أو إعلامها بما يفعل، كما ذكر بعض الدارسين لهذا الأمر؟

الحقيقة أن الحكومة الفرنسية، كانت على علم بكل خطوات الجنرال غورو، الذي كان يرسل في برقياته كل ما يقوم به، ويتلقى تعليمات ميلران رئيس الوزراء وينفذها.

وفي ٧ جوييه / تموز /، تلقى غورو كتاباً «سرياً» من رئيس أركان الجيش الفرنسي، يخبره فيه أن الحكومة الفرنسية قد أعطته (لغورو)، التوجيهات السياسية والعسكرية لتنفيذ ما قدرته الحكومة بشكل حتمي، وحتى يتم ذلك، فإن فعاليات جيش المشرق يجب أن تضم كحد أدنى الوحدات التالية:

١ ــ ٥١ فوجاً + فوج سوري.

٢ ــ ٢٢ سرية خيالة + ٣ سرايا سورية و ٢٩ بطارية مدفعية و ٨ أسراب طائرات.

٣ ــ أربع كتائب دبابات، والمجموعة الأولى من المدفعية الآلية، والرشاشات، ووحدات الارتباط، والخدمة لأربع فرق، ووحدة الارتباط، وخدمات الجيش.

ويصل عدد هذه القوات إلى سبعين ألف رجل. ولم يقرر غورو، وكان من غير الممكن بالنسبة له، تحديد الفترة التي سوف يشرع فيها بالتنفيذ[١٢٣]. لكن غورو كما ذكرنا، قرر أن يبدأ التنفيذ في ١٤ جوييه / تموز /، عيد الجمهورية الفرنسية القومي.

وفي ١٧ جوييه / تموز / أرسل ميلران **Millerand** برقيات إلى غورو يقول فيها،

---

(١٢٣) **D.F.G. Levant, 7N-3670 (No 3665).**

إنه يوافقه بحالة عامة، على إنذاره وشروطه لفيصل. فإذا ما قاوم فيصل، فلغورو أن يتخذ ما يراه من إجراءات عسكرية ضرورية، مع الأخذ بعين الاعتبار، الرغبة في تأكيد تعاون المواطنين، حتى يمكن تحطيم المقاومة الشريفية، ويبدل حكمهم في المنطقة الشرقية. لكن فيصلاً قد يحاول أن يمنع الاستيلاء الفرنسي، مدفوعاً ببعض الغرباء، الذين يحاولون أن يجعلوا أمامنا عائقاً ويتمثل بالشريف «وفي هذه الحالة، فسوف يحاول أن يتفاوض معنا ويحصل منا على شروط تفيده، وبهذا الخصوص، فأنا أبين، أن الإنذار الذي يقتضي منه قبول الانتداب، ربما يكون فرصة أخيرة لفيصل، للاعتراف به. ويجب أن نتجنب كل شيء فيما عدا ذلك، لأن قبول انقاص الجيش الشريفي، يجبرنا على الاحتفاظ به (بالجيش) وسيكون هذا مناقضاً للروح العام للانتداب، ولظروف الانتداب البريطاني في فلسطين والعراق، بحيث لايمكننا قبول سوى قوات شرطة في سورية. ويجب في كل الأحوال تشجيع الاتجاه الداعي للحكم الذاتي، الذي يدعو إليه الاتجاه المعادي للحكم الشريفي في المنطقة الشرقية. وبما أن قواتنا متواجدة، فلسنا مضطرين إلى البحث عن سلطة أخرى، هي في ذاتها معادية لنا، وكذلك فوجود قواتنا يمكننا من طردها» وطلب ميلران من غورو إعلامه عن المنظمة (الهيئة) الوطنية في سورية، التي يعتمدها في حالة إنهاء الحكم الشريفي، وقال له إنه (ميلران) سوف يقترح عليه قريباً، تنظيماً قادراً على الاتحاد في حكم ذاتي تحت إدارته في المنطقتين. ويقدر ميلران أن يكون قبول الانذار بلا شرط، وعليه فهو يرجوه خلال ذلك، ألا يدخل في أي نقاش مع فيصل(١٢٤).

وفي اليوم التالي في ١٨ جوييه / تموز /، أرسل ميلران أيضاً لغورو يطلب فيه معلومات عن تحركاته العسكرية بشكل فوري، وأن يؤكد للشعب السوري بما يمنع الدعاية الشريفية، التي تشوه العمل الفرنسي، ويطلب إعلامه فوراً عن ذلك، لارتباط هذا الأمر الهام بكل سياسة فرنسا في سورية، ويوجه انتباه غورو على سوء العاقبة، إذا عامل فيصلاً كسلطةٍ لسلطة، وقال إنه أبلغ كرزون، أنه يعتبر الأمير فيصلاً، كقائد

(١٢٤) Ibid, teles No, 719-20-21.

للقوات العربية الذي دعم القوات الانكليزية في المنطقة الشرقية، بشكل يوازي عمل الفرنسيين في المنطقة الغربية، لكن منذ أن اتخذ مؤتمر الصلح قراراً بالانتداب الفرنسي على سورية، «فقد أصبحنا المختصين بكل شيء في سورية ولتنفيذ الانتداب مع السلطات المحلية»(١٢٥).

وفي ٢٣ جوييه / تموز /، أرسل ميلران إلى غورو برقيات يؤكد له فيها ألا يعامل فيصلاً كسلطة، لأن الانتداب لا يعني سوى سلطة فرنسا في سورية، وقد اعترفت بذلك الحكومة البريطانية أمام مجلس العموم في ١٩ منه، كما صرح به هو أمام الجمعية الوطنية الفرنسية، ولذلك لم يبق لحكومة فيصل وجود شرعي، بعد قرار الانتداب. وبذلك كانت السلطة الملكية لفيصل مؤقتة، ولهذا فإن اتفاق ٦ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠ (فيصل ـ كلمنصو) أصبح ساقطاً، إضافة إلى السياسة العدائية الشريفية ضد فرنسا. ولهذا وبناءً على انتصار القوات الفرنسية، التي وصلت إلى الحد الأقصى في إعدادها، فيجب على غورو أن يستمر في الاستيلاء، ولا يعير التفاتاً إلى الألاعيب الشريفية، التي تحاول كسب الوقت. وأن كل المتطلبات متوفرة للتنفيذ الكامل للانتداب، ولهذا يجب عدم السقوط في مثل الحالة السابقة. ولهذا فإن ميلران يأمل من غورو تنفيذ الانذار، واحتلال الخط الحديدي وحلب، والمحطات في المدن، وإفساح المجال أمام أتباع (أشياع) فرنسا بالتعبير عن رغبتهم بالحكم الذاتي، دون توسط أو تدخل من السلطة الشريفية، وخاصة في المنطقة الغربية (لبنان)، وطلب ميلران أن يوقف التجنيد في سورية في الحال، لأن الجيش الشريفي معادٍ لفرنسا، ولا يقبل ميلران سوى قوة شرطة، كما طلب من غورو الاعتماد على قوة محلية مدعومة في دمشق، كما طالب بالغاء القرض الوطني الذي أعلنه فيصل، ووضع الضرائب في سورية تحت رهن الدين العثماني. وختم برقياته، بأن الظروف الدولية تسمح لفرنسا بتنظيم الوضع في المنطقة، طبقاً لمبادىء الانتداب الفرنسي على سورية(١٢٦).

(١٢٥) Ibid, No des teles: 723-724.

(١٢٦) Ibid, No: 741-à-744. انظر صورة الرسالة في الملحق.

وفي ٢٤ جوييه / تموز /، أرسل وزير الحربية إلى المسيو ميلران، رئيس الوزراء، ووزير الخارجية، كتاباً جاء فيه أنه بعد دراسة واقع القوات العسكرية التي تشكل جيش المشرق، مع رئيس أركان الجيش، تبين له أن امكانيات هذا الجيش، تشكل واحداً من أسس التوجيهات التي ترسل إلى غورو، وبالنتيجة واحداً من أسس السياسة الفرنسية في سورية، التي يعتبر جيش المشرق الأداة الرئيسية في هذه السياسة. وجاء فيه أيضاً، دراسة عن تطور هذه القوات للسنيين المقبلة. كان هذا يوم معركة ميسلون، حيث ظهرت إمكانيات الجيش الفرنسي فيها بشكل جلي(١٢٧).

وفي اليوم نفسه (٢٤ جوييه / تموز /) أرسل ميلران إلى غورو، برقيات يرد فيها على الأخبار التي أبلغه بها غورو، في برقياته رقم ١٤٣٥ ــ ١٤٣٨، التي أرسلها في ٢٢ منه، عن تقدم جيش الجنرال غوابيه نحو دمشق. وذكر ميلران في برقياته هذه انزعاجه، لأن غورو قد أوقف الزحف نحو دمشق، وبذلك أعطى لفيصل وجوداً حقيقياً من جديد. وبذلك سمح غورو لنفسه بالوقوع في الحبائل الخطرة السابقة، بدلاً من الاستفادة من الانتصار الكامل، لوضع حل نهائي للمسألة السورية، وتعيين رؤساء على المدن والبلديات، آخذاً بعين الاعتبار مصالح فرنسا في هذه التنظيمات. وقال ميلران إن الموقف المتصاعد في كيليكيا، هو أحد الأسباب لتثبيت وضع فرنسا في سورية. وأن انكلترا قد أطلقت يدي فرنسا فيها، جرّاء الأعمال العدائية ضد فرنسا، التي أصبح وجودها يعتمد على حق الانتداب. وبالأمس تحدث المسيو ريبو Ribot في مجلس الشيوخ Sénat مبدياً مشاعره الطيبة، ومهنئاً بدخول حلب ودمشق، ومعلناً أنه لايمكن بعد الآن، الاعتراف بوجود سلطة أخرى فيها. ويوجه ميلران غورو إلى كيفية التصرف مع فيصل، فيقول له «يجب ألا تتأثر سياستك بآراء القناصل الأجانب في دمشق، ولا بتردد الضمير أمام احتجاج فيصل، الذي يجب ألا تطلب منه شيئاً اعتماداً على هذا الأمر، ولا تأبه لتحركات الجماهير المتزايدة في دمشق المعتمدة على ناشري الأخبار والشريفيين، والحل الأمثل الوحيد العاجل، هو بلا شك الوسيلة

(١٢٧) Ibid, No 3958-3/11-S.O.

الوحيدة، للحفاظ على الهدوء والأمن، وأن تؤكد على أمن الأجانب، والشريفيين. وهذه هي مشورة المطران قاضي في دمشق[١٢٨] Mgr Cadi التي تقول، بأنه لا يعتقد مطلقاً بوجود مقاومة جدية للشعب في دمشق.

وبالعكس فإن وقوف قواتنا يزيد من الخطر، ويثير المقاومة والعصيان ـــ وإن كنت قد أوقفتها ـــ فيجب ألا يحدث أي تراجع، وإن التراجع للمرة الثانية في البقاع (التي يجب أن تعود إلى لبنان)، كان له تأثير مدمر على اللبنانيين.

وإن تسريح الجيش الشريفي، ونزع السلاح من السكان، وفرض الإدارة حسب شروط الإنذار، سوف تبرهن لهؤلاء حقيقة وجود القوات «الفرنسية». ولا تتسامح لا بتأخير ولا بتسويف حتى دمشق، وحتى الاستيلاء على الخط الحديدي.

وإن اللجنة الخاصة بالإدارة، التي سوف تقيمها، يمكن لها أن تدرس في نفس الوقت، تطبيق الانتداب في المنطقة الشرقية دون تأخير. وأرغب أن أتلقى اقتراحاتك مسبقاً عن هذه الترتيبات، في نفس الوقت الذي أرسل لك فيه تعليمات بما يخص الإدارة أيضاً، لاستخدامها أو لتشكيلها. وسوف أرسل لك بالتالي، مجموع التعليمات والخطة اللازمة لتطبيق انتدابنا على سورية. وأذكرك ببرقياتي الأخيرة، وخاصة رقم ٧٤١ حتى ٧٤٤.

ولقد نفذ غورو تعليمات رئيس وزراء فرنسا، وكما ذكرنا فاحتل المدن والخط الحديدي، وأقام إدارة (حكومة جديدة) من أتباع فرنسا، وفرض الغرامات المالية، وحل الجيش «الشريفي» وأنهى حكم فيصل، ولاحق رجال العصابات الوطنية[١٢٩] .... وبذلك وضع الانتداب موضع التنفيذ، وكانت هذه الخطوات التي

---

(١٢٨) في ٢ جانفي / كانون الثاني / ١٩٢٠، أرسل المطران قاضي من دمشق إلى غورو، رسالة يحرضه فيها على الحكومة العربية وعلى فيصل، الذي يثير أعمال العداء والعصابات، ويستنكر استقباله والمفاوضات معه في باريس. D.F.Aff, Etr, Levant. 21, PP.11-12. وانظر الملحق وفيه صورة الرسالة.

(١٢٩) Ibid, No des teles: 753-756.

اتخذها غورو، هي بداية أخذ فرنسا بيد سورية إلى «مدارج الحضارة والتقدم»، وكانت أفعاله هذه، أولى هذه الدرجات الحضارية.

موقف الانكليز

وليس سهواً ألا نذكر شيئاً عن موقف الانكليز، منذ ابتداء أزمة الإنذار حتى خروج فيصل نهائياً من سورية، فبرغم الكتب العديدة التي أرسلها فيصل لكرزون واللنبي، والوفد الذي بعث به إلى صموئيل، ظلت بريطانيا على موقفها بعدم التدخل في منطقة تابعة لانتداب فرنسا، كما جاء في جواب وزارة الخارجية البريطانية في ١٦ جوييه / تموز / إلى اللنبي، رداً على نداءات فيصل واستغاثاته(١٣٠). ولم ترد بريطانيا أيضاً على نداءات الحسين(١٣١)، الذي كان فيصل يطلعه على الحوادث المتلاحقة في أثناء أزمة الإنذار.

وقفت بريطانيا تجاه وثوب فرنسا على سورية، وقفة المشاهد في مسرحية، مع أنها شاركت في تركيب فصولها فصلاً فصلاً. وتركت فرنسا تنهي المشهد الأخير كما أرادت. لأن بريطانيا لا يهمها مصلحة العرب، مادامت قد حصلت على لقمتها الكبيرة في بترول العراق وفي فلسطين. وبالرغم من ارتفاع بعض الأصوات في مجلس العموم البريطاني، تستفسر عن موقف الحكومة البريطانية إزاء الأزمة تجاه سورية، فقد كان رد

(١٣٠) F.O.371/5037/ P.9.

(١٣١) كان الحسين قد أرسل لبريطانيا ما بين ١٨ ــ ٢٧ جوييه / تموز / خمسة نداءات، ما بين برقية ورسالة، إلى رئيس الوزراء البريطاني، ووزير الخارجية، واللنبي. كما أرسل أيضاً إلى قناصل الدول في جدة، عن الوضع الخطير في سورية. وكانت نداءات الحسين عاطفية فيها التهديد والإنذار. فقد جاء في كتابه إلى اللنبي بتاريخ ١٢ جوييه / تموز / «لا تسكت عن تسليمهم للفرنسيين، لأنهم سوف يعتبرونك شريكاً في الجريمة .. إن إنذار غورو لفيصل، يجعلني أشعر أن بريطانيا خفضت شرفي وكرامتي، وإن حدث هذا، فلا أستطيع العيش في العالم». Ibid, P.81. وجاء في كتابه للويد جورج في ١٨ جوييه / تموز / «ان لم تساعدني فسيعاملني العرب، على أنني خائن وكذاب، وهذا مهين لسلالتي إلى الأبد» Ibid, P.82. وجاء في رسالة منه إلى لويد جورج أيضاً بعد ٢٧ جوييه / تموز / «ان لم تجد بريطانيا مخرجاً لفيصل، يحفظ له شرفه وكرامته، فلا أجد حلاً في الوقت الحاضر، إلا الاستقالة ...» ويعني من حكم الحجاز. Ibid/5039/ P.58.

الحكومة الدائم هو عدم التدخل أو الصمت(١٣٢). ولم ينطق أحد من الحكومة أو ممثليها بشيء، إلا بعد إخراج فيصل من سورية. فقد رد اللنبي على سؤال فيصل، عن أي الجهات يسلك من درعا، إلى الحجاز أم بحوران، وماذا يكون موقف القوات البريطانية، إذا هاجمه الفرنسيون في درعا؟ وكان رده أن يسافر إلى الحجاز عن طريق قناة السويس، لكنه لن يستطيع رؤيته في القاهرة، ولا إجابته على موقف القوات البريطانية، حتى لا يسيء إلى الفرنسيين، وأنه أخبر هربرت صموئيل كي يستقبله في فلسطين(١٣٣).

وشكر فيصل هربرت صموئيل لاستقباله له(١٣٤)، وأطلعه أنه لا يريد اتخاذ خطوات معادية لفرنسا، ولن يحاول إثارة الشقاق بين بريطانيا وفرنسا، وأنه لن يقوم

(١٣٢) سأل النائب (كين ورثي) في مجلس العموم البريطاني، لماذا لا نبذل جهدنا لنحل القضية بين فيصل والفرنسيين في عصبة الأمم. فأجاب رئيس الوزراء «إننا لا نستطيع أن ندعو عصبة الأمم»، فسأل كين «كيف استطعنا في مسألة بولونيا» فكان الجواب «نحن الآن لا نستطيع».
The Parliamentary Debates, 5. Serie, Vol. 12, 22 July, 1920, P.627. وسأل النائب (اورمبسي غور)، عما حدث في سورية، فأجابه (بونارلو) رئيس المجلس، بأن فرنسا قدمت انذار للحكومة السورية، نظراً لما تعرضت له من هجوم مسلح على قواتها على الحدود، ولعداء الحكومة العربية لها. وأجاب على سؤال آخر، بأن اعطاء الانتداب لفرنسا على سورية، لا يخل بالعهد الذي اعطته بريطانيا لفيصل بتشكيل حكومة عربية في المدن الأربع. Ibid, 19 July, 1920, P.39-41. وسأل (رابير)، هل يدخل في الانتداب الاحتلال العسكري، فأجاب (هارمس وورثي)، بأنه يجب أن يلاحظ هذه المسألة، فسأل الأول وإذن أين استقلال سورية؟ Ibid, 27-29 July, 1920, P.1174-1617. وأجاب رئيس الوزراء على سؤال (اورمبس غور) عن الوضع العسكري والسياسي في سورية، وتنفيذ العهود للعرب فقال: لا أعرف شيئاً عن الوضع السياسي والعسكري الآن، أما بالنسبة للعهود فقد كتب لنا الحسين كتباً كثيرة، وعندما كان فيصل هنا أبلغناه بأنه لا توجد قضية تختلف عما جاء في عهودنا لهم. ولا توافق الحكومة على أننا أخلينا في تنفيذ أي عهد لهم. Ibid, Vol, 133,25, Octobre 1920, P.1321.

(١٣٣) F.O.371/2/5038/ P.42.

(١٣٤) وصف (ستورز) الذي حضر الاستقبال أيضاً فقال «استقبلناه استقبالاً رسمياً، وحيته قوة عسكرية قوامها مئة جندي، وكان هادىء الأعصاب، ترتسم على وجهه دلائل التجلد والصبر عند الشدائد، كما يأمر به دينه الاسلام. غير أن الدمع كان في عينيه، وامائر الألم على وجهه». زين الصراع، ص١٧٨.
وكتب صموئيل «قيل لي بعد ذلك إن الملك فيصل لم يدر إذا كان أولئك الجنود هناك، لالقاء القبض عليه أو لتكريمه، بعد الأيام العصيبة التي عاشها. سرى عنه عندما علم أنهم كانوا هناك لاستقباله استقبالاً عسكرياً». نفس المصدر، ص٢٦٧.

بنشاط سياسي في فلسطين، وأنه يفضل السفر إلى إيطاليا أو سويسرا، لأنه مريض ويحتاج للراحة، ولن يسافر على باخرة إنكليزية ولا فرنسية(١٣٥).

وكان اللنبي «صديقه الحميم»، يستحث صموئيل للإسراع بإخراج فيصل من فلسطين، حتى لا يثير الناس ضد فرنسا(١٣٦). وخرج فيصل من فلسطين إلى إيطاليا في ١٨ أوت / آب / ١٩٢٠.

علقت مجلة Asie-Française على صداقة انكلترا لفيصل، فقالت «إن فيصلاً تلقى درساً في ميسلون يعرفه الجميع، وذهب إلى أصدقائه الانكليز يقص عليهم آلامه»(١٣٧). كما كتب Dduard Driault الفرنسي عن الموضوع نفسه، فقال «حاولت انكلترا أن تحتفظ بدمشق لفيصل حليفها، ابن ملك الحجاز، لكن الجنرال غورو جعله يرحل سريعاً»(١٣٨).

---

(١٣٥) امتدحت بريطانيا خطة فيصل في عدم خلق المتاعب بين الحليفتين، وقالت بأنه سوف يرى أن بريطانيا لم تنس موقفه المخلص لها .F.O.371/5040/ P.105-107

(١٣٦) Ibid, P.111.

(١٣٧) No (192)a1921 Mai, P.218.

(١٣٨) La question d'orient 1918-1937,Paris, 1938, P.77.

جاء في (تاريخ كمبردج) الوصف التالي لسقوط فيصل «لكن فيصلاً كان رجلاً ضعيفاً، ولم يقدر أن يكبح جماح أتباعه المتمردين، الذين ضغطوا عليه، وأهاجوا ثائرته ضد الفرنسيين. وأصبحت الحدود السورية ولبنان غير آمنة، وأنذره الفرنسيون، وضاع فيصل بين تهديدات الفرنسيين وتذمّر أتباعه، وتردد في قبول الانذار. وتحرك الفرنسيون الذين لم يصبروا على ذلك إلى دمشق. وحدث قتال قصير في خان ميسلون قرب دمشق في ٢٤ جوييه / تموز /، انتهت بدحر القوات الشريفية، واحتل الفرنسيون المدينة ووضعوا نهاية للحكم الشريفي وطردوا فيصلاً من سورية. .The new cambridge modern history, XII, P.292

وكتب (وسترمان) عن ذلك فقال «حارب العرب في سورية القوات الاستعمارية الفرنسية في أماكن مختلفة ما يقارب أربعة أشهر من عام ١٩٢٠، وكانت نهاية التهديدات العربية بإلقاء الفرنسيين في البحر، ونهاية كل الأحلام في الاستقلال العربي، التي كانت ثائرة بكل بساطة. وأعيد كلمة غورو: توقف الأمير فيصل عن الحكم، وطلبت منه أن يغادر سورية مع عائلته، وفيصل الآن في سويسرا. وكان فيها يعبر عن الأخلاق الطيبة والرفيعة. لكنه لم يستطع أن يحقق الاستقلال العربي ضد الدبلوماسية والجيوش والأطماع التجارية للقوى الغربية، لأنه كان ليناً (ناعماً) للغاية» .Colonel House, P.162

أرسل فيصل إلى أبيه يقص عليه ما حدث، وقال إنه كان يجب أن يتساهل مع الدول الطامعة بسبب ضعف العرب، لكن مبدأ أبيه القاضي باستقلال العرب حال دون ذلك، إضافة إلى معارضة شباب العرب، وكان بإمكانه ضربهم، لكنه خشي اللوم التاريخي. وعندما تأزم الموقف، وحشد العدو قواته، وقفت الأمة جامدة كأن لا علاقة لها بما يجري، وكانت قوالة لا فعالة. ولم يقبل الشعب على التجنيد الاجبْاري، وكان الفارون في بعض الأحيان، أكثر من المجندين، ولم يقبل الناس على دفع الأموال لصندوق الحكومة، وكان التجنيد ودفع المال بحالة العدم. وبين له ضعف السلاح وقلة الذخيرة، ولهذا قبل إنذار غورو، في حين قام المتهوسون من الأحزاب، وحرضوا الناس على الثورة. ثم شرح له أنه لم يتمكن من إقامة خط دفاعي ثانٍ، بسبب فقدان المال والسلاح. كما غادر درعا بسبب خوف الحوارنة من الطائرات التي هددهم بها الفرنسيون.

وقد لامه أبوه، لأنه أنشأ مملكة مستقلة، ولو بقي ممثلاً له باعتباره واحداً من الحلفاء، لما جرؤ الفرنسيون على احتلال سورية(١٣٩).

ومع كل هذا، بقي فيصل ثابتاً على سياسته وتقربه من الانكليز، وأرسل من أوروبا رسالة إلى أخيه عبد الله، يداري فيها القوى الكبرى، ويقول له بألا يسيىء إلى الفرنسيين من الأردن، حتى لا يسيىء إلى القضية العربية، لأنها ستطرح مجدداً على البحث. وكان هذا بتوصية من كرزون، كي يرسل لأبيه لابلاغ أخيه عبد الله بذلك(١٤٠). لقد احتل الأجانب فلسطين وسورية ولبنان والأردن والعراق، فعلى أي قضية عربية كان فيصل يداري الحلفاء بعد، وأي قضية كان لا يريد أخاه أن يسيىء إليها. في الحقيقة كانت هناك قضية واحدة، وهي من سيكون أميراً وملكاً على الأردن أو العراق، تحت حماية الانكليز!

لنعد إلى السطور الأخيرة في سورية، فبعد أن أتم الفرنسيون احتلالها حمص

(١٣٩) سليمان موسى، الحركة العربية، ص٥٦٧ــ٥٦٨ و ٥٧١ عن أوراق الأمير زيد.

(١٤٠) مذكرات الملك عبد الله، ص١٢٧. و D.F.G. Levant 8B2. tel No 145 (2 Aout). Gouraud.

وحماه في ٣١ جوييه / تموز /، والقنيطرة في أوت / آب /) قدم الجنرال غورو إلى دمشق في ٧ أوت / آب /، وتوجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، الملاصق للجامع الأموي، ودخل إليه. وهنا نروي ما كتبه ثلاثة من الكتاب والمؤرخين العرب، ومنهم ساطع الحصري الوزير «الشريفي» الذي قابل غورو في الأيام العصيبة الأخيرة وأقوالهم هذه شائعة على لسان الكتاب العرب، وحتى يرددها كثير من العامة، لكن لم أجدها في رسائل غورو، أو الوثائق الفرنسية. تقول الرواية أن غورو دخل دون إشارة تحية، بملابسه العسكرية وسيفه إلى جانبه وعمرته (قبعته العسكرية) فوق رأسه، وقال «ياصلاح الدين، أنت قلت لنا في إبان حروبك الصليبية، أنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه، وها إننا قد عدنا، فانهض لترانا هنا في سورية»(١٤١). وقال أيضاً «حضوري هنا يقدس انتصار الصليب على الهلال»(١٤٢)، كما قال غوابيه في مذكراته «أوليست العدالة العليا، هي التي سمحت لحفيد أسير الحروب الصليبية، أن يدخل المدينة المقدسة ظافراً منتصراً؟...»(١٤٣).

ولم يعدم غورو قدوم بعض الزعماء والرجال، ممن عملوا مع فيصل، ومع من سبقه للسلام عليه، والاحتفاء به، كنوري الشعلان الذي ذهب لتحيته في عالية، ونسيب الأطرش، ونواف البركات شيخ الرمثا، الذي أرسل ولده يحمل تحياته وآخرون(١٤٤).

وإذا كان هذا البحث ينتهي في نهاية شهر جوييه / تموز /، فإننا كبداية للحكم الفرنسي في سورية، نسجل أربعة حوادث هامة في الشهر التالي أوت / آب / وأوائل سبتمبر / أيلول /، تعبر عن مسيرة هذا الحكم. فتذكر الوثائق الفرنسية هذه الحوادث كما يلي:

---

(١٤١) هندي، كفاح، ص ٢٠١.

(١٤٢) Tibawi, P.341.

(١٤٣) الحصري، يوم ميسلون، ص٣٦٨.

(١٤٤) D.F.G. Levant 4B3 (20 Oct) P.2.

١ ــ يخطب خطباء الجوامع باسم السلطان وحيد الدين، سلطان تركيا، ويضيف خطيب الجامع الأموي وهو أهم جامع في سورية، الدعاء باسم الحسين بن علي ملك العرب، ويطلب من الله أن ينصر المسلمين على «أعدائهم». وأن هذا الشهر الحرام ليس فيه قتال... لكن بعده سيكون قتال... وحضر مرة وزير الدفاع والداخلية، وسمعا نفس الدعاء.

٢ ــ قتل علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء، وعبد الرحمن اليوسف (من أشياع أي حاكم) في ٢٠ أوت / آب /، في حوران في خربة الغزالة... فهل هذا انتقام سريع لاخراج فيصل من حوران، قبل عشرين يوماً، بتهديد القصف بالطائرات؟

٣ ــ انتشرت أغنية في الشوارع ضد فرنسا تثير الاضطراب، وقد أوقف بيعها في الحال، وأدخل السجن صاحب المطبعة والبائع.

٤ ــ تدور إشاعات واسعة عن عودة فيصل.... واجتماعات سرية بالليالي يراقبها البوليس... وتحول مقهى الكمال في المرجة، إلى ملتقى للرجال العاملين بالسياسة، وفيها جرت اعتقالات كثيرة(١٤٥).

ومع أن سورية بعد فصل فلسطين، وشرقي الأردن، ولبنان عنها، أصبحت صغيرة جداً بحيث لايزيد سكانها عن مليونين، فقد قرر غورو تقسيمها من جديد إلى أربع دول، تنفيذاً لسياسة فرنسا الطائفية، بخلق دول طائفية في هذه الأرض الصغيرة فشكل دولة دمشق (للسنة) في ٣ ديسمبر / كانون الأول / ١٩٢٠، ودولة حلب (للسنة) في ٨ سبتمبر / أيلول / ١٩٢٠، ودولة السويداء (للدروز) في ٢٠ أبريل / نيسان / ١٩٢١، ودولة العلويين في ٢٣ سبتمبر / أيلول / ١٩٢٠. ثم اضطر إلى إعادة الاتحاد بين هذه «الدول» وكان قد انتزع من سورية أيضاً الأقضية الأربعة (البقاع، حاصبيا، راشيا، بعلبك) وأضافها إلى لبنان في سبتمبر / أيلول / ١٩٢٠، حيث أنشأ لبنان الكبير في الأول من سبتمبر / أيلول / ١٩٢٠(١٤٦). وبذلك تكون سورية الحالية أو

(١٤٥) Ibid, 1 (20 Aout) 2 (20 Aout) 3 (1 Sep) 4 (1 Sep).

(١٤٦) ساطع الحصري، يوم ميسلون، ص٣٦٨.

الجمهورية العربية السورية بحدودها المعروفة، تتكون من دولة فيصل، مضافاً إليها منطقة اللاذقية، وناقصاً منها شرقي الأردن، والأقضية الأربعة. وتجب الملاحظة أن لواء اسكندرون الذي سلخ عن سورية عام ١٩٣٩ وأعطي لتركيا لم يكن داخلاً في دولة فيصل.

احتلت فرنسا سورية في ٢٤ جوييه / تموز / ١٩٢٠، وجلت عنها في ١٧ أبريل / نيسان / ١٩٤٦، أي أنها حكمتها ربع قرن وسنة، مضى معظمها في الثورات والقتل والسجون والغرامات والضحايا وضرب القنابل وقصف الطائرات وخسارة كبيرة للطرفين وخسارة لسمعة فرنسا، «وعلاقتها التاريخية بسورية». لقد منع تدريس اللغة الفرنسية بالمدارس في سورية بعد الاستقلال، واستبدلت بالانكليزية، حتى إن الأجيال اللاحقة كانت تدل من لغتها الأجنبية التي درستها في المدارس، أن سورية كانت مستعمَرة انكليزية وليست فرنسية، مثلما تعرف به الآن كل الدول التي كانت مستعمَرة من لغة دولتها المستعمِرة التي فرضتها عليها. لكن إذا كان عدلاً أن يمنع تدريس الفرنسية، فلم يكن عدلاً أن تستبدل بالانكليزية، وكان من اللائق بالعرب أو سورية بشكل خاص، لو درست أي لغة مكان الانكليزية، حتى ولو كانت الصينية إذا ما قيست الأمور بإساءاتها.

الخاتمة

يقول الدكتور عبد الكريم غرايبه «انتهى العهد الهاشمي في دمشق. والحديث عن قصة وصول البرقية أو تأخرها أصبح أمراً معروفاً. وهو أقرب إلى الهزل منه إلى الجد. فقد أراد غورو أن يدخل دمشق، وكان له ما أراد، ولم يكن بمقدور أحد أن يمنعه، وكانت هزيمة الجيش السوري في ميسلون قدراً مكتوباً لا مفر منه. لقد تردد المسؤولون في دمشق، فلا هم استسلموا بدون قتال شكلي، ولا هم قاتلوا في كل مكان»[1].

وفي الحقيقة لم تكن دولة فيصل في سورية، إلا محطة سفر توقف العرب فيها بعض الوقت، في أثناء انتقالهم من حكم الأتراك إلى حكم الانكليز والفرنسيين. وما قدر الأتراك على استبقاء العرب إلى جانبهم، وخاصة بعد أن تسلم الاتحاديون مقاليد الحكم العثماني، وانتزعوا السلطة من السلطان العثماني، لا بل دفعوهم دفعاً إلى الانفصال عنهم، لأنهم (الاتحاديين) قطعوا الرباط الوثيق الذي كان يربط الأتراك بالعرب، وهو الدين الاسلامي، واستبدلوه بالعنصرية التركية وإذلال العرب واحتقارهم. وفي نفس الوقت الذي كان يدفع الاتحاديون فيه العرب للانفصال عنهم، كانت أيد أخرى تمتد إليهم، وتشدهم في نفس الاتجاه الانفصالي، تلك هي أيدي

---

(١) بحث للمؤلف بعنوان «الثورة العربية الكبرى والعالم العربي» من كتاب دراسات في الثورة العربية الكبرى، ص١١٦.

وانظر أيضاً، Marcel Homet, L'Histoire Secréte du Traité Franco-Syrien, Paris, 1938. P.41-43.

الانكليز. ولم يكن العرب أحراراً في اختيار المصير، فقد كان عليهم إما أن يبقوا تحت حكم الاتحاديين، ويمثلهم جمال باشا في سورية، أو ينضموا إلى الحلفاء، بينما كانت رحى الحرب العالمية الأولى تدور.

وكان الزعماء العرب يعلمون مدى خطورة يد الانكليز الممدودة إليهم، على آمالهم وأحلامهم في بناء دولة عربية واحدة، تعيد مجد العرب القديم. وبالرغم من ذلك، تم اللقاء بين العرب والانكليز، وكانت مجازفة خطيرة لا مفر منها للعرب. وأصبح العرب حلفاء وأصدقاء للانكليز والفرنسيين، وأعداء للحكومة التركية، وقدموا في سبيل حلمهم المنشود، أنفسهم، وجهدهم، يحثون الخطا سريعاً في الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل، حتى يستقر بهم المقام أخيراً في دمشق عاصمة المجد العربي القديم.

وبعد النصر بدأت المفاجآت تسقط على رؤوس الأصدقاء العرب، من حلفائهم الانكليز والفرنسيين معاً. وكانت هذه المفاجآت تختلف في شدتها عليهم، إذ كان بعضهم على إطلاع بنيّات الانكليز والفرنسيين، بينما كان الآخرون واثقين بالحلفاء وقيادة الحسين. وأولى هذه المفاجآت، كانت اعتبار بلاد العرب أرضاً محتلة للعدو، مازالت تابعة للدولة العثمانية، وهذا بالنسبة للعرب يناقض أمرين أساسيين، أولهما أنهم قاموا بثورة ضد الأتراك، للتخلص من حكمهم الذي زال بعد نهاية الحرب، فكيف يظل اعتبار أرضهم تابعة لعدو لم يعد موجوداً على أرضهم المحررة؟ وكيف يعمل الانكليز على إغراء العرب بالثورة والانفصال عن الأتراك، ويعطونهم العهود والمواثيق بالاستقلال في أثناء الحرب، ويرفضون انفصالهم عن الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب، بعد الخلاص منها؟ وأما الأمر الثاني فهو أن العرب حلفاء وأصدقاء للانكليز والفرنسيين، وأنهم كانوا على أرضهم وفي بلادهم، فلماذا لا تعتبر أرضهم أيضاً أرضاً صديقة بدلاً من اعتبارها أرضاً محتلة للعدو؟.

والمفاجأة الثانية، هي تقسيم البلاد العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية إلى أجزاء منفصلة عن بعضها بعضاً (سورية، العراق، الحجاز)، وهذا مالم يكن في

حسبان العرب وآمالهم في الوحدة العربية ، ومالم يكن قائماً في ظل الدولة العثمانية ، التي حاربوها وانفصلوا عنها ، وبذلك اعتبر الحلفاء العرب ليسوا كأصدقاء ، وإنما كأعداء في أرض محتلة للعدو .

والمفاجأة الثالثة هي تقسيم سورية إلى ثلاث مناطق محتلة : غربية (لبنان) ، وشرقية (سورية) ، وجنوبية (فلسطين) ، وهذا تمزيق لأرض العرب السوريين ، لم يكونوا يتوقعونه .

وكانت النتيجة أن أصبح العرب الحلفاء ، مواطنين في بلاد عدوة مجزأة محتلة ، وكأن لا قومية تربط المواطن بالوطن ، وتبخرت أحلام الدولة العربية المحررة ، بين أطماع الفرنسيين والانكليز ، بينما كانوا في الدولة العثمانية يعيشون على أرض واحدة ، وتحت سلطة واحدة ، وبقليل أو كثير من المشاركة في الحكم ، والتعود الطويل على العيش سوياً ، بالاضافة إلى رابطة الدين الاسلامي ذات الأهمية البالغة ، بالنسبة للروح الصليبية التي كانت تدفع الفرنسيين بالذات لاحتلال سورية .

وبدأ بين الأطراف الثلاثة (العرب والفرنسيين والانكليز) صراع على مصير البلاد العربية ، وتركز هذا الصراع على سورية ، خاصة لأن الانكليز صمموا على تنفيذ وعد بلفور في فلسطين ، ولأن الفرنسيين صمموا على احتلال سورية الداخلية ، بعد أن نزلت قواتهم في لبنان ، ولأن العرب ركزوا كل طاقاتهم في دمشق التي أصبحت قبلة العرب . أما الحجاز ، فقد أعطي الاستقلال ، لأن الانكليز والفرنسيين لا يرغبون في احتلاله لوجود الأماكن المقدسة فيه . أما العراق فقد احتلته بريطانيا ، ولم يكن آنذاك ضمن منطقة الصراع لا بالنسبة للعرب ولا بالنسبة للفرنسيين ، ولذلك لم يشكل معضلة كسورية . ولعب فيصل دور الوسيط بين سياسة أوروبا ، وبين أهداف الوطنيين في دمشق ، واستطاع أن يحول هدفهم السياسي من الوحدة العربية إلى الاكتفاء بوحدة سورية واستقلالها ، بعد أن أقنعهم أن السياسة الفرنسية والانكليزية لا توافق على قيام دولة عربية واحدة ، وأن وحدة سورية هي مرحلة أولى في قيام هذه الدولة العربية .

ولم يفلح فيصل في إقناع بريطانيا وفرنسا باستقلال سورية الموحدة، ولذلك تنازل من جديد، وقبل بحكم جزء من سورية هي «سورية الفيصلية». كذلك لعب دور الوسيط من جديد حتى يقنع الوطنيين بحكمه لهذا الجزء الصغير، لكنهم رفضوا إلا وحدة سورية بما فيها فلسطين. إلا أن فرنسا التي أخذت بالاتفاق مع بريطانيا حق الانتداب على «سورية الفيصلية»، لم تقبل حتى بإبقاء هذا الجزء الصغير من سورية مستقلاً، وقبل فيصل أيضاً ذلك وحاول اقناع الوطنيين مرة ثالثة بقبوله، لأنه لا يمكن الحصول على أفضل منه. إلا أنهم رفضوا إلا وحدة سورية المستقلة. ولم يفلح فيصل بالتوفيق بين الفرنسيين الذين يريدون فرض الانتداب واحتلال «سورية الفيصلية»، وبين الوطنيين المصممين على استقلال سورية ووحدتها. وهكذا فقد فيصل ملكه، وهو يحاول ذلك في الأيام الأخيرة، التي لم يعد ينفع فيها قبوله بحكم سورية، تحت الانتداب الفرنسي.

والحقيقة أن القوى التي أقامت حكم فيصل في سورية، هي نفسها التي تخلت عنه ليسقط، وأعني بها بريطانيا وفرنسا.

والبحث في سياسة بريطانيا يعود في الأساس إلى اتفاقها مع الحسين عام ١٩١٥ و ١٩١٦، واتفاقها عام ١٩١٦ (سايكس ــ بيكو)، ووعد بلفور لليهود عام ١٩١٧. ومن الاتفاق الأول والثاني، تعترف بريطانيا بقيام دولة عربية تضم المدن الأربع (دمشق، حمص، حماه، حلب)، التي شكلت «سورية الفيصلية»، وتعطي الساحل (لبنان) لفرنسا. وفي وعد بلفور تعطي فلسطين لليهود.

أما بالنسبة لسورية فقد مرت سياستها (بريطانيا) بمرحلتين:

المرحلة الأولى: سعت فيها إلى دعم قيام الدولة العربية المنصوص عنها في اتفاقاتها السابقة، فعينت فيصلاً لادارتها، بصفته قائداً من قواد الحلفاء، ووقفت إلى جانب سورية في مؤتمر الصلح، الذي عقد في جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩، ودخلت في حوار كلامي مع فرنسا، ورفضت احتلالها لسورية. وكان سبب هذا الدعم، مبنياً على ضمان حقوق بريطانيا في فلسطين، والعراق، وعلى إبعاد منافستها فرنسا عن سورية،

وكسب رضا العرب. وقام الضباط الانكليز في سورية بدعاية واسعة لهم في دعم الدولة العربية، والعداء لفرنسا، ورفضهم لادعاآتها في سورية. وهذه السياسة هي التي حرضت فيصلاً والشعب على إظهار العداء بمختلف أشكاله لفرنسا. واندفع فيصل يطلب ود بريطانيا، ويرفض فرنسا بناء على ذلك.

المرحلة الثانية: تخلت بريطانيا عن فيصل وعن سورية أمام إصرار الفرنسيين على احتلالها، إلا أنها حصلت بهذا التخلي على مكسب جديد، هو بترول الموصل الذي كان من حصة الفرنسيين، لأن الموصل كانت تابعة لسورية حسب اتفاقية سايكس — بيكو. وعقدت معها اتفاقاً خاصاً بذلك، كما اتفقت معها على ألا تتدخل إحدى الدولتين في منطقة الأخرى، وأقرت الاثنتان قرار الانتداب لفرنسا على سورية. وكان هذا التحول في سياستها، من أهم الأسباب التي جعلت فيصلاً يضيع. فبعد أن أظهر عداءه للفرنسيين، اضطر لمصادقتهم والولاء لهم، حسب نصيحة الانكليز بعد تخليهم عنه، وهذا مالم يقبل به الوطنيون والشعب، الذين ملأ هو نفسه قلوبهم عداء للفرنسيين من قبل.

أما عن سياسة فرنسا مع العرب (أو سورية)، فإن ادعاءات الفرنسيين بعلاقاتهم التاريخية مع سورية، وحقوقهم فيها، تعتبر من أغرب الأمور. والأكثر غرابة هو قبول بلادهم بالتخلي عن الثروة الاقتصادية في كيليكيا، وبترول الموصل، مقابل وجودها المعنوي في سورية، وحماية الكاثوليك. وإن هذه الادعاءات في الواقع كانت واهية. فلو أن مجرد وجود علاقات بين الدولة أو الشعوب، تبيح لبعضها أن يستعمر بعضها الآخر، عندما تسمح الظروف، لكانت قطعت العلاقات بين هذه الشعوب. وضرب الملك حسين بن علي مثلاً، يهزأ به من ادعاءات الفرنسيين هذه، فقال لو أن كل إنسان بنى بيتاً على الطراز الفرنسي، لأصبح لفرنسا حق على هذا الانسان في أي مكان، لو صح هذا المبدأ. ومهما كان الأمر، فقد صممت فرنسا على احتلال سورية، لإعادة هذه العلاقات التاريخية. وتنازلت عن كل شيء أمام بريطانيا، مقابل ذلك. ويهمنا هنا سياستها تجاه فيصل وسورية.

ويمكن النظر إلى خطة فرنسا تجاه فيصل، من سياستها المبنية على الأسس التالية :

١ ــ أساس معنوي يقوم على ادعاءاتها التاريخية والثقافية وروابطها الدينية مع المسيحيين في سورية، ومحاولاتها تثبيت هذه المزاعم، ودعم المسيحيين وخاصة الموارنة، وإبعاد خطر العرب والإسلام عنهم حسبما كان بعضهم يطلب منها دائماً. ولهذا فهي لم تعترف بأن سكان سورية هم من العرب، بل مجموعة أمم تتكلم اللغة العربية. ولم تعترف بحكم فيصل كحكم عربي، بل حكم حجازي. وكانت تطلق على الجيش السوري، اسم الجيش الشريفي. وتعتبر فيصلاً والحجازيين غرباء عن سورية. وكانت تشجع اللبنانيين على أن يطلبوا من الدولة في مؤتمر الصلح، انتداب فرنسا وحمايتها لهم، نظراً لادعاءاتهم بعلاقاتهم الثقافية والدينية والتاريخية مع فرنسا، حتى إن الوفد اللبناني قال في مؤتمر الصلح «إن اللغة العربية، هي لغة الفاتح، وأن للبنانيين لهجة ولغة أخرى غير عربية»[1]. وكانت فرنسا تدعم خوف الموارنة من حكم فيصل، لأنه امتداد لحكم الحجاز وحكم أبيه الحسين، وحكم الاسلام، على كل المنطقة، وهذا يعني برأيها إقامة وحدة عربية «إسلامية»، بين سورية والحجاز، وهو ما ترفضه فرنسا وأصدقاؤها.

٢ ــ أساس سياسي واقتصادي، يقوم على سياسة فرنسا الاستعمارية في حكم الشعوب، واستغلال ثرواتها وخبراتها. وكانت غرفة تجارة مرسيليا، تعول كثيراً على انتاج الحرير في سورية، وعلى اعتبار سورية سوقاً لتصريف البضائع الفرنسية، وإذا كان هذا السبب الاقتصادي لم يبرز في هذه الرسالة كبروز السبب الأول، فلأن فرنسا كانت ترى علاقاتها التاريخية مع سورية، تأتي في المقام الأول، ولأن الناحية الاقتصادية ستتحقق نتيجة للاحتلال.

٣ ــ أساس سياسة التنافس الدولي، وخاصة ضد بريطانيا التي حصلت على الحصة الكبرى من البلاد العربية، بعد الحرب، وكانت فرنسا تريد أن تجد لها مكاناً في

---

(١) جريدة ألف باء دمشق، عدد ١٥٨، ٨ مارس / آذار / ١٩٢١.

شرقي البحر المتوسط. إلى جانب انكلترا، التي أوجدت لها مراكز في فلسطين ومصر. كما أن احتلال دولة إسلامية في الشرق، يعزز أيضاً مركزها في المغرب العربي.

وكانت فرنسا تنظر بريبة إلى جيش فيصل، منذ انطلاقه من الحجاز نحو الشمال، في أثناء الثورة العربية، وظلت تراقب تحركاته، وتمنع عنه المدد بالسلاح، مع أنه يقود جيشاً حليفاً، لأنها كانت تخشى من وصوله إلى سورية، ومن إلحاقها بالحجاز.

وبعد سياسة التنافس، توصلت فرنسا إلى التفاهم مع بريطانيا، حول المنطقة العربية في ١٣ سبتمبر / أيلول / ١٩١٩، ثم عقد كلمنصو اتفاقه مع فيصل. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالان: لماذا لم تحتل فرنسا سورية بعد اتفاقها مع بريطانيا مباشرة، كما فعلت في ٢٤ جوييه / تموز / ١٩٢٠؟ ولماذا اتفق كلمنصو مع فيصل، بدلاً من أن يفرض عليه شروطاً كما فعل معه غورو بعد ذلك؟ برأينا أن فرنسا كانت تعلم، مالفيصل من حب وتأثير في الشعب في سورية، وكانت تعلم أيضاً أن الوطنيين السوريين، وحتى المتطرفين منهم، قد فضلوا انتداب بريطانيا من جراء تأثير فيصل، فهي باتفاقها معه، قد تحصل على منزلة طيبة في قلوب العرب في سورية، ويتحول شعورهم طيباً أيضاً نحو قواتها العسكرية، كما كان شعورهم طيباً نحو القوات البريطانية، عندما كانت في سورية. وهي لا تطلب أكثر من تنفيذ مصالحها واحتلال قواتها لسورية. لذا كان اتفاقها مع فيصل ضربة معلم.

لكنها عندما رأت أن فيصلاً، قد فشل في اقناع الوطنيين والسوريين باتفاقه مع كلمنصو، أو حتى بتحويل شعورهم المعادي نحوها إلى شعور طيب، بالاضافة إلى امتعاض أنصارها من الموارنة في لبنان، من سياستها الودية نحو فيصل، وعدم فصلها لبنان عن سورية، نفضت يدها منه وأخرجته من سورية. ولم يتيقن فيصل من غاية فرنسا هذه نحوه، إلا عندما أبلغه الجنرال غوابيه باسم الحكومة الفرنسية، وجوب

مغادرته سورية في ٢٧ جوييه / تموز / ١٩٢٠ . ولربما لو عرف ذلك، لكان قاوم مع السوريين مقاومة باسلة، ولما قبل بإنذار غورو، ولما حل الجيش وأضعف الموقف السوري .

ونصل الآن للسياسة الوطنية ، فعندما شارك الوطنيون في الثورة العربية ، كانت غايتهم واضحة وهي إقامة دولة عربية مستقلة. ولم يحاربوا من أجل تجزئة البلاد ، ووضعها تحت حكم الأجنبي ، كمناطق نفوذ. وكان هؤلاء قد أتوا من الحجاز والعراق وسورية ولبنان وفلسطين ، ولم يكن في ذهنهم استقلال جزء من البلاد العربية المحررة ، من حكم الأتراك . والتف هؤلاء الرجال حول فيصل في سورية ، يدعمونه ويعتمدون عليه في تحقيق أهدافهم. لكن الذي كان يتقرر في أوروبا بشأن سورية ، كان أقوى من فيصل ، ومن هؤلاء الوطنيين أنفسهم، ولذا رأى فيصل من الحكمة، أن يجزىء المعركة ، فيوالي قوة ليخاصم بها قوة أخرى . وليس من الصعب تفسير موالاته لبريطانيا ، وعدائه لفرنسا . وهذه الموالاة قد اضطرته إلى التخلي عن الوحدة العربية ، إلى الوحدة السورية ، لأن بريطانيا ذات المصالح في العراق وفلسطين ، لا تقبل إلا بتحقيقها . واستطاع فيصل أن يقنع الوطنيين بالهدف الجديد ، في وحدة سورية ، بدلاً من الوحدة العربية ، نظراً لصعوبة الظروف الدولية. ثم جرهم من جديد إلى قبول الانتداب الأمريكي ، أو البريطاني ، وكان هذا تنازلاً جديداً منه ومنهم ، عن الهدف الأصيل في الوحدة العربية . وقد يكون مرد ذلك إلى أن بريطانيا ، لم تظهر عداء للعرب أو الوحدة العربية أو القومية العربية بشكل عقائدي واضح ، ولم تفضل المسيحيين ، ولم تدع حمايتهم من المسلمين ، كما فعلت فرنسا ، بالاضافة إلى مظاهر التعاطف ، التي كان يبديها الضباط البريطانيون نحو السكان في سورية . حتى إن الوطنيين ، لم يكونوا يرون في الانتداب البريطاني معنى الاستعمار ، إلا ما كان يتعلق بقضية فلسطين ، حيث لم يتساهلوا ولم يقبلوا بسياسة بريطانيا ، وتبنيها وعد بلفور .

وعندما تخلت بريطانيا عن فيصل ، واتفق هو مع كلمنصو ، ظل الوطنيون معادين لفرنسا ، لأنها لم تغير خطتها ونظرتها نحو القومية العربية ، بل ظلوا يخافون

عداءها العقائدي، الذي يتجلى بالتعاطف مع المسيحيين، على حساب المسلمين.

وبدأ فيصل يفقد شعبيته، منذ اتفاقه مع كلمنصو، وبدأت الألسن تنتقده، وخفت عنه تلك السمعة العالية والهالة الوطنية التي كانت تحيط اسمه كمحرر للعرب، وابن ملك العرب، قائد الثورة العربية. وبدأ موقفه يتحرج، عندما أراد التوفيق بين وجهات نظر الوطنيين والفرنسيين. وهنا بدأ ضعفه واضحاً، وغلب التردد على سياسته، فتارة يقف إلى جانب الوطنيين، وتارة يحبذ التفاهم مع الفرنسيين، ولم يقف موقفاً حازماً ثابتاً تجاه أي من الطرفين، ولذلك فقد هذان الطرفان في النهاية الثقة فيه، وفي قدرته على اتخاذ موقف واضح صريح، مما أضرَّ به شخصياً، فخرج حكم سورية من يديه في النهاية.

وتوجد ملاحظة هامة على فيصل، (وعلى أبيه بشكل أخف) في سياسته نحو بريطانيا، قد تدعو للحيرة. وهي أنه كلما أصابته ضربة أليمة من بريطانيا، كان يكيل لها المدائح ويبدي لها الإخلاص العجيب، وحتى في أحلك لحظات حكمه في أيامه الأخيرة، كان يظهر ولاءه لبريطانيا واعتماده عليها، مما اضطر الساسة الانكليز، إلى أن ينبهوه صراحة إلى أنهم لا يريدون أن يسمعوا منه المزيد، فقد ملوا ذلك. لكنه كان يلح في التقرب إليهم، حتى إن اللنبي، لم يقبل أن يراه في مصر، وهو مطرود من سورية. ومع هذا أصر فيصل على رؤيته، لأن اللنبي «صديقه الشخصي». بدلاً من أن يبقى لنفسه وللعرب شيئاً من الكرامة عند الانكليز، ويعود للحجاز رافضاً سياستهم، نراه يرسل المذكرات إليهم، معتذراً عن إحراج مركز الصديقة بريطانيا، ومظهراً نفسه بمظهر المتأدب، الذي لن يزعجها أبداً أو يضايقها، أو يسيىء إلى علاقاتها مع فرنسا، فقرر السفر لأوروبا.

ورغم أن انهيار الحكم الفيصلي، كان صدمة عنيفة للحركة العربية في كل البلاد العربية، وخيبة لأمل الأمة العربية، وسبباً لانفراط عقد رجالات الحركة العربية في مختلف البلاد العربية، إلا أنه ترك ــ رغم عمره القصير ــ روحاً عالية من الوعي، والإيمان

بالقومية[1] كان لها الأثر الكبير في الثورات المتتالية في سورية، والعراق، وفلسطين، وتركت في المنطقة مركزاً دائماً لبث الشعور القومي العربي، لم يزل حتى الآن جلياً في الوطن العربي. فعلى الرغم من تجزيء بلاد الشام، وفصلها سياسياً عن العراق، وبقية أجزاء المشرق العربي، فإن مفهوم الوحدة العربية، ظل يعمر صدور الأجيال المتلاحقة في سورية.

وإذا كانت السياسة الدولية استطاعت أن تجزيء البلاد العربية، وتخلق دولة سورية. فإنها لم تستطع أن تحول مفهوم الوحدة العربية والإيمان بها، إلى مفهوم القومية السورية والدولة السورية، لابل كانت النتيجة عكس ذلك، فقد زاد إيمان الشعب بالوحدة العربية بقدر ما تضاءلت به رقعة الدولة العربية الواحدة، التي أصبحت هي «سورية». وأصبح هذه الجزء الصغير «سورية» من مجموع الأجزاء العربية، نواة للوطنيين والقوميين، يعملون من جديد لمحو تلك الخطوط الوهمية، التي وضعها ذات يوم، انكليزي وفرنسي اسمهما سايكس وبيكو. ويمكن استخلاص النتائج التالية من هذا البحث:

أولاً: قام حكم فيصل في سورية، نتيجة اتفاق بين طرفين غير متكافئين، لا في النية ولا في الغاية ولا في القوة، وهما العرب بشخص الحسين، والانكليز بشخص مكماهون، ولهذا لم يكن لهذا الاتفاق قيمة، إذ كانت تعوز الحسين القوة لتحقيقه، وتعوزه أيضاً الحنكة السياسية، التي حصلت بموجبها بريطانيا على كل ما تريد، بينما كان الحسين السياسي الساذج، يظن أنه حصل على اتفاق يحمي العرب واستقلالهم، ولهذا سقطت دولة فيصل، عندما فسرت الاتفاق مع الحسين حسب مصلحتها، ولأن العرب لم يملكوا القوة لمنعها من النكث بوعدها لهم.

---

(١) جاء في كتاب Syria and Lebanon لألبرت حوراني الكلمة التالية عن الحكم العربي في دمشق «لم يُنس فيصل أبداً في سورية، مع أن حكمه كان قصيراً جداً وسلبياً، إلا أنه رفع الروح المعنوية والاخلاص في كل البلاد، وكانت حكومته ذات أساس قوي بين الجماهير أكثر من أي فترة مضت، منذ عهد الأمويين، ولو نالت المساعدة لكانت صمدت، وأن الجيل الذي يتذكر فيصلاً، لا يستطيع أن يغفر للفرنسيين، ولا يستطيع أن يعطي لحكمهم أكثر من الاحتلال بالقوة».

ثانياً: لم يكن فيصل أحسن حظاً من والده مع الانكليز، مع أن والده كان أكثر حذراً منه بتعامله معهم. فلقد كان فيصل، رجلاً بدوياً ساذجاً قليل الخبرة بالسياسة وتقلباتها، لم يمارس في حياته السابقة، هذا الأسلوب القائم على اللف والدوران والخداع، وتحقيق المصالح بمختلف الأساليب والوسائل. ولذلك ضاع في متاهة السياسة ودوامتها، ما بين لويد جورج وكلمنصو. وكان بينهما كالحمل بين الذئب والنمر. وظلا يتقاذفانه ويتجاذبانه، حتى استقر بهما الحال أخيراً إلى القضاء عليه، لأن في ذلك تحقيقاً لمصالحهما، وبذلك سقطت دولته.

ثالثاً: لم يحاول فيصل جدياً أن يبني دولته بناء قوياً، يحفظ وحدتها في الداخل ويحفظ استقلالها من الخارج. ولم يبن جيشاً قوياً قادراً على الدفاع عن هذا الاستقلال. وكان يعتقد دائماً، أن بقاء دولته مرهون برضا وضمان بريطانيا في المراحل الأولى، ورضا وضمان فرنسا في المرحلة الأخيرة. ولم يعول على الشعب للمحافظة على الاستقلال. وعندما فقد رضا وضمان بريطانيا وفرنسا، لم يجد في الداخل قوة تحمي سورية، فسقطت تحت أطماع فرنسا.

رابعاً: بالرغم من اتصاف فيصل بالعديد من الصفات الخلقية الطيبة، كالسماحة وطيب القلب واللطف وحسن المعاملة والخلق الكريم، فقد كانت تنقصه أهم صفة يجب توفرها في رجل الدولة أو الزعيم، وهي الحزم والإرادة القوية، والثبات على المواقف. فقد أضر تردده وتخاذله كثيراً بشخصه وبسورية، وكان دائماً يقع تحت تأثير القوة المباشرة عليه، ولذلك كان يتراوح موقفه صعوداً وهبوطاً، ما بين وجوده في أوروبا وفي سورية. فكان يزمع على أمر ثم ينقضه بعد وقت قصير، حتى فقد ثقة الفرنسيين باتفاقه مع الوطنيين، وفقد ثقة الوطنيين بعد اتفاقه مع الفرنسيين، وفقد بذلك ملكه.

خامساً: أضاع فيصل منذ البدء هدفه القومي، وصار يفتش عن أي ملك مهما صغرت رقعته. وتنازل كثيراً في مؤتمر الصلح، وفي اتفاقه مع كلمنصو عن الأرض العربية، وعن استقلالها، مما أوقعه في صدام مع الوطنيين، وكانت نتيجة هذا الصدام كارثة على الطرفين، فلا هم حققوا دولة عربية واحدة مستقلة، ولا هو بقي ملكاً على جزء صغير من سورية. وكانت فرنسا وبريطانيا هما المستفيدتين من هذا الصراع. أما

الوطنيون فقد غادروا سورية ، وأما فيصل فقد طرده الفرنسيون أيضاً ، وانتهت بذلك دولته .

سادساً : إن دولة لا تقوم على حماية أبنائها لها ، وتظل تعتمد على وجودها على توازن القوى الخارجية ، تبقى دائماً كريشة في مهب الرياح ، وهكذا كانت دولة فيصل ، سقطت كما قامت ، لأن الشعب لم يقدر أن يلعب فيها دوره ، لا في قيامها ، ولا في بقائها ، ولا في سقوطها . فقد كانت تعوزه القوة والتنظيم . ولم يفعل فيصل شيئاً ، إذ فقد ثقة الشعب ، بتبديل أهدافه القومية إلى إقليمية ، ولم يفعل الوطنيون شيئاً أيضاً ، غير الكلام ومجاراة فيصل في كثير من خططه ، حتى سقطت سورية لقمة سهلة في أيدي الفرنسيين .

فهرس الملاحق

ملحق رقم ١٧ صورة لبرقيات غورو في ٢٣ جوييه / تموز /.
ملحق رقم ١٨ صورة كتاب ميلران رئيس وزراء فرنسا إلى غورو في ٢٣ جوييه / تموز /.
ملحق رقم ١٩ صورة كتاب ميلران رئيس وزراء فرنسا في غورو في ٢٤ جوييه / تموز /.
ملحق رقم ٢٠ صورة منشور غورو إلى السوريين ألقته الطائرات الفرنسية في معركة ميسلون.
ملحق رقم ٢١ الدستور السوري الفيصلي.
ملحق رقم ٢٢ آراء في فيصل.

ملحق التراجم رقم ١

الأتاسي (هاشم): ١٨٧٦ ــ ١٩٦٠ من حمص. درس في بيروت والآستانة وشغل عدة وظائف إدارية في العهد العثماني. انتخب عام ١٩١٩ رئيساً للمؤتمر السوري... وفي عهد الانتداب اعتقل في جزيرة أرواد عام ١٩٢٥. وتولى رئاسة المجلس التأسيسي عام ١٩٢٨، ورئاسة الكتلة الوطنية عام ١٩٣٦، ورئاسة وفد المفاوضات مع الفرنسيين أيضاً. وتولى رئاسة الجمهورية عام ١٩٥٤.

أرسلان (عادل): ولد في لبنان عام ١٣٠٧ هـ. درس في بيروت وفرنسا واستانبول وتقلد وظائف كثيرة منذ ١٩١٣، وعين وزيراً (مديراً) في العهد الفيصلي، وشغل مناصب كثيرة في سورية والأردن. اشترك في الثورة السورية وحكم عليه بالاعدام.

الإلشي (جميل): ولد عام ١٨٨٢ في دمشق تخرج من المدرسة الحربية في الآستانة، واشترك في الحرب على الجبهة الألمانية. وفي العهد الفيصلي عين معتمداً عربياً في بيروت، ثم مرافقاً لفيصل. وفي أثناء الانتداب عين وزيراً للداخلية قبل مغادرة فيصل دمشق. ثم عين رئيساً للوزراء بعد مقتل علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء. وهو متهم بالتعاون مع الفرنسيين آخر العهد الفيصلي.

أيوبي (شكري): ١٨٥١ ــ ١٩٢٢ من دمشق. تخرج من المدرسة الحربية في الآستانة، وعمل في الحقل الوطني، واشترك في جمعية (الفتاة)، واعتقله الأتراك في دمشق وأنزلوا به عذاباً شديداً وهو شيخ في أثناء الحرب.

الجابري (إحسان): ولد عام ١٨٨٢ في حلب. وحصل على شهادة الدكتوراه في

الحقوق سنة ١٣١٩ هـ، عمل موظفاً في دوائر الدولة العثمانية، وأميناً لسر السلطان محمد الخامس والسادس وفي العهد الفيصلي عمل كبيراً لأمناء فيصل، وبعد العهد الفيصلي كان رئيساً للحزب الوطني في حلب.

الجزائري (سعيد): ولد في دمشق عام ١٨٨٢. ودرس في استانبول، وصحب والده إلى المنفى في بروسه حيث نفاه الأتراك. وكان من دعاة الجامعة الإسلامية، وموالياً للترك حتى آخر أيامهم. وكان يتقاضى راتباً من فرنسا (١٠٠) ليرة ذهبية شهرياً. وحاول الفرنسيون أن ينافسوا به فيصلاً في رئاسة الدولة السورية، وأن يكون عندهم بمثابة فيصل عند الانكليز، وروجوا له الدعاية الواسعة في لبنان، بعد أن سجنه الانكليز عام ١٩١٩، واستضافوه في فرنسا في (أكس) بعد خروجه من السجن.

الحصري (ساطع): من حلب، ولد في اليمن عام ١٨٨٠. حيث كان أبوه موظفاً فيها، ودرس في تركيا، وتولى وظائف إدارية وتدريسية كثيرة، وعمل مديراً لدار المعلمين في استانبول. وقضى ثماني سنوات في البلقان، وعمل ضد السلطان عبد الحميد. تولى مرات كثيرة وزارة المعارف في العهد الفيصلي، وعمل على تعريب التعليم. وبعد سقوط فيصل ذهب معه إلى العراق حيث وضع أسس التربية العراقية. أخرجه الانكليز من العراق، إثر ثورة رشيد عالي الكيلاني في أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي عام ١٩٤٧ وضع أسس التعليم العربي في سورية. ثم عمل أستاذاً زائراً في معهد التربية التابع للجامعة العربية. له مؤلفات كثيرة عن القومية العربية.

الحكيم (يوسف): ولد في اللاذقية عام ١٨٨٣. عمل في المناصب القضائية، ومحكمة التمييز والوظائف الإدارية، وهو يحمل إجازة في الحقوق. عمل في حكومة جبل لبنان سنة ١٩١٢. عين مرات كثيرة في الوزارات في العهد الفيصلي، وبقي مع فيصل حتى خروجه من سورية، كما عمل وزيراً في حكومات الانتداب.

الخوري (فارس): ولد في لبنان عام ١٨٧٧، وتخرج من الكلية الأمريكية في بيروت. وعمل بالمحاماة، وانتخب سنة ١٩١٢، نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثين. تولى وزارة المالية في العهد الفيصلي، وعين في عهد الانتداب عضواً في مجلس الاتحاد السوري عام

١٩٢٢، وأستاذاً في معهد الحقوق العربي. نفي إلى أرواد عام ١٩٢٥، واشترك في عدة وزارات وعين رئيساً للوزارة عام ١٩٥١، وتوفي عام ١٩٦٢.

رضا (رشيد): ١٨٦٥ ـــ ١٩٣٥، ولد في طرابلس الشام، من القلمون. تنسك ونظم الشعر وكتب في الصحف. واتصل بالشيخ محمد عبده في مصر وتتلمذ عليه. أصدر مجلة المنار. واشترك في تأسيس حزب الاتحاد السوري. عين رئيساً للمؤتمر السوري عام ١٩٢٠، في العهد الفيصلي. غادر سورية بعد سقوط فيصل، وذهب في رحلة إلى الهند والحجاز وأوروبا، ثم استقر في مصر ومات فيها ودفن. من آثاره مجلة المنار (٣٤) مجلداً، وتفسير القرآن الكريم (١٢) مجلداً ولم يكمله. وتاريخ الأستاذ محمد عبده (٣) مجلدات، وغيرها.

الركابي (علي رضا): ولد في دمشق، وتخرج من المدرسة الحربية في الآستانة. تولى وظائف عسكرية في القدس والمدينة سنة ١٩١٢، فبغداد فالبصرة. وكان من حملة الفكرة العربية، فدخل في جمعية الفتاة والعهد. خدم الأتراك أيام الحرب. وتسلم رئاسة الوزارة في دمشق بعد دخول الجيش العربي. وتولى رئاسة الوزارة مرتين في عمان، بعد احتلال الفرنسيين لسوريا، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها عام ١٩٤٢.

شلاش (رمضان): ولد عام ١٨٦٩ في محافظة الفرات. وكان أبوه رئيس عشائر البوسرايا. تخرج من المدرسة الحربية في الآستانة في عهد السلطان عبد الحميد. واشترك في حرب ليبيا وفلسطين. ثم انضم للثورة العربية وعين عام ١٩١٩ حاكماً عسكرياً لمنطقة الفرات، حيث قام بثورة ضد الانكليز. وفي عام ١٩٢٠ حارب الفرنسيين في منطقته بعد معركة ميسلون، عدة أشهر. وحكم الفرنسيون عليه بالاعدام. وفي عام ١٩٢٣ عين قائداً عاماً للجيش الذي سينقذ سورية. واشترك بالثورة السورية عام ١٩٢٥. وثار ضد الفرنسيين في وادي الفرات عام ١٩٤١ وسجن حتى ١٩٤٦.

الشهبندر (عبد الرحمن): ١٨٨٢ ـــ ١٩٤٠ من دمشق. تخرج طبيباً من الجامعة

الأمريكية سنة ١٩٠٤ . أقام في مصر حتى ١٩١٩ ، واشترك في تأسيس حزب الاتحاد السوري فيها . عين وزير للخارجية في حكومة فيصل . سجن في أرواد أيام الانتداب . اشترك في الثورة السورية عام ١٩٢٥ . وهرب لمصر ثم عاد لدمشق عام ١٩٣٨ . شارك في تأسيس حزب الشعب ، واغتيل في دمشق . كتب مقالات في مجلة المقتطف والهلال في كتاب سماه (القضايا العربية الكبرى) وله مذكرات .

الصلح (رضا): ١٨٦٠ ــ ١٩٣٥ ، ولد بصيدا ثم أصبح من أعيان بيروت . تولى أعمالاً حكومية حتى انتخب عضواً في مجلس المبعوثين عام ١٩٠٩ . اشترك بتأليف الحزب الحر المعتدل في مصر وحزب الحرية والائتلاف في الآستانة المناوىء للاتحاديين . ونفاه الترك بين ١٩١٦ ــ ١٩١٨ ، وعين في حكومة فيصل وزيراً للداخلية مرتين ، ورئيساً لمجلس الشورى . وبعد الاحتلال الفرنسي اعتكف في بيروت حتى وفاته .

طليع (رشيد): ١٨٧٧ ــ ١٩٢٦ ، ولد في الشوف في لبنان ، ودرس في بيروت والآستانة . وعين عضواً في مجلس المبعوثين عن الدروز ، ثم متصرفاً لطرابلس في الحرب . وعين وزيراً في العهد الفيصلي ، وحكم عليه بالاعدام بعد الحكم الفيصلي ، تولى رئاسة الوزارة في الأردن عام ١٩٢٢ ، واستقال بسبب الانكليز ، ثم انتقل إلى مصر ، وعاد إلى سورية واشترك بالثورة عام ١٩٢٥ .

العظمة (يوسف): ١٨٨٤ ــ ١٩٢٠ ، من دمشق تخرج من المدرسة الحربية العالية في استانبول عام ١٩٠٣ . ودرس (أركان حرب) في ألمانيا عام ١٩١١ . واشترك في حرب بلغاريا ورومانيا والقفقاس . وفي عام ١٩١٧ عين مرافقاً لأنور باشا رجل تركيا الأول . ثم حارب في الدردنيل في العام نفسه . وبعد نهاية الحرب ، استقال وعاد إلى دمشق معتمداً عربياً في بيروت ، ثم رئيساً لأركان الجيش ، ووزيراً للدفاع ، وقتل في ميسلون عام ١٩٢٠ ، كان متزوجاً من تركية وله منها بنت .

عمون (اسكندر): ١٨٥٧ ــ ١٩٢٠ ، ولد في دير القمر في لبنان ، ودرس الحقوق واشتغل بالأدب . وقطن مصر وعمل بالمحاماة . وتولى وزارة العدل في الحكم الفيصلي ،

ثم استقال بسبب مرضه ومات في القاهرة. له مباحث كثيرة وترجمات عن الكتب الفرنسية.

قدري (أحمد): ولد في دمشق عام ١٨٩٣. وكان عضواً مؤسساً لجمعية العربية الفتاة، وكان ضابطاً في الجيش التركي. وعمل طبيباً خاصاً لفيصل، واستقر في القاهرة بعد سقوط فيصل. أسند إليه فيصل العمل في القنصلية العراقية في القاهرة سنة ١٩٣٠، وفي باريس سنة ١٩٣٥. عاد إلى دمشق عام ١٩٣٦. وفي عام ١٩٤٣ عمل أميناً عاماً لوزارة الصحة العامة السورية.

القصاب (كامل): ١٨٧٣ــ١٩٥٤، من دمشق وأصله من حمص. درس العلوم الدينية والعربية، وأنشأ المدرسة الكاملية في دمشق لبعث الروح العربية أيام الأتراك. وفي أثناء الحرب كان من منتسبي جمعية الفتاة. سافر إلى مصر أثناء الحرب. وكان أحد مؤسسي حزب الاتحاد السوري. وهو أحد السبعة الذين صرحت لهم بريطانيا بتصريحها الذي عرف (بالتصريح للسبعة) ورأس اللجنة الوطنية في دمشق. وغادر سورية بعد ميسلون وحكم الفرنسيون عليه بالاعدام، ثم سافر إلى السعودية وتسلم إدارة المعارف فيها. وبعدها سكن في حيفا وأنشأ فيها مدرسة وبعد العفو عن المحكومين في سورية عاد إلى دمشق. وعمل في أيامه الأخيرة رئيساً للجنة العلماء، ثم استقال منها وانزوى في بيته حتى توفي في دمشق.

نعمة العباسي (مصطفى): ولد عام ١٨٧٨ في دمشق، وتخرج من المدرسة الحربية في الآستانة. وفي العهد الفيصلي عين قائد فرقة عسكرية، فحاكماً عسكرياً، ثم رئيساً لمجلس الشورى العسكري، وشغل مناصب عديدة في عهد الانتداب.

الهاشمي (ياسين): ١٨٨٢ــ١٩٣٧، ولد في بغداد. تخرج ضابطاً من الآستانة ثم من برلين عام ١٩٠٥. حارب في البلقان. دخل جمعية العهد والفتاة. ظل في صفوف العثمانيين حتى سقوط دمشق، حيث كان مجروحاً، واختبأ فيها حتى دخول فيصل حيث عيه رئيساً للشورى العسكرية. واعتقله الانكليز في نوفمبر / تشرين الثاني /

١٩١٩ . وأطلق سراحه بعد حوالي ستة أشهر . وبعد العهد الفيصلي تولى وزارات كثيرة في العراق ، وألف فيه حزب الشعب كما عين رئيساً للوزارة فيه . وظل في العراق حتى عام ١٩٣٦ ، إلى أن قامت ثورة بكر صدقي ، فرحل إلى بيروت وتوفي فيها ، ودفن في دمشق .

ملحق رقم ٢

نص اتفاقية فيصل ــ وايزمن [١]

إن صاحب السمو الملكي، الأمير فيصل، ممثل المملكة العربية الحجازية، والقائم بالعمل نيابة عنها، والدكتور حاييم وايزمن، ممثل المنظمة الصهيونية، والقائم بالعمل نيابة عنها، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة، لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية، هو اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم، الذي يقوم بينهما، فقد اتفقا على المواد التالية:

١ ــ يجب أن يسود جميع علاقات، والتزامات، الدولة العربية، وفلسطين أقصى النوايا الحسنة، والتفاهم المخلص، وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة، حسب الأصول في بلد كل منهما.

٢ ــ تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة، الحدود النهائية بين الدول العربية، وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣ ــ عند إنشاء دستور إدارة فلسطين، تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها، تقديم

(١) اعتمدنا الترجمة العربية الواردة في كتاب «الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين» (المجموعة الأولى ١٩١٥ ــ ١٩٤٦) ص ٢٧٦. انطونيوس، ص ٥٩٣.

أوفى الضمانات ، لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية ، المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر / تشرين الثاني / ١٩١٧ .

٤ ـــ يجب أن تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، على مدى واسع والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة ، لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع ، والزراعة الكثيفة . ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات ، يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين ، المستأجرين العرب ، ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي .

٥ ـــ يجب أن لايسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارس الحرية الدينية ، ويجب أن يسمح على الدوام أيضاً بحرية ممارسة العقيدة الدينية ، والقيام بالعبادات ، دون تمييز أو تفضيل ، ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية ، لممارسة الحقوق المدنية أو السياسية .

٦ ـــ إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين .

٧ ـــ تقترح المنظمة الصهيونية ، أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الامكانيات الاقتصادية في البلاد ، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها ، وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية ، بقصد دراسة الامكانات الاقتصادية في الدولة العربية ، وان تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها ، وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها ، لمساعدة الدولة العربية ، بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية ، والامكانات الاقتصادية في البلاد .

٨ ـــ يوافق الفريقان المتعاقدان ، أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامين ، في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح .

٩ ـــ كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين ، يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم .

وهذه صورة لتحفظ فيصل بخط يده (مجلة الأسبوع العربي، عدد ٥٣٩، ٦ أكتوبر / تشرين الأول / ١٩٦٩، نقلاً عن مقالة لعبد اللطيف الطيباوي، وهذا نصه) «إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ جانفي / كانون الثاني / ١٩١٩ المقدم إلى رئاسة خارجية حكومة بريطانيا العظمى، فإني موافق على ما ذكرنا طبق هذا من المواد وإن حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون ملزوماً أو مربوطاً بأي كلمة كانت، بل تعد هذه المقاولة كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار، ولا أطالب بأي صورة كانت».

Faisal's Arabic Note
(with several words spelled as in Turkish)

ملحق رقم ٣

صورة صفحة من نظام اللجنة الوطنية العليا. (من أوراق محب الدين الخطيب)

نظام
اللجنة الوطنية العليا

المادة الاولى :

تألفت اللجنة الوطنية العليا من سبعة وعشرين عضواً انتخبهم مساء الاربعاء خامس تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ ثمانية واربعون ذاتاً يمثل كل واحد منهم حياً من احياء العاصمة السورية الثمانية والاربعين • وكل واحد من هؤلاء انتخبه مساء [illegible] اول تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ أربعة ناخبين عن حيه • وهذه الاربعات منتخبة انتخاباً قانونياً من احيائها في اجتماعات محلية عامة اشترك فيها جميع سكان الاحياء المذكورة بصورة علنية

المادة الثانية :

غاية الامة من انتخاب هذه اللجنة الوطنية العليا بالصورة المتقدمة هي:

١ – اتخاذ كل الوسائل لحفظ وحدة البلاد السورية ، والذود عن استقلالها التام ، ومقاومة كل مبدأ يرمي الى تأسيس قومية غريبة تهدد كيان البلاد السياسي والوحدة السورية

٢ – تنمية كل قوى البلاد المادية والمعنوية ، وتنظيم تلك القوى ، وحسن الاستفادة منها في سبيل الغاية المشار اليها

٣ – انعاش روح القومية العربية

٤ – توثيق روابط التضامن والتعاون فيما بين الافراد والجماعات والطوائف

ملحق رقم ٤

الخطاب الذي ألقاه فيصل في دار الحكومة
ـ بدمشق في ٥ ماي / أيار / ١٩١٩[١] ـ

أتشرف بأن ألقي بعض كلمات على مسامعكم الكريمة. وهذه الكلمات ستكون تاريخية، بالنسبة لحياة الأمة العربية الجديدة في ماضيها واستقبالها. وأرجو العفو والعذر، إذا سمعتم بعض أغلاط تقع مني في أثناء الحديث، لكوني لست من رجال هذا الموقف، وأرجوكم أن تنتظروا إلي بعين العذر، وقد دفعني إلى الكلام:

أولاً: إن أكثر هؤلاء الكرام الذين أتشرف بمخاطبتهم، يجتمعون هنا من كافة أنحاء سورية. وقد أتوا إلى بيروت لملاقاتي وأداء التحية باسم جميع المواطنين، الذين ينتدبون عنهم. ومضوا إلى هنا ليسمعوا مني ما حصل في الغرب في مؤتمر السلام، بخصوص بلاد العرب عامة، وسورية خاصة. ولا شك في أنني مكره على إلقاء هذه الكلمات، لأطمئن أهل البلاد على بلادهم وعلى استقلالهم. مع أني بعض الأحيان، لا يمكنني أن أصرح بكل شيء لبعض الموانع السياسية، التي تجبرني على السكوت عنها للوفد القادم. ولما كان أكثر الذوات، لا يعرفون ما هي الحركة الثورية، التي قامت في الحجاز، وماهو السبب الدافع إليها، ولربما إنهم قبل يومنا هذا، كانت أفكار بعضهم ممن لا يعلم السياسة العمومية، داعية إلى اتهام هذه الثورة بتهم لا محل لذكرها، ويقول

(١) أوردنا هذا الخطاب لأنه يمكن اعتباره نموذجاً لسياسة فيصل والوطنيين، يعطي صورة للاجتماعات التي كانت تعقد في ذلك التاريخ.

إن من قام بهذه الحركة ، أتى بخيانة للوطن أو للأمة أو للجامعة العثمانية ، التي كنا نحن من أفرادها .

ولكن على أثر انكسار الاتحاديين ، وتشتت شمل الاتحاد الجرماني . علم المجموع ، أن من قام بالثورة ، هو رجل أو رجال ، عالمون بسير الحركة السياسية والعسكرية في العالم . وأن من قام بهذه ، ما قام إلا لحفظ قسم من جسم البلاد العثمانية ، وإنقاذه مما سيقع به بعد الحرب . ولا شك أن المسؤول في الحركة ، أي الحركة الثورية العربية أولاً والدي ، ثم الحجازيون مادة ، الذين قاموا فعلاً . أما السوريون ، فإنهم مسؤولون عنها معنى . لأنهم قد شوقوا الحجازيين لهذه الحركة . فنرى ولله الحمد أن الفخر ، وإن كان أولاً للحجازيين ، فهو فخر للجميع . لأن هذه الثورة هي ثورة قومية ، لا يمكن أن نسندها إلا إلى الأمة جمعاء . نعم إن والدي قام بالثورة في أثناء النزاع العظيم الدنيوي ، بعدما رأى أن الأتراك انقادوا إلى التيار الألماني ، وأوردوا الأمة العثمانية موراد الهلاك ، ورأى ان دوام العرب في الحرب مع الأتراك ، المتحدين مع الألمان ، سيوقع البلاد التركية في ذات الموقع ، ورأى أن الأمة العربية ، التي طالما تمنت الخروج من نير الاستعباد ، والنهوض إلى ما كانت عليه ، في سابق التاريخ ، طامحة بأنظارها إلى الافلات من أشراك أعدائها . لهذا قام بالحركة ، بعد أن أتيت إلى سورية وقابلت بعض الرجال ، الذين منهم كثيرون في مجلسنا هذا ، سواء من البدو أو من الحضر ، عقب مجيئي إلى هنا ، ولا شك في أنهم يذكرون ذلك .

ولما وصلت إلى دمشق ، ورأيت ما رأيت من رجال الثورة ، رجعت إلى الحجاز ، وأخبرت والدي كيف أنهم قاموا بواجبهم ، وعليه قام . لكن تقدير الباري ، جعل السوريين في موقف لا يمكنهم في مؤازرة الحجاز بما قام به ، لأسباب تعلمونها ، وهو ضغط الأتراك عليهم ، وما أتوه من الأفعال ، التي سيسطرها التاريخ ويخلد ذكر من قتل ومن استشهد ، في تلك الأثناء من السوريين ، بأحرف ذهبية . قام والدي ولم يفكر فيما يقع على الحجاز والحجازيين من القيام ضد الأتراك ، ولم يتيقن من النتيجة . إلا أن الباري سبحانه وتعالى ، يسر هذه الأمور ، فجلا الأتراك عن سورية كافة .

لا شك أنه قبل ذلك، أتى ببعض مذكرات أو معاهدات، بينه وبين الأمم المحالفة، أمم الحلفاء، واتكالاً على الباري سبحانه وتعالى، ثم على العهود التي أخذها، قام بالواجب، إلى أن انتهى الحرب وبدأ الصلح. ذهبت عن والدي إلى باريس عقب جلاء الأتراك. ولتنفيذ الخطط العسكرية في البلاد المحتلة، جعلت البلاد السورية مقسمة على ثلاث مناطق، وهذا لتنفيذ الخطط العسكرية ليس إلا. وأسس الحكومة العربية العسكرية في داخلية سورية ـــ وهي ليست حكومة دائمة ـــ ولذلك ذهبت إلى المؤتمر الذي انعقد في باريس، لأخذ كل مستحق حقه. وصلت باريس، ودخلت المؤتمر، وجمعية الأمم، لبث رغائب الشعب على قدري اجتهادي، وتمكنت من قول ما أريد. وعند ذهابي، رأيت أمم الغرب في حالة جهل عميق عن أحوال العرب. كانوا لايعرفون عن العرب، إلا ما كانوا يعرفونه عنهم، في حكايات ألف ليلة وليلة ليس إلا. كانوا يظنون العرب عبارة عن الأمم السالفة العربية، ولا يفتكرون بوجود الأمم العربية الحاضرة، ولا يعرفون شيئاً عن الأفكار السياسية، والنهضة التي حصلت فيها. يفتكرون أن العرب هم عبارة عن عرب البادية، الذين يسكنون الصحراء. وأما باقي سكان البلاد المعمورة، فهم يعدونهم غير عرب. ولا شك في أن جهلهم هذا، جعلني أصرف وقتاً طويلاً لأفهم هذه الأمم الحقيقة، وأثبت أن العرب أمة واحدة، تقطن في البلاد التي تحدها البحار من الشرق والجنوب والغرب، وتحدها جبال طوروس من الشمال.

قلت هذا للمؤتمر، وأخبرتهم بمقاصد العرب ونواياهم. وبما أنهم قاموا لإنصاف المظلوم، فبعد أن فهموا المقاصد والمطالب، وما فعله العرب من المعاونة للحلفاء في هذا الحرب، اعترفوا باستقلال العرب مبدئياً. ولكونهم ليسوا عالمين الدرجة التي جازتها الأمة العربية اليوم، من الرقي الأدبي والسياسي، ولتأمين السلم في البلاد بأجمعها، رأوا أن ينتدبوا هيئة دولية لترى الحقيقة بأبصارها، وها هي قادمة إليكم.

كانت مدافعتي عن بلاد العرب على قسمين:

القسم الأول ـــ البلاد العربية لا يمكن تجزئتها.

القسم الثاني ـــ بما أن البلاد العربية بين سكانها اختلاف في طبقات العلم، والتعليم

ليس إلا ، فالظروف ليست كافية لتجعلهم أمة واحدة ، وحكومة واحدة . لذلك رأيت الدفاع كما يلي :

إن سورية والحجاز والعراق قطعات عربية . وكل قطعة فيها يطلب أهلها الاستقلال . وقلت أن نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية ، هي تابعة للحجاز ليس إلا . وهذه يرأسها والدي . أما سورية فيجب أن تكون مستقلة . وكذلك العراق يريد استقلاله ، ولا يريد معاونة أو حماية . نحن لا نرضى في سورية أن نبيع استقلالنا ، بما نحتاج إليه من المعاونات في ابتداء تشكلنا . بل إن الأمة السورية هي أمة ، تريد أن تستقل وتأخذ ما تحتاجه من المعاونة بثمنه ، أي بدراهم معدودات .

دافعت هذا الدفاع . ولا حاجة إلى تفصيل غير ذلك ، لأن مجلسي هذا هو خاص لسورية ، فإنني أقول عن سورية :

دافعت عن سورية بحدودها الطبيعية ، وقلت أن السوريين يطلبون استقلال بلادهم الطبيعية ، ولا يريدون أن يشاركهم فيه شريك . وقد توفقنا والحمد لله . العراق مستقلة ، بلا علاقة بسورية ، كما أن سورية لا علاقة بسائر البلاد العربية ، على أن العرب أمة واحدة ، وكلنا يعلم أن المقاطعات العربية بالنسبة للتاريخ والجغرافية والصلات القومية ، هي بلاد واحدة . وأن هذه المقاطعات ، تكون جماركها ومصالحها الاقتصادية موحدة ، لا حاجز يحجز المناسبات الودية والاقتصادية بينها .

كانت مدافعاتي عن البلاد بهذه الصورة . وكانت الأمم تنظر إلى طلباتي بنظر الإرتياح والقبول . وما حصل من الجدال ، ما هو إلا من عدم معرفة تلك الأمم مقاصد العرب وطواياها ، خوفاً من وقوع مالا تحمد عقباه ، بما بذره الأتراك ، ولكون الأمم الغربية تنظر إلى المجموع التركي العثماني كمجموع واحد ، وما يحصل من الأتراك يظنونه من العرب . فبعد أن وقفوا على حقيقة الأمر ، وعرفوا ماهي مقاصد السوريين ، أذعنوا لهم وأعطوهم كل ما يطلبونه . وها أنا بين أيديكم ، قد قدمت إليكم من مؤتمر السلم ، أبلغكم ذلك . وستصل إليكم الهيئة الدولية وتخبركم بما أخبرتكم به ، ويتطلب

منكم أن تعربوا لها، عن ضمائركم بأية صورة كانت، لأن الأمم لا تريد اليوم أن تحكم أمة أخرى إلا برضاها.

وقد جعلت جمعية الأمم مانعاً للحرب، ووكلت بحل الاختلافات والنظر فيها. وسيكون للعرب مندوب في جمعية الأمم. وهذه التي تنظر إلى ما هو حاصل، أو ما يحصل بين الأمم من الاختلافات، بعد رجوع هذه الهيئة إلى باريس. وستبدي رأي كل شعب من الشعوب، التي كانت تحت يد الترك، وتعلن مطالب العرب وغيرهم، أما استعباداً أو حكماً ذاتياً استقلالياً، على قدر علم وعرفان واقتدار الأمم، التي انسلخت عن الأتراك.

فالموقف اليوم هو بيدكم، إن التسويات الخارجية، قد تمت بفضل الباري سبحانه وتعالى، وبحسن نية من حالفنا من الدول العظام، الذين لا يمكنني أن أفرق بين الواحدة والأخرى في حسن النية، وهم بكل ارتياح قد قبلوا ما نثرت من أيديهم من الأقوال.

أنا الآن سأبتدىء في قولي عما يجب علينا عمله. ولكن قبل كل شيء يلزمني أن أرجع ثانياً إلى الماضي فأقول:

إن الثوار قاموا ولم يستشيروا الأمة، لعدم مساعدة الوقت، فتحملوا المسؤولية وعملوا ما عملوه حتى اليوم.

والآن ذكرت ما حصل في السابق إلى تاريخنا هذا، وأريد ممن حضر من ممثلي الأمة ــ الذين في حالتهم الحاضرة، ليسوا ممثليها بالصورة الحقيقة، ولكنهم بموقعهم الأدبي يمثلون الأمة معنوياً ــ أطلب منهم أن يصرحوا لي بأفكارهم، وأن يقولوا لي هل ماقمنا به في السابق هو حسن أم لا؟ (فأجيب الأمير على سؤاله «حسن حسن» وأعقب بالتصفيق والهتاف).

وهل هو موافق لرغائب الأمة أم لا؟ (فأجابه الحضور: موافق موافق، مع الهتاف الشديد).

وهل أعمالنا مقرونة برضى الأمة أم لا؟ (فأجاب الجميع: نعم، نعم وكل الرضى، وفوق الرضى. تصفيق وهتاف).

هذه أعمالنا في السابق، ولكن بعد اليوم، يجب على رجال الثورة أو رجال الحكومة الحاضرة، (قولوا ماشئتم) أن يظلوا سائرين بأعمالهم، لأننا إلى الآن ما تمكنا من تأسيس حكومة أساسية.

ولكن بما أن الوقت قد ساعد، واجتمعت هذه الوفود، فلا يمكنني أن أرجعهم قبل الاطلاع على أفكارهم الخصوصية.

هل يريدون أن نداوم على عملنا أم لا؟ (الجواب نداوم نداوم، مع الهتاف).

هل الأمة معتمدة على من هو قائم بأمرها أم لا؟ (فأجابوه: معتمدة معتمدة معتمدة).

أرجوكم الإصغاء لبعض كلمات تجول في خاطري:

هل تسمح الأمة بأن أدير الحركة السياسية، الخارجية والداخلية بعد اليوم أم لا؟ (نعم، نعم، نعم) تصفيق شديد وهنا قوطع بالهتاف الشديد وقال الجميع (فليحيى أميرنا فيصل) تكراراً، وتكلم بعض الحضور باختصار، ثم عاد إلى الكلام فقال:

أشكر هذه الهيئة وأشكر هؤلاء الذوات على ماهو ناظرون إلي به، من الارتياح والطمأنينة، ولكنني أيضاً أجلب نظرهم إلى مسألة وهي:

لا شك أن الوكيل أو الشخص الذي يدافع في الحقوقيات، لا يمكنه المدافعة عن حقوق موكله إلا إذا كان بيده وثائق تخوله ذلك. كذلك السياسيون، لا يمكنهم الدفاع عن الأمة إلا إذا كانوا حائزين على الشروط التي تمكنهم من العمل. فالهيئة الحاضرة تسأل الأمة هذا السؤال، وتريد الإجابة عليه وهو:

هل الأمة تؤيد كل أعمالي في الداخل والخارج، قولاً وفعلاً؟ وهل تساعدني بإعطاء جميع ماأطلب منها، بدون شرط ولا قيد أم لا؟

(فأجيب... نعم لك الأمر.....)

هذا الذي أريد. لا شك أن هذه هي النقطة الأساسية، التي تكون مستنداً للشخص أو للذوات أو للهيئة، التي سيعملون لتدبير الشؤون بعد اليوم، إلى حين انعقاد المؤتمر السوري، الذي سينعقد في هذه الأيام.

ولكن لكي أعمل إلى ذلك الوقت، يلزمني الاعتماد وقد طلبته منكم، واعطيتموني إياه وسأعمل.

أرجو الباري سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى مافيه الخير. وإني أريد من الأمة أن تنظر إلي بالنظر السابق، وانتظر من الأمة أن لا تغتر وتقول: الأمم أعطتنا استقلالنا. فإن اعتراف تلك الأمم، ما هو إلا اعتراف معنوي، فلا تعطي شيئاً إلا ما نأخذه بأيدينا. فالأمر بيد الأمة وعليها القيام. وإن لم تقم، واتبعنا الأهواء، وقلنا نحن مستقلون، وكل منا تقاعد عن واجبه الوطني، فلا استقلال لنا.

أقول هذا لأني رأيت الأمة عند قدومي، قابلتني بكل ترحيب، وأريد أن الأمة تؤيد أقوالها بأفعالها. هذا هو طلبي وهو مختصر جداً. ولعدم علمي بما سأطلبه، لا يمكن أن أقول شيئاً. ولكن بعد أن أحرزت ثقتكم ونلت اعتمادكم، فعلى قدر ما راه من الحاجة، سأطلب من الأمة أن تؤازرني معاً.

فقام أحد موفدي حوران (سعد الدين أفندي الخليل)، وقال ان حوران تقدم لسموه ما يطلب. وقام موفد آخر وتكلم بحماسة شديدة. ثم قام أحد موفدي فلسطين، وقال: إن دماء الفلسطينيين وأموالهم للأمير. وقال أحد موفدي العامريين «إننا قد لبسنا للحرب عدتها، نحن وجميع العرب، من لم يقتل فليمت». فقال له الأمير أرجوك التوقف. لأن ما قيل ليس بلسان العموم. أريد أن ينتدب أحد منكم

للكلام، فقام حضرة نوري باشا الشعلان شيخ مشايخ الرولا، فقال: نحن العرب، عيالهم وبيوتهم الشعرية فداك وطوع يديك، ومن لايفعل ذلك، يخرج عن دين الاسلام.

نسيب بك الأطرش: نحن جميع عشائر سورية العربان والدروز، نضحي بحياتنا تجاه خدمتك وخدمة الأمة العربية. والحائد عن ذلك، يكو خائن الناموس والشرف والعرب.

الشيخ عبد الحسين صادق (جبل عامل): إنني باسم أهل جبل عامل أبايعك على «الموت».

الأمير: لم يحن زمن المبايعة. نحن اليوم في دمشق. وكلامي موجه للدمشقيين وللسوريين، وأريد أن أسأل أهل دمشق ثم أهل المقاطعات.

محمد فوزي باشا العظم، ومحمد أبو الخير أفندي عابدين، والشيخ أسعد الصاحب وغيرهم «نحن رهينة أمرك نفديك ونعتمدك».

غبطة بطريرك الروم الكاثوليك «كما تأمرون سموكم فمروا بما تشاؤون».

ثم سأل سموه غبطة بطريرك الروم الأرثوذكسي، فأجاب غبطة: بيننا وبين سموكم اتفاق في هذه القاعة على شرائط معدودة، لا تبرح من ذاكرتكم الشفافة، فنحن عليه راسخون.

ثم استأنف غبطة بطريرك الروم الكاثوليك وقال «إني أعتمد نفس الاعتماد، الذي اعتمده غبطة بطريرك الروم الأرثوذكس».

مطران السريان الكاثوليك: إنني أعتمد سموكم بنفس الاعتماد، الذي إعتمده غبطة بطريرك الروم الأرثوذكس.

سيادة مطران السريان القديم : أقول بلسان السريان في سورية ، إنها طوع أمرك تبايعك بقلوبها وتعتمد عليك .

سعيد باشا سليمان (بعلبك) : عموم أهل قضاء بعلبك تحت أمرك ، مئات وألوف رهن إشارتك .

عمر بك الأتاسي (حمص) : قدمت من حمص ، وما ودعت الحمصيين إلا بعد أن اعتمدوني ، وهم يسلمونك دماءهم وأرواحهم .

ابراهيم أفندي الخطيب (جنوب لبنان) : فوضناك أن تكون سلطاناً (سمو الأمير باسماً ابق ذلك الآن) ، جبل لبنان جزء متمم لسورية ، لا ينفك عنها .

عبد القادر أفندي الكيلاني (حماه) : نعاهدك على أنفسنا وأموالنا ونعطيك كل اعتماد .

الشيخ رضا الرفاعي (حلب) : أهالي ولاية حلب ، حاضرتها وباديتها ، لا يقلون عن سائر البلاد ، وهم يعتمدون على سموكم .

شوكت أفندي الحراكي (المعرة) : ستون ألفاً من قضاء المعرة تعتمد سموكم .

الشيخ عبد القادر أفندي المغربي (طرابلس) : تفديك الأمة بأموالها وأنفسها وأرواحها .

رضا بك الصلح (بيروت) : إن الأمة العربية تعتمد سموك .

رياض بك الصلح (صيدا) : إن آمال الأمة معلقة على سموك ، وهي تفديك بأرواحها ودمائها . وإنني أتطوع منذ الآن بصفة جندي بسيط .

شاب شركسي (عمان) : أموالنا وأولادنا فداء للدولة العربية .

منح أفندي هارون (اللاذقية) : أوفدني اللاذقيون ، وقد منحوني مضابط تخولني

حق التكلم باسمهم. فأنا ورفيق آخر، موكلون لتفويض سموكم، بكل ماهو صالح لهم، والاعتماد عليكم.

أديب أفندي وهبة (السلط): إن أهالي السلط عبيد بين يدي سموكم، ويفدونك بأرواحهم، ويبذلون دماءهم لأجلكم.

الأمير أسعد الأيوبي (عن مسلمي لبنان): نفوض سموكم التفويض التام للاستقلال التام.

مصطفى بك العماد (عن دروز لبنان): نوكلك وكالة مطلقة، فكل ما تراه حسن فهو حسن.

عبد الرزاق الدندشي (حصن الأكراد): إن أهالي حصن الأكراد، الذين يبلغون نحو خمس سكان لواء طرابلس، يوكلون سموكم، ويبذلون دماءهم فداء عنكم.

رئيس الحاخامين (دمشق): إن أموالنا ونفوسنا بين يديك.

الأمير: لقد حصل المطلوب.

مطران الأرمن المهاجرين: تكلم باللغة التركية، فشكر ما لقيه مهاجرو الأرمن من عطف العرب وانسانيتهم، خلال سني الحرب الأربع. وقال: إن تاريخنا سيكتب اسم العرب بمداد من ذهب. فأنا أبارك لكم وأشكركم.

واستأنف الأمير الكلام فقال:

لا شك انني بعدما أخذت هذا الاعتماد من هذه الهيئة، سأداوم على أعمالي كما سبق، لحين انعقاد المؤتمر العام، الذي أخبرتكم عن انعقاده في هذه الأيام، الذي سيسن القوانين، التي توضع لإدارة شؤون سورية كافة.

ولا شك أن فكري في إدارة سورية، هو انني أرى مطاليب الأقلية من الشعب، تكون مرجحة على آراء ورغائب الأكثرية. وهذا أولاً بالنسبة لما بذل الأتراك من الشقاق والنفاق بين العناصر، فالبلاد ستقسم إلى مناطق بموجب الحالة الجغرافية والسياسية،

التي اكتسبها السكان بالنسبة إلى اختلاف مناطقهم. وانني أعلم يقيناً، أن القسم الجنوبي من البلاد السورية لا يدار كما يدار الساحل، ولا يدار الساحل كما يدار داخل سورية مثلاً، وحوران وجبل الدروز والمنطقة الجنوبية. وقولي هذا قول شخصي، لأنني فرد، ولكني أؤثر على المجموع بما له من الاعتماد علي. وإن شاء الله أرى منهم اعتماداً دائماً، ويأخذون أقوالي ويعملون بها، لأن النتيجة حسنة إن شاء الله (تصفيق وسكوت برهة).

وإني أطلب من الجميع كبيراً كان أو صغيراً، أن يعتمدوا على الباري سبحانه، ثم على من هو منهم، أي شخصي الحقير. لأني سأدافع عنهم، وسأنظر إليهم على اختلاف أديانهم نظرة واحدة.

لا فرق عندي بينهم، بل أرى الصالح والمتعلم مقدمين في نظري.

أقسم على هذا بشرف آبائي وأجدادي. كما إني أطلب من الأمة، أن لا تنظر إلى شخصياتها في المعاملات العامة. وليس لأحد منا أن يقول كنت كذا. ناظراً لشأنه العائلي. بل لينظر كل منا إلى النفع العام، في جميع الأمور التي يجب أن تقدم على المصالح الخاصة. ولا شك أن الشخص بذاته محترم عند الجميع. ولكن العمل يجب أن يكون بالعلم. فقد يكون الرجل وجيهاً في البلاد، وهو غير قادر على إدارة وظيفة. فليعلم كل إنسان أنني لا أتحزب لشخص، لأنه من عائلة أو أسرة ذات شأن وقوة، بل أنظر إلى اقتداره الشخصي، لا لمقامه الاجتماعي في الأمة. فاستخدمه في العمل الذي يليق به، لأن الحرمة الشخصية معنوية، والعمل عائد للأمة جميعها. فلا يمكن ادخال الشخصيات في العموميات.

وأرجو أن تعتمد الأمة على الأمم التي حالفتها وناصرتها، والتي لولاها لم نستطع الاجتماع الآن. ولكننا واثقون أن حلفاءنا لا يريدون لنا إلا الفلاح، ولا طمع لهم بغير نجاحنا. فعلينا أن نثبت لهم أنا أمة تريد أن تستقل، ولنحافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا، ونحترم كل من يأتينا من الأمم الغربية لخدمتنا في بلادنا.

هذا وأرجوكم رجاءً خاصاً، أدعوكم به إلى الاتحاد وجمع الكلمة. فهذه وظيفة الأمة، كما هي وظيفتي الخاصة، إذ أنا فرد منكم. ولا استقلال لكم إلا إذا لزمتم السكون، وعملتم بما يقول من أنتم ومعتمدوه.

هذه أقوالي وربما أطلت أو أخطأت. ولو خطب في هذا الموقف غيري، لتكلم الساعات الطوال. ولكن عجزي يجعلني أقول: السلام عليكم.

ملحق رقم ٥

الصرخة الثالثة

حان الوقت الذي تطلب فيه الأمة إسناد المناصب لأربابها وتنحية من كان السبب في ذهاب البقاع ورباق ومقاومة الفكرة الوطنية والدفاع الوطني ودس الدسائس ليبقى حاكماً عسكرياً.

أيها الركابي تدعي أنك سيداً وطنياً هذا تاريخ أعمالك:

حينما كنت تتأمل من الاتحاديين أو الحكومة التركية منصباً أو منفعة كنت العبد المتملق لهم تدوس الأمة بأرجلك لأجل إرضائهم هذا شأنك في جميع أدوار حياتك كنت في الشام في الدوائر العسكرية فكان ريك تحقير كل من راجعك.

كنت ترى التكلم بالعربية حطة وذلاً حتى في بيتك وبين رفاقك الذين امتازوا بالوطنية سيرتك في بيت المقدس حافلة بالنفاق وفي المدينة ملأى بإيقاع الشقاق بين بني قومك لم ينس الشرفاء الكرام سعيك لدى الحكومة إذا ذاك لتدميرهم وخنق الروح العربية ولكنك لم تثبت لجبنك ففررت لا تلوي على شيء لجئت إلى الاستانة فبتذللك حملت إلى العراق والياً ثم قائداً كنت هناك على الضعيف أسداً وفي مواقف الحق والعدل ثعلباً لم ير منك العرب غير هدم جامعتهم حار الاتحاديون بموقفك لكلما

عضدوك وجدوك ريشة في مهب الرياح فآخر تجربة لك أن جعلوك قائداً في حلب فلما دعوك للحرب وجدوك كما قال الشاعر :

أسد علي وفي الحروب نعامـــــة   فتخاء تنفـــر من صفير الصافـــر

هنالك قطعوا الأمل منك فتركوك كمتاع الغرور لذلك عدت تدعي العربية وتلتجأ للجمعيات فيوماً تريد تشييد كلية عربية في دمشق وأخرى عضواً في الجمعيات العربية ولم يمضي إلا القليل حتى علم خواص الأمة أنك تريد أن تصطاد بالماء العكر فأهملت فتزلفت إلى جمال باشا السفاح فجعلك رئيساً للبلدية فلم تر دمشق قط أرق منك عفة ولا أحزم منك فقد مثلت الوطنية في خضوعك والقومية في حرصك ولا تنسى أيها الوطني همتك بتحكيم العاصمة فقد كنت آخر من التجأ لجيش الأمير يحمل آلافاً من الجنيهات التركية لم نغر والله : أفررت بدينك وقوميتك أم بما اغتلست من مال الترك فهذا سيظهر ولو بعد حين.

صدف الانقلابات ــ لا نعلم بعد هذا الماضي الناصع كيف صرت حاكماً عسكرياً ولعلك تبت عن ذنوبك إذ ذاك ولكننا نعود فنسألك : كنت رئيساً للحكومة السورية ، فماذا فعلت ؟

أركبت السيارات واستخدمت أفراد الدرك والشرطة في خدمتك الخاصة ، تاجرت بنفوذ الحكومة ، شطبت شجرة المخصصات السرية ولكن لم تبق جذوراً لها ، كنت الحاكم المطلق فكل ما تريده فعلته فهل تفكرت في صالح هذا الوطن الذي أعطاك أكثر مما تتأمل ، غفلت الأمير والأمة معاً فإلى أين المفر ، أعطنا حسابا عن المخصصات السرية ، عن سبعين ألف ليرة قبضتها . بين لنا أي اصلاح أدخلته في الحكومة كنت رئيس الحكومة فأين الجيش أرنا هل وفرت من مال الأمة درهماً واحداً كل ذلك هين : تتحمله الأمة أوضح لها كيف دخلت الأجانب بلادنا وأنت على رأس الحكومة .

إن كنت رجلاً وطنياً قل لنا حينما كان الأمير يدافع عن استقلالنا في الغرب كيف تركت الفرنسيس يدخلون المعلقة ورياق ويعلبك أرنا شيئاً عن أعمالك الوطنية ، كل ما فعلته هو أنك ملأت جيوبك من الذهب النضار وعدت اليوم وتقلدت رئاسة الجيش بلغ السيل الزبى أيها الرجل فلن تكون بعد اليوم رجلاً لهذه الحكومة .

الأمة طلبت التجنيد الاجباري وهي تقدم أبناءها وأموالها للدفاع عن شرفها ولا تريد أن يسيطر على أبنائها رجل غير شريف فماضيك وحاضرك سلبا ثقة الأمة بك فلا تظن أن الأمة غافلة عنك.

إن كل ما يحصل من الرقي والنظام في دائرتك هو عمل إخواننا الضباط الوطنيين لا عملك أنت لانك لم تتعود الاصلاح فاللّه يحكم بيننا وبينك اعتزل منصبك فلا تطيق الأمة أن ترى من يبيع أوطانها وتملكه رقاب أبنائها.

ضعضعت مركز الأمير في أوروبا ومركز الأمة في الداخل والخارج فاعلم أن الأمة والأمير جسم واحد لا يعتريه فسادك وهم لا يريدونك كل ما حدث بين الطبقات من التباعد فأنت سببه ولم تكن مع حزب إلا لتحصل على غايتك الشخصية فالبارحة كنت من أنصار الأعيان بعدما كنت السبب الوحيد في تنحيتهم عن الوظائف والثعلب المراوغ في الحط من كرامتهم والمفسد الأكبر بين جميع طبقاتهم واليوم تتزلف الطبقات الأخرى بل للأحزاب جميعها فلم يبق ماء عكر تتصيد فيه وموعدنا معك قريب جداً إن لم تترك هذا المنصب الشريف لأهله واللّه المستعان.

ملحق رقم ٦

صورة مسودة احتجاج فيصل إلى غورو لتدخل الفرنسيين بالمسائل الدينية في لبنان

احتججت لديكم بمذكرتي بامرين على مداخلة متصرف بيروت بامر معارضتكم بالمسائل الدينية الخالصة [illegible]

حالة المسلمين في سوريا هو استياء شديد هو [illegible]

نفي السيد [illegible] التي نتوخاها [illegible] التقرب [illegible]

الجمعة . ويصعب علي جدا ان افسر [illegible] عاطفة [illegible] لجميع الحريات وباحترام حرية الـ[illegible]

[illegible] هذا عدا عن انكم [illegible] في الداخل وفي الخارج وانكم تعلمون [illegible]

الحق [illegible] الحرب العمومية [illegible] ودوام [illegible] ان هذه [illegible]

[illegible] لهذه الحرية منذ الف سنة [illegible] في اعمالكم من جراء مثل هذا الامر [illegible]

واني [illegible] ان [illegible] الضباط في [illegible] على [illegible]

[illegible] البقاع [illegible] للعهود السابقة [illegible] . وقد استغربت [illegible]

[illegible] لبنان [illegible]

[illegible] من انكم [illegible] من ذلك [illegible] امام [illegible] هذه [illegible]

حتى [illegible] البعض ان المقصد من [illegible]

[illegible] وهذه [illegible] في [illegible] غير [illegible]

[illegible] اي [illegible] الفرنسوية [illegible]

[illegible] ان هذه [illegible]

[illegible] والوجود . [illegible]

[illegible] والوفاء [illegible] اجوكم ان [illegible]

[illegible] : [illegible] المسائل [illegible] وان [illegible]

عن [illegible] جميع هذه

الشيخ [illegible] المذكور

ملحق رقم ٧

رسالة فيصل إلى كرزون بخط يده

رسالة فيصل الى كرزون بخط يده "

115

قيادة الجيوش العربية الشمالية

غرفة المرافقين

رقم ——

تاريخ ٨ — آذار — ١٩٢٠

عزيزي اللورد كرزون

اقدم احتراماتي الفائقة وارفع لكم اصدق تحياتي القلبية الخالصة . [illegible]

[illegible] بموقف حرج ، [illegible] الاقطار العربية [illegible]

[illegible] على [illegible] ، فاعلنوا استقلالهم [illegible] اعتمادهم [illegible]

[illegible] بالصداقة [illegible] التي [illegible] بيننا [illegible]

[illegible] بالتعليمات [illegible] علينا [illegible]

[illegible] مع [illegible] السيد [illegible]

[illegible] شفاهيا [illegible] الاوان [illegible]

[illegible]

ملحق رقم ٨

صورة دعوة لاحد اجتماعات اللجنة الوطنية بدمشق

(من أوراق محب الدين الخطيب)

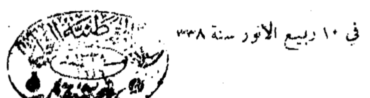
اللجنة الوطنية العليا

بدمشق

حضرة الوجيه المحترم

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فبما ان العدو قد داهم البلاد واصبح منا على قاب قوسين او ادنى فان اللجنة الوطنية تدعوكم للاجتماع معها في جلسة تعقدها الليلة بعد العشاء في القنوات عند سيدي عمار في دار السيد شكري الطباع للبحث في امور تتعلق بها حياة الوطن . فباسم الوطن نرجوكم ان تجيبوا دعوتها حالا والسلام عليكم

في ١٠ ربيع الانور سنة ١٣٣٨



ملحق رقم ٩

وفيه نص المنشور الذي وجهته الحكومة العربية إلى الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي في معركة ميسلون.

الحمد الله.

إلى إخواننا أهل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى رزقكم الله الهداية والسعادة السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبعد فإن الفرنسيس أخذكم من بين أهلكم وأخرجكم من بلادكم من أجل محاربتنا حتى يملك الشام ويرفع سنجقه فوق أرض الله المقدسة ونحن اخوانكم مسلمين نقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله وأنتم عرب ونحن عرب ودينا واحد ولغتنا واحدة لا شك أنكم ما ترضوا تقاتلونا وتكونوا أنتم السبب في تمليك هذه المقدسة عند الله تعالى إلى حكومة فرنسا.

فإذا قاتلتونا ووقفتم بين يدي الله تعالى يوم القيامة فلا شك أنه يسألكم ويقول لكم كيف تعينوا فرنسا وتقتلوا إخوانكم المسلمين وتبزعوا دماءهم فوق الأرض المقدسة مالكم على هذا لسؤال جواب ولا عذر مقبول.

تقول فرنسا أهل الجزائر وأهل الشام والمسلمون كلهم أعدائي الذي يموت منهم في الحرب نستريح منه وإذا كنتم اعداها مثلنا كما قالت فعلى أي شيء تقاتلوا معاها وتمشي حياتكم خسارة.

يا إخواننا: الدنيا فانية والعاقل ما يخدم إلا على الربح في الآخرة، نحن اخوانكم سلمين اهربوا إلينا وما تلقوا عندنا إلا الإكرام والإحسان وانحطوكم على أعيينا ورؤوسنا قوموا بكم من كل ما يلزم وتكونوا مستريحين مثلما تحبوا وزيادة.

وفي بلادنا قدر ثلاثمائة ألف كلهم مغاربة جاؤا مهاجرين من ظلم فرنسا عاشرنا معهم مثل الأخوة وجيوشنا هذه المجتمعة دخل فيها كثير من المهاجرين من لجزائر وتونس والمروك بطيب خاطرهم وقالوا ما نخلي فرانسا تزيد تاخذ بلاد الشام لمحقها إلى الجزائر وتونس وما بقي للمسلمين حكومة قائمة بنفسها غير هذه الحكومة عربية.

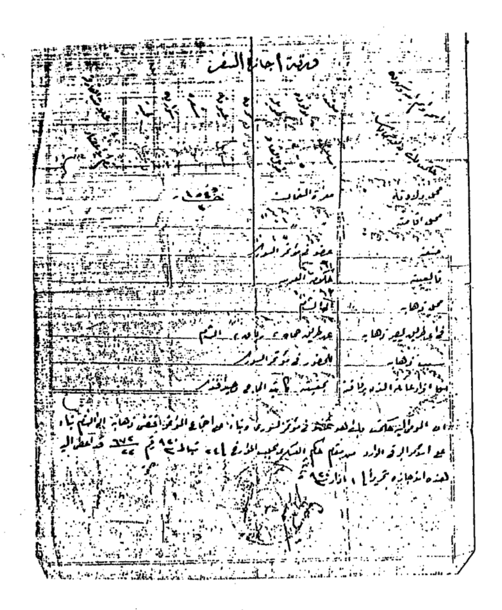
فأنتم يا إخواننا إذا تركتم فرنسا وجيتونا فإنكم تخلصوا أنفسكم من سؤال الله يم القيامة وتنجوا من كلام الناس فيكم حتى مايقولوا راحوا وقاتلوا إخوانهم المسلمين في لاد الله المقدسة وهزموا عليه بنديرة فرانسا ونحن ما نظن فيكم إلا الخير ونعتقد فيكم كم أصحاب دين وتقوى ولو عرفتم أنها بتريد تقاتل بكم إخوانكم المسلمين في أرض شام التي خرجت منها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لعصيتوها وما تقدر أخذكم بالجبر لأنها ضعيفة وجيشها مكسر من حرب ألمانيا. والفرنسيس يقول إذا لكت الشام تعمل في أهل المغرب وتونس والجزائر ما تحب لانهم ما يبقى لهم محل هربوا له وتصير يدي طايلة عليهم.

يا إخواننا إذا بقيت الحكومة العربية قائمة يكون خير لكم ولجميع المسلمين تى إذا حصل لكم ظلم أو قهر من الفرنسيس تهاجر لها وتعيشوا تحت سنجقها على اية من الإكرام.

والله يا إخواننا يشق علينا كثير أن الله يراكم واقفين تحت سنجق فرانسا وترموا رصاص في قلوب إخوانكم العرب الذي قاموا يقاتلوا دولة فرانسا لأنها تريد تستولي ليهم وتعذبهم وتجعلهم عبيد وخدام لها ولأولادها والله يهدينا ويهديكم لما في خير لإسلام والمسلمين والسلام من إخوانكم في الله وفي الإسلام أهالي الشام وسكان لأرض المقدسة.

ملحق رقم ١٠

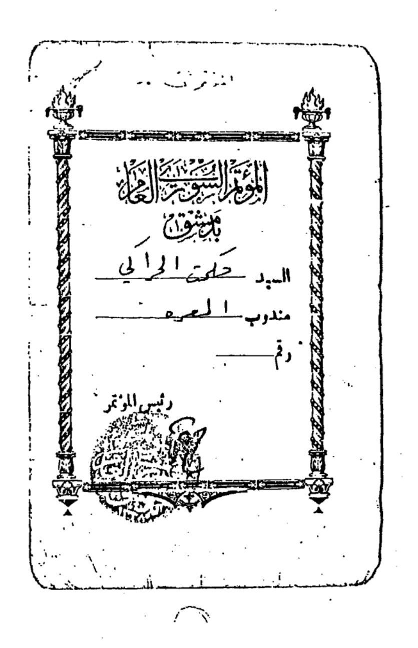
صورة بطاقة عضوية المؤتمر السوري



ورقة إجازة السفر

محل ولادته	معرة النعمان
محل إقامته	
صنعته	عضو في مؤتمر السوري
تابعيته	العربية
محل ذهابه	الشام
طريق ذهابه	عن طريق حماه ... الشام
سبب ذهابه	للحضور في مؤتمر السوري

ووِرقة إجازة سفر



تا ملحق ١٠

ملحق رقم ١١

صورة منشورة وزعه علي رضا الركابي باسم فيصل في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٩

الى ابناء الوطن العزيز

ورد علينا من سمو الامير المعظم البلاغ الآتي :

ها قد انسحبت الجيوش البريطانية من منطقتنا الشرقية ودخلنا في دور جديد هو الخطوة الاولى نحو الحياة الحرة اذ اصبحت حكومتنا العربية هي المكلفة بحفظ الامن والنظام في هذه البقعة المباركة من بقاع البلاد العربية المحررة التي لا تزال نواصل جهادنا في الدفاع عن حق استقلالها السياسي ووحدة اقطارها استناداً على وعود حلفائنا وعهودهم ولا مراء في ان الواجب الوطني يقضي على رجال حكومتنا في هذه الايام التاريخية ان يتذرعوا بالحزم والنشاط والتبصر في ادارة شؤون البلاد اكثر من ذي قبل لنبرهن للعالم اجمع ان العرب جديرون بالحياة الحرة والاستقلال الوطني التام الذى هو المثل الاعلى لكل فرد من افراد الامة والذى خضنا لاجله غمار هذه الحرب اربع سنين في جانب الحلفاء . وعلى ذلك فاني بصفتي نائب اخي سمو الامير فيصل اوصي جميع الموظفين ورجال الحكومة المسؤولين بما يأتي :

١ السهر الدائم على الاحتفاظ بالامن العام والضرب بسوط من حديد على ايدي من يريدون الفساد او التصدي للاخلال بالراحة العامة

٢ قطع دابر الشقاوات وحوادث الاعتداء .

٣ احترام الاهلين ورعاية مصالحهم على مبدأ الحكومة للشعب والشعب للحكومة ضمن المبادئ القانونية

٤ منع كل ما يخالف قواعد الشرف الصحيح والاخلاق الفاضلة

٥ توزيع العدل بين جميع الطبقات والمساواة التامة بين جميع الطوائف

٦ . الاهتمام العظيم بتدريب وتنظيم قوتي الجيش والدرك اللتين هما محط آمال الامة ليكونا في المنزلة التي يقتضيها الدفاع الوطني

...

هذا هو بلاغ سمو الامير المعظم ننشره على جميع الاهلين وعملاً بارادة سموه نكلف الشعب رعاية ما يأتي :

١ — اطاعة اوامر الحكومة بكل معنى الكلمة

٢ — اجتناب كل ما يخل بالامن والراحة العامة ويخدش الاذهان

٣ — اخبار الحكومة عن المرجفين والمشاغبين والدساسين الذين يريدون اقلاق الراحة والسكينة والاصطياد بالماء العكر فينالون جزاء اعمالهم

٤ — اجتناب المظاهرات والاجتماعات العامة دون اذن رسمي من الحكومة اذ الحكومة هي التي تطالب بحقوق الاهالي وتدافع عنها

٥ — عدم استعمال السلاح واطلاق العيارات النارية داخل المدن والبلدان

٦ — التعاضد والتكاتف في كل ما يؤول نفعه للوطن المحبوب

٧ توثيق عرى الوفاق والوئام بين جميع الطوائف المتساوية في الحقوق والواجبات تجاه الوطن وفي نظر الشرع والقانون

هذا وان الحكومة تعلن عزمها على تنفيذ اوامر سمو الامير المعظم بكل دقة وبعزم اكيد لا يقل عن عزم الامة في الدفاع عن حقوقها المقدسة ولذلك فكل عمل يخالف مصلحة البلاد يلاقي صاحبه الجزاء الصارم وكل فساد ينافي رغائب الامة تستأصله الحكومة باقصى درجات الشدة والله ولي المتقين .

حاكم سوريا العسكري العام

علي رضا الركابي

٢٥ تشرين ثاني ١٩١٩

ملحق رقم ١٢

صورة منشورة «بيان خطير» باسم محمد كامل القصاب

بيان خطير

الامة تملي ارادتها على المؤتمر السوري

سلام على المؤتمر السوري الكريم الذي التأم تحت عواصف السياسة ليقول كلمته فيما تريده الامة اليوم كما قالها في مصيرها بالامس هاقد خفت جميع طبقات الامة تحية اعضائه الكرام وشد ازرهم في كل ما يعلي كلمة الوطن و يرفع مناره ، واثقة انه لن يكون الا كما تريد ... جاء من كل انحاء البلاد ليتكلم فيما يقول فلا بد ان يقول الكلمة الفاصلة التي تعرب عن عزم الامة على الحصول على حقها الطبيعي بالحياة ، وحقها الذاتي بادارة نفسها بنفسها ، و بذلك ينال ثقتها ويكون ممثلا لها حقيقة فقد طال انتظارها وطالت الوعود واصبحت لاترى بدا من الوثوب لتحصل على ماقامت تبذل من اجله اموالها وتدفع الى خطوط النار زهرة ابنائها ...

تريد الامة من المؤتمر ان يعلن استقلالها التام الناجز على رؤوس الاشهاد و يتحمل تبعة هذا الاعلان الى ان تعقد الامة مجلسا سواه

تريد منه حكومة مدنية ديمقراطية نيابية تستند بواسطته على الامة الى ان تنتخب الامة غيره

تريد منه اذا اعلن اميره المعظم ملكاً على البلاد ان يعلنه ملكا دستوريا ديمقراطيا عادلا يسير في جميع اعماله على اسس الحكم الشوري وفقا لقوله تعالى : « وشاورهم في الامر »

تريد منه وضع قانونها الاساسي على اساس الحكم الملكي النيابي الديمقراطي اللامركزي لسوريا كلها بحدودها الطبيعية المعروفة وان يقوم بوظائفه على اساس مؤسس مستند على ارادة الامة الى ان يجتمع سواه

هذا ان الامة تعد بوسائل ابنائها ليكونوا ... الوطن ... مؤتمرها الكريم ... حراس الاستقلال ... منهم ان يقوموا بوظائفهم كالجنود البواسل لانهم عارفون ان لا وطن الا بحدود ولا استقلال الا بمحافظة ارادتها

ولا يخفى على المؤتمر الكريم ان استقلال سوريا لان هو ... لاستقلال بلاد العرب كلها واذا لم يقم بوظيفته و يقدر ارادة الامة العربية السورية الان حق قدرها لايكون جانيا عليها وحدها فقط بل على العرب ومستقبل العرب في كل ارض يسكنونها ، فليشدد عزائمه ، وليعلم ان الامة التي تريد الحياة الشريفة لاتأبى ان تستقبل في سبيلها الموت الشريف ... يتمسك بكل كلمة من ارادة الامة وليعلم ان اعظم زلاته التي لاتغتفر هي ان يمنح باسم الامة قوة لايأمن عاقبتها تكون متصلة بارادة الامة

والمؤتمر الكريم الممثل ارادة الامة ، واثق بلا ريب بعدل المنصفين من ... وغيرتهم على تأييد حقوق الامم واستقلال الشعوب مهما اي وطن كانوا هم يستندون — في عمله الممثل ارادة الامة — على حقها الطبيعي وعلى وعود حلفائنا المنصفين في وقت واحد والسلام على المؤتمر الكريم واعضائه الافاضل

باسم مجموع الامة

السورية

محمد كامل القصاب

ملحق رقم ١٣

صورة كتاب موقع باسم أحد المواطنين عن دعم طرابلس للحركة الوطنية

ملاحظه

نظراً للحركة الوطنية القائمة للاستعداد والدفاع عن الوطن العزيز وطرد العدو منه بعد ان ثبت للمسؤولية تجاه هذا الوطن وما يضمره من تنفيذ مقرراته القاضية بتجزئة البلاد السوريا وتقطيع اوصالها وطمعه في استعباد واستعمار بلادنا ووضع نير الثقيل على عواتقنا أرى من الواجب علي تقديم هذه المذكرة للاطلاع على موادها والعمل بموجبها اذا كانت حسنة وذلك اذا لم تكن قد اتخذت التدابير اللازمة لحث زعماء البلاد المدرجة اسمائهم ادناه والمخابرة معهم كي يبادروا في تشكيل العصابات من رجالهم الذين لهم عليهم السلطة المطلقة للقيام بالثورة الوطنية لاضرام نارها في المنطقة الغربية من سوريا ضد الاحتلال الاجنبي . فانني ارى من اللازم سرعة مخابرة هؤلاء الذين الخلص للوطن واطلاعهم على هذه الغاية الوطنية كي يبادروا في القيام بتشكيل هذه العصابات ويثوروا في وقت كي يضطر العدو الطامع في البلاد من تفريق قوة جيشه على طول خط المنطقة الغربية ومما انني واقف على معرفة جميع الزعماء الصادقين بوطنيتهم واهمية مكانتهم في قلوب مواطنيهم لو طلبوا منهم فادرج اسمائهم كما يأتي

مركز لواء طرابلس . المفتي الشيخ عبد الحميد افندي كرامي . الطبيب عبد اللطيف افندي البيسار .

قضاء عكار: عبود بك العبد الرزاق . عمر باشا المحمد . عثمان باشا المحمد . محمد بك العثمان . محمد رشيد بك الياسين . عبد الرزاق بك الايوبي . محمد بك المطلي . ابراهيم بك المطلي . علي بك الاسعد . مصطفى بك الاحمد . خالد بك احمد العبد القادر ابو حمد . مصطفى بك الشيخ .. محمود بك المصطفى القدور . اسعد بك الابراهيم . جميل افندي الكوسا .

قضاء صهيون الاكراد: عبد الوهاب بك الشيخ . محمد بك الشيخ . محمد بك العبد الله . مصطفى بك العبد الله . مصطفى بك الاسعد . محمد بك المحمد . محمد بك النايف . احمد بك الحسين . عبد الكريم افندي [illegible] . خالد بك الرستم . حسين بك العلي . محمد بك المحمود . الشيخ محمد الزعبي . عبد الغني افندي الزعبي . الطبيب الياس افندي عبيد . حسن اغا الحسن واولاده

قضاء صافيتا: جابر افندي العباس رئيس عشائر [illegible] الخياطين

مديرية الضنية: محمد بك الملحم . منصور اغا الفاضل . بمعية مفتي طرابلس عبد الحميد افندي كرامي

مديرية الهرمل اللبنانية: محمد سعيد بك حمادة .

بما ان الزعماء المحرره اسمائهم اعلاه هم من الصادقين بوطنيتهم وبامكانهم ان يجردوا جيشاً مؤلفاً من [illegible] الف مقاتل [[illegible]] [illegible] العدو [illegible] رجالاً وتجبرهم [illegible] الوطن المقدس [illegible] الضروري سرعة مخابرتهم بما ذكر اعلاه والله الموفق [illegible]

احد الوطنيين

[illegible]

ملحق رقم ١٤

كتاب من فهيد فارس إلى فيصل

[illegible] سمو امير و سيد الاسلام فيصل حفظه الله وأيده بالنصر

مولاي انه لا يخفى على جلالتكم امرًا وانه يكيد بجلالته الخلود من الدناءة ولكن الضرورة احرجتني ان
ابين لجلالتكم وهي انه مضى علينا هذه المدة منذ تشرفنا بمقابلتكم ولم نرَ اقل اهتمام بامرنا من
جهة التعيين لنا وظيفة وقد راجعنا عبيدكم هذا مرارا ولم نحصل على اقل جواب ولسنا بالامكان
ايجاد شيء نصرفه للتعدي كما انه يصعب على عبدكم ان يتخذ وظيفة السائل وهو يفتخر بولائه
للامير وبلادي ايضا لجلالتكم بانه تأذنوا لعبدكم بالانصراف فنرجو احسان الامير الكريم بالعفو
عن اني قبل مبارحتي هذه البلاد انبه لجلالتكم افكاري الاخيرة وهي اني استغرب هذه الاخطاء
السابقة في اعطاء قدر من قدر على ان يسمى مستشارا او فلاح في حين لم ار من ينتمي البلاد سوى بعض
الجيوب البادية تحت لقب الحاكمية وباسم عصبية يتخذها سيفا للسلب ولا ارى ان يجدي اقل نفع في
سبيل خدمة الوطنية كما وانه لا يدرك ان الدراهم التي يأخذها هي الاموال التي جمعنا على اجياد [illegible]
[illegible] من ايقاظ بعد حين فكانت تنتهي آماله بالحصول على الدراهم بأي صورة كانت
[illegible] هذا اني بالامس سمعت من رجل تركي انه جرت مذاكرة بينه وبين [illegible]
[illegible] الضابط عربي بخصوص متطوعين السلط فكان رأي الانكليزي ان يستخدمهم
بجمال ولم يدر ان الذي هيج عيشه في السلط هم السلطيون الذين يريدهم الان ان يخذلوا
جمال . فلو ان السلطيون يعرفون ان محاربتهم خدمة للدولة الاجنبية لما حركوا احد ساكنه
هذا [illegible] ولكن معلوما لديه اننا انما نجاهد خدمة للامة ولتأييد السلطة العربية ولنجاح
[illegible] من كل اجنبي والسلام على سيد العرب

عبدكم المطيع
فهيد فارس

ملحق رقم ١٥

صورة مسودة وكتاب نشره مصطفى نعمة وكيل حاكم سورية على الشعب في ١٥ كانون الأول ١٩١٩

مة عربيه العسكرية العامة
في سورية

ديوان الرسائل العام
عدد

الى ابناء الوطن العزيز

ان الحكومة تبذل قصارى جهدها لنشر الامن العام والقيام بواجباتها معتمدة على حمية الوطنيين ومعاونتهم لها في هذه الايام والمواقف الحرجة. الا ان بعض المشاغبين قد تناسوا واجبات جنسيتهم وكرروا اقلاق الافكار في العاصمة في الوقت الذي يستلزم تمام السكينة والهدوء لاول مرة. نظر الجميع الى ذلك وادعوهم الى معاونة الحكومة في المحافظة على المصلحة الوطنية العامة. وانه الموفق والمعين.

١٥ كانون الاول ٩١٩

وكيل حاكم سوريا العسكري العام

حضرة مدير الداخلية المحترم
ان ينشر بطريقة [illegible]
ارجو تتبع [illegible] واجتهاد [illegible]
وتفضلوا بقبول احترامي سيدي

إلى انباء الوطن العزيز

إن الحكومة تبذل قصارى جهدها لتوطيد الأمن العام والقيام بواجباتها مستندة على حمية الوطنيين ومعاونتهم لها في هذه الأيام والمواقف الحرجة. إلا أن بعض المشاغبين قد تناسوا وجائب حميتهم وسعوا وراء اقلاق الأفكار في الوقت الذي يستلزم تمام السكينة. فأستلفت — لأول مرة — نظر الجميع إلى ذلك وادعوهم إلى معاونة الحكومة في المحافظة على المصلحة الوطنية العام. والله الموفق والمعين.

في ١٥ كانون الأول سنة ١٩١٩

وكيل حاكم سوريا العسكري العام

مصطفى نعمة

ملحق رقم ١٦

صورة كتابين لمصطفى نعمة في ١٤ و ١٥ كانون الثاني ١٩٢٠

"صورة"

Carton 4 B 3
Colonel Cousse

لحضرة ضابط الارتباط الافرنسي المحترم .

علمت انه مازال في بعلبك خروج من اللواء التاسع عشر الجزائري وبقية عمار ورابطة مياده
وقسم من المعلقة والبرية . وعبرهما وان قوة الفرنج تبلغ "٨٠٠" نسمة فنرجو من حضرتكم القرار
لدى من يلزم بسرعة ... واعلامنا النتيجة انفاذا للاتفاق الذي تم ودمتم محترمين

١٥ كانون الثاني

وكيل حاكم سوريا العسكري
العام
مصطفى نعمة

مطابق للاصل
١٥ كانون الثاني

Cohay

صورة

الى حضرة ضابط الارتباط الافرنسي المحترم

علمنا انه في ١٧ الجاري ابرق الجنرال الـ "دولاموت" جوابا على امر الجنرال غورو الى قائد الفرقة الفرنساوية في بعلبك ان ستنسحب القوة الافرنسية من بعلبك بعد وصول سمو الامير فيصل المعظم الى بيروت ومفاوضته مع الجنرال غورو مما جعلنا نستغرب وقوعه لمخالفته الاتفاق ولذا لا نعتقد بوجود سبب جديد ينقض ما ابرم مرة اخرى فنرجو مخابرة من يلزم باعطاء الامر بسحبهم ودمتم للمحترمين

٢٤ كانون ثاني

وكيل الحاكم سورية العسكري
العام
مصطفى نعمت

مطابق للاصل
٢٥ كانون ثاني

ملحق رقم ١٧

صورة لبرقيات غورو في ٢٣ تموز

- 24 Juillet 1920-

TELEGRAMME CHIFFRE

Beyrouth le 23 Juillet à 13 Heures

Général Gouraud à Guerre - Section Orientale

N° 1477 à 1480

77 - Nouvelle de la marche de nos troupes sur Damas malgré l'acceptation tota- le de nos conditions par le Gouvernement chérifien a provoqué dans la vil- le une telle émotion que le Colonel Toulat craignant avec les consuls étran gers massacre des chrétiens a fait une dernière démarche auprès de moi hier en vue de arrêter la marche de la colonne insistant sur l'effet déplorable produit dans tous les milieux parce que chacun considérait comme un acte déloyal.

Il était accompagné d'un Ministre chérifien chargé par l'Emir Feysal de 78-traiter avec moi de cette question. Considérant d'une part inconvénients de lui de répandre dans ce pays impression d'une déloyauté qui n'a jamais été dans nos intentions d'autre danger d'avoir à combattre un soulèvement populaire exploité par extrémistes au moment où situation sérieusement ag- gravée en Cilicie m'oblige à reconstituer le plus tôt possible disponibili- té, j'ai consenti a ne pas continuer la marche sur Damas sous certaines con ditions qui doivent être acceptées le 23 avant 24 heures savoir:

1°- Publication par le Gouvernement de Damas d'une note prouvant notre loyauté.

2°- Maintien de la colonne jusqu'à éxécution intégrale de ultimatum avec dispositions de voie ferrée Kayak-Eltekieh.

3°- Repli sur Damas de tous les détachement chérifiens encore station- nés en Békaa et à l'ouest de Nord du ruisseau d'Eltaqieh.

4°- Désarmement immédiat des soldats démobilisés et progressif des po- pulations.

5°- Enfin installation à Damas d'une mission chargée de contrôler l'exé- cution de l'ultimatum et étudier l'application en zône est du mandat fran çais./.

ملحق رقم ١٨

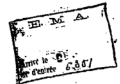
صورة كتاب ميلران رئيس وزراء فرنسا إلى غورو في ٢٣ تموز

le 24 Juillet 1920

TELEGRAMME CHIFFRE
communiqué par les Affaires Etrangères

PARIS, le 23 Juillet 1920 - 12hHeures
Haut-Commissaire Français BEYROUTH 741 à 744
Ambassadeur Français LONDRES 5130

Communiqué à Guerre
Groupe Avant
Etat-Major (Division Orient)



SECRET TRES URGENT PRIORITE

Pour Londres seulement - J'adresse le télégramme suivant à notre Haut Commissaire à Beyrouth :

Pour tous - J'ai pris connaissance avec satisfaction de vos télégrammes 1429 et suivants et je vous prie de continuer à conformer votre action à l'esprit de mes instructions 719 et 723 en ne discutant pas avec Feysal de puissance à puissance. En effet, en droit, l'attribution du mandat à la France implique qu'aucun pouvoir en Syrie ne peut tenir son investiture que de la France : c'est ce que j'ai dit à la Chambre; c'est ce que le Gouvernement britannique a reconnu devant la Chambre des Communes le 19 Juillet, en nous laissant toute latitude pour l'organisation de notre mandat en Syrie comme pour le sien en Mésopotamie. Le Gouvernement de Damas n'a pas d'existence légale et le pouvoir royal de l'Emir est improvisé : il n'y a donc pas de conversation à avoir avec lui sur l'accord provisoire du 6 Janvier, devenu caduc du fait même de la politique chérifienne d'hostilité contre nous.

Le succès de votre action ne doit pas nous faire perdre de vue que vos moyens sont actuellement au maximum et ne peuvent que décroître; il est donc nécessaire de continuer à prendre dès maintenant, et sans vous prêter au jeu des Chérifiens de gagner du temps, toutes les mesures nécessaires à votre sécurité et à l'exercice complet du mandat organisé selon les réalités locales, pour ne pas retomber dans la situation précédente.

Je ne doute pas.....

تا ملحق ١٨

Je ne doute pas que vous exécutiez les conditions de l'ultimatum en vous inspirant de ces principes. L'occupation du chemin de fer et d'Alep doit être effective et la disposition de la ligne soustraite à l'action de l'Emir, la garde des gares assurée et nos partisans dans les villes protégés, pour laisser toute liberté aux populations d'exprimer leurs desiderata en matière d'autonomie, sans que les autorités chérifiennes puissent s'interposer, spécialement dans le pays à l'ouest de l'Anti-Liban et de l'Hermon nécessaires à l'existence du Liban.

L'abolition de la conscription doit être immédiate, si j'ai bien compris votre injonction, et directement surveillée par vous avec un contrôle strict et solidement appuyé à Damas. En effet, une armée chérifienne est contraire à l'esprit du mandat qui n'admet que des milices locales.

Enfin votre condition relative aux finances implique la restitution immédiate des recettes gagées à la Dette Ottomane et l'interdiction de l'emprunt forcé institué pour nous combattre.

Je suis heureux que par une action précise, modérée et décidée vous ayez redressé une situation périlleuse, comprenant que les circonstances internationales nous permettent de régler la situation de la zone est conformément aux principes du mandat de la France sur la Syrie./.

a. Millerand

ملحق رقم ١٩

صورة كتاب ميلران رئيس وزراء فرنسا إلى غورو في ٢٤ تموز

AFFAIRES ÉTRANGÈRES
Ampliation

TÉLÉGRAMME AU DÉPART

Paris, le 24 Juillet 1920.

Haut Commissaire Français Beyrouth, N° 753 à 756

Communiqué à Londres par courrier 5149
Guerre Groupe Avant
Etat-Major, Direction d'Orient

Pour tous sauf Beyrouth /J'adresse le télégramme suivant à notre Haut Commissaire à Beyrouth .

Pour Beyrouth seulement : Je réponds à votre télégramme 1435-1438

Pour tous : Si je vous ai bien compris il semble que vous ayez arrêté votre action avant d'arriver à Damas admettant ainsi l'existence du Gouvernement de Faysal, en lui posant de nouveau des conditions; agir ainsi c'est courir le risque de lui rendre une réalité et de retomber dans les dangereuses intrigues précédentes au lieu de profiter du succès complet de votre mouvement de régler nettement la question syrienne et placer, à la tête des villes et des groupements divers des municipalités et autorités tenant de nous leur investitude et intéressées à notre organisation. La situation en Cilicie est une raison de plus pour asseoir notre position en Syrie . Le Gouvernement anglais nous a laissé les mains libres et l'opinion française approuve notre action, justifiée par l'hostilité chérifienne et fortement appuyée en droit sur le mandat octroyé à la France : hier même au Sénat, Monsieur RIBOT a traduit ce sentiment en se félicitant de notre entrée à Alep et Damas et déclarant que nous ne pouvons plus renoncer à y être les maitres .

Votre politique ne doit être influencée ni par l'opinion intéressée des consuls étrangers de Damas, ni par le scrupule de voir contester notre loyauté par un pouvoir comme celui de Faysal à qui vous n'avez pas à demander un certificat de cet ordre, ni par les agitations de la foule à Damas, grossie par les informateurs et les chérifiens; une attitude énergique est le meilleur et sans doute le seul moyen d'y maintenir le calme, d'y assurer la sécurité des étrangers et des chérifiens, c'est l'avis très net de Mgr CADI qui ne croit pas à une sérieuse résistance des gens de Damas .

Au contraire toute apparence de recul de notre colonne risquerait de provoquer la résistance et l'insurrection, si vous l'avez arrêtée, elle ne

تا ملحق ١٩

doit en aucun cas être ramenée en arrière, une seconde évacuation
la Bekaa (qui doit revenir au Liban) aurait un effet désastreux sur
chérifiens et les libanais. Le licenciement de l'Armée chérifienne
désarmement indispensable de la population et le contrôle de l'exé
de l'ultimatum perdraient leur réalité en dehors de la présence de
troupes. Vous ne devez supporter ni retard, ni equivoque à Damas
plus que pour la livraison du Chemin de fer.

La Commission de Contrôle que vous installerez fortement à D
peut étudier en même temps l'application du mandat dans la zone est
sans hésiter: je désire recevoir auparavant vos suggestions pour
organisation; en même temps que les renseignements que je vous ai
sur les organismes à utiliser ou à créer, je vous enverrai ensuite
directives ainsi qu'un plan d'ensemble d'application de notre mandat
Syrie. J'appelle votre attention sur mes derniers télégrammes et spécial
sur ceux 741 à 744 ./.

ملحق رقم ٢٠

صورة منشور غورو إلى السوريين ألقته الطائرات الفرنسية في معركة ميسلون

PROCLAMATION

ADRESSÉE AUX POPULATIONS SYRIENNES

PAR LE GÉNÉRAL GOURAUD

COMMANDANT EN CHEF L'ARMÉE DU LEVANT ET HAUT COMMISSAIRE EN SYRIE.

Syriens,

Au moment où votre Gouvernement vous pousse dans la guerre et va en attirer les malheurs sur votre pays, je m'adresse à vous, pour vous dire pourquoi vous allez vous battre.

On vous a dit que la France voulait vous coloniser, vous asservir.

— Mensonge !

La France a accepté de la Conférence de la Paix le mandat sur la Syrie.

Elle a le désir et le devoir de remplir ce mandat, mais fidèle à son passé généreux, elle voit dans l'accomplissement du mandat, l'intérêt, la prospérité du pays, sous la garantie de l'Indépendance des populations Syriennes, déjà reconnue solennellement. Elle veut donner l'aide de ses techniciens pour mieux organiser les Services Généraux et de ses capitaux pour faire fructifier les richesses locales.

Respectueuse de toutes les libertés et en particulier de la liberté de conscience, la France la garantira à tous sans exception, mais ne permettra pas qu'une confession empiète sur les droits des autres.

Elle entend laisser les autorités locales exercer leurs pouvoirs, mais à la condition que ce pouvoir ne s'exerce pas contre elle au mépris des engagements contractés.

Or, vous n'ignorez pas, Syriens, que depuis six mois, le Gouvernement de Damas, poussé par une minorité extrémiste, a dépassé toutes les bornes en poursuivant la politique la plus aggressive contre les Français.

Il a refusé le Chemin de fer de Rayak à Alep aux troupes françaises qui combattent les Turcs depuis des mois, pour défendre la Syrie.

Il a inondé la zone française de bandes auxquelles il a fourni des Officiers, des armes, des munitions pour venir massacrer des villages sans défense.

En interdisant la nouvelle monnaie syrienne et l'exportation des céréales, en élevant une barrière économique entre Damas et la côte, il vous a porté le plus grand dommage; enfin pour soutenir cette politique insensée, il vous a surchargés d'impôts et vous a imposé le service obligatoire, non pour la défense de votre indépendance et de vos libertés qui ne sont pas menacées, mais pour servir les intérêts de politiciens dont beaucoup n'appartiennent pas à votre pays.

La France a été patiente parce qu'Elle est forte, mais toute patience a une limite :

J'ai, de la part de mon Gouvernement, transmis au Gouvernement de Damas des propositions sages et modérées dont l'acceptation est la garantie du maintien de la Paix.

L'une d'entre elles est la suppression du Service Obligatoire.

Si cédant aux insensés le Gouvernement de Damas refuse la main que lui tend la France et décide la guerre, il en portera la responsabilité.

Mais j'espère encore que les Syriens sont trop intelligents et éclairés pour consentir à courir à la mort et à la ruine pour défendre la minorité coupable qui les domine. Pour le seul résultat de maintenir à tout prix le service obligatoire, les lourds impôts, toutes les charges écrasantes qui vous oppriment, vous ne laisserez pas vos enfants exposés aux terribles engins de guerre moderne terrestres et aériens.

Par un sentiment d'humanité commun à tous les Français, je n'ai pas l'intention d'employer les avions contre les populations sans armes, mais à la condition qu'aucun Français, aucun chrétien ne soit massacré. Des massacres, s'ils avaient lieu, seraient suivis de terribles représailles par la voie des airs.

Tous ceux qu'anime un patriotisme ardent et pur, qui veulent la paix et la richesse de leur pays refuseront la lutte et seront avec nous. C'est à eux tous que je fais appel au nom de la France et de la Syrie.

Forts de leur droit, qu'ils se lèvent et s'unissent contre la faction dominatrice dont la force ne serait faite que de leur faiblesse. Qu'ils aient confiance dans le libéralisme et le désintéressement de la FRANCE généreuse, active et civilisatrice.

Qu'ils [illegible] en toute confiance à leurs amis Français, comme l'ont déjà fait d'un si bel élan les vaillants Libanais et tant d'autres.

VIVE LA SYRIE LIBRE ET PROSPÈRE, VIVE LA FRANCE !

GÉNÉRAL GOURAUD.

ملحق رقم ٢١

الدستور السوري الفيصلي

يتألف من ١٣٥ مادة:

وتنص المادة الأولى أن حكومة البلاد السورية العربية، حكومة ملكية مدنية، عاصمتها دمشق الشام ودين ملكها الإسلام.

والثانية أن البلاد السورية جسد واحد.

والثالثة أن العربية هي اللغة الرسمية.

والرابعة تنص على الاستقلال الإداري للمقاطعات.

والخامسة تنص على ملكية فيصل، ويسمى فيصل الأول ملك سورية، وينحصر الملك في الولد الأكبر على خط عمودي. والملك هو القائد العام، وله الحق في إعلان الحرب، والصلح، وإبرام المعاهدات، والعفو العام، وتعيين رئيس الوزراء، والتصديق على تشكليل الوزارة.

وتقول المواد ٩ ـــ ١٠ بأن يطلق كلمة سوري على كل متمتع بهذه الجنسية، وهم متساوون أمام القانون في الحقوق والوجبات، والحريات مكفولة بالقانون، ومجالس الطوائف تحل أمورها، وتدار الأوقاف برئاسة المؤسسات الدينية التابعة لها. والسماح بالجمعيات وصيانة المساكن والأموال. واعتبار التعليم الابتدائي اجبارياً وكذلك التجنيد الإجباري.

وهناك مواد تتعلق بالوزارات ومسؤولياتها. ولا يجوز دخول أحد من العائلة المالكة الوزارة، ووضع الجيش، والبحرية، والبريد، والبرق، والجمارك، والسكك الحديدية، والمرافىء، وضرب النقود... من اختصاص الحكومة المركزية.

والمواد ٣٥ ـــ ٣٧ تتعلق بالأراضي وملكيتها وبيعها.

وتنص المادة ٤٠ ـــ ٤٢ عن اصدار النقود وتعويض خسائر الموازنة بالعدل.

وتنص المادة ٤٩ ـــ ٥١ عن المجلس العمومي، ويضم مجلس النواب والشيوخ، وتحديد مواعيد اجتماع المجالس وافتتاحها بخطاب الملك.

وتنص المواد ٥٢ ـــ ٨٧ عن المجلس النيابي، والانتخابات.

والمواد ٨٨ ـــ ٩٠ عن مجلس الشيوخ.

والمواد ٩١ ـــ ٩٦ عن المالية.

ومن ٩٧ ـــ ١٠٠ عن ديوان المحاسبة.

و ١٠١ ـــ ١٠٥ عن الموظفين.

و ١٠٦ ـــ ١١٤ عن المحاكم.

و ١١٥ ـــ ١٣٥ عن المقاطعات.

ويتألف الدستور من ١٠ فصول. الفصل الأول عن المواد العمومية والثاني في الملك والحقوق، والثالث في حقوق الأفراد والجماعات، والرابع في مجلس النواب، والخامس في مجلس الشيوخ، والسادس في المالية، والسابع في ديوان المحاسبة، والثامن في الموظفين، والتاسع في المحاكم، والعاشر في المقاطعات، ثم مواد متفرقة. الإيضاحات السياسية ٥٩ ـــ ٧٨.

ملحق رقم ٢٢

آراء في فيصل

ولد فيصل في الحجاز سنة ١٨٨٥ ، وأمضى طفولته في البادية ، كباقي الصبيان ، وتعلم اللغة العربية مع إخوانه على يد (صفوت العوا) وهو أستاذ سوري ، ورحل مع والده إلى استانبول عام ١٨٩٣ ، وتزوج من ابنة عمه الشريف ناصر ، ورجع مع أبيه إلى الحجاز أوائل ١٩٠٩ ، واشترك مع أخيه عبد الله في حملة عسكرية عثمانية على الأدريسي في عسير ، وقاد حملة أخرى عليه سنة ١٩١٣ ، وانتخب عضواً في مجلس المبعوثين عام ١٩١٣ ، وانتسب لجمعية العربية الفتاة في دمشق عام ١٩١٥ ، ولعب دوراً سياسياً هاماً بين والده وجمال باشا ، والحكومة التركية حتى قيام ثورة أبيه ، التي كان له دور كبير فيها . ولم يلمع كعضو في مجلس المبعوثين ، ولا برز بين من كانوا يديرون شؤون الدولة .

ويكاد يجمع من خبره وعمل معه من العرب ، على أنه كان واسع العقل ، غير وافر العلم ، متديناً مؤمناً في قوله وعمله .

كان معتدل القامة أبيض الوجه بحمرة ، لحيته شقراء وعيناه عسليتان ، وكان جميل الشكل لطيفاً بشوشاً يرتدي أثواباً بدوية ، وعلى رأسه حطاطة من الحرير وعقال حجازي مزركش بالخيوط الذهبية والفضية ، يتمنطق بخنجر مذهب ، فصيح الكلام

حجازي اللهجة، لا يغضب ويكظم غيظه، يعامل الناس حسب عقولهم، وكان زاهداً بالمال، كثير التفكير، ودوداً كريماً، يأكل قليلاً ويشرب الماء قليلاً ويدخن كثيراً، ولا يشرب الخمر.

وقد وصفه لورنس ضابط المخابرات البريطانية، الذي عمل معه في جيش الثورة، والذي عرفه الغربيون باسم لورنس العرب، فقال: بأنه سريع الانقلاب من الشجاعة إلى اليأس والهزيمة، وأنه يبدو في الخمسين، مع أن عمره واحداً وثلاثين. ثم يقول: شديد المراس بهي الطلعة، تشع من عظمته ملكية حقاً، كان ذكياً أكثر منه متفنناً، يقابل الثقة بالثقة، والشك بالشك، وهو ذو خبرة دبلوماسية، تعلمها في إقامته في استانبول... «وكان يمكن أن نفهم، أن بيننا نبياً، يجب ستره بحجاب، حتى لا يبدو أكثر مما يجب، كان كلامه موسيقياً، يلعب بقلوب الرجال، وكانت أحاديثه ساذجة، إلا أنها مخلصة تشف عن فكر نير وشخصية شريفة، ولا يمكن أن يطمع بأكثر منه، في تجسيد الثورة العربية.

ووصفه كور تلمان الكاتب الفرنسي، فقال: كثير الذكاء، عظيم الخيال، لطيف المعشر، حسن المخالطة، مخلص كل الإخلاص، شريف في أعماله، وفي وعوده.

وقال عنه محمد كرد علي، بأنه كان مسرفاً ينفق كل شهر ١٥٠ ألف جنيه بالتبذير لاستمالة المسلمين وغير المسلمين، والشاميين، والحجازيين، والعراقيين، والبريطانيين، والأجانب. ومن أسباب زوال ملكه ضعف إرادته وتردده، وكان أسرع مايكون إلى نقض القانون، فيعفو في الحال عمن التمس منه الصفح، وكان يعتمد سياسة الارضاء، وكان المتكلم الأخير معه هو من يقبل رأيه. ومع كل هذا، كان أفضل أولاد الحسين، أسمع صوت العرب في الغرب، وعرف السياسيين بأن للشعوب العربية مطالب يثورون من أجل تحقيقها، وأنهم أمة ذات ماض مجيد.

ووصفه الدكتور أحمد قدري، فقال بأنه صاحب قدم سابقة في الجهاد

وصاحب يد سابغة على الأمة العربية... وظهرت عبقريته في الإدارة، وذكاؤه الملتمع خلال حربه العثمانيين، وكان بصيراً بالسياسة.. وكان مخلصاً ذكياً مجداً، ولو انحشد من المقاومات والمعاكسات لأعظم إنسان، لما وسعه أن يخرج منها غير مخرجه... وإن الروح التي نفخها، قد آتت أكلها في كل الثورات المتداركة في البلاد العربية... إذ خلف وراءه نزوعاً قوياً، إلى استحياء الأمجاد العربية.

وقال عنه أمين الريحاني: كتب لفيصل أن يدخل الحومة، ويحرز فيها إكليل الغار ـــ الشوك، وظهرت صفاته: أصالة الرأي، والمقدرة على تأليف القلوب، والبصر في الشدائد.

وقال اللنبي، بأن نفوذ فيصلٍ بين القبائل، كان من أكبر العوامل، لثباتهم في القتال.

وقال أمين الريحاني، بأن الفرنسيين ندموا على ما عملوه بفيصل، وعلى الثورات التي قامت ضدهم، والخسائر الفادحة، وفي سنة ١٩٣١ أقيمت له في باريس مأدبة، وقد شرب مسيو برتلو مدير وزارة الخارجية الفرنسية، نخب الملك فيصل، ملك العراق وسورية.

وكتبت عنه أرسكين التي ألفت كتاباً عنه، بأنه كان شخصية من أجل الشخصيات، التي كان لها شأن في الحرب العالمية، قامة طويلة في جلال ظاهر، وجمال رائع، وعينين جميلتين تضيئان وجهاً كله جلال ووقار، وإن في مظهره هذا، كل مظاهر الملك والسلطان، وهو رجل يجمع بين حسن القيادة العسكرية وبراعة السياسي الحاذق، بعيد النظر سريع القرار، مخلص صريح جريء.

ووصفه جعفر العسكري فقال: كان فيصل أكثر الناس دماثة ولطفاً، ما بقيت قط في صحبته، ولا تولاني السأم قطعاً في الساعات التي كنت أقضيها معه. كان ناعماً هادئاً، ما رأيته قط غاضباً على أحد، وكان دائماً منطلقاً، ولا يملكه الغضب أبداً، وكان يعرف أعداءه، لكنه كان يتحرى إكرامهم، منتصراً عليهم بنبله

وكرم خلقه وشهامته. كان كثير التأثير على الأشخاص الذين يتصلون به. لقد ولد قائداً. حاكماً، فما كان شخص يستطيع أن يملي إرادته عليه».. وكان يرمي إلى توحيد العرب، وتكوين امبراطورية عربية، ولقد ترك وراءه نواة تحالف عربي في المستقبل.

وقال عنه مؤلف كتاب عنه، محمد صبيح: كان يقرأ جميع صحف البلاد العربية، ويلخص له أهم ما في صحف العالم، كانت عيناه نفاذتين، وقد حرص على إبقاء لحية صغيرة زان بها وجهه. لم يكن مسرفاً، وعندما ترك دمشق، لم يكن معه شيء من المال.

وقال عنه تشرشل: إن فيصلاً من بيت رفيع، وهو ابن الشريف حسين، الذي وطد نفوذه بين عامة العرب، وثبت شخصية بين رجال الدين، فهو خليق أن ينال تشجيع الحكومة البريطانية.

وقال عنه العمري مؤلف كتاب عنه، بأنه كان قوي الايمان بقوميته واستقلال العرب ووحدتهم، لكنه لم يكن كأبيه بتصلبه ومتانته وتمسكه بالأمور الفرعية. لقد كان ناعماً سهل المأخذ، لين العريكة، الأمر الذي جعله محبباً. ولقد وصفه بعضهم باللطف والإيناس والسحر، ووصف البعض الآخر هذه الناحية من أخلاقه، بالضعف.

وقال عنه الكونت الإيطالي سفورزا، بأنه لو بقي حياً لاستطاع أن يقوم بأعباء الجامعة العربية، وقال: إني عرفته معرفة دقيقة، وقدرت ما فيه من مزيج غربي وشرقي. وامتاز بين العرب بذكائه العميق، وسياسته الواقعية، وبما لديه من شعور التأليف والتقارب، الذي يخالف فيه طبيعة العرب، وكنت أتساءل في نفسي إذا كان إعجاب مواطنيه فيه، لم يكن بسبب هذه المزايا التي تنقصهم، ولا أرى بعد ذهاب فيصل عربياً يسد مكانه، ولا العالم العربي، إذا كان يميل إلى الاتحاد، (كما أظن) لا يستطيع أن يجد الرئيس الذي يقود هذه الحركة.

وقال عنه جيمس موريس مؤلف كتاب «الملوك الهاشميون»، بأن فيصلاً لم

يكن في مؤتمر الصلح في باريس، شخصية مؤثرة طاغية، فليس فيه من جلال والده وصلابته وسرعة تملصه أي صفة، ولا من خبث ودهاء عبد الله أي طابع، بل كان شاباً متكبراً لا تطبعه العبقرية بطابعها، حيياً، وجد نفسه وسط عالم غريب. وكان وفده أكثر الوفود غرابة وإثارة للاهتمام، بالاضافة إلى فيصل الجميل الأنيق الطاهر البريء، في ملابسه الشريفية.

يقال بأن فيصلاً سئل مرة عن أسعد لحظة في حياته، وهل كانت يوم دخل ظافراً إلى دمشق، أو يوم تتويجه في العراق، أو انتصاره في إحدى معارك الثورة، فرد قائلاً «إن أسعد لحظة في حياتي، هي عندما أمتطي صهوة ناقتي، مع صديق لي، ونسير في الصحراء تحت ضوء القمر.

قال عنه جعفر العسكري، انه كان لفيصل حافزان، العمل والقلق.

لم يكره فيصل كوالده مظاهر الملك وأبهته، وجلال هذا يبدو في صوره الرسمية، التي تظهر فيها الأوشحة، والأوسمة، والأشرطة، والنجوم، والأكمام الذهبية، ورمانات الأكتاف، وشرائطها، والسيوف التي يبدو فيها، وفي ميله أقرب ما يكون إلى الملك جورج الخامس.

وقال عنه سلطان الأطرش، بأن سياسة التساهل التي اتبعها فيصل، أدت إلى الفوضى والاضطراب في الداخل، وإلى كارثة ميسلون، وانهيار المقاومة الوطنية بسرعة مذهلة.

وقال عنه خالد العظم، بأنه لولا وصوله وتشكليله دولة مسلمة، لتبع معظم المسلمين المسيحيين في الاحتفاء بوصول الفرنسيين سنة ١٩١٨، كما حدث في لبنان.

وقال عنه محمد جميل بيهم: كان ذكياً شجاعاً مخلصاً كل الإخلاص للقضية العربية، وكان إلى ذلك متزناً متواضعاً، لا يستبد برأي، ولكنه كان في سورية قليل الخبرة بالسياسة، متردداً يتأثر بالحاشية، وكان يداري الأحزاب، ويتحاشى مواجهة

الرأي العام، لذلك مشى مع التيار بدلاً من أن يوجهه على ما يريد، شأن الحاكم القوي... وكان في دمشق قليل الاعتماد على نفسه، وقليل الثقة بأعوانه.

وقال عنه صبري البديوي: بأنه يجب أن يعيش المرء بقرب فيصل، كما عاش قائل هذا الكلام، حتى يعرف قدر عظمته نفسه في كل شيء في ذكائه الفطري، وعظمة خلقه، وكرمه، وتسامحه، وشجاعته، وحكمته، ورويته، فقد كان يعامل رجال الثورة معاملة الأخ لأخيه، ويكسبهم إليه باللطف الذي لم يعرف له العرب مثيلاً... وهو يأسرك بلطفه، ويسحرك بعينيه، ويضمك إليه. وكان استقلاله بالرأي، من أهم عوامل ضعفه، فكان قليل طلب الرأي، وقد يكون عقم معظم الرجال الذين حوله، سبباً في هذا التفرد، وكان هذا خلق أبيه... وكان متردداً ولو أنه استطاع التخلص من التردد، لما عرف الفشل، لكن تردده في أول عهده السياسي جنى عليه.

وقال عنه منير الريس، بأن فيصلاً عاش سنتين في دمشق، فما نعم بيوم هانىء، بل كان يعاني من مطامع الاستعمار ودسائس الرجال، واختلاف الأحزاب.

وكتب مدحت البيطار، بأنه تسمى كثير من الأطفال الذين ولدوا عام ١٩٢٠ باسم فيصل، تيمناً بفيصل بن الحسين.

وقال عنه خير الدين الزركلي، بأن الشعب السوري قد خُدع باستسلامه إلى الأمير فيصل، وظلم الشعب فيصلاً بتكليفه مالا طاقة له بإتيانه.

وكتب نهرو: طردت فرنسا فيصلاً من سورية صيف ١٩٢٠، ولم يكن يبلغ عدد سكانها بأجمعها أكثر من ثلاثة ملايين، ومع ذلك أثبتوا أنهم شوكة قاسية في حلق الفرنسيين.

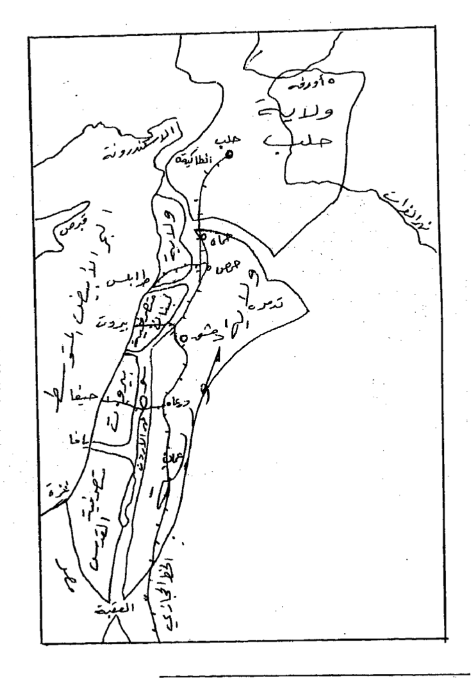
وقال عنه حسن الحكيم (رئيس وزراء في سورية): سرنا تحت لواء ذلك القائد الحكيم، والراعي الصالح، والملك العادل، فيصل العظيم، سليل البيت الهاشمي الرفيع،

وخير من أنجبت البلاد في عصرنا الحاضر، عبقرية وتضحية، وإخلاصاً، وخير من أدى رسالة العروبة على أكمل وجه وأجمل.

وقال عنه صديقه فوزي البكري: فيصل فخرنا خصوصاً، وفخر الأمة العربية عموماً.

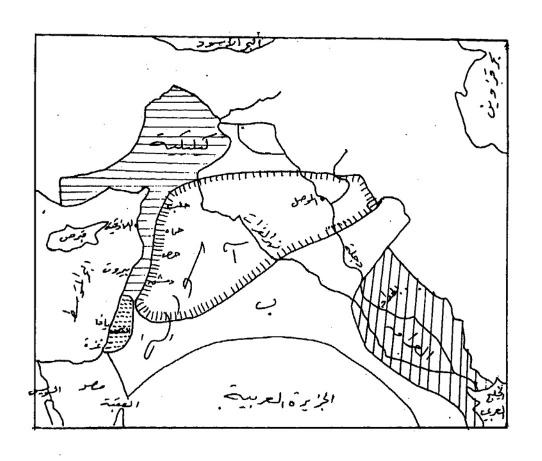
فهرس الخرائط

خريطة رقم ١ التقسيمات الادارية لسورية في العهد العثماني



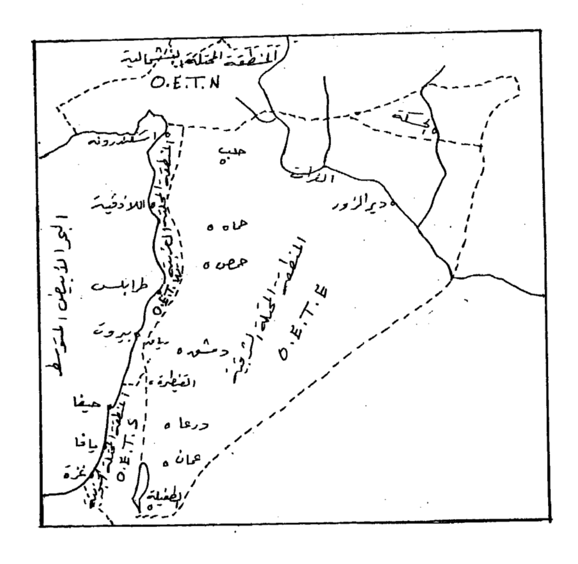
أنطونيوس، ص ٢٧٢.

خريطة رقم ٢ اتفاق سايكس بيكو ١٩١٦



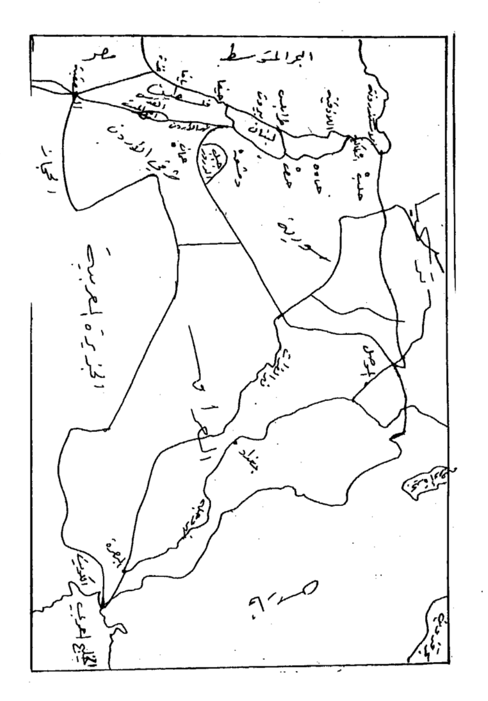
أنطونيوس، ص٣٥٢.

خريطة رقم ٣ تقسيمات اللنبي لسورية «سورية الفيصلية» في تشرين الأول /أكتوبر/ ١٩١٨

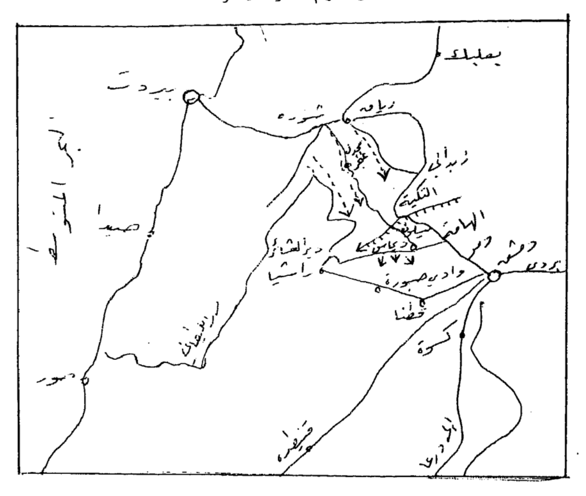


أنطونيوس، ص ٤١٦ .

خريطة رقم ٤ مناطق الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان
والبريطاني في العراق والأردن وفلسطين



خريطة رقم ٥ معركة ميسلون



معركة ميسلون، ٢٤ تموز /جوييه/ ١٩٢٠

المدفعية الفرنسية

لواء الفرسان المراكشي

القوات العربية

زين، الصراع، ص ٣٢٢.

المصادر والمراجع

١ ــ وثائق غير مطبوعة

مركز الوثائق التاريخية في دمشق وفيه:

أوراق:

ابراهيم الشغوري.
حسن الحكيم.
الحركة العربية.
عوني عبد الهادي. ⎤ ولدى الدكتورة خيرية قاسمية
محب الدين الخطيب. ⎦ التي أعارتني ــ مشكورة ــ صوراً منها.
نزيه المؤيد العظم.
نسيب البكري.
يوسف السعدون.

باللغات الأجنبية

وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O

Great Britain, Foreign Office (F.O), Public record office, Turkey:

Volumes

F.O.	371/	3383
	371/	3384
	371/	3385
	371	/3386
	371/	3410
	371/	3412
	371/	3421
	371/	3786
	371/	4133
	371/	4139
	371/	4162
	371/	4179
	371/	4180
	371/	4181
	371/	4182
F.O.	371/	4183
	371/	4184
	371/	4185
	371/	4188
	371/	4479
	371/	5032
	371/	5033
	371/	5034
	371/	5035
	371/	5036
	371/	5037
	371/	5038
	371/	5039
	371/	5040
	371/	5188

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية

France: D.F.Aff. Etr.

Archives du Ministere des Affaires Etrangeres

1- La Guerre: 1914-1918- Turquie (Syrie-Palestine):

Volumes: 1

Volumes: 14

Volumes: 17

Volumes: 19

Volumes: 20

2- Levant: (Carton 313- Dossier 9)

Volumes: 2

Volumes: 3

Volumes: 4

Volumes: 5

Volumes: 6

Volumes: 7

Volumes: 8

Volumes: 9

Volumes: 10

Volumes: 11

Volumes: 12

Volumes: 13

Volumes: 14

Volumes: 15

Volumes: 16

Volumes: 17

Volumes: 18

Volumes: 19

Volumes: 20

Volumes: 21

Volumes: 22

Volumes: 23

Volumes: 24

Volumes: 25

Volumes: 26

Volumes: 27

Volumes: 28

Volumes: 29

Volumes: 30

Volumes: 31

وثائق وزارة الحرب الفرنسية

3- Documents du Ministere de la Guerre:

Turquie-Syrie: Carton 17, SA, Syrie 1919- Haute Commaisaire Général Gouraud

Cartone 7N-1639

Cartone 7N-1640

Cartone 7N-1658

Cartone Levant 4B3

Cartone Levant 8B2

Carton Levant 1919-1932 No 3670.

٢ ــ كتب وثائقية ومذكرات ومراجع منشورة

باللغة العربية

آ ــ مذكرات

أطرش (سلطان) مذكرات، منشورة في أعداد مجلة بيروت المساء لعام ١٩٧٦.

بارودي (فخري)، المذكرات، ج ٢، دمشق ١٩٥٢.

البديوي (صبري)، مخطوط: صفحات خفية من تاريخ الأمة العربية خلال عشر سنوات وفيها مذكراته، وكان ضابطاً في جيش فيصل منذ ١٩١٧.

الجزائري (سعيد)، جهاد نصف قرن، إعداد أنور الرفاعي، دمشق ١٩٥٢.

جمال باشا (أحمد) (القائد العام للجيش الرابع)، إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعالية، مطبعة طنين ١٣٣٤ هـ.

جمال باشا الصغير (محمد)، كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب، ترجمة فؤاد الميداني، بيروت ١٩٣٢.

الحسين (الملك عبد الله بن) المذكرات، عمان ١٩٤٧.

الحصري (ساطع) يوم ميسلون، بيروت، دار الكشاف ١٩٤٧.
الحكيم (حسن)، مذكراتي، بيروت، دار الكتاب الجديد، ج ١، ١٩٦٥.
الحكيم (يوسف)، سورية والدولة العثمانية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦.
الحكيم (يوسف)، سورية والعهد الفيصلي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦.
الحكيم (يوسف)، لبنان في عهد العثمانيين، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٤.
داغر (أسعد)، مذكراتي على هامش القضية العربية، القاهرة (بعد ١٩٥٢).
ريس (منير)، الكتاب الذهبي، بيروت ١٩٦٩.
سعيد (نوري)، المذكرات (محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسورية ١٩١٦ — ١٩١٨) بغداد، مطبعة الجيش، ١٩٤٧.
الطنطاوي (علي) دمشق، دار الفكر ١٩٥٩.
عبد الهادي (عوني) أوراق خاصة، إعداد خيرية قاسمية بيروت مركز البحوث الفلسطينية ١٩٧٤.
عمري (صبحي) لورنس كما عرفته، بيروت ١٩٦٩.
غصين (فايز) مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٣٩.
القاوقجي (فوزي) المذكرات، إعداد خيرية القاسمية، بيروت، دار القدس، ١٩٧٥.
قدري (أحمد) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٩٥٦.
كرد علي (محمد)، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٢٥.
كرد علي (محمد)، المذكرات، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٨.
كمال (مصطفى) مذكرات، تعريب عبد العزيز الخانجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٢٦.
لورنس (ت.أ) ثورة في الصحراء، ترجمة رشيد كرم، القاهرة ١٩٥٠.
المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣، إعداد اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر، مطبعة البوسفور، ١٩١٣.
هاشمي (طه) المذكرات، دمشق، دار الطليعة، ١٩٦٧.

ب ــ المراجع

أرسكين (ستيوارت)، فيصل ملك العراق، ترجمة عمر أبو النصر، بيروت، ١٩٣٤.

آرمسترونغ (كابتن هـ.س) مصطفى كمال الذئب الأغبر، القاهرة، ١٩٥٢.

أرمنازي (نجيب)، السياسة الدولية وأشهر رجالها، دمشق ١٩٥٠.

أسود (ابراهيم)، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، ج٣، بيروت، ١٩٣٠.

الدنجتون (ريتشارد) لورنس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزة موسى، القاهرة، ١٩٦٦.

أنطونيوس (جورج) يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦.

بروكلمان (كارل) تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، بيروت ١٩٦٨.

بيهم (محمد جميل) الانتدابان في العراق وسورية، انكلترا، فرنسا، صيدا ١٩٣١.

بيهم (محمد جميل) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج٢، بيروت ١٩٥٠.

الجركسي (محمود)، الدليل المصور للبلاد العربية، ج١، دمشق، ١٩٣٠.

الحسيني (عبد الرزاق)، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، صيدا، ١٩٥٧.

خباز (حنا) فرنسا وسورية، ج٢، القاهرة ١٩٢٩.

دروزة (محمد عزة) حول الحركة العربية الحديثة، ج١، صيدا، ١٩٥٠.

الريحاني (أمين) فيصل الأول، بيروت، ١٩٣٤.

الريحاني (أمين) ملوك العرب، بيروت، ط٢، ١٩٢٩.

الزين (مصطفى)، أتاتورك أمة في رجل، بيروت ١٩٧٢.

زين (نور الدين زين)، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاة دولتي سورية ولبنان، بيروت، دار النهار، ١٩٧١.

سعادة (جبرائيل)، محافظة اللاذقية، دمشق ١٩٦١.

سعيد (أمين)، أسرار الثورة العربية الكبرى، القاهرة، بلا تا.

سعيد (أمين)، الثورة العربية الكبرى، النضال بين العرب والفرنسيين والانكليز، القاهرة، بلا تا.
سفر جلاني (محي الدين) فاجعة ميسلون والبطل يوسف العظمة، دمشق ١٩٣٧.
صبح (محمد) فيصل الأول، القاهرة، ١٩٤٦.
طربين (أحمد)، الوحدة العربية، ج ١، دمشق، القاهرة، الجامعة العربية ١٩٥٩.
عياشي (غالب) الإيضاحات السياسية وأسرار الانتداب الفرنسي على سورية، بيروت ١٩٥٥.
غرايبه (عبد الكريم)، الثورة العربية الكبرى (من كتاب دراسات في الثورة العربية الكبرى)، عمان ١٩٦٨.
غزي (كامل) نهر الذهب في تاريخ حلب، ١٩٢٦.
كامل (محمد)، الدولة العربية الكبرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨.
موريس (جيمس) الملوك الهاشميون، بيروت، ١٩٥٩.
موسى (سليمان)، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، عمان ١٩٥٧.
موسى (سليمان)، الحركة العربية ١٩٠٨ ــ ١٩٢٤، بيروت، دار النهار، ١٩٧٧.
نايتلى (فيليب) وكولن سمبسون، المخفي من حياة لورنس العرب، ترجمة إيلي لاوند، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧١.
النشاشيبي (ناصر الدين) فيصل الأول (من كتاب عندما دخلوا التاريخ تأليف والاس بركوي)، بيروت ١٩٥١.
نهرو (جواهر لال)، لمحات من تاريخ العالم، بيروت ١٩٥٧.
هندي (إحسان) كفاح الشعب العربي السوري، دمشق، إدارة التوجية المعنوي ١٩٦٢.
هندي (إحسان)، معركة ميسلون، دمشق ١٩٦٧.
وهبه (حافظ)، جزيرة العرب في القربن العشرين، القاهرة، ١٩٥٦.
يونغ (أوجين)، الاسلام وآسيا أمام مطامع الأوروبيين، ترجمة؟، القاهرة ١٩٢٨.

٣ـ كتب وثائقية ومراجع باللغات الأجنبية

Brémond (Edward), Le Hédjaz dans la guerre mondiale, paris, 1931.

David. PH, Un gouvernement asabe á Damas, Le Congrés syrien, Paris, 1923

Evans, Laurence, United States policy and the partition of Turkey, 1914-1924, Baltimore 1965

Gaulis. B.G, la question arabe, Paris, 1930

Gountaut-Biron, Conte, R.de, Comment la France s'est instalée en Syrie, Paris, 1922

Homet Marcel, l'histoire secréte du traité framco-Syrien, Paris, 1938

Hourani A.H. Syria and Lebanon, London 1946

House (Colonel) et charles Seymous, Ce qui passa reelement á Paris en 1918-1919, Paris, 1923

Howard.H, The King-Crane commition (an american inquiry into the Middle East) Beirut, 1963

Hurewitz. J, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. 2, 1914-1956, New York 1956.

Ireland PH. W, Iraq, London, 1937

Jeffries,J, Palestine, the reality, London, 1939

Jerome et Jean Tharaud, le chemin de Damas, Paris, 1923

Kattan, Henry, Palestine, the Arabs and Israel, London, 1969

Kedourie. E, England and the Middle East, the distruction of the Ottoman Empire 1914-1921, London, 1956

Lammense. S.G, La Syrie precis historique, Beyrouth, im Catholique 1921

Lawrence. T.E, Seven pillars of Wisdom, London, 1935

Lawrence, Lettres, traduit par Etimble et Yassau Gaichére, Paris 1948

Livre d'Or des troupes du levant 1918-1935

Lloyd George, the truth about the peace traities, vol 2, london 1938

Longrigg. H.S, Syria and Lebanon under frnch mandote, Oxford 1958

Lyautey, Pierre, Gourand, Paris 1949

Marlove John, Arab nationalisin and British imperialism, London 1961

Miller. D.H, my diary at the conference of Paris, 1918-1919, New York, 1924

The New Cambridge modern history, XII, the shiftinf balance of world forces, Cambridge, 1968

Parlamentery Debates, House of Common, (Britain)

vol: 100 (1917)

114 (1918)

125 (1920)

127 (1920)

132 (1920)

145 (1925)

Poincaré. R, Au service de la France, Paris, 1932

Polk William. R, the United States and the arab world, Cambridge 1956

Richard Henry, La Syrie et la guerre, Paris, 1916

Rondot Pierre, the changing patterns of the Middle East, London, 1961

Saint Point. V. de la verité sur la Syrie, Paris 1929

Salibi Kamal, the modern history of Lebanon, lodon, 1965

Samné Georges, la Syrie, Paris, 1920

Temperley. H.W.V, a history of the Peace Confernce, london. 1969

U.S.A. Departement of State, Papers selating to the foreign relations of the United States, vol III, Washigton 1943 (Paris Peace Conferance)

Weizman. Ch, Trial and error, London 1949

Woodward and Butler, Documents on British foreign Plicy 1919-1939 first series, vol. IV, London, 1952

Yale William, the Near East, Mitchigan, 1958

Yong. H, the independent arab, London, 1933

Zein. N. Zein, The struggle for Arab indepeudence, Beirut, 1960

Ziadeh Nicola, Syria and Lebanon, London, 1956

٤ ــ مجلات وجرائد (ومقالات لجرائد ومجلات محفوظة أو مترجمة في الوثائق البريطانية أو الفرنسية أو في الجرائد العربية الأخرى)

آ ــ باللغة العربية:

جريدة الإخاء.......................حماه ١٩٢٠

جريدة الأردن.......................دمشق........... ١٩٢٠

مجلة الأسبوع العربي...............بيروت... .... ١٩٦٩

جريدة الاستقلال العربي.............دمشق........... ١٩١٩

مجلة الأسرار (ج ٣)................بيروت................ ــ

جريدة الاقبال.......................يافا ١٩٢٠

جريدة ألف باء......................دمشق........... ١٩٢١

جريدة الأهرام.......................القاهرة.. .... ١٩٢٠

جريدة الأيام.........................دمشق........... ١٩٥٧

جريدة البرق........................بيروت... .... ١٩٢٠

جريدة البشير........................بيروت... .... ١٩٢٠

مجلة البلاغ..........................بيروت... .... ١٩٢٠

مجلة تاريخ الحرب العظمى (ج ٤).... بيروت................ ــ

جريدة حلب الشهباء..................حلب ١٩٢٠

جريدة الحقيقة........................بيروت... ١٩١٩ــ ١٩٢٠
جريدة الدفاع.........................دمشق... ١٩١٩ــ ١٩٢٠
جريدة الراية.........................حلب... .... ١٩٢٠
مجلة الزهراء (م ١، ج ٢)............القاهرة.. .... ١٣٣٤ هـ
جريدة سورية الجديدة................دمشق... .... ١٩١٨
جريدة الصفاء........................بيروت... .... ١٩٢٠
جريدة صوت العرب..................دمشق... .... ١٩٥٦
جريدة العاصمة.......................دمشق... ١٩١٩ــ ١٩٢٠
مجلة العربي..........................الكويت. ١٩٧٢
جريدة العقاب........................دمشق... ١٩١٩ــ ١٩٢٠
جريدة الكنانة........................دمشق... .... ١٩٢٠
جريدة لسان الحال...................بيروت... ١٩١٩ــ ١٩٢٠
جريدة المفيد.........................دمشق... .... ١٩١٩
مجلة المقتطف (م ٣، ج ٣)..........القاهرة.. .... ١٩٣٣
جريدة المقطم........................القاهرة.. ١٩١٨ــ ١٩٢٠
مجلة المنار (م ٢١، ٢٢، ٢٣).......القاهرة.. ١٩٢٠ــ ١٩٢٢

ب ــ باللغات الأجنبية

Action Française.....Paris.............................1919
Asie Française........Paris.......................1919-1921
La Croix..............Paris.......................1918-1920
Daily Mail............Paris.............................1920
Daily Telegraph......London......................1919-1920
Democratie Nouvlle.Paris........................1919-1920
Dépéche de ToulouseToulouse........................1919

Echo de Paris.........Paris...........................1919-1920

L'Europe Nouvelle..Paris...............................1918

Le Figaro.............Paris...........................1919-1920

France..................Paris...............................1918

Le Journal ....Paris...............................1919

Journal des Debats..Paris.......1919

Le Matin...............Paris...........................1919-1920

La Partie ....Paris...............................1919

Pays ....Paris...............................1919

Petit Parisien.........Paris...........................1919-1920

Revue des troupes du

levant No 5...........Paris...............................1937

Revue InternationaleParis...............................1920

The Syrian World, V.6

No2.....................New York.........................1931

Le Temps.............Paris...........................1918-1920

The Times............London.........1918-1920-1936

Washington Post.....Washington...................1920

٥ ــ مقابلات شخصية مع:

صبحي العمري ضابط في جيش فيصل منذ ١٩١٦

صبري البدوي ضابط في جيش فيصل منذ ١٩١٧

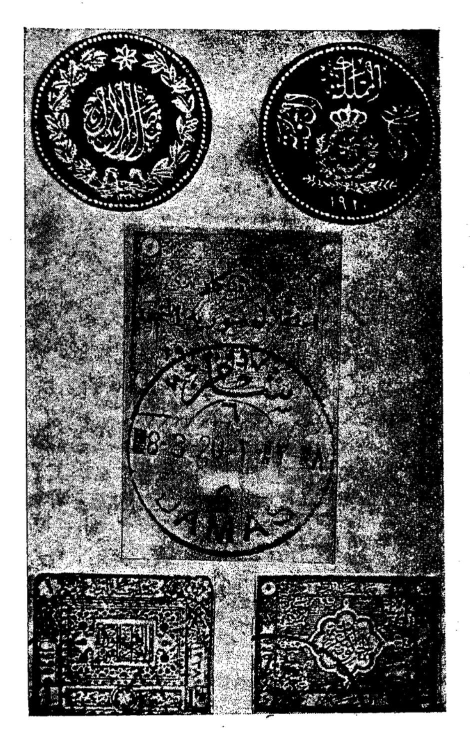
عزة دروزة سكرتير المؤتمر السوري ١٩٢٠

يوسف الحكيم سكرتير متصرف جبل لبنان ووزير في عهد فيصل ١٩١٨ــ١٩٢٠



صورة رقم (١)

أعضاء المؤتمر السوري الذي قرر إعلان الاستقلال



صورة رقم (٢)
الدينار السوري والطوابع البريدية السورية
صُورة مكبرة



صورة رقم (٣)
يوسف العظمة ــ وزير حربية الحكومة السورية العربية



صورة رقم (٤)
الملك فيصل الأول عند تتويجه في سورية

الفهرس العام

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

ية ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ : حكم فيصل بن الحسين / علي سلطان .ــ ط. ١ .ــ
ار طلاس، ١٩٨٧ .ــ ٥٠٦ ص. ؛ ٢٥ سم.

حق وصور وخرائط و وثائق.

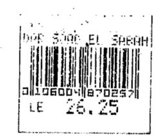
١ر٩٥٦ س ل ط ت ٢ ــ العنوان ٣ ــ سلطان

مكتبة الأسد

ــ ٧٤٩ / ٨ / ١٩٨٧

رقم الاصدار ٢٩٤

مطبعة العجلوني



DAR SOAD EL SABAH
0106004 870257
LE 26.25

